

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة جيلالي لياس / سيدي بلعباس



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: التاريخ

البحث الإفريقي للثورة الجزائرية 1954-1962م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ
تخصص: التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:

– مليكة بن قدور

إشراف الأستاذ:

– أ.د كريم ولد النبية

أعضاء لجنة المناقشة

رئيسا	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أ.د. محمد مجاود
مشرفا ومقررا	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أ.د. كريم ولد النبية
مناقشا	جامعة وهران -1-	أستاذ التعليم العالي	أ.د. حمدادو بن عمر
مناقشا	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر-أ-	د. محمد العايب
مناقشا	جامعة تيارت	أستاذ محاضر-أ-	د. محمد بليل
مناقشا	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ محاضر-أ-	د. نصر الدين لعوج

السنة الجامعية: 2016-2017

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

أشكر الله عز وجل الذي أمّدي بالقوة والعزم والإرادة للمضي بعيداً في هذا العمل المتواضع.

أتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان إلى أساتذتنا الأفاضل الذين نكنّ لهم كل الاحترام والتقدير، الذين مهّدوا لنا طريق العلم، وفتحوا لنا باب المعرفة.

وأخص بالتقدير والشكر الأستاذ المشرف الدكتور "ولد النبوة كريم"

الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته القيّمة ونصائحه المتميّزة للمضي إلى الأمام، الذي وقف إلى جانبنا عندما ظللنا الطريق...

وأتوجه بجزيل الشكر لأعضاء اللجنة المكلفة بالمناقشة، التي تحمّل أعضاؤها عناء السفر والتنقل وقراءة هذه الرسالة قصداً إثرائها، لتتير لنا الطريق سعياً مناً لدعم رصيد البحث العلمي .

كما أشكر كل من ساعدني على إتمام هذا العمل وقدم لي يد العون من قريب أو من بعيد.

إلى كل من ساهم ولو بكلمة طيبة في نجاح مسار هذا البحث العلمي.

جزاكم الله خيراً.

إهداء

أتقدم بجزيل الشكر إلى من سخر الله الجنة تحت أقدامهم إلى من رباني
صغيرة ومدني يد العون كبيرة إلى مثلي الأعلى إلى من علمني الكبرياء وزرع
في نفسي المروءة وحميد الخصال إلى قرّة عيني:

"والدي العزيز"

أهديها بكل فخر إلى روحه الطاهرة .

وإلى من سقتني من نبع جنانها زما طويلا وعلمتني أنّ الصبر صبراً إلى شحلة
الصفاء و الوفاء التي غمرتني بحبها وحنانها:

"أمي الخالية."

إلى "ابني العزيز" أغلى ما عندي، حفظه الله ورعاه في قلب الحافية
والإيمان.

إلى جميع إخوتي وأقاربي.

وإلى كل صديقاتي.

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات باللغة العربية

الرقم	الرمز	معناه
1	تر	ترجمة
2	ج	جزء
3	د.ت	دون تاريخ
4	ج.م.د	الديوان المطبوعات الجامعية
5	س	السنة
6	ش.و.ن.ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
7	ش.و.ك	الشركة الوطنية للكتاب
8	ص	صفحة
9	ص ص	صفحات
10	ط	الطبعة
11	ع	العدد
12	ج ت و	جبهة التحرير الوطني
13	ل ت ت	لجنة التنسيق و التنفيذ
14	أ و ج	الأرشيف الوطني الجزائري
15	ح م ج ج	الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية
16	ل ت م ع	لجنة تحرير المغرب العربي

قائمة المختصرات باللغة الأجنبية

N°	Signe	Signification
1	A.L.N.A.	Armée de Libération Nationale Algérienne.
2	F.L.N	Front de Libération National
3	C.C.E	Comité de Coordination et d'Exécution
4	A.N.A	Archive Nationale Algérie
5	G.P.R.A	Gouvernement Provisoire Républicain Algérienne

6	C.L.M.	Comité de Libération Magrife Arabe
7	C.R.U. A.	Conseil National de la révolution Algérienne
8	C.G.T.	Confédération générale des Travailleurs
12	E.N.A.L.	Entreprise Nationale du livre
13	M.T.L.D	Mouvement pour le Triomphe des Libertés Démocratiques
14	N°	Numéro
15	O.A.S.	Organisation Armée Secrète
16	J.O.R.F	Journal Officiel de la République Française

تعتبر ثورة أول نوفمبر 1954 من الثورات العالمية الكبرى لها أهمية في تاريخ الحديث والمعاصر ذلك لان تأثيراتها تجاوزت الجزائر إلى القارة الإفريقية وآسيا الجنوبية، أمريكا اللاتينية وكذلك القارة الأوروبية فكان لها الفضل في يقظة الكثير من الشعوب فمثلت هذه الثورة من دون شك ابرز الثورات العالمية التي غيرت مصير الشعوب المضطهدة ومكنتها من تحدي القوة الظالمة والتحرر من سيطرت استعمار طال الكثير من القارات .

تعرضت الدول الإفريقية إلى الظاهرة الاستعمارية الحديثة منذ ثلاثينات من القرن 19 حتى القرن 20، إذ احتلت فرنسا الجزائر ثم تونس وموريتانيا وشاركتها إسبانيا في احتلال المغرب، أما إيطاليا احتلت ليبيا 1911 واستمر وجودها الاستعماري حتى منتصف الحرب العالمية الثانية حينما تقاسمت النفوذ فيها كل من بريطانيا وفرنسا حتى عام 1951، والأمر ينطبق على سائر الأقطار الإفريقية التي تعرضت إلى اشتياح أوروبي (فرنسا، بريطانيا، بلجيكا، هولندا، ألمانيا إسبانيا) بجميع أشكاله .

اشتركت القوى الاستعمارية في سياسية واحدة فقامت على إلغاء الحقوق الوطنية لكل قطر من الأقطار الإفريقية فضلا عن السيطرة والاستحواذ على الأرض وإمكاناتها الاقتصادية وتجريد أهالي البلاد من ممتلكاتهم، ولم يقف الأمر عند حدود الاستلاب السياسي والاقتصادي بل مارست عدوانا قوميا وحضاريا استهداف الإنسان وجودا وهوية من خلال القتل، والنفي، التشريد وتشجيع الاستيطان الاستعماري ومحاولة القضاء على لغته ودينه وقيمه وتقاليده، وتعد فرنسا أبرز القوى الاستعمارية التي تحكمت في مسار التطور المعاصر للمغرب العربي تليها إيطاليا وإسبانيا في العمل المنظم للقضاء على الوجود القومي والديني والحضاري لأبناء القارة الإفريقية.

كان رد الشعوب الإفريقية عموما على الاحتلال العسكري اعتمادا على أسلوب الكفاح المسلح لانتزاع الحقوق الوطنية تارة والعمل السياسي تارة أخرى أو العكس، إن عدم تكافؤ في الإمكانيات التسليحية أفقد المقاتل قدرته على المواجهة، لكن لم يفقد الإيمان بعدالة القضية التي يقاتل من أجلها وهي قضية الحرية و الاستقلال والهوية.

لهذا فإن محنة الاحتلال الفرنسي المشترك للبلدان الإفريقية زاد من تلاحم هذه الشعوب وانسجامها، فمنذ الوهلة الأولى لم تكن الحركة الوطنية في أي قطر من الأقطار المغاربية مثلاً في مواجهة الاستعمار معزولة عن البقية، وذلك لزيادة الشعور بالوحدة وكان أي حدث يحدث في هذا القطر أو ذلك و سرعان ما يكون له صدهاء في البقية، و كان من أبرز التنظيمات والجمعيات التي أطرت النضال الوجودي المغاربي نجم شمال إفريقيا وجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين و مكتب و لجنة تحرير المغرب العربي، و قد وصل الكفاح الوجودي التحرري إلى أعلى حدوده في منتصف الخمسينات من القرن العشرين و ذلك بإنشاء جيش تحرير المغرب العربي الشيء الذي دفع فرنسا بتعجيل منح تونس والمغرب لاستقلالهما، هكذا وضعت القيادات السياسية الجديدة في البلدين في وضع حرج بين خدمة المطامع القطرية و الاستمرار في المشروع الوحدة لاستكمال تحرير الجزائر.

وبسبب قوة الثورة الجزائرية وامتدادها داخل الأقطار المجاورة في القارة الإفريقية جعل هذه الشعوب تلتف حول الثورة وبدعمها بكل قوة خاصة (مصر والبلدان المغاربية) الدول الإفريقية عامة، الشيء الذي جعل فرنسا ترفض سحب قواتها من البلدين لأنهما أصبحا يمثلان القواعد الخلفية للثورة الجزائرية، الأمر الذي زاد من مخاوف القيادات السياسية المغاربية، ودفعهم إلى ضرورة التكتل و التوحد من أجل توحيد المواقف السياسية والعسكرية، كما شاركت فرنسا في عدوان ثلاثي على مصر(فرنسا إسرائيل بريطانيا) تهديدا لمصر ولكن ذلك زاد من تلاحم الشعبين.

يلقى تاريخ الثورة التحريرية الجزائرية اهتماما متزايدا من طرف الباحثين وأصحاب التوجّه الجديد لإعادة كتابة التاريخ الوطني الذي احتكرته المدرسة التاريخية الفرنسية وتحكمت فيه لفترات طويلة، ورغم حساسية تلك المرحلة التي مازالت تلقي بظلالها على الأحداث الراهنة وتثير الكثير من الجدل في مختلف الأوساط، إلا أن بحوثا جديدة تعتمد على الوثائق والأرشيفات والشهادات الحية، من شاكلة الرسالة التي بين أيدينا، من شأنها أن تغير الرؤى وتحسم الخلافات وتحدد المواقف لصالح الحقيقة التاريخية المجردة من الذاتية المقيتة.

ويعد موضوع هذه الرسالة البعد الإفريقي للثورة الجزائرية 1954-1962، من الموضوعات الشائكة في تاريخ الثورة الجزائرية، وذلك بحكم تأثير الثورة العميق على القارة الإفريقية، وانعكاساتها الكبرى على العلاقات الجزائرية الإفريقية، وإن التعرض لمثل هذه المواضيع جعلها محط

اهتمام السياسيين والمؤرخين، مؤكدين على أهمية دراستها الموضوعية لفهم تاريخ الثورة الجزائرية وبعدها الإفريقي.

إن اختياري لهذا الموضوع تحدا يرجع إلى أسباب عديدة منها رغبتى الشخصية في دراسة مثل هذه المواضيع التي لها أهمية في تاريخ الجزائر من خلال:

— أهمية هذا الموضوع في كشف جانب مهم من ارتباطات الثورة الجزائرية بالقارة الإفريقية من جهة، و ارتباطها بالبلدان المغاربية جهة أخرى، إذ جعلت المنطقة المغاربية المنطقة الأكثر تأثر وتأثير، وهذا إلى جانب الأقطار الإفريقية .

— الكتابات التاريخية حول هذا الموضوع قليلة ويرجع ذلك إلى الغموض و الإلتباس الذي يحيط بمثل هذه المواضيع التي لها علاقة بتاريخ الثورة الجزائرية وبعدها الإفريقي، وخاصة قلة الاهتمام بالتاريخ المعاصر وبعده عن الموضوعية.

— الإشكالات التي يطرحها موضوع البعد الإفريقي للثورة الجزائرية 1954-1962، باعتبار أن الثورة الجزائرية كانت مصدر التأثير و التأثير فهي استفادة من تضامن والمؤازرة الأقطار الإفريقية، كما لعبت دورا في استرجاع الأقطار الإفريقية لإستقلالها.

إن الإشكالات الأساسية التي يدور حولها محور هذا البحث هو فيما يظهر البعد الإفريقي للثورة الجزائرية؟ وما هي الآليات التي اعتمدت عليها الثورة الجزائرية في إظهار التضامن والتلاحم مع الشعوب الإفريقية؟ وما تأثيرها في قضاياها ومسيرة تطوراتها في سبيل تحرير شعوبها من وطأة المحتل؟ وما هي حدود الدعم الذي قدمته الأقطار الإفريقية للثورة الجزائرية؟

ومن أجل التوصل إلى حقائق التاريخية، تطلب الأمر وصف و تقرير المعطيات التاريخية و تحليل الوقائع و مناقشتها والمقاربة بين المواقف والعلاقات. وعليه اعتمدت أساسا المنهج التاريخي الوصفي في استعراض وتغطية التطورات والأحداث التاريخية، بالإضافة إلى استخدام أسلوب تحليل المضمون بإحدى أدوات توظيف المعلومات، وعليه كان المنهج العام الذي اعتمدت عليه في كتابة هو المنهج التاريخي الوصفي.

وقد حاولت قدر الإمكان في عرض المواقف بكل موضوعية بالرجوع إلى مضامينها الأصلية والمتنوعة (النصوص التاريخية، مقررات، المؤتمرات، والتقارير والمصادر والمراجع و توظيفها بما يتناسب مع طبيعة البحث.

ووضعت **الخطة** التي تتكون من مقدمة ومدخل وأربعة فصول وخاتمة وملاحق، فتطرقت في المدخل إلى الاحتلال الجزائري بوابة إفريقيا كذا السياسة الفرنسية في الجزائر وانعكاساتها ثم الوضع العام للجزائر في ظل الاستعمار.

وتطرقت في الفصل الأول إلى مكانة الثورة الجزائرية بين ثورات العالم من خلال أولا التعريف الثورة و أنواعها وثانيا ذكر أهم الثورات التحررية في خاتم الفصل الأول الثورة الجزائرية و تأثيرها بالثورات العالمية. من خلال أولا مقارنة الثورة الجزائرية ببعض الثورات في العالم، ثانيا أثر الثورة المصرية في اندلاع الثورة الجزائرية عام 1954. ثم في الأخير أثر بداية الكفاح المسلح في المغرب وتونس عام 1952.

أما في الفصل الثاني فبينت فيه أثر الثورة الجزائرية على البلدان المغاربية، وتناولت أولا تأثير النضال الجزائري على بلدان المغاربية قبل 1954 من خلال التغلغل الاستعماري الفرنسي في تونس والمغرب من الجزائر (1830-1912)، ثم التعرف على الأوضاع السياسية العامة للبلدان المغاربية (تونس، ليبيا، المغرب الأقصى، موريتانيا) ثم تبيان البعد المغربي للثورة الجزائرية، وثانيا تأثير الثورة الجزائرية على البلدان المغاربية بعد 1954، ففي البداية تأثير الثورة الجزائرية على البلدان المغاربية وثانيا موقف الثورة الجزائرية من أزمة بنزرت ثم دور البلدان المغاربية في دعم الثورة الجزائرية.

وتناولت في الفصل الثالث أثر الثورة الجزائرية على البلدان الإفريقية ، فوضحت أولا الروابط الحضارية بين الجزائر وإفريقيا، و ثم انتقلت إلى إبراز التغلغل الاستعماري الفرنسي في إفريقيا عبر الصحراء الجزائرية (1881-1912) إلى الجزائر وفكرة توحيد إفريقيا، ثانيا بينت تأثير النضال الجزائري على البلدان الإفريقية بعد 1954، الذي عاجلت فيه الجوانب التالية: أولا دور الدبلوماسية الجزائرية في دعم حركات التحرر في إفريقيا، وثانيا الثورة الجزائرية ودورها في يقظة الشعوب الإفريقية، ثم أخيرا الثورة الجزائرية مصدر إلهام نلسون مانديلا.

وكان الفصل الأخير تحت عنوان الدعم الإفريقي و التعجيل بالاستقلال، فتطرق أولاً الدعم الإفريقي للثورة الجزائرية، وعالجت فيه موقف بعض الدول الإفريقية من الثورة الجزائرية ثم انتقلت إلى لدعم السياسي والدبلوماسي، وصلا إلى الدعم العسكري. وثانيا دور الثورة الجزائرية في تعجيل باستقلال البلدان المغاربية، وبينت فيه دور الثورة الجزائر في استقلال المغرب، ثم دور الثورة الجزائرية في استقلال تونس، ودور الثورة الجزائرية في استقلال إقليم فزان، وصلا إلى دور الثورة الجزائرية في استقلال موريتانيا، وثالثا دور الثورة الجزائرية في استقلال و ميلاد الجمهوريات الإفريقية، فكانت البداية دور الثورة الجزائرية في استقلال بعض الدول الإفريقية ثم في الأخير ميلاد جمهوريات إفريقية بفضل الثورة الجزائرية .

وألحقت هذه الفصول بخاتمة وهي عبارة عن مجموعة من الاستنتاجات حول هذا الموضوع، ثم أتبعها قائمة البيوغرافيا فالملاحق، فهرس الأعلام وفهرس الرسالة.

فيما يخص مصادر البحث المعتمدة أشير إلى أن توسع مجالات البحث اقتضى مني فحص كم معتبر من المادة التاريخية، والاستفادة من مضامين متعددة للوصول إلى تغطية جوانب الموضوع، ويمكننا تصنيف المصادر و المراجع المختلفة التي اعتمدنا في البحث حسب أهميتها في النقاط التالية:

رغم أهمية الوثيقة الأرشيفية في دراسة التاريخ المعاصر إلا أن مشكل حساسيتها وصعوبة الوصول إليها مازال يطرح بجدة أهم الوثائق المعتمدة على الإطلاق هي وثائق الحكومة الجزائرية المؤقتة والمجلس الوطني للثورة الجزائرية المحفوظة في الأرشيف الوطني الجزائري، وتكمن أهميتها في أنها تكشف عن العديد من الجوانب الخفية في العلاقات الجزائرية بين الجزائر وأقطار المغرب العربي الثلاث، وتوضح لنا السياسة الخارجية المنتهجة مع أقطار المغرب العربي، وتشمل هذه الوثائق تقارير عن أوضاع الثورة وعلاقتها بدول الجوار، ومراسلات بعثات الحكومة المؤقتة الجزائرية المؤقتة في هذه الأقطار، ودراسات أعدتها وزارات الحكومة الجزائرية المؤقتة، نذكر منها على سبيل مثال تقرير كتبه مسؤول قاعدة ليبيا بشير القاضي حول اتصالاته بالسلطات الليبية مؤرخ في 1958/09/05 مرسل إلى جبهة التحرير الوطني بالقاهرة بعنوان (rapport sur contact avec les autorités libyennes) و تقرير آخر كتبه "بشير القاضي" بتاريخ 1958/06/03 مقدم إلى لجنة التنسيق والتنفيذ بعنوان (rapport fonctionnement base) وتقرير خاص بضغطات على القواعد الخلفية ووحدات جيش التحرير الوطني بالتنسيق مع القيادة العسكرية الفرنسية لغرب الجزائر ملف رقم (N°6, Dossier N°20 et)

(après) على الرغم من أهمية مثل هذه التقارير في التعرف على جوانب مختلفة من العلاقات إلا أنها تعبر عن وجهة نظر البعثة أو الوزارة، ولا تغطي جميع مراحل بعض القضايا والمواقف المهمة، واعتمد البحث كذلك على الأرشيف المطبوع والمتمثل في الصحافة كالجرائد باللغة العربية منها جريدة المنار (جريدة سياسية-ثقافية-دينية) والمجاهد بأعداد متنوعة من (1956 إلى 1961) و جريدة المقاومة الجزائرية وبأعدادها من (1956 إلى 1957) و صحيفة الأهرام و كذلك صحيفة الجمهورية، أما الناطقة باللغة الفرنسية فتذكر منها جريدة (Le Monde) بأعداد متنوعة من (1955 إلى 1956) بإضافة إلى جريدة (EL Moujahid) بأعداد متنوعة من (1956 إلى 1961).

اعتمدت الدراسة على كثير من الوثائق المنشورة، منها الخاصة بالطرف الجزائري كمجموع الوثائق التي نشرتها جبهة التحرير الوطني عام 1979 بعنوان (النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني)، والوثائق الأصلية والنادرة التي نشرها محمد حربي في كتابه *Les archives de la révolution algérienne*، وهذا يبين النقص الملاحظ في الأرشيف الوطني الجزائري، وقد اعتمدت بشكل أساسي على تقرير بعثة الحكومة الجزائرية المؤقتة بتونس المنشور من قبل محمد حربي في التعريف على إبعاد العلاقات الجزائرية التونسية و الأزمات التي شهدتها.

وكذلك الوثائق الخاصة بالطرف الفرنسي، أهمها وثائق وزارة الخارجية الفرنسية (مراسلات، تقارير، دراسات) و المطبوعة بعنوان *Document diplomatique français*.

كثيرة هي المذكرات التي رصدت أحداث الفترة المدروسة و تناولت قضايا مختلفة حول هذا الموضوع ومنها مذكرات القادة الجزائريين (أحمد بن بلة، أحمد توفيق المدني...).

على الرغم من أهمية هذه المذكرات كمصدر في تسجيل الأحداث والمواقف المتباينة فإنها لا تخلو من الذاتية، تنظر الأحداث من زوايا مختلفة، تؤول المواقف بحسب توجهاتها السياسية والإيديولوجية، لهذا تطلب منا الحذر في قراءة هذه الوثائق ومقارنتها بمصادر أخرى.

واكتسبت مذكرات فتحي الديب أهمية بالغة في تأريخها للعمل المغاربي المشترك استعراضها للاتفاقيات المشتركة و العلاقات التي جمعت بين حركات التحرر الثلاث.

قليلة هي الأطروحات الجامعية التي تناولت جوانب معينة عن موضوعنا، وقد قد استفدت من بعض الأطروحات المنشورة ومنها أطروحة الشيخ محمد قنطاري المنشورة التي تناولت التنظيم الثوري السياسي والإداري والعسكري، سلطت الضوء على تنظيم السائدة في القواعد الخلفية وأطر العلاقات التي تنشط ضمنها، واستعنت بأطروحة ماجستير محمد ودوع تحت عنوان ليبيا والثورة الجزائرية، وكذلك أطروحة عبد الله مقلاتي بعنوان العلاقات الجزائرية المغاربية إبان الثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962، قد تعرض أحمد بن فليس سياسة الثورة وعلاقتها المغاربية في أطروحة الموسومة السياسية الدولية للحكومة المؤقتة الجزائرية.

واستفاد البحث من مراجع كثيرة ألفها باحثون متخصصون أو أشخاص مرتبطون بأحداث الموضوع، ونذكر منها كتابي محمد الميلي "المغرب العربي بين مطامح الشعوب وحسابات الدول"، "مواقف الجزائرية" الذي قام بتحليل للقضايا المغرب العربي زمن الثورة الجزائرية، كذا مؤلف محمد حربي "جبهة التحرير الوطني الأسطورة و الواقع" الذي تناول بعض قضايا العلاقات المغاربية"، كتاب رضا مالك Algérie a Evian الذي تعرض للمشكلات التي سببتها المطامح التونسية والمغربية عشية مفاوضات إيفيان، محمد البجاوي في كتابه vérité sur la révolution algérienne الذي تطرق إلى موضوع العلاقة مع بورقيبة والتعاون المغاربي في مجال التسليح لتنسيق والعمل المشترك بالإضافة إلى مراجع أخرى.

استندت في هذه دراسة إلى عدد من المفاهيم و المصطلحات ووظفتها ضمن التحليلات في العرض مثل(البعد، الدعم، التضامن، الوحدة، إفريقيا، الثورة الجزائرية، الاستقلال) من حيث عمقها التاريخي وحمولاتها السياسية الفكرية فنقصد بالبعد هنا بالبعد التاريخي والروابط التاريخية و المصير المشترك بين الجزائر وإفريقيا، والاستقلال نقصد الاستقلال السياسي وليس الاستقلال الاقتصادي فلازالت الأقطار الإفريقية تسعى من أجل تحقيقه، و إفريقيا نقصد بها إفريقيا السوداء ليس إفريقية (تونس) ...

فقد شكلت كل من الأقطار الإفريقية منها المغاربية ومصر فضاء البحث محل الدراسة، فحددنا جغرافية القارة الإفريقية إلى التوصل إلى تجسيد السيادة القطرية، المتمثل في مشروع المغرب

العربي بين الأقطار الثلاثة (الجزائر، تونس، المغرب) وإلحاق ليبيا في هذا المشروع كان صعبا ومع ذلك اعتبرناها عضوا في كيان المغرب العربي وموريتانيا لم تعد عضوا في المشروع المغربي لأنها استقلت في وقت متأخر وعلاقتها بالثورة الجزائرية ومصادر الدعم المقدم لم تكن قوية، إذا ما قارناه بالدور الذي لعبته الثورة الجزائرية في الاستقلال العديد من الشعوب الإفريقية و منها موريتانيا.

فالثورة الجزائرية مفهوم شمولي لمجالات متعددة ومشروع وطني ثوري يعتمد على العمل العسكري والسياسي لتغيير الواقع الاستعماري المفروض على الجزائر للحصول على الاستقلال التام وتحسيد السيادة الوطنية، فقد كان اندلاع الثورة حدثا هاما في تاريخ الجزائر وفي القارة الإفريقية باعتبارها سببا في نحو الاستعمار الأوروبي بجميع أشكاله من إفريقيا، فحين لا نغفل عن الدعم الذي قدمته شعوب إفريقيا (بلدان المغرب العربي و مصر و بعض الأقطار الإفريقية) للثورة الجزائرية، و بالتالي دعم متبادل هذا ركزت عليه في هذه الدراسة التاريخية من خلال إظهار البعد وامتداد الثورة الجزائرية في إفريقيا.

مما لاشك فيه أن أي بحث لا يخلو من صعوبات فمثل هذا الموضوع الواسع الجوانب الشائك القضايا يطرح مشاكل عديدة أمام الباحث، لهذا توجب علينا تجاوز هذه الصعوبات المتعلقة بظروف البحث جمع المادة السفر بحثا عن الوثائق والمصادر المرتبطة بهذا البحث.

وواجهت صعوبات تتعلق بطبيعة البحث مكانا وزمانا وبتعدد مضامين الموضوع (أرشيف، شهادات ، الصحف، مذكرات ، دراسات...)، وكذا بتعدد أطراف الموضوع (الأقطار الإفريقية وتونس المغرب، ليبيا مصر) التي تشترك فيها هو جوهري، وتختلف في كثير من السمات التي تحدد سياستها القطرية الخاصة، وهذا يتطلب ذلك دقة في التحليل من خلال المقاربة بين القواسم المشتركة وتنوع الاختلافات.

المدخل

1- احتلال الجزائر بوابة إفريقيا.

2- السياسة الفرنسية في الجزائر وانعكاساتها.

3- الوضع العامة للجزائر في ظل الاستعمار.

تحتل قارة إفريقيا مكانة مهمة في خارطة العالم السياسية لما لها من وزن بشري واقتصادي حيث تبلغ مساحتها حوالي 30 مليون كيلومتر مربع، وهي بذلك تشكل خمس مساحة الكرة الأرضية، ولكن ظل معرفة العالم الخارجي بها أو على الأقل ما بداخلها ضعيفاً حتى القرن الخامس عشر حين نشطت حركة الكشوف الجغرافية فأخذ النقاب يكشفون عمّا بداخلها ولذا أطلق عليها البعض تعبير (القارة المظلمة أو السوداء)، أي القارة التي لا يعرف العالم عمّا بداخلها الشيء الكثير، وقيل أيضاً أنّ تسميتها ترتبط بسواد بشرة سكانها .

ونتيجة لموقعها الإستراتيجي المهم في قلب العالم القديم، جعلها عرضة لغزو القوى المجاورة وبخاصة تلك التي قدمت إلى القارة الأوروبية بهدف استغلال مواردها البشرية والطبيعية لذا فتاريخ إفريقيا الحديث في جملته يتصل بعلاقة الأوروبيين بالذات التي بدأت بالاكشاف وانتهت بالاستعمار منذ القرنين الخامس عشر والسادس عشر والتي تزعمها مغامرون أسبان، وبرتغاليون وإيطاليون .

ولقد لجأ الاستعمار¹ إلى استعمال عبارات ليست إلاّ وسيلة لتغطية أعين شعوب المستعمرات الإفريقية مثل: الوصاية-الحماية- الضم -المشاركة والحكم الثنائي، فاشتدت حدتها بين الدول الأوروبية خلال القرن التاسع عشر وأخذت في التصادم فيما بينها من أجل الاستحواذ على أكبر نصيب من هذه القارة التي ظهر أنّها تستطيع أن تقدم للأوروبيين خدمات عظيمة خاصة بعد الثورة الصناعية.

¹ - انظر إلى الملحق رقم 01 من الرسالة.

1- احتلال الجزائر بوابة إفريقيا:

كانت الجزائر تمثل التجربة الاستعمارية للدول الأوروبية في القارة الإفريقية، وكانت في نفس الوقت تمثل الطعنة الاستعمارية الأولى للقارة الإفريقية، وبشكل قاتل وفي أعنف صورة منذ عام 1830، لم يخرج منها حتى استقلت الكثير من الدول الإفريقية، في عام 1962، وهكذا شهدت الجزائر أقوى ضربة الاستعمار الأوروبي للقارة الإفريقية في عصوره الأولى، وظلت تقاسي من هذه الضربة حتى كانت آخر من حرر من هذه الطعنة¹.

في بداية الثلاثينات من القرن التاسع عشر تعرضت الجزائر لأبشع هجمة استعمارية عرفها التاريخ المعاصر، لقد عمدت هذه القوة الغاشمة إلى إغراق البلاد في بحر من الدماء، حولت معالمها ومؤسساتها إلى خراب، مجموع الشعب إلى جحافل من البؤساء يعانون من القهر والطغيان والعبودية التي بدأت صبيحة يوم 5 جويلية استمرت قرنا واثنين وثلاثين سنة تتميز الفترة الأولى بذلك الهجوم الشرس الذي شنته فرنسا على الجزائر الذي تطور عبر السنين لتصبح حرب شاملة ضد البشرية²، هاته البلاد وضد ممتلكاته ووسائل عيشه لقهره ولسيطرة عليه³ كان نزول الجيش الفرنسي على سواحل سيدي فرج البعيدة عن مدينة الجزائر.

- الغزو الفرنسي للجزائر 1830:

أصل هذا العدوان مبرره حسب المؤرخين المستعمرين له علاقة وطيدة بمحادثة المروحة التي تلقاها القنصل الفرنسي بيير دوفال (Pierre Deval)⁴ أو القرصنة، لكن فرنسا مهمتها بالقطر الجزائري إتماما خاصا، يبدو ذلك من كتابات وأحاديث بعض الأوساط الفرنسية في مجامعهم الخاصة... ويبدو في المساومات التي قامت بها فرنسا قبل الاحتلال مع بعض الدايات

1 - جلال يحيى: تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999، ص 250.

2 - انظر إلى الملحق رقم 2 من الرسالة.

3- جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث المعاصر، منشورات المتحف الوطني، 1994 ص 91.

4- عمار حمدان: حقيقة الغزو الجزائري، ط2 طبعة خاصة بوزارة المجاهدين ، ترجمة: لحسن زغدار، منشورات ثالة، الجزائر، 2008 ص 3.

والبايات عساها تتحصل على بعض لامتيازات وخاصة حتى الشريط الساحلي للقالة وعناية وحتى سكيكدة.¹

شهدت العلاقات الجزائرية الفرنسية توترا مستمرا منذ بداية القرن التاسع عشر، إذا كان المؤرخون في محاولة منهم لتفسير أسباب الهجمة الفرنسية ضد الجزائر قد ذكر العدد من العوامل والدوافع العميقة فإننا لاحظنا إهمال بذلك نمو الذهنية العدوانية، تعاضم شأنها في الأوروبا منذ نهاية القرن الثامن عشر، لقد جعلت أوروبا مركز لنفسها و مركز في العالم وصية عليه، فلم يعد مقبول في نظرها أن تعيش مع دول غير أوروبية، جاءت المؤتمرات لتشن ذلك، خاصة مؤتمر (كس لاشايل) 1818 حيث كان من بين المطالب التي تقدمت بها في هذا المؤتمر إلى دول المغرب البحرية الثلاث (الجزائر، تونس، المغرب) هو التخلي عن حقها في إعلان الحرب وإبرام الصلح وفتح أبواب بلدانها الواسعة أمام الامتيازات الأجنبية وتغلغل النفوذ الأوروبي بها، عندما اندلعت الأزمة بين الجزائر وفرنسا عند أواخر ربيع عام 1827، لم تكن هناك أسباب معقولة في منظور العلاقات المتكافئة والمتساوية بين الدول هذه الأزمة.²

اندلع الصراع وكانت حرب احتلال وخلال المرحلة الأولى من احتلال الجيش الفرنسي أولا المدن الساحلية اقتربا منها مباشرة من الجزائر، ثم المرحلة الثانية تم الاستيلاء على قسنطينة مقاطعة الشرق الجزائر، ثم تقدم نحو الغرب الجزائر حيث تمركز الأمير عبد القادر سيد مقاطعة الغرب، ومهمة كلها أعطيت للجيش حيث صرح بيجو (Bugeaud) قائلاً: "يجب أن يكون العربي مطيعاً"، علماً أنه ليست سوى فرنسا التي تقف على هذه الأرض من أفريقيا.³

عبر الجنرال جيرا فورد بمناسبة نزول الجيوش الفرنسية بالساحل الجزائري قائلاً: "إن الاحتلال يستند إلى ضرورة هامة جدا و يرمي فتح منفذ واسع لتصريف بضائعنا"⁴ إن تصرفات

¹ - محمد الطيب العلوي: مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، ط 3 مزيدة ومنقحة، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر 2000، ص 20.

² - جمال قنان: المرجع السابق، ص 93، 94.

³ Jacques Frémeaux: La France et L'Algérie en guerre 1830-1870, Economico et institut de stratégie comparée, paris, 2002 p 71.

⁴ - محمد الطيب العلوي: المرجع السابق، ص 30.

القيادة العسكرية الفرنسية ، وعكس ما يؤكد المؤرخون الاستعماريون ، كانت فوضوية وتعسفية، إن هذه السياسة المبنية على (الحلول المؤقتة) والحيل و الذرائع سبب في أسوأ التجاوزات .

لقد كشف بليسي دو رينو (Pélissier de Reynaud) بمرارة "أنه لم يكن هناك أبدا احتلال تميز بالفوضى الإدارية مثل احتلال الجزائر حتى في القرون الأكثر همجية، إن عصابات الشمال التي تنازعت حطام الإمبراطورية الرومانية تصرفت أكثر حكمة وعقل..."¹ كما شهد على ذلك الجنرال بيوتران (Berthezéné) في رسالة إلى وزير الحربية "يجب أن ألفت انتباههم إلى البؤس الذي يثقل كاهل سكان الجزائر، إن قواتنا تحتل مساكن البادية التي تحيط بهذه المدينة ، لقد دمرت هذه المنازل منذ الغزو، لقد قطعت الأشجار المثمرة هجرت الحدائق والبساتين مع أنها كانت مصدر عيش معظم هؤلاء السكان، وإني أتلقى يوميا عددا كبيرا من الطلبات العادلة المؤسسة لهذا قد يكون من العدل والإنصاف إن تقدم لهم إعانة لعلها تسمح لهم بإطعام ذويهم."²

من أساليب الوحشية التي سجله القبطان دي ومبفن (de Wimpffen) في مراسلاته العسكرية: "قضينا أربعة وستين يوم وأدركنا من خلالها أنها لا تطيع أوامرنا إلا بقوة..." هكذا تبين لنا إن الفرنسيين لا يتم لهم فتح منطقة حتى يضطر لإعادة فتحها من جديد، مما دعا الكولونيل دومونتي (Dumontet) لأن يقول: "لست متفائلا بمستقبل هذه المستعمرة التي أردنا إن ننشئها على مثل هذه الأسس. هذه المستعمرة التي لا بد من إعادة احتلالها كل ثلاث سنوات."³

فالمقاومة الباسلة للجزائريين، دفعت المستعمرين إلى القيام بقمع شديد، حتى أن أكثر الضباط قسوة كالكولونيل كانروبير، كانوا يشعرون بتأنيب الضمير أمام المشاكل التي ارتكبتها جنود الغزو الاستعماري في عمليات لسلب والنهب المدروسة: "لا يسعني كمشارك أو كمتفرج مجبر في العديد من هذه المآسي لا يسعي إلا أن اعترف الأضرار الفادحة التي تلحقها هذه الأعمال الوحشة

¹ - عمار حمدان، المرجع السابق، ص 271.

² - المرجع نفسه، ص 281.

³ - مصطفى الإشراف: الجزائر أمة و مجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسي، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، دار القصبة للنشر الجزائر، 1986، ص ص 83-

الرهيبة. ولكم تأملت الانحطاط الذي آل إليه الجندي حيث يقوم بالذبح والسلب والنهب وهتك الأعراض، وحين يقاتل من أجل مصلحته الخاصة وذلك بحضور الضباط الذين لا يستطيعون في أغلب الأحيان أن يمنعو، على أن بعض الضباط لم يتأثروا أبدا لتلك المناظر الرهيبة من هؤلاء الكولونيل فوري (Forey) الذي سجل ما يلي في تقارير: "لم أرى في حياتي، ولم يخطر ببالي أن أرى ما رأيته من تجمعات سكانية، أن بيوت السكان هنا ليست أكواخا متناثرة ومتباعدة عن بعضها، بل هي عبارة عن قرى أشبه من أن تكون بقرانا في فرنسا... وقد اندهشنا كلنا أمام تلك المناظر الطبيعية الخلابه، إلا أن الأوامر كانت صارمة، إذ أننا دمرنا تدميرا كاملا جميع القرى الأشجار والحقول والخسائر التي ألحقها طابورنا بأولئك السكان لا تقدر وإذا تساءل البعض: هل كان عملنا خيرا أو شرا؟ فإني أجيبهم بأن هذه الطريقة الوحيدة لإخضاع السكان وحملهم على الرحيل..."¹.

¹ - المرجع السابق، ص ص 83 - 85.

2- السياسة الفرنسية في الجزائر وانعكاساتها:

كانت الجزائر قبل احتلال الفرنسيين لها في سنة 1830، دولة مستقلة غنية، تملك خصائص الدولة في ذلك العصر، أهمها المعالم الدين والدنيا، وفيها من الأوقاف الإسلامية الدارة على العلم والدين، ووجوه البر مالا يوجد مثله في القطر إسلامي آخر، ومنذ تغلب عليها هذا الاستعمار الفريد في الخبث وهو يحاول طمس معالم هذه الدول بكل ما أوتي من قوة.¹

مس الاحتلال كل الميادين وحتى الأحوال الشخصية، الاحتلال الفرنسي عبارة عن عدم الوجود الحريات الديمقراطية، وعن وجود ضغط وحشي لسياسة القمع الممارسة من طرف الاحتلال الفرنسي، إذا نظرنا إلى الاستعمار في كل مكان وخاصة في الجزائر نجد أنه قد انتهج تقريبا ثلاث طرق متكاملة فيما بينها.²

جاء الاستعمار الفرنسي الشعب الجزائري من أراضي الفلاحة الخصبة وصادرها بالقوة فمنذ 1830 فرنسا الوصية على ثروات أراضي الباي وتقدر بأكثر من 200000 هكتار، جميع الممتلكات والمؤسسات الدينية، ووصول الضارين ذات الصلة الجيش تدفق (الرواد) بعد نقد اتفاقية استسلام 5 جويلية نحو الأراضي المحيطة بالجزائر في ساحل متيجة الغنية الممتلكات والمنازل، ودخول الأوروبيون استقروا على قمع المسلمين³، وبصورة متدرجة من 1830 إلى 1920 حيث استولى على مساحة مليوني و ثلاثمائة ألف هكتار من أجود الأراضي، اجتذبوا بالإضافة إلى الموظفين والتجار الفرنسيين أجانب من جميع الجنسيات حيث قدرت نسبتهم في سنة 1920 بـ 71%⁴، وملكها إلى حوالي خمسة وعشرون ألف وسبعمائة وخمسة وسبعين معمرا أوروبا، وهو ما يمثل 3%

¹ - الفضيل الورتلاني: الجزائر الثائرة ، طبعة خاصة وزارة المجاهدين ، دار الهدى ، الجزائر ، 2004 ، ص 196.

² - خليفة الجنيدي وآخرون: حوار حول الثورة الجزائرية، الجزء الأول، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، موفم للنشر، الجزائر 1986، ص 83.

³ - Jacques Simon: Algérie le passé l'Algérie Française la révolution (1954-1958), L'Harmattan, 2007, p59

⁴ - شارل رويبر أجيرون: تاريخ الجزائر المعاصر، ترجمة: عيسى عصفور، ط2، ديوان الوطني للمطبوعات الجامعية - الجزائر منشورات عويدان - بيروت، 1972، ص 93.

من مجموع الأراضي الزراعية بينما نجد (2.109.742) فلاحا جزائريا لا يملكون سوى نسبة 7% من الأراضي الفلاحية غير خصبة، ذات المردود الضعيف و المتردي¹.

أثناء الاحتلال الفرنسي تم إدخال نوع من الرأسمالية في المستعمرة الجزائرية، عملية التفكك الاجتماعي تتبع مسار تشكل مماثل لتلك التي وضعها كارل ماركس لأوروبا².

ثم إن المستعمرين الأوروبيين نكاهوا بالجماهير الجزائرية أهملوا الزراعات الغذائية المفيدة المهمة كالقمح، الشعير، و ركزوا على المزروعات الصناعية التي تقدر عليهم إرباحا طائلة كالعنب الخمر والتبغ... الخ.

وبما أن تربية المواشي متعبة وتتطلب المزيد من التكاليف فقد أهملوا المعمرين الأوروبيون تربيتها والإقبال على امتلاكها ولكنهم ضايقوا الفلاحين والموالين الجزائريين في تربيتها. وحتى شبكة المواصلات احتكرها المستعمر الأوروبي برا، بحرا فأهمل مد الطرق البرية، ما عدا تلك التي تخدمه في قراه ومزارعه³.

أدى اغتصاب الأراضي الزراعية والقضاء على الصناعات المحلية وتكاثر عدد السكان المسلمين والأوروبيين إلى تفشي الأمراض المعدية والفتاكة بين الجزائريين، وتشريد الملايين منهم إلى قمم الجبال الجرداء والهضاب العليا الصحاري القاحلة، كثير ما كانت عمليات تجويع السكان من طرف بعض الضباط توصف بأنها (بطولات عسكرية رائعة) والشاهد ما كتبه الكولونيل السابق فوري (Forey) "إن محاصرة ذروة الجبل الذي أهلكنا فيه عددا كبيرا من السكان بالجوع والعطش لتعد من البطولات العسكرية الرائعة"⁴.

بسبب هذا الاستغلال الفاحش والمآكر لخيرات البلاد والعباد الاقتصادية من طرف الاستعمار، حققت السلطات الاستعمارية عدة أهداف منها:

¹- يحيى بوعزيز (الوضع العام في الجزائر عيشة ثورة أول نوفمبر 1954) ، الذاكرة العدد السابع 5 ديسمبر 2001، ص11. وأنظر إلى

- Historique 1830 – 1870 ,N° 16 . 01 Aout 1948.

²- Jacques Simon: op, cit, p 59.

³- يحيى بوعزيز (الوضع العام في الجزائر عيشة ثورة أول نوفمبر 1954) ، المرجع السابق، ص ص 12- 13.

⁴ - مصطفى الأشراف: المرجع السابق، ص 85.

- 1- يتم إعداد ميزانية الجزائر من طرف مجلس، أغلبيته من المستعمرين اليهود وغيرهم، ذلك لخدمة مصالح الأقلية الاستعمارية الأوروبية الباغية، ليس لمصالح المسلمين الجزائريين الذي يزودونها بالمزيد من الضرائب والمصادر.
- 2- المعمرون الأوروبيون الذين يمثلون أقل من عشر السكان يدفعون الضرائب المباشرة أكثر مما يدفعه الجزائريون، و التالي فإن ثمانمائة ألف أوروبي مدخول أضخم وأكبر من مدخول أحد عشر مليون مسلم.
- 3- الضرائب غير المباشرة التي يدفعها الجزائريون المسلمون، هي أكثر بكثير من الضرائب المباشرة التي يدفعها الأوروبيين.
- 4- تم إنشاء اقتصاد استعماري بالجزائر، مكمل الاقتصاد الفرنسي في فرنسا لخدمتها وازدهارها.
- 5- احتكرت الأقلية الأوروبية المستعمرة كل الوسائل والتسهيلات وكل الخيرات والإمكانات الاقتصادية التي تملكها الجزائر.
- 6- تم إقصاء الجزائريين أصحاب الأرض الشرعيين من المشاركة في إدارة بلادهم، ومكنت الأقلية الأوروبية من كل السلطات لتطبيق المشاريع الاقتصادية التي تخدمها هي وتخدم الاقتصاد الفرنسي.
- 7- أبقى الجماهير الجزائرية على الهامش، ومنعت من أي نشاط اقتصادي مريح، وفرض عليها أن تبقى للاستعمال الاستعماري في الأعمال الشاقة وبأجور ضعيفة جدا وأحيانا حتى بالسخرة.

بدأت السلطات الاستعمارية تطبق سياسية التمييز العنصري في الجزائر منذ أن صدرت قرار 22 جويلية 1834 الذي حول الجزائر من بلد محتل إلى قطعة من التراب الفرنسي وأكد الجنرال بيجو أنهم لا يقبلونها إلا القوة هذه تظل عاجزة إذا لم تؤثر على الأشخاص والمصالح، وإذا تمادينا في مراعاة الشعور الإنساني، ربما تظل الحرب قائمة إلى الأبد، وهذه الحالة لا تستطيع إدراك هدفها الوطني" ¹.

¹ - يحيى بوعزيز (الوضع العام في الجزائر عيشة ثورة أول نوفمبر 1954) ، المرجع السابق ، ص 14-26.

بهذا الأسلوب وهذه التشريعات الجزائية (العقابية) العنصرية، ظل الشعب الجزائري يرضخ ويخضع لتشريعات وقوانين خاصة التي عرفت "بالقوانين الاستثنائية العنصرية وأهمها: الحجر والمصادرة فمثلا في جويلية 1846 صدور مرسوم ينص "على إن عدم وجود وثائق ملكية أراضي سبب كافيا لنزع الملكية للمنفعة العامة."، مصادرة أغلبية الأراضي المتمردين وتثبيتها إلى المستوطنين¹.

كذلك المسؤولية الجماعية التي سنتها السلطات الاستعمارية بمقتضى قانون 17 أكتوبر 1874 وبموجبه أصبح سكان القرى والدواوير معرضين للعقوبات الجماعية الصارمة عندما يقع أي حادث في قراهم ، غيرها من القوانين التعسفية الجائر في حق الشعب الجزائري.

أما من ناحية الحريات لسياسية، ليست للجزائريين أية شخصية أو الجماعة منذ الاحتلال عام 1830، إلى سنة اندلاع الثورة 1954م، فقد انتزعت منهم السلطات الاستعمارية، حرياتهم العامة والخاصة ، وأخضعتهم للقوانين الجائرة والظالمة الاستثنائية ، وصاروا باستمرار يتعرضون للسطم والشتم والضرب والإذلال الإهانة والاحتقار المطاردة والتشريد من طرف رجال الشرطة والدرك والجيش. على أساس هذه السياسة لبغيضة والباغية، همشت السلطات الاستعمارية الجزائريين سياسيا، كما في غيرها ، طوال عهد احتلال².

قد زعمت السلطات الاستعمارية كذبا وبهتانا وزورا، بأنه لا يوجد في الجزائر شعب أو أمة وإنما هناك عدة محمولات عرقية وبشرية، مثل: البربر والميزابيين والقبائل والشاوية والعرب والأتراك، والغريب في الأمر إن هذا الزعم ترسخ في أذهان الفرنسيين المستعمرين طوال عهد الاحتلال الفرنسي، كما حاول الاستعمار محو الشخصية العربية الإسلامية محاربة اللغة العربية وإحلال اللغة الفرنسية محلها ، في جميع المعاملات (السياسية، إدارية، والعسكرية، والقضائية، الاجتماعية)، القضاء على مراكز التعليم الثقافة العربية (المدارس الرسمية، الزوايا، الكتاتيب)، بعدما كانت تعيش حالة ازدهار وتقدم، تتمتع بمستوى فكري وثقافي وتربوي متطور، لا يقل عما تتمتع به كل بلدان العالم العربي الإسلامي، وشهد الفرنسيون أنفسهم بذلك، وأفضل ما شهد به الأعداء، فاجين كومب قال وهو يخاطب أعضاء مجلس الشيوخ الفرنسي: "إن التعليم كان عام 1830م أكثر ازدهار أحسن

¹ - Jacques Simon: op, cit, p 60.

² - يحيى بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب، الجزء الثاني، شركة دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر 2004، ص 86.

حالا مما هو عليه الآن ، الأمر الذي لم يرض السلطات الاستعمارية في الجزائر، فقد كان هناك أكثر من ألفي مدرس للتعليم الابتدائي والثانوي والعاليين ويتولى التدريس فيها أساتذة أكفاء، هذا فضلا عن المساجد التي تقوم بتلقين وتعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم العلوم الإسلامية لطلابها و تلاميذها " .

أضاف الكاتب **بولارد**: "لقد أحدث غزو الفرنسيين اضطرابا بالغا بين الأدباء المفكرين الجزائريين، اضطر العلماء الفقهاء أن يتركوا وظائفهم ويتشتتوا ويتشردوا، كما اضطر الطلاب والتلاميذ أن يتشتتوا كذلك ويتفرقوا أن يسعوا لطلب العلم سرا وخفية بعد أن كانوا يطلبونه علانية، وأسندت السلطات الغاشمة إدارة المساجد والوعظ والإرشاد فيها والتعليم إلى أيد غير آمنة، بددت الأموال المخصصة لذلك، وتم إهمال المساجد في النهاية"¹.

ويقول الضابط **لويس رين** في هذا الباب: "أن السلطات المحتلة وضعت يدها على المنشآت العامة كلها تقريبا، ولم تترك إلا بعض المدارس القديمة التي لم تكن تضم سوى ثلاثين ألف تلميذ، وهو عدد لا يمثل سوى خمس العدد الإجمالي الذي كان المفروض أن تضمه المدارس قبل ذلك " .

إن كل هذه الشهادات تدل على أن هدف السلطات الاستعمارية الفرنسية، هو تجهيل الشعب الجزائري إلى جانب تفقره، وهو ما طبقته فعلا وبكل قسوة وحقد وعنصرية، على مدى قرن وثلث القرن²، في المقابل قام بفتح مدارس مختلطة بغرض تكوين مجموعة طلابية تشكل نواة لمجتمع مندمج وأعوان لترجمة أوامرها للشعب الجزائري.

وحسب الإحصائيات الفرنسية أنه حتى 1957 كان يوجد في المدارس 317 ألف متعلم في كل المستويات التعليم وحظ الجزائريين في التعليم هو الثمن أي 38 ألف ولا ينتقل منها إلى التعليم الثانوي إلا 10% ، أضف إلى هذا فإن التعليم الجامعي كان يحتوي على 5 آلاف طالب فرنسي الطلبة الجزائريين عددهم حوالي 500 ألف طالب³ .

¹ - يحيى بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر و العرب، الجزء الثاني، المرجع السابق، ص ص 79- 83.

² - المرجع نفسه، ص ص ، 83- 84.

³ - خليفة الجنيدي: حوار حول الثورة الجزائرية ، المرجع السابق، ص ص 84- 85.

وعملت السلطات الاستعمارية على محاربة ومقاومة الدين الإسلامي بكل ما تملكه من وسائل فصادرت أملاك الأوقاف الإسلامية، رفضت في مطلع القرن العشرين أن تطبق عليه ما طبق على المسيحية واليهودية من فصل الدين عن الدولة، وطاردت علماء الدين والفقهاء والأئمة ومعلمي القرآن الكريم ومدرسي الفقه والشريعة الإسلامية، وهدمت أغلب المساجد الكبرى، وحولت الكثير منها إلى كنائس وإسطبلات ومستوصفان ومقرات إدارية، وشجعت حركة الارتداد عن الإسلام والتنصير والتمسيح، على أيدي جماعة الآباء البيض المنتشرة في البلاد، ك(اغيل علي وبني بني) في جرجرة والبيبان، وفي عين الدفلة والشلف والأبيض سيدي الشيخ، وفي بني عباس قرب بشار... الخ.

وحتى الميدان الصحي لم يسلم من عنصرية الاستعمار، حيث حرم الجزائريون من العلاج والدواء واعتبرتهم السلطات الاستعمارية بمثابة قطعان الحيوانات المتوحشة، وأكثر من هذا، أن الاستعمار نقل إلى الجزائر أمراضا جديدة لم تكن معروفة قبل الاحتلال، مثل مرض الزهري والسل، اللذين انتشرا بسرعة خفية، خاصة في القرن العشرين، كما أن الجهاز الصحي بمعناه العصري معدوم تماما في الجزائر غداة ثورة أول نوفمبر 1954.¹

لم يكن توقيع **الداي حسن** لمعاهدة الاستسلام مع الخضوع لفرنسا يوم 05 جويلية 1830 نهاية المقاومة ضد الاحتلال الأجنبي للجزائر، إن انهزام فئة الحاكمين الذين ينحدرون في معظمهم من أصل تركي كان بداية لمقاومة حقيقية من أبناء الجزائر الأصليين.²

¹ - يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص 78-80.

² - عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية الى غاية 1962، طبعة خاصة لوزارة المجاهدين، ط 2، دار العرب الإسلامي، بيروت 2005، ص 109.

3-الوضع العام للجزائر في ظل الاستعمار:

قد كانت مسيرة الكفاح المسلح للشعب الجزائري في القرن التاسع عشر طويلة جدا وشاقة استمرت قرابة سبعين عاما، في القرن العشرين أوقف الشعب الجزائري أسلوب الكفاح المسلح، وعزم على تجريب الكفاح السلمي ليستعيد أنفاسه، وليستنفذ كل الوسائل الممكنة مع الاستعمار، حتى لا يترك أي مبرر عندما يعود إلى أسلوب العنف، وهو ما عاد إليه عام 1954¹.

إن المقاومة السياسية في الجزائر ليست وليدة هذا القرن بل عرفت منذ دخول الاستعمار الفرنسي حيث حاولت ابتداء من سنة 1830 بعض أعيان ومن بينهم حمدان خوجة الدفاع عن مصالح الجزائريين والتفاوض مع السلطات الفرنسية سواء بالجزائر العاصمة أو بباريس وقدموا العرائض العديدة وطالبوا بأن "يحكم الشعب الجزائري نفسه بنفسه" و"إعادة القومية الجزائرية من جديد وإقامة حكومة حرة وتحرير دستور يتفق وتقاليدهم وعاداتهم"².

المقاومة السياسية والثقافية لم تتوقف أبدا وتعززت حتى أوائل القرن العشرين، تيارات الفكر الإسلامي بين الإصلاح والحداثة واستمرت توظف الشعلة³، أتت بعد ذلك المقاومة السياسية المباشرة وغطت فترة ما بين 1919-1954، افتتحها الأمير خالد⁴، يخوضه معارك الانتخابات، وعقد الاجتماعات تقدمه للعرائض واللوائح والمطالب، انتهت بنفيه من البلاد وتلاه ظهور الأحزاب السياسية والهيآت الدينية، الجمعيات الثقافية الرياضية، وعلى رأس الأحزاب نجد دعاة الاستقلال ودعاة الإصلاح⁵.

¹ - يحي بو عزيز، موضوعات وقضايا في تاريخ الجزائر والعرب، ج2، المرجع السابق، ص 08.

² - محفوظ قداش وجيلاي صاري: الجزائر في التاريخ، المقاومة المسلحة (1900-1954)، الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1987، ص ص 10 - 13.

³ - Charles Robert Ageron: genèse de l'Algérie algérienne, éditions, Bouchere, ISBN, Paris, 2005, p 501.

⁴ - الأمير خالد (1857-1936): ولد بدمشق، عادت أسرته إلى الجزائر سنة 1892، عمل في الجيش الفرنسي شارك في الحرب العالمية الأولى، وقام بنشاط مكثف بالجزائر نفته فرنسا سنة 1925 إلى سوريا واستقر هناك إلى أن توفي.

⁵ - عمار حمدان: حقيقة الغزو الجزائري، المرجع السابق، ص 24. أنظر إلى:

- Le Journal Officiel de la république Française J.O.R.F.(Les débats parlementaires).

شهد الكفاح الوطني الجزائري في مرحلة بعد الحرب العالمية الأولى تطورا مهما من خلال ظهور عدد من التنظيمات السياسية، وقد ساعد على ظهور هذه التنظيمات العديد من المؤثرات الداخلية والخارجية، منها السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومنها ما يتعلق بردود الفعل الوطني، خاصة الحركة الأدبية (الشعر، إضافة الصحافة الوطنية)، وكذلك المؤثرات العربية الشرقية، سواء عن طريق الاتصال المباشر بقيادة الحركة الفكرية الإصلاحية والقومية العربية في المشرق محمد عبده رشيد رضا شكيب أرسلان مثلا¹، الصحافة وغير ذلك، كل هذه العوامل أسهمت في إنضاج الوعي الوطني السياسي الذي أخذ يتكتل في تنظيمات سياسية ظهرت في مطلع القرن العشرين².

ارتبط الكفاح الوطني في الجزائر (وعموم المغرب العربي) بالقوى الشعبية بمختلف فئاتها من المثقفين وعمال وفلاحين، وكانت المطالب الإصلاحية في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية تطبع مسيرتها النضالية، مثلما كان العمل السياسي السلمي صفة النضال الوطني المغاربي عموما، فكان البعد المغاربي في النضال الوطني باهتا حيننا، لكن سمات النضال الوطني وأبعاده العربية الإسلامية كانت واضحة على صعيد الفكر والعمل والدعوى في المجال الثقافي (التعليمي والديني).

بدأت الحركة الوطنية السياسية بنزعة الإصلاحية من خلال ظهور (الحزب الإصلاحي) الذي أسسه الأمير خالد حفيد الأمير عبد القادر وذلك في الفترة ما بين 1910-1924، تركزت دعوته على الإصلاح التعليمي للدفاع عن الذات الوطنية العربية الإسلامية³.

وهناك اتجاه دعا إلى الاندماج مع فرنسا وهو حزب (اتحاد المسلمين الجزائريين المنتخبين) الذي ظهر عام 1927 واستمر إلى فترة الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، فهذا التيار استبعد فكرة الاستقلال والانفصال عن فرنسا، فهو بالتالي تعبير عن آفاق ومصالح القوى الاجتماعية التي يتركز عليها هذا التيار المتمثل في البرجوازية الجزائرية الجديدة التي تريد أن يكون لها دورا في تسيير في ظل

¹ - شكيب أرسلان (1869-1946) من مواليد بالشوف ببلنان شارك في حرب طرابلس 1911-1912، عمل في النشاط السياسي القومي والأدبي، أنظر إلى المجلة التاريخية المغاربية، عدد 70/69، ماي 1985، ص ص 217 - 218.

² - محمد علي داهش، دراسات في الحركات الوطنية و الاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2004، ص 13.

³ - المرجع نفسه، ص 14.

الشرعية الفرنسية، وهذا ما يفسر استبسال هذا الاتجاه في سياسة المطالبة بالاندماج الذوبان في الكيان الفرنسي¹.

والذي أسسه فرحات عباس² والدكتور ابن جلول والدكتور الأخضر، لكن الاتجاه لم يستطع أن يفرض وجوده في الساحة السياسية، لا بل لقي معارضة واقتصر قواعده على أقلية محدودة ارتبطت مصالحها الاستعمار، وبعد الحرب العالمية الثانية تعرض للانشقاق وبدأ العديد من قادته يتجه نحو الخط الوطني الجزائري ومنهم فرحات عباس³.

أما الاتجاه الآخر فقد كان يدعو إلى الاستقلال والتحرر من كافة النواحي، ونشأ مع بداية نشوء الاتجاه الأول، وشكل في مجموعة من التنظيمات السياسية والثقافية، وهو التيار الذي فضل المواجهة مع الاستعمار الفرنسي، ويسلك أسلوب الاتهام التحدي أكثر من أسلوب الحوار وقد مثله نجم شمال إفريقيا (ENA) مصالي الحاج⁴، فبرغم من تعرضه إلى القمع منذ نشأته وواجهته صعوبات في التنظيم تواجدها في البلاد، فقد كان نشاطه في البداية يتحضر في أوساط المهاجرين المغاربة لفرنسا، وقد اغتنم النجم مناسبة الذكرى المئوية لينشئ حملة التنديد باستعمار في الجزائر، يتحول إلى حركة انتصار من أجل الحريات الديمقراطية (MTLD) منذ ذلك الحين أصبح حركة انتصار العبر الرسمي عن برنامج ومطامح التيار السياسي⁵.

¹ - جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الحديث المعاصر، المرجع السابق، ص 184 - 185. أنظر إلى:

- Les Documents Algériens, série Politique et Institution. Service d'information du Cabinet du G.G.A

² - فرحات عباس: (1899-1985)، زعيم سياسي يوصف بالاعتدال، طالب بالمساواة و الإدماج ثم رافع عن فكرة الاستقلال الذاتي، و عام 1956 انخرط في جبهة التحرير الوطني، عين عضوا في لجنة التنسيق و التنفيذ و أصبح رئيسا للحكومة الجزائرية المؤقتة، بعد الاستقلال عارض التوجه الاشتراكي للنظام. أنظر إلى حميد عبد القادر: فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة 2007، ص 234-245.

³ - لم يتوقف فرحات عباس عند هذا الاتجاه الاندماجي، بل تنقل في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية إلى الاعتدال في المطالبة بالحقوق الوطنية الجزائرية - الاستقلال الذاتي - ثم ما لبث أن قادته بصيرته السياسية إلى دفاع عن الاستقلال الكامل للجزائر والاتحاق مع جبهة التحرير الوطني الجزائرية عام 1956. أنظر صلاح العقاد: المغرب العربي، مكتبة الأملو المصرية، القاهرة، 1950، ص 393 - 395.

⁴ - مصالي الحاج (1898-1974): من مؤسسي نجم شمال إفريقيا و زعيم الحركة الوطنية الثورية الجزائرية، بدأ نشاطه في فرنسا تعرض للاضطهاد والاعتقال، عارض المركزيين و دافع عن زعامته للحزب حركة انتصار من أجل ذلك رفض الانضمام لجبهة التحرير الوطني وعارضها في حياته، أنظر رضا ميموني، دور الوطنين المغاربة في حركة تحرير تونس و الجزائر من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى غاية الاستقلال، (مذكرة الماجستير في التاريخ والحديث والمعاصر)، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2011/2012. النسخة الإلكترونية، ص 19.

⁵ - الأمين شريط: التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية (1919-1962)، ديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 6.

وعرف هذا الحزب عدة تسميات حتى انتهى بأسمى (حزب الشعب) عام 1937، ولاحقا توسعت قاعدته الاجتماعية بحيث شملت فئات الشعب واستمر على هذه التسمية حتى عام 1946، وقد انطبعت مسيرته النضالية على فكرة الوطنية والدفاع عن الشخصية الجزائرية والمحافظة على هويتها ومقوماتها العربية الإسلامية وإعلان الاستقلال الكامل للجزائر على فكرة الاشتراكية والديمقراطية ووحدة المغرب العربي، يتوضح ذلك عبر بياناته ومواقفه التي جاء في البعض منها على سبيل المثال لا الحصر، وبعد انتهاء حرب الريف المغربية على يد المحتلين الفرنسيين عام 1926 ما نصه "...نناهض جميعنا الإمبريالية سواء كانت فرنسية أو إسبانية، ولنكن رجلا واحدا ضد حرب المغرب ومع استقلال هذا البلد ليحيا، استقلال المغرب وليعيش الشمال الإفريقي حدا...". وجاء في بيان آخر "أن البلاد العربية وحدة تامة لا يتجزأ وكل ما طرأ عليها من أنواع التجزئة لا تقره الأمة ولا تعترف به...". وأكد ضرورة (...توحيد الجهود في كل قطر من الأقطار العربية إلى وجهة واحدة هي استقلالها التام كاملة موحدة..."¹، وجاء ذلك انعكاسا للتشكل الاجتماعي والفكري المغاربي العربي، كان لحزب (النجم) مواقف مغاربية داخلية وخارجية عكست تواجهاته الإقليمية والعربية تمثلت بدعم ثورة الريف المغربية عام 1924 التي كان يقودها الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي² ضد الاحتلال الإسباني والفرنسي، وشارك إلى جانب الحزب الدستوري لتونس في مؤتمر بروكسل عام 1927 ودافع الاثنان عن قضايا المغرب العربي عموما في عام 1934 نظم مظاهرات كبير تضامنا مع الشعب التونسي وحركته الوطنية، في العام اللاحق شارك في المؤتمر الإسلامي في جنيف والجزائر³، وطرح قضية الجزائر والمغرب العربي عموما وفي عام 1937 قدم برنامج (المطالب المستعجلة) إلى

¹ - محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 15.

² - محمد بن عبد الكريم الخطابي: (1882-1963)، ولد بإجدير بالريف المغربي، اكتسب خبرة في ميدان مقاومة المخططات و الأساليب الاستعمارية لاسيما وأنه تزعم قبائل الريف لمقاومة الإسبان وأسس جمهورية الريف، وانتهت مجاهته للتحالف الإسباني الفرنسي بهزيمته سنة 1928 فتم نفيه إلى جزيرة لارنيون في المحيط الهادي وظل هناك حتى سنة 1947 حيث استطاع أن يفر من السفينة التي كانت تقله باتجاه فرنسا عبر قناة السويس، واستقر بالقاهرة ليساهم في تنشيط الحركة السياسية المغاربية وترأس لجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة (1947-1956). انظر إلى عبد الله منقلاطي: دور المغربي العربي وإفريقيا في دعم الثورة الجزائرية، ج1، ط1، دار السبيل للنشر والتوزيع، 2009، الجزائر، ص 131.

³ - مؤتمر الإسلامي: الذي نظم في الملعب البلدي بالجزائر في 02 أوت 1936، لشرح نتائج التي توصل إليها الوفد الذي أرسله إلى باريس لعرض ميثاق المطالب على السلطات الفرنسية.

حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا وندد فيها بمواقف حكومة باريس من قضايا المغرب العربي وطالب بالحقوق الوطنية الجزائرية والمغربية¹.

لقد تعرض هذا الحزب للحل في العديد من المرات وكانت آخرها في 26 سبتمبر 1939، إلا أنه رغم ذلك استمر في الوجود فعليا وازدياد قوة ونشاطا حيث شارك في (البيان)².

وفي نوفمبر 1946، قرر مصالي مشاركة حزبه في الحياة الانتخابية تحت اسم حركة انتصار الثانية وتم التحقت مع جبهة التحرير الوطني³.

وقد كان مطلب إنشاء دولة جزائرية مستقلة مطلب أساسيا الشيء الذي وحد جمع داخله فئات اجتماعية مختلفة الأهداف والغايات ونفس الوقت إنشاء المنظمة السرية (L'OS)⁴ من أجل التحضر للعمل العسكري.

يجب التأكيد أن مدى التشكيلة السياسية منذ نشأتها سنة 1926 النجم ومرورا بحزب الشعب الجزائري، ثم حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بعكس التشكيلات الأخرى، كانت عموما رافضة للاستعمار ومؤسساته بشكل حاسم وحاد في بعض الأحيان ولذا كانت دائما أقرب للجماهير وطموحات الشعب الحقيقية والمعبرة الفعلية عن إدراكه ورغبته في الاستقلال⁵.

التيار الإصلاحية الثاني الذي يعمل على تجنب المواجهة والتصادم مع الاستعمار ويبحث عن تسوية على أمل حدوث تغيير تدريجي في وضع الجزائريين المتمثل في الاتجاه الذي مثلته (جمعية العلماء

¹ -محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 15.

² -البيان 10 فيفري 1943: سلمت نسخة منه إلى الولاية العامة وقيادة الحلفاء ويوم 31 مارس 1943، ودعا لأول مرة لتكوين جمهورية جزائرية.

³ -مجموعة المؤلفين: تاريخ الأقطار العربية المعاصر، ج2، دار التقدم، موسكو، 1976، ص ص 226 - 232.

⁴ -المنطقة السرية (L'OS): أنشئت المنظمة في مؤتمر حركة انتصار الحريات الديمقراطية في فيفري 1947، فهي مظهر من مظاهر نشاط هذا الحزب وتعبير عن تفكيره في استعمال العنف المسلح لتحرير الجزائر، لقد كانت هذه المنظمة تنظيما عسكريا بأتم معنى الكلمة، وفي مارس 1950 اكتشفت السلطات الفرنسية أمر المنظمة السرية.

⁵ -الأمين شريط، المرجع السابق، ص ص 57-64.

المسلمين الجزائريين)، وتعود فكرة إنشائها، إلى عبد الحميد ابن باديس¹ في 05 ماي 1931، وهي في ظاهرها جمعية دينية، تسعى من أجل تنقية الدين من الشوائب التي علقته به، البدع التي ألصقت به، وكان منهجها الثقافي يقوم على التدريس باللغة العربية واستهدفت ترسيخ (فكرة القومية العربية والمغربية) ولم تقف عن الطريقة التقليدية لاكتساب معارف الماضي، وإنما سعت إلى اقتباس وتعليم العلوم العصرية، وأسست الجمعية مراكز كبرى لنشر المعرفة قديمها وحديثها لتنوير الرأي العام الوطني واتجهت لمقاومة أصحاب الزوايا وترهاقهم المشوهة للدين الحنيف، وعليه فقد اقترن الفعل الديني بالفعل الوطني عند جمعية العلماء، انتقلت من سلفية محضة تدافع عن الذات الإسلامية إلى سلفية وطنية مناضلة جديدة وخاضتها السلطات الفرنسية الاستعمارية العداء في محاولة القضاء عليها، لكن رسوخها شعبيا ساندها في دوام استمرارها وبفعلها المؤثر، هيأت جمعية العلماء المسلمين الشعب الجزائري للاستقلال لما لفته من معاني الحياة الشريفة وبما ثبتت فيه معاني العروبة والإسلام والوطنية والحرية وبما ربطته بالمشرق العربي ربط محكما².

كانت القاعدة الاجتماعية للجمعية عززت مفهوم الاستقلال من الناحية الثقافية، ساعدت على تطوير الوعي الوطني عند الجزائريين من خلال تعاليمها التحررية والتقدمية ورفضها لكل سياسة تنادي بإدماج الجزائر بفرنسا واستمرت على هذا الاتجاه في فترة ما بعد الحرب العالمية اجتماع عام يتوجه مذكرة إلى عصبة الأمم المتحدة، لتفند المزاعم الفرنسية وتسليط الأضواء على حقيقة الوضع³.

ولم تقف جهود جمعية العلماء المسلمين عند حدود الجزائر، فقد كان اتجاهها المغاربي والعربي الإسلامي واضحا على صعيد الفكرة والتنظيم والهدف من خلال فرعيها في (تونس والمغرب) وجهوها الدينية والثقافية، بما أصدرته من صحف دعت فيها إلى الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية والدفاع عن الانتماء العربي الجزائري والمغرب العربي عامة، هاجمت أساليب (الفرنسة) والتجنيس والتنصير

¹ - الشيخ عبد الحميد بن باديس (1889-1940): درس بالزيتونة منذ سنة 1900 وفي سنة 1913 انتصب للتدريس بالجامع الكبير بقسنطينة، رئيس جمعية العلماء المسلمين سنة 1931، من رواد الحركة الإصلاحية في المغرب العربي. انظر إلى محمد الصالح الصديق، أعلام المغرب العربي ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر 2007، ص 240 بعدها.

² - المجلة التاريخية المغربية، العدد 15 (يناير 1976).

³ - أحمد مهساس: الحركة الثورية في الجزائر (1941 - 1954)، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 24.

والفصل العنصر - عرب بربر- وبالنتيجة سعت في فكرها ونشاطاتها العلمية إلى تثبيت الهوية العربية الإسلامية والعمل على تحقيق الوحدة المغاربية في النضال ضد الاحتلال الفرنسي والاسباني منطلقاً من وحدة الأصول التاريخية والدينية والقومية والحضارية.

كان الطلبة وجمعيتهم (جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين) دورهم في الخارج والداخل الجزائري والمغربي في الفكر والعمل على تحقيق وحدة المغرب العربي في إطار العربي الإسلامي وعقدت الجمعية ستة مؤتمرات (1931-1936) في العديد من عواصم ومدن المغرب العربي¹، وأكدت خلالها على ضرورة الوحدة المغاربية العربية الإسلامية مستنديين في ذلك إلى مرجعيات التاريخية والثقافية والدينية والحضارية فيما كان للعمال دورهم في مسيرة العمل الوطني (المغربي) على الرغم من خضوعهم النقابات العمالة الفرنسية، وبذلك سارت الحركة السياسية والاجتماعية والثقافية في مسارات واحدة على الصعيدين الوطني والمغربي والعربي، لكن الاتجاه العمالي لم تعود تظهر أفكاره وتنظيماته الوحودية إلا في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

ويكتمل تكوين القوى السياسية الوطنية بتأسيس الحزب الشيوعي الجزائري عام 1920، الذي استقل عن الحزب الشيوعي الفرنسي عام 1936، ووضع برنامجاً سياسياً واجتماعياً، ولكن انفصالها عن الحزب الشيوعي الفرنسي لا يكن إلا تغيير في مظهر البنية التنظيمية فقط ولم يأت بشيء جديد فيما يتعلق بموقف الحزب والمسألة الوطنية، فالتجاهل وعدم الاعتراف بالوجود الوطني للشعب الجزائري الذي تبناه كل من الحزبين في فرنسا وفي الجزائر، هو موقف مستمر وثابت نهاية التشكيلة حتى طرد الاستعمار من البلاد².

وخلال فترة ما بين الحربين واكبت النهضة الأدبية المغاربية، للنهضة الثقافية والسياسية وهي وإن أدت دورها بلغة المستعمر، إلا أنها فكرت بروح عربية مسلمة حركت الأفكار الرد على الخصم الاستعماري بلغته، وتعريف الرأي العام الفرنسي عن طريق مختلف وسائل الإعلام العلنية والسرية بمطامح الشعب العربي في المغرب العربي لنصرة القضية الوطنية في المغرب العربي، وقد دام هذا الوضع

¹ - محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 16.

² - جمال قنان، المرجع السابق، ص 185 - 186.

حتى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية فتحول تطور الفكري من الأدب إلى الأعيان السياسية ودفاعا عن الحق الوطني في المغرب العربي¹.

هذه الاتجاهات الإصلاحية والاندماجية والاستقلالية طبعت مسيرة الكفاح السياسي الجزائري منذ مرحلة العشرينات وحتى فترة الحرب العالمية الثانية، حيث بدأ الاتجاه (الاستقلال) يطبع الحركة الشعبية عامة، وجاء ذلك بعد مجزرة 08 ماي 1945، ومنذ تلك الفترة تشكلت النواة الأولى للكفاح المسلح وبدأت بوادر التداخل بين العمل السياسي والمسلح الذي يصبح فيما بعد داخل حركة الوطنية الجزائرية والجبهة التي انبثقت عنها الثورة الجزائرية.

¹ - جمال قنان، المرجع السابق، المرجع السابق، ص 17.

الفصل الأول:

مكانة الثورة الجزائرية بين ثورات العالم.

أولاً: مفهوم الثورة (تعريفها، أنواعها وأهمها).

ثانياً: الثورة الجزائرية وتأثيرها بالثورات العالمية.

لقد كانت ثورة نوفمبر أولا و قبل كل شيء فكرة وطنية وإنسانية مقتحمة ومختزقة للفكرة الاستعمارية، قبل أن تكون قتالا مسلحا ضد رموز هذه الأخيرة، وهذه الفكرة مثل الثورة التي جسدتها وتجسدت بدورها من خلالها...، لم تظهر وكما سترى من خلال فصول هذه الدراسة فجأة وكأنها متقطعة عما كان يعتمل لدى الأجيال الجزائرية الماضية أو عما كان يتفاعل في الجيل الذي فجرها، بل كانت وليدة مخاض وطني طويل وعسير جاءت متوجة، بصورة حاسمة، له ومؤذنة لنهايته، وبداية جديدة لمسيرة الجزائر في التاريخ ولمصيرها فيه.

ولأن فكرة نوفمبر كذلك، فإنها قد تشكلت بدورها، وبالتالي، ومثل كل الثورات الكبرى التي عرفت الإنسانية بالنسبة لوعيها التاريخي خاصة ولوعي الإنسانية المضطهدة عامة ارتقاء بالمفاهيم الثورية من محدودية الجزئيات لا شمولية الكليات وانتقالا بالفكر الوطني والإنساني من مستوى التعبير عن الواقع الاستعماري المختصر إلى آفاق الواقع الوطني الجديد الذي يولد، والذي ما لبثت دوائر تأثيره المتسارعة والمتسعة بسرعة واستمرار، أن تجاوزت حدود الجزائر... لتمتد إلى ضمائر وعقول كل الشعوب المستعمرة ولتدفعها إلى العمل بدورها على بلورة مثل ذلك الواقع الجديد وتجسيده فوق أنقاض الاستعمار الأليم¹.

¹ - حمادة البخاري: فلسفة الثورة الجزائرية، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص ص 24 - 25.

أولاً: مفهوم الثورة (تعريفها، أنواعها):

تتميز الفكرة الثورية عن غيرها من الأفكار العادية الأخرى، لا بنفيها النظري للواقع جملة وتفصيلاً، كما يفعل بعض المثاليين والحالمين، أو بارتباطها السلبي معه ومع معطياته بل مقارنتها الأصيلة والموضوعية له من حيث كونها تمثل الهدف الذي يحكم الحدث، ويؤسسه له فلدى كل فكرة تروي مفاهيم معرفية تكون حقيقتها التاريخية وذلك انطلاقاً من قيم الماضي وتحديات الحاضر والمستقبل، تلك المقاربة التي تمكنها من التفاعل الإيجابي معه.

1- تعريف الثورة Révolution:

تعني الثورة اصطلاحاً خاصة في اللغات الأجنبية الغربية منها، ومن ضمنها الفرنسية والانجليزية والألمانية، العودة إلى الذات... كما تعني كذلك الإعادة لما كان من قبل، إن ربط الثورة بعودة ما كان، لا يعني السلب أو النكوص، بل التطور العائد في حركة دورانية ومكررة... لنفسها مثل حركة الطبيعة. من هذا المتطور الإصلاحي توصف التحولات الكونية والطبيعية بالثورة.

وقد تحدث أفلاطون في كتابه (طيمائوس) عن ضرورة عودة الإنسانية، من خلال العمل على خلاصها الروحي... لا الجسدي، إلى عهدتها الأول الذي كان لها وكان فيه الناس سعداء، لأنهم لم يعرفوا فيه، الشرور أو الحروب أو النزاعات، ذلك العهد الذي توارى وكأنه الفردوس المعقود نتيجة لانقلاب كوبي، لا يوضح أفلاطون سببه أو أسبابه، وتبنى القديس أوغسطينس في كتابه (مدينة الرب) المصطلح نفسه واعتبر بدوره الثورة بمثابة القطيعة مع رموز الشرك، وصولاً إلى العودة إلى الإيمان الأول¹.

أما في اللغة العربية، فإن كلمة (ثورة) إذا كانت تعني اصطلاحاً للهيجان، والغضب، والنهوض، فإنها تعني أيضاً العودة إلى ما كان من قبل²، من هذا المنظور اعتبر الإسلام، الذي

¹ - حمادة البخاري، المرجع السابق، ص 37.

² - ابن المنظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، (بدون تاريخ)، باب الرء، مادة: ثورة، ص 108.

يعرف جميعا مدى تأثير ثورة نوفمبر التحريرية، والشعب المجسد لها به الثورة التي جاء حاملا لها، بمثابة الدعوة العودة إلى دين إبراهيم عليه السلام، وذلك من خلال مطالبته.

في هذا الصدد قول صلى الله عليه وسلم: "من أراد العلم فليتنور القرآن، فلينظر في مدلولاته وليتأمل معانيه" وإذا كان القرآن لا يستعمل كلمة "الثورة" ويكتفي بكلمة "تغيير" فإن ذلك راجع لأسباب لعل أهمها:

1- أن كلمة الثورة لم تكن مستعملة كثيرا خاصة في الكتب السماوية التي سبقت القرآن، أو فيما بقي منها بعد التحريف الذي تعرضت له، بدليل أننا لا نجد هذا اللفظ في التوراة وفي الإنجيل إلا في ثلاث مناسبات.

2- أن التغيير الذي لا يختلف في جوهره وفي أهدافه عن الثورة كما سنرى، حقيقة نفسية وذاتية بإمكان الإنسان أن يلمسها ويدركها في ذاته وتغير حالاتها من الصغر إلى الكبر ومن السرور إلى الكدر ومن الحياة إلى الموت، كما يستطيع أن يلاحظها كذلك في الكون الذي يعيش فيه وتعاقب أيامه وتقلب ليلالي وليالي فصوله اختلاف نسبة¹.

3- أن التغيير يحتوي على عنصر تربوي ونفسي هام يتمثل في طابعه الممتد الذي يجنب الإنسان عنصر المفاجأة ويتيح له فرصة للتوقع والفهم بالتالي يجعله نتيجة لذلك أكثر فهما لما يجري وأقل معارضة ورفضاً له بالتالي، وهذا هو المنهج الحديث في التربية اليوم كما هو معلوم.

4- أن تغيير بحكم طابعه الاستمراري أهم من الثورة التي كثيرا ما تنتهي بنفس السرعة التي اندلعت بها تاركة وراءها، إما توقفا وفشلا نهائين كما هو الشأن في حركة (سبارتاكوس) (Spartacus) سنة 71 ق.م ضد روما، و(ثورة الزنوج) سنة 247 هـ ضد الخلافة العباسية في بغداد في عهد المعتمد ابن المتوكل والثورة الإسبانية سنة 1936م، أو جمودا وعمقا كالجحود الذي عرفته الثورة الفرنسية في سنتي 1795م - 1796 م، والثورة الروسية في الفترة ما بين سنة 1921 - 1927 فيما عرف الفترة السياسية الاقتصادية الجديدة والثورة الصينية سنة 1955 - 1956، فيما أطلق عليه

¹ - حمادة بخاري، المرجع السابق، ص 38.

(فترة المائة زهرة)، الثورة البولندية فيما سمي (أكتوبر البولندي) سنة 1956، الثورة الكوبية فيما عرف بـ(خلاف كاسترو وتشى غيفارا) حول (الاستمرارية الثورية) سنة 1967م.

وفي كل من الحالتين (القتل التام أو الجمود) تفتح مجالات غير محدودة التصفيات الجسدية للكثير من الأبرياء والوطنيين المخلصين باسم (مقاومة الثورة المضادة) تارة وباسم (مطاردة عملاء القوى الأجنبية) تارة أخرى.

لقد حدث ذلك في الثورة الفرنسية على يد روبسبير (Robespierre) وفي الثورة الروسية سنة 1936م (المحاكمات الشمالية) وفي الثورة الصينية سنة 1966 و 1981 والثورة الكوبية سنة 1968م.

إن التغيير لا يحصر الثورة أو يقيدتها بمخططات نظرية عبر واقعية وجامدة لا تقبل نقاشا أو نقدا، بل يجعل منها عملية مرنة قابلة لتعديل أخطائها دونما تأثير يذكر على مسيرتها العامة، ودونما تعنت أو إرهاب أو عنف في الوقت نفسه¹.

الثورة كمصطلح سياسي هي الخروج عن الوضع الراهن وتغييره باندفاع يحركه عدم الرضا أو التطلع إلى الأفضل أو حتى الغضب، وصف الفيلسوف الإغريقي أرسطو شكلين من الثورات في سياقات سياسية:

1- التغيير الكامل من دستور إلى آخر.

2- التعديل على دستور موجود.

الثورة تدرس على أنها ظاهرة اجتماعية تقوم بها فئة أو جماعة عن ما هدفها التغيير (لا تشترط سرعة التغيير) وفقا لأيدولوجية هذه الفئة أو الجماعة، ولا ترتبط بشرعية قانونية، كما تعبر عن انتقال السلطة من الطبقة الحاكمة إلى طبقة الثوار².

¹ - حمادة بخاري، المرجع السابق، ص ص 38 - 39.

² - عروة تهماي: المشاركة السياسية للمرأة في ثورتى مصر وليبيا، دراسة انتروبولوجية ميدانية مقارنة معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 2013، ص 07.

وإذا كانت تلك هي "الثورة" اصطلاحا فإن "الثورة" معنى التبدل السريع والعييف في الغالب في السياسة وفي نظام الحكم، وذلك التبدل الذي يشكل انفصاما في التاريخ، وحدا فاصلا يقسم الأزمنة والأفكار والعادات والمعتقدات والقوانين ومواضيع الاهتمام وأساليب التفكير والتعبير والسلوك والممارسات، إلى ما قبل وإلى ما بعد، ذلك التبدل الذي لا تصور له بدون الجماهير الشعبية، ولأن (الثورة) كذلك، تشكل قطيعة في سيرورة المجتمع، تريد أن تكون جذرية وشاملة لتجعل ما قبلها مختلفا عما بعدها، وذلك من خلال ارتقائها بالوعي، الفردي والجماعي، ارتقاء لا يحول الواقع لديه إلى واقع شاذ ومرفوض إلا لكي يدفعه بعد ذلك إلى العمل على تغييره وتجاوزه.

غير أن الثورة في سعيها هذا التقويض ما هو كائن باسم ما يجب ويمكن أن يكون لا تلبث أن تصطدم بالعديد من حقائق ذلك الواقع المرفوض، تلك الحقائق التي عليها تمثلها أولا، بعمق كشرط لتجاوزها ولتجاوز الواقع المستند إليه.

بذلك تبدو الثورة بذلك طابع الإزدواجي المتناقض ظاهريا فقط، والذي يجعل منها دعوة للمستقبل ودعوة في الوقت نفسه¹، وكانت القطيعة الثورية مع كل من الحاضر، ومن الماضي نسبية وليست مطلقة أو شاملة كما يتوهم البعض من الثوريين والفلاسفة خاصة، وهذا ابتداء من أفلاطون، دعوته لمواطني أثينا إلى تحطيم قلاع الطغيان الثلاث: الأسرة والدستور والحكم الاستبدادي، والعودة من خلال المدنية الفاضلة، إلى عهدها الأول الذي توارى، وانتهاء بكارل ماركس سنة 1883م وبثورته الداعية إلى تعويض قلاع الرأسمالية وأسمها (مثلة بصورة خاصة في الملكية الفردية) وإقامة الاشتراكية العلمية التي نلاحظ الذي عرفتم الإنسانية طيلة تاريخها الطويل.

إن نفس الحقيقة تصدق على ثورة نوفمبر التي أعلنت في أول بيان لها للشعب الجزائري: "أن هدفها هو استعادة الدولة الجزائرية ذات السيادة الديمقراطية والاجتماعية داخل إطار المبادئ الإسلامية"².

¹ - حمادة بخاري، المرجع السابق، ص 39.

² - أنظر الملحق رقم 3 من الرسالة.

إن هذا التناقض الظاهري الذي تنطوي عليه كل ثورة هو الذي قد ينعكس منذ بداية وكما يلاحظ **فون شتين** (Von Steines) على مبادئها، ليتحكم بعد ذلك في مسيرتها، وفي المضمون الاجتماعي والسياسي والثقافي لذلك الواقع الجديد الذي نجحت في تجسيده، ليؤكد كذلك أن الثورة التحريرية إذا كانت تختار دوما أهدافها فإنها لا تختار دوما الوسائل الكفيلة لتجسيدها.

كما أن عودة الثورة إلى الماضي، خاصة، لا تعني كما يعتقد البعض، الانزواء فيه بل إنه يعني فقط العمل على إعادة وصله بمسيرتها وصولا إلى ربط كل إيجابياته بالمستقبل الذي تنشده¹، بذلك كانت الثورة هدمًا وبناءً، تطلعا للمستقبل وارتباطا موضوعيا بالماضي وبالحاضر في نفس الوقت.

2- الثورة في فكر فرانز فانون:

يرى الفيلسوف الكبير **فرانز فانون** (Frantz Fanon)² أن الثورة هدمت جميع الخرافات والأضاليل الاستعمارية التي كانت بالأمس تعتبر حقائق لا تقبل الجدل، ذلك بفضل طابعها الإنساني العميق وتعلقها الشديد بالحرية. والثورة الجزائرية إذ تقرر تحرير التراب الوطني، ترمي في نفس الوقت إلى القضاء قضاء مبرما على مجموع هذا الاستعماري، لتحل محله نظاما إنسانيا ومتجمعا جديدا. ولذلك سيكون تحرير الجزائر هزيمة للعنصرية، ولاستغلال الإنسان للإنسان، وسيكون بداية لعهد تسوده العدالة الاجتماعية³، فالتاريخ الذي دونه المستعمر بتاريخ دولة الحق الذي اقتلع ولكن تاريخ أمته ما تعانیه من اغتصاب وجوع⁴، التشبث بالعالم التقليدي الثابت

¹ - حمادة بخاري، المرجع السابق، ص 40.

² - **فرانز فانون: (1925-1961)** من جزيرة المارتنيك في أرخبيل الأنتيل وتعتبر هذه الجزيرة مستعمرة فرنسية منذ 1635، انتقل فانون بعد الحرب العالمية الثانية إلى فرنسا لمواصلة دراسته في الطب، هناك كتب كتابه الشهير بشرة سوداء أقنعة بيضاء ثم انتقل بعد ذلك للعمل كطبيب في مستشفى البليدة، اصطدم بصعوبات جمة وكانت النتيجة انضمامه إلى الثورة عمل ككاتب في جريدة المجاهد (1957-1961)، انظر إلى مرجع **محمد الميلي: فرانز فانون والثورة الجزائرية** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ص ص 11-21، كذلك **رابح لونيسي** "فرانز فانون والبحث عن الخلاص النفسي في الثورة الجزائرية" **مجلة العصور**، العدد الأول /1423 جوان 2002، ص ص 18-22. و أنظر إلى:

Le Quotidien d'Oran, N°22, (Mardi 06 décembre 2011), p

³ - **فرانز فانون: من أجل إفريقيا، ترجمة محمد الميلي**، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ص ص 47-48.

⁴ - **Renate Zahar: L'œuvre de Frantz Fanon, colonialisme, et aliénation dans l'œuvre de Frantz Fanon**, traduit de l'allemand par Roger Danger ville Français Maspero, paris 1970 P 50.

تحت تأثير الاقتلاع الاستعماري الاستعماري نصل إلى رفض عام للحضارة الاستعمارية لمجهد التقني¹.

أن محو الاستعمار هو حدث عنيف ويضيف " إن محو الاستعمار، وهو يستهدف تغيير نظام أنما هو برنامج لقلب النظام قلبا مطلقا، وهذا التغيير يجب أن يتسلح بالوعي والإدراك و لا يمكن أن يصبح واضحا لنفسه، إلا بمقدار أدراك الحركة الصانعة التاريخ التي تهب له شكله ومضمونه"، ويؤكد فانون إن العنف الذي يعمد إليه المستعمر (بالكسر) يوحد الشعب، والواقع أن الاستعمار بحكم تحكم تركيبه يفرق صفوف الشعب ويغذي النزعات الإقليمية، أن النظام الاستعماري يغذي الزعامات المحلية وينشط الانقسامات الدينية، ولكن العنف يوجد بين الأفراد على الصعيد القومي، وهو لذلك يحمل في أرحامه بذور القضاء على الإقليمية والعشائرية. وهكذا فان العنف الثوري عند فرانز فانون (Frantz Fanon) دائما يكتسي طابعا إيجابيا، وقد استقى ذلك من واقع ومعطيات الثورة الجزائرية، بالتالي فإن فكره ليس مثل فكر بعض المفكرين الذين تقوم نظرياتهم على فرضيات وهمية بل إن الواقع الجزائر الثائرة هو الذي أملى عليه تلك الأفكار الصادقة والصحيحة².

لقد أصبحنا نعرف الآن الاستعمار في مرحلة الأولى من مراحل الكفاح الوطني، يحاول أن يشل المتمع القومي بإسبغ طابع اقتصادي عليه، فتراه منذ بزوغ المطالب الأولى بتظاهر بالفهم ويعترف في تواضع مسرحي بأن البلاد تشكو من تخلف خطير يجب بذل جهد اقتصادي واجتماعي كبير.

حتى ليحدث في الواقع أن يتحد الاستعمار بعض الإجراءات الخداعة، كفتح ورشات لتشغيل العاطلين هنا هناك، فإذا بهذه الإجراءات تؤخر تبلور الوعي القومي بضع سنين، ولكن

¹ - Renate Zahar: L'œuvre de Frantz Fanon, colonialisme, et aliénation dans l'œuvre de Frantz Fanon, op cit., p.53.

² - أحمد حمدي "فرانز فانون من الجماهير إلى الثقافة الوطنية" مجلة الذاكرة، العدد الأول خريف 1994/1415.

يدرك عاجلا أو آجلا أنه ليس في وسعه أن يحقق إصلاحات اقتصادية اجتماعية يمكن أن ترضي مطامح الجماهير المستعمرة¹.

قدم فانون أعمالا ثلاثية رئيسية هي "سود البشرية، وبيض الأفتنة" عام 1952، و"سوسولوجية ثورة" عام 1957، و"معذبو الأرض" عام 1962، ويعمل فيها بغض النظر، ويجد بينها تداخلا كبيرا، وصلات وثيقة.

ولعل ما يلفت النظر في البعض من هذه الأطروحات، هو عنوانها نفيه الذي يكتفي باسم، وأحيانا بلقب، فانون، دون أي عنوان فرعي أو إحالة إلى قضية محددة، تدقق هدف الدراسة، ما قد يشد بتأكيد الذات، لفهم آليات الفكر².

لقي فانون إهمالا و تهميشا، وبخاصة من جانب المؤسسة الأكاديمية وقوى عديدة من اليسار. فعلم الاجتماع، على سبيل المثال لم يستطع على امتداد قلاعه أن يتحمل هذه القامة، فامتنع عن مقارنته أو التعامل مع إنجازها، ليسقط اسمه من المدونة السوسولوجية العربية³.

3- أنواع الثورات:

تختلف الثورة كذلك عن غيرها من الحركات الأخرى الراضة للواقع وذلك من أمثال الانقلاب والعصيان والانتفاضة والتمرد والحرب والجهاد والإصلاح... وغيرها وهي الحركات التي سنتوقف عندها بشيء من التفصيل.

¹ - فرانز فانون: معذبون في الأرض، ترجمة: السيدة منور تقدم (ك. شولي)، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعة 1990 ص ص 174-175.
² - محمد حافظ دياب: "فرانز فانون وإشكالية التلقي"، الملتقى الدولي حول فرانز فانون، الجزائر، 06 و 07/07/2009، ص ص 119 - 120.

³ - الأمر نفسه لدى قوى من اليسار، حين لم تراود مع رفضه للستالينية السائدة أيامه في أوروبا، واستنكاره أحداث شرق أوروبا، ونقده لموقف الشيوعيين والديمقراطيين الفرنسيين منها، وتحليله لمجتمعات العالم الثالث عبر مفهوم القوى الاجتماعية لا التشكيل الطبقي، وحديثه عن إمكان قيام الثورة من مجتمع لا وجود فيه لطبقة العمال، ورفع الفلاحين إلى مرتبة القوة القائدة للثورة من المستعمرات والبلدان الإفريقية، اعتبارا، لدى فانون، من أنها عانت الفقر أكثر من غيرها، مما يجعلها أكثر تقبلا للأفكار الثورية، وأنها تكون السواد الأعظم الذي لم تلوثه ثقافات المدن التابعة، وإضافة إلى أنها المنتجة لخيرات البلاد، و استعدادها التضحية بلا مقابل، وحمل ثقافتها الشعبية لزخم المقاومة، وهو ما دفع جون بول سارتر في تقديمه لكتاب (معذبو الأرض) إلى القول: "إن الفلاحين من هذه المناطق التي تعمد الاستعمار أن يماطل فيها التقدم، سرعان ما يكونون هم الطبقة الراديكالية إذا هم ثاروا، ذلك أنهم ثاروا، ذلك أنهم يعرفون الاضطهادية عاديا، ويقاسون منه أكثر كثيرا مما يقاسى عمال المدن"، أنظر إلى محمد حافظ دياب، المرجع السابق، ص ص، 122-123.

أ- الانقلاب Le complot:

يعرف الانقلاب بأنه حركة رافضة وهادفة إلى الاستيلاء على السلطة السياسية بوسائل غير مشروعة.

ولأن الانقلاب كذلك فإنه يختلف عن الثورة لأنه لا يهدف في الغالب خاصة حينما تكون تلك السلطة التي يستهدفها شرعية وعادلة بالاستيلاء هي الحكم، بدلا من الأقلية أو الأكثرية المسككة به، وهذا دون جدي لتغيير الواقع القائم، ولا يغير من هذا التعريف كثيرا انتهاء بعض الانقلاب إلى ثورات حقيقة تماما كما لا يعتبر منه كثيرا كذلك، انتهاء بعض الثورات... إلى انقلاب¹.

ب- العصيان Le insoumission:

يعرف العصيان بأنه انتفاضة مسلحة... ضد السلطة القائمة... دونما مشروع سياسي أو اجتماعي واضح... بديل لمشروع تلك السلطة، لأن العصيان كذلك، فإنه يختلف بالتالي عن الثورة، لأنه يهدف مثل الانقلاب إلى مجرد تغيير سلطة بسلطة أخرى².

ج- الانتفاضة Le soulèvement:

تعرف الانتفاضة بأنها حركة تمرد جماهيرية موجهة في الغالب ضد الظلم بمختلف أشكاله السياسية والاجتماعية والاقتصادية... (انتفاضة كاتالونيا، اسبانيا 1705)، (انتفاضة الفلسطينية 1987)، ولأن الانتفاضة كذلك، فإنها لا تصل إلى الغالب، ونظرا لاستقرارها على رفض الواقع

¹ - حمادة بخاري، المرجع السابق، ص 41.

² - إن الاختلاف بين الثورة والانقلاب هو ما عملت، وتعمل، كل سلطة استعمارية أو استبدادية هي توظيفه لصالحها، وذلك من خلال تقديمها لكل ثورة معارضة لها الرأي العام، على أنها مجرد... تمرد... وانقلاب...، وذلك بهدف التقليل من شأنها... ومن شأن ردود الأفعال التي قد تنجم عن ضربها لها بعد ذلك، على أن كل ذلك لا ينفي تلك الحقيقة التاريخية التي تؤكد أن العصيان كثيرا ما شكل المرحلة الأولى للثورة. أنظر إلى حمادة بخاري، المرجع السابق، ص 41.

القائم، إلى مستوى الثورة، بل تظل فقط بمثابة الممهد لها... وهذا على الرغم من كل أنواع القمع الذي تواجهها به السلطة القائمة¹.

د- التمرد *La révolte*:

النمو عصيان موجه من طرف فرد أو جماعة ما ضد السلطة القائمة، ورفض عنيف وسلمي... فظروف الوجودية أو الخيانة المحسدة لها، دونما مشروع واضح لتغيير تلك الظروف ينظرون أفضل²، وعلى الرغم من التمرد يلعب دور مثل العصيان والانتفاضة دور الممهد للثورة في العديد من الأحيان، ذلك الدور الذي يحوله بالتالي إلى محرك للتاريخ، كما يؤكد ذلك هيجل (Hegel) فإن الاختلاف بينه وبين الثورة يظل مع ذلك كبيرا، وهذا الاختلاف لا يرجع إلى صغر حجم التمرد بالنسبة للثورة، فالعديد من الثورات التي عرفتها الإنسانية كانت أقل حجما من تمرد سبارتاكوس (Spartacus) مثلا، كما أن ذلك الاختلاف بين الثورة التي عرفتها الإنسانية لم تسلم بدورها من مثل ذلك التفرق والتمزق (الثورة الفرنسية).

فإن ما يميز التمرد الفردي انتغيون (Antigone) أو الجماعي (سبارتاكوس)...، وغيره ليس طابعه السريع أو القصير، عكس الطابع الهادئ والطويل للثورة بل إن ما يميزه هو أن الثورة لا تكتفي فقط برفض الواقع أو باستعمال العنف ينفيه ويقول (لا) له، دون تقديم لمثل ذلك المشروع البديل له³، وبذلك تنجح الثورة من خلال توظيفها لسلبات الواقع المرفوض في بلورة وعي الجماهير بذلك الواقع، والواقع الجديد الذي ترى أنه يجب ويمكن أن يكون في النهاية، في إقامة ذلك الحد الزمني والعملية الواضح والفاصل بين ما كان قبلها، وبين ما أصبح بعدها وهذا على مستوى الأفكار والمؤسسات والممارسات في حين يبقى التمرد حتى في حالة نجاحه المؤقت عاجزا عن تحقيق مثل ذلك الحد أو الفاصل⁴.

¹ - حمادة بخاري، المرجع السابق، ص 41.

² - Albit. Comus : L'homme révolté, paris Gallinard, 1951, pp 20 - 21.

³ - Ibid, pp 25 - 26.

⁴ - حمادة بخاري، المرجع السابق، ص 42.

هكذا يتلاشى التمرد وآثاره بالسرعة نفسها، التي حدث بها، ليتحول في النهاية وفي العديد من الأحيان، إلى داعم، وعن غير قصد، لذلك الواقع الذي قام ضده، الذي لا يزداد بعده إلى رسوخا، وبذلك لتبين أن التمرد ليس في النهاية سوى طاقة أو قوة مجهضة ومبددة، ولأن التمرد كذلك فإنه لا يهيئ كثيرا، وعلى الرغم من أنه يكون ويجيا كل مرة من جديد للثورة، بل أن دوره ينحصر نقط في الدلالة هي أن احتمال الواقع السياسي أو الوجودي المأساوي، أو الذي يبدو لدعاة التمرد أنه كذلك، قد تجاوز حد الاحتمال، إن ذلك الحد الذي يدل عليه التمرد، هو ذاته الحد الذي تبدأ منه الثورة مسيرتها¹.

و- الحرب La guerre:

إذا كانت الحرب تعني بصورة عامة القتال المسلح بين فئة أو أكثر... أو بين مجموعتين اجتماعيتين داخل الدولة الواحدة (الحرب الأهلية)، فإن الثورة في جوهرها قتال لمجموعة ما ضد دولة (دولة خارجية محتلة أو وطنية مشيدة)، وإذا كانت الحرب خاصة بين الدول قد تنوعت أحيانا عند الجانب السياسي أو الاقتصادي أو الإعلامي أو الثقافي، فإن الثورة خاصة التحريرية منها، ولا يأخذ الجانب العسكري ممثلا في حرب العصابات كأساس أول لها، ولا تلجأ كذلك إلى كل تلك الجوانب السياسية والاقتصادية والإعلامية والثقافية، إلا بعد ذلك لتحولها تارة إلى سند لتلك الحرب، ولتحول تارة أخرى تلك الحرب إلى سند لتلك الجوانب السياسية².

نلاحظ في هذا الصدد أن مثال هذا التداخل بين الحرب وبين الثورة، هو الذي كان ولا يزال وراء حرص البعض من الباحثين على تسمية ثورات التحريرية الحديثة خاصة تلك التي قادها العالم الثالث، ومن ضمنه الجزائر ضد الاستعمار الأوروبي وغير الأوروبي، باسم حروب التحرير لا باسم ثورات التحرير، أو باسم الكفاح المسلح، وحثهم في ذلك أن الثورة التحريرية قد لا تكون موجهة بالضرورة ضد مستعمر خارجي، بل قد تستهدف نظاما وطنيا داخليا متعفنا أو مستبدا، كما هو الشأن بالنسبة للثورة الفرنسية والثورة الروسية، والثورة الصينية والثورة المصرية، وهذا عكس

¹- A. Camus, op. Cit, p 27.

² - حمادة البخاري، المرجع السابق، ص 43.

حروب التحرير الأمريكية والجزائرية مثلا¹، التي كانت موجهة أساسا ضد محتل خارجي، بريطانيا وفرنسا، يهدف إخراجها ووضع حد احتلاله يضاف إلى ذلك أن كفاح المسلح لا يتضمن بالضرورة معنى القطعية التي تشكل جوهر وهدف كل ثورة... وكل حرب تحرير.

هـ- الجهاد:

يعني الجهاد في الإسلام المجاهدة للنفس أو لا يقصد حملها هي الأفضل جهاديا ودنيا، كما يعني كذلك التصدي، بكل الوسائل، بما فيها القتال المسلح، ضد كل المتحرشين بالسلام عقيدة أو أمة أو أرضا.

إن هذا المفهوم الإسلامي للجهاد ليؤكد أن الإسلام عكس ما يدعيه بعض المستشرقين لم ينتصر ولم ينتشر، فهو أول من دعا إلى المودة والتسامح حتى مع غير المسلمين²، ذلك ما تؤكدته كل حروب الرسول صلى الله عليه وسلم التي كانت كلها حروبا دفاعية، إن نفس المفهوم هو الذي سيظل الجهاد منذ ذلك الوقت وإلى اليوم، حيث كان دوما وسيلة المسلمين لرد الهجمات الصليبية ثم الاستعمارية الغربية التي استهدفتهم مغربا ومشرقا.

من هنا فإن رفع بعض الثورات التحريرية في العالم العربي والإسلامي، ومن ضمنها الثورة الجزائرية، لشعار الجهاد إنما يمثل بالتالي روح الوطنية والتضحية والاستشهاد من أجل تخليص الوطن من الاستعمار، وليس العدوان أو التعصب أو الحرب الحتمية بين الإسلام والمسيحية كما يدعون³.

د- الإصلاح La réforme:

يعرف الإصلاح بأنه عملية تغيير تدريجي للأوضاع السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الأخلاقية أو الدينية أو الثقافية، تغييرا يظل في النهاية محتفظا في الوقت نفسه بالإطار العام الذي ولد تلك الأوضاع، وذلك من خلال محافظته على الأسس الكبرى.

¹ - اعترفت فرنسا في جلسة لجمعيتها الوطنية بتاريخ 10/06/1999 بأن الثورة الجزائرية كانت حربا لم تكن تمردا، مثلما تراجعت سنة 2006 على

اعتبار استعمارها للجزائر ولغيرها من الشعوب الأخرى عملية تحضيرية لهذه الأخيرة، انظر إلى مرجع حمادة البخاري، المرجع السابق، ص 43.

² - محمد عبده: الإسلام بين العلم والمدنية، دار الهلال، القاهرة، 1960، ص ص 128-133.

³ - حمادة بخاري، المرجع السابق، ص 44.

لذلك فإن الإصلاح إذا كان يشكل الطريق الثاني، يعد الثورة، التغيير فإنه ذلك التغيير وما قد ينتج عنه، يقل في النهاية في صالح الطبقة أو السلطة أو الفئة المعتمدة في المجتمع، وإذا كنا نعلم جميعا مدى أهمية الدور الذي يلعبه الإصلاح في تهذيب النفوس، وإيقاظ العقول فإن التغييرات السياسية والاجتماعية والدينية والعلمية والاقتصادية والثقافية الكبرى كانت في النهاية وليدة الثورة لا الإصلاح، وتطبيقا لكل هذه المفاهيم على ثورة نوفمبر التحريرية، نقول أن هذه الثورة ما كان يمكنها انجاز ما أنجزت، لو لم تكن وليدة نظرة أصيلة ونقدية للواقع الوطني... تلك النظرة التي جعلت طلائعها الفئة الوطنية الوحيدة التي نظرت إلى ذلك الواقع المزري الذي ضمن المستعمر أنه أغرق، وإلى الأبد، المجتمع الجزائري فيه، نظرة مختلفة عن نظرة كل الأحزاب السياسية الوطنية فضلا عن نظرة المستعمر إليه، كما تؤكد ذلك هذه الفقرة من بيان أول نوفمبر 1954¹: "فتحت تعبير قبل كل شيء أن الحركة الوطنية، بعد مراحل من الكفاح قد أدركت مرحلة التحقيق النهائية، وأن الشعب الجزائري أوضاعه الداخلية متحد حول قضية الاستقلال والعمل".

حيث لم ترى تلك الأحزاب السياسية الوطنية، التي لا شك في إخلاصها أو تهون من مدى الجهود الذي بذلتها من أجل بلورة الشعور الوطني لدى الشعب الجزائري، من هذا الشعب الأضعف انشقت تلك الطليعة، قواه الكامنة حيث لم تتبين إلا حول اندثاره تلمست تلك الطليعة بواكير انبعائه، وحيث أرجف كل المرجفون بفشله الحتمي في أي مواجهة مسلحة قد يتجرأ على القيام بها من جديد في وجه المستعمر استشفت تلك الطليعة الثورية نصره الحتمي²، وغنى عن البيان أن تلك الطليعة الثورية ما كانت لتتوصل لمثل تلك النظرة الأصيلة النقدية للواقع الوطني لو لم تكن تابعة من أعماق الشعب الجزائري، ولم تولد في لهيب معاركه التحريرية التي ما أنفك بخوضها ضد المستعمر منذ اليوم الأول لاحتلال أرضه، تلك المعارك التي جاءت ثورة نوفمبر التحريرية بمثابة التاريخ النهائي والحاسم له³.

¹ - انظر إلى الملحق رقم 3 من الرسالة.

² - حمامة بخاري، المرجع السابق، ص 45.

³ - المرجع نفسه، ص 45.

4- أهم الثورات:

شهدت تاريخ العصر المعاصر عددا من الثورات العالمية التأثير، بسبب ما أحدثته من تغيير في أوضاع البلدان التي اندلعت فيها والبلدان الأخرى خارج حدودها، ومعلوم أن الأحداث التاريخية تقاس بمدى ما أحدثته من تأثير وتغيير في الأوضاع الداخلية والعالمية ومن ضمن هذه الثورات العالمية التأثير نجد كل منها الثورة الأمريكية عام 1776، الثورة الفرنسية 1789، الثورة الروسية 1917، والثورة المصرية 1952، الثورة الجزائرية أول نوفمبر 1954م.

4-1 الثورات الليبرالية¹:

لقد وجدت ظاهرة التمرد ضد الحكومة التي تتحكم بحريات الأفراد أحد القواعد الرئيسية لليبرالية المبكرة. وقد ولدت المذاهب الليبرالية المبكرة بالثورة الأمريكية سنة 1775 وبالثورة الفرنسية سنة 1789. وقد أدت الثورات إلى وضع الحكومات الدستورية حقوق للأفراد في جميع المجالات كالصحافة والاجتماع والسياسة و المذهب و الرأي والصحافة والدين. كذلك ضمان عدم سوء استخدام السلطة من قبل الجيش والمحكمة.

أ- الثورة الأمريكية:

كانت من بين مملكات بريطانية مستعمرة من الساحل الشرقي لأمريكا الشمالية تختلف عن المستعمرات البريطانية من حيث المناخ والاستيطان، وهاجر إليها عدد كبير من البريطانيين والأوروبيين الآخرين، وقد شكل الإنجليز الأغلبية الساحقة، فانتشرت في المستعمرات آراؤهم وعقائدهم وأنظمتهم السياسية البريطانية، اتبعت القانون البريطاني العام، ونظام الخلفين في محاکمها، ولها حاكم يعنيه الملك، ومجلس أشبه بالعموم البريطاني، وعلاقة الحاكم بالمجلس مثل علاقة الملك بالعموم، وكثيرا ما رفض أن يصادق على اعتمادات مالية لكي يلزم الحاكم بقبول

¹- الليبرالية: مصطلح أجنبي معرب مأخوذ من (Libéralisme) في الإنجليزية، و (Libéralisme) في الفرنسية، وهي تعني " التحررية"، ويعود اشتقاقها إلى (Liberaty) في الإنجليزية أو (Liberté) في الفرنسية، ومعناها الحرية وهي مذهب فكري يركز على الحرية الفردية، ويرى وجوب احترام استقلال الأفراد، ويعتقد أن الوظيفة الأساسية للدولة هي حماية حريات المواطنين مثل حرية التفكير، والتعبير، والملكية الخاصة، والحرية الشخصية وغيرها.

وجهة نظره، واستند المجلس على الآراء والنظريات التي جاء بها الإنجليز من حقوق وامتيازات وأنظمتهم برلمانية وتقاليد¹.

واصل الإنجليز معاملة مستعمراتهم الأمريكية كما كانوا يعملونها أول الأمر، وأصبحوا بذلك يشبهون الآباء الذي لا يقتنعون بأن أبنائهم قد بلغوا من الشباب، وكان الإنجليز علاوة على ذلك ينظرون إلى سكان أمريكا على أنهم من العناصر غير الراضية، وينظرون إلى الأيرلنديين منهم أتباع البابا، وعلى أن طلباتهم وتصرفاتهم لا يمكن الموافقة عليها².

قد أهمل ملوك ستيوارت شؤون المستعمرات الداخلية ومنحوها حرية واسعة، وعدوها فقيرة غير جديرة بالاهتمام الحكومة المركزية، إلا أن الطبقة الحاكمة البريطانية لم تهتم بالعلاقات التجارية بين المستعمرات وبريطانيا على أساس نظام حماية التجارة وتوجب على المستعمرات إمداد بريطانيا بما تعوزه من مواد الامتناع عن منافسة صناعتها ومشاركتها في نفقات الحكومة والأسطول والجيش، ونقل بضائعها على سفن بريطانيا وجلب ما تحتاجه من بريطانيا³، ولكن المعمرين كانت لهم مطالب مختلفة فأما مطالبهم التجارية فكانت تتلخص في الاحتجاج حول قانون الملاحة، كانوا يرغبوا في الحصول على حرية الشراء والبيع، لمن يرغبون في البيع إليه وكان لهم مطالب صناعية خاصة، وأن إنجلترا كانت قد منعت تحويل المواد في أمريكا، بما في ذلك صناعة الحديد، وذلك حتى أبعد كل إمكانية لنشأة منافس جديد لها، ومن المعروف أن **وليام بت** كان قد صرح بأنه سيملاً المستعمرات بالجنود إذا قامت هذه المستعمرات بوضع خيط واحد من الصوف، أو صنع حدود حصان واحدة، وكان المعمرين في الشمال لا يرضون بهذه السياسة وطالبوا بالاعتراف بحقهم في إنشاء صناعة، وكانت هنا مطالب سياسية خاصة وأن المعمرين كانوا خاضعين للقوانين الإنجليزية، والتي يصدرها برلمان لندن، ودون أن يكون الأمريكية ممثلين فيه واعتقد الأمريكيون أنهم قادرون على وضع تشريعاتهم، وحينما تصل تعليمات جلالته إلى أمريكا، وكانت هذه التعليمات

¹ - مفيد الزيدي: موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (التاريخ أوروبا في العصور الوسطى)، ج 2، ط2، دار أسامة للنشر والتوزيع، 2009، ص 535.

² - يحيى جلالى: التاريخ الأوربي (سيطرة أوروبا على العالم)، ج4، ط3، منقحة، المكتب الجامعي، 2013، ص 283.

³ - مفيد الزيدي، المرجع السابق، ج2، ص 535 - 536.

تتحول إلى قوانين للأمريكيين، وكان على الأمريكيين إطاعتها وتنفيذها ولكن الأمريكيين اعتقدوا على العكس من ذلك بأن من حق مجالسهم في المستعمرات أن تصون على القوانين اللازمة لهم ثم ترفع هذه المشروعات بقوانين إلى لندن لكي تحصل على موافقة الملك¹، وهناك مطالبة مالية، ولم تكن أقل من غيرها أهمية، وكان تنظيم الأقاليم التي انتزعت من فرنسا، واحتلال كندا الجيش بلغ عشرة آلاف جندي انجليزي، وغيرها يتطلب كثيرا من النفقات وعملت إنجلترا على تغطية هذه النفقات يفرضها ضرائب على المستعمرات الأمريكية، واحتج الأمريكيون على ذلك بأنهم كانوا لا يزالون في عهد الصبا، وأن من واجب بريطانيا عدم إثقال تواصلهم بالضرائب في ذلك الوقت².

قد وافق انتهاء الحروب الفرنسية الهندية اعتلا ب **جورج الثالث** العرش المصمم على إرجاع حزب الثوري إلى الحكم، وكانت بريطانيا تعاني من أزمة مالية وديون كبيرة 140 م جنيه، وأراد الملك إشراك المستعمرات الأمريكية في نفقات حمايتها ولكن أغلب أعضاء حزب (الويك) الحاكم رفضوا هذا فاستغل الملك الموقف وطلب من جرانفل أحد الزعماء الثانويين في حزبا (لويك) تأليف الوزارة بمساعدة حزب الثوري الذي كان يقر فرض الضرائب الاستثنائية على المستعمرات، وأهم الضرائب هي:

1- **قانون السكر 1764**: فرضت ضريبة على السكر المستورد من الخارج، وكان تجار المستعمرات يعنون أرباحا طائلة من التجارة مع المستعمرات الفرنسية والإسبانية، وباشرت السفن المحرية البريطانية بمراقبة السواحل لمنع التهريب وشعر التجار بالخطر، مما دفعهم للضجر والاستياء من بريطانيا.

2- **قانون الدمغة 1765**: استعمال الورق من سنت إلى خمسين دولار لجميع الصحف والمجلات والمنشورات والمستندات القانونية، مثل صكوك البيع والشراء والرهن والوصايا والإسناد وشعر الشعب كله بهذه الضريبة، لأنها سائرة عليه لاسيما الصحفيين ورجال الأعمال والمحامين.

¹ - يحي جلال، المرجع السابق، ج 4، ص ص 283 - 284.

² - المرجع نفسه، ص 284.

3- إحياء الحكومة البريطانية القوانين التجارية القديمة والتشديد في تنفيذها¹.

سرعان ما جاءت مناسبة جديدة، ذلك أن لندن قد وجدت أن الأمريكيين يعارضون الضرائب الداخلية، فحاولت أن تفرض عليهم ضرائب خارجية، وصوت مجلس العموم على فرض ضرائب بسيطة على استيراد الزجاج والرصاص والألوان والورق والشاي، فقام المعمرون نتيجة لذلك برفض التعامل في السلع البريطانية، وبشكل أجبر الرأي العام البريطاني على الضغط ثانية على حكومته، التي تراجعت من جديد في هذه القرارات، وألغيت كل هذه الضرائب ما عدا الضريبة الخاصة بالشاي سنة 1770، ولم تعرف إنجلترا أنها ارتكبت بذلك خطأ مضاعفاً، ذلك أن التنازل لم يكن يؤدي إلا إلى تدعيم المطالب الأمريكية، كما كان الاحتفاظ بضريبة اسمية يعني تحدي المعمرين، ولم يبق هناك إلا المبدأ الذي يطلب قراراً وكانت هذه المبادئ هي أسباب إعلان الحروب ونشوب الثورات².

بدأت الحوادث والاستيلاء خاصة وأن الانجليز قد عملوا على تعزيز حامياتهم في أمريكا وبدأ الانجليز يحتكون بالحرس المسلح الذي كونه أبناء الحرية في أمريكا ولقد أطلقت أولى الرصاص قرب (بوسطن) بين طرفين، وسالت الدماء³، وقد زاد السعي لإصراراً على القتال من أجل الاستقلال مع تصميم الملك على قمع الثورة الأمريكية بالقوة، 04 جويلية 1772 اجتمع فريق من الوطنيين، وأعلنوا وثيقة الاستقلال، ووضعوا دستوراً لكل مستعمرة مقتبسين أكثر مواد الوثيقة من مصنفات فلاسفة بريطانيا السياسيين وأكدت الوثيقة على ثلاثة مبادئ هي:

1- الله منح لا البريطانيين فحسب بل كل إنسان حقوقاً طبيعية، لا سبيل إلى إلغائها كحق الحياة والحرية والسعادة.

2- أن السلطات الحكومية إنما هي مستمدة من الشعب.

3- حق الشعب في حمل السلاح وقلب الحكومة الظالمة وتأسيس غيرها عادلة⁴.

¹ - مفيد الزبيدي، المرجع السابق، ج2، ص ص 536 - 537.

² - يحيى جلالى، المرجع السابق، ج4، ص 286.

³ - المرجع نفسه، ص 286.

⁴ - مفيد الزبيدي، المرجع السابق، ج4، ص 538.

ظهر أن إنجلترا كانت تستخدم سياسة الضعف في الوقت الذي كان بوسعها أن تستخدم فيها الشدة، وقامت إنجلترا بمنع كل تجارة مع المستعمرات الثائرة وأعلنت أنها ستأخذ غنيمة كل السفن الأمريكية في تأسرها في البحر، ورد المعمرون على ذلك بمؤتمر جديد عقده في فيلادلفيا سنة 1776 وانتخبوا فيه المزارع **جورج واشنطن**¹ لقيادة قوات الحرس الوطني وتمكن **واشنطن** من الاستيلاء على بوسطن²، بدأ النزاع المسلح عندما أرسلت بريطانيا 30 ألف جندي معظمهم من الألمان لاحتلال (نيويورك) ونجحت القوات في الاستيلاء على معظم موانئ المستعمرات ودحرها في بداية الأمر إلا أن **جورج واشنطن** قائد جنود المستعمرات تفادي المواجهة مع الجيوش البريطانية، وعاد إلى الداخل منعا لها من سحق جيشه مع مفاجآت بين حين وآخر لضرب هذه القوات، وعام 1777 استسلم **واشنطن** في (ساراتوي) القائد **برجوين** مع 6 آلاف جندي بريطانيا، ومع انحياز فرنسا إلى جانب المستعمرات عدوة بريطانيا، وأخذت الكفة ترجح لصالح المستعمرات، وتقدمت فرنسا لحرب بريطانيا على تفتيش السفن المحايدة المتوجهة إلى المستعمرات، وأعلنت معظم الدول الأوروبية حيادها المسلح لبريطانيا التي اضطرت إلى توزيع قواتها على عدة ميادين، أهمها المستعمرات الأمريكية والهند الغربية، والهند والبحر الشمالي، والبحر الأبيض المتوسط

وفي عام 1781 كان الجنرال **كورنوليس** ومعه 7 آلاف جندي في (يوركوتون) والتحق به الجيش الأمريكي بقيادة **واشنطن** وفرنسي آخر هو **لافاييت** قائد المتطوعين الفرنسيين والأسطول الفرنسي، وأجبروه على الاستسلام ورضيت لندن بالصلح لعجزها على إرسال الإمدادات العسكرية المواجهة تم بالفعل عقد معاهدة باريس 1783 وأهم بنودها:

- 1- اعتراف بريطانيا باستقلال المستعمرات الأمريكية التام.
- 2- استرداد فرنسا (توباغو) في (أرجنيل) الهند الغربي والسنغال في إفريقيا.
- 3- استرجاع إسبانيا مينوركا وفلوريدا.

¹ - **جورج واشنطن** (1732 - 1799): أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية (1789 - 1797) القائد للقوات المسلحة للجيش القاري أثناء الحرب الأمريكية الثورية، أحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة كان خصما الانفصاليين وقاد التمرد الذي انتهى بإعلام انفصال الولايات المتحدة بريطانيا في 04 يناير 1776، كما أنه ترأس الولايات المتحدة الأمريكية في 1789، أنظر: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

² - يحيى جلالى، المرجع السابق، ج4، ص287.

4- خسارة هولندا بعض مراكزها التجارية في الهند وإرغامها على إشراك بريطانيا في تجارة الملايو¹.

وكان تأسيس جمهورية جديدة مستقلة في أمريكا خطوة نحو الثورة الأمريكية مكملة لثورات بريطانية القرن السابع عشر، واتخاذها الأساليب والممارسات الديمقراطية والسياسية والنيابية على غرار البريطانيين، وعززت الثورة الأمريكية من فكرة حق الثورة، وقلب الحكومة المستبدة، وإيجاد حكومة عادلة، وأصبحت التجربة الأمريكية مقياس النجاح التجارب أخرى في أهم الأوربية وغيرها تسعى الثورة من أجل الاستقلال.

وتعد نتائج الثورة الأمريكية متعددة أهمها:

- 1- إحلال رئيس منتخب لمدة معينة محل ملك وراثي.
- 2- اتخاذ دستور مكتوب أساس للحكم منعا للاستبداد.
- 3- إلغاء الأرستقراطية الوراثية الإقطاعية والألقاب.
- 4- فصل الكنيسة عن الدولة.
- 5- تأسيس نظام حكومي يعتمد على فصل السلطات بعضها عن البعض.
- 6- إنشاء جمهورية فدرالية حكومية مركزية.
- 7- منح حق الانتخاب على نطاق واسع عما كان عند دول أخرى.
- 8- توزيع التمثيل في مجلس الشيوخ والنواب على أساس حسابي، أي مقعد واحد لكل عدد معين من الناخبين بغض النظر عن كفايتهم أو مؤهلاتهم العلمية والمالية والاجتماعية².

ب- الثورة الفرنسية:

كانت فرنسا تمتلك الموارد الزراعية والصناعية الكبيرة، وتجارة الخارجية النشطة على الرغم من سوء الحالة المالية والإفلاس الخطير، وكان الأهم من هذا أنها دولة تنقصها المساواة الاجتماعية والحرية السياسية والعدالة الضريبة والسلطة التنفيذية الكافية والقديرة، فقد انتشرت الأنظمة

¹ - يحي جلال، المرجع السابق، ص ص 538 - 539.

² - المرجع نفسه، ص ص 539 - 540.

الاجتماعية التقليدية من العصور الوسطى، من امتيازات الكنسية والنبلاء وجمعيات الأقاليم التشريعية والهيئات القضائية، ونقابات العمال، وقد أثرت على العدالة والمساواة بين السكان، وألقت بالثقل على كاهل الفقراء وحرمت الطبقة الوسطى من دخول الجيش والأسطول والكنسية والقضاء رغم كفاءتها وقدرتها المتميزة، وقد أصبحت الامتيازات موضع كره منه الناس¹، وأصبحوا لا يحترمون رجال الدين والنبلاء، واهتم الإشراف بجمع الأموال والإقطاعات وفرض السخرة على الفلاحين، وشكلوا عبئا ثقيلا على السكان وقد كانت بؤادر مرحلة من التغير قد لاحت في الأفق بعد أن عجزت الملكية الفرنسية عن حل مشكلات الامتيازات، ولم تكن من القوة بمكان لتنبذ بقايا الإقطاع هذا مع ازدياد مشكلة الغذاء وعدم قدرة الحكومات على توفير المواد المعيشية رغم كل ثروة فرنسا وأراضيها وحالة الترف التي تعيشها الطبقة العليا، إلا أن الطبقة الواسعة وهي الطبقة العليا، إلا أن الطبقة الواسعة وهي الطبقة الدنيا كانت في حالة فقر وجوع كبيرين.

جاءت الثورة لأن الملكية عجزت عن حل مشكلة الامتيازات، ولم تكن من القوة بحيث تنبذ بقايا النظام الإقطاعي الذي كان في فرنسا، كما كان في معظم ممالك أوروبا الأخرى، ثقل الوطأة على الأهالي، ولقد كان ثمة معضلة أخرى ذات صبغة اقتصادية حارت حكومات النظام القديم في علاجها ذلك أن موارد طعام الشعب لم تكن ميسورة مضمونة، فمع كل ثروة فرنسا الزراعية وترف طبقتها العليا، كانت بعض طبقات الأمة عرضة بين وآخر لفتك المجاعات وأهوالها²، وكانت الإدارة المالية تتميز بدرجة من الفوضى بلغت حد عدم التمكن من وصفها إلا على وجه التقريب، فقدرت التنبؤات التي عملت في مارس 1788، هي أولى وآخر ميزانيات النظام القديم، المصروفات بـ 629م والإيرادات بـ 503م، أي مع عجز يصل إلى 126م إلى 20% من الميزانية وأرجع المعاصرون مسؤولية ذلك إلى إسراف البلاد ومكاسب رجال المال، وكان من الممكن الاقتصاد، ولكن إدارة الدين طالين بمبلغ 318م أي ما يزيد على نصف المصروفات، ولم يكن من السهل ضغط المصروفات إلى هذا الحد إلا بإعلان الإفلاس، فكانت الضرائب، وكانت هناك بعض الأقاليم تدفع أقل من غيرها، وكان البرجوازيون يدفعون أقل من الفلاحين، والنبلاء

¹ - مفيد الزيدي، المرجع السابق، ج3، ط1، ص 660.

² - فرغلي علي تسن: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2002، ص95.

ورجال الدين أقل من ذلك أيضا، وكان من الممكن أن تحل الأزمة بسهولة، فكانت المساواة في دفع الضرائب تكفي لذلك¹.

لما تسلم لويس السادس عشر عرش فرنسا عام 1774 كان الاتجاه في أوروبا نجد الحكم المطلق العادل، فقد وضع ملك بروسيا فردريك الأكبر - مثلا - موضع الاحترام من قبل ملوك أوروبا، لذلك كانت فرنسا على استعداد لأن ترحب بشارلمان جديد يستطع بحكمته أن يصلح ما عند من شؤون الدولة، إلا أن الفتى هذا لم يكن قادرا على القيام بهذا الدور بتاتا رغم فضائله الشخصية وحسن معاشرته، فلم يكن على مقدرة من الحكم، بعيدا عن الذهن المنتقد والمثابرة والجد تلك الصفات الواجبة برجل الدولة، لذا ترك الأمور تسير نحو النهاية بدلا من أن يوقفها أو يوجهها.

أما الزوجة ماري أنطوانيت ابنة ماريا تريز إمبراطورة النمسا فقد عرفت بالقوة والشدة، ولكنها بنظر الشعب كريهة ومقيتة، وللأساسة مصدر طيش في البلاط وعدم حكمه وكانت جميلة وذات كبرياء وشموخ، فلم تحاول أن تستميل الخصوم أو تصفح عن الأعداء وبدت كأنها نقود الملكية نحو الهاوية².

وحاول لويس السادس عشر أن يدعو إلى اجتماع لبرلمانات فرنسا في محاولة للإصلاح والتقرب من الشعب لكنه في الواقع أعاق فكرة إلى الإصلاح أساسا، لأن أكبر الشخصيات كانت تؤيد رئيس وزراء فرسا تروجو (Turgot) (1727 - 1781) الذي اقترح إلغاء نقابات العمال وبإطلاق تجارة الحنطة دون قيود إلا أن البرلمان في باريس والمقرب من الشعب قد غدا حائرا أما سلطة البلاط الملكي، وحين عزل تروجو وبعد حكم استمر (13) شهرا لم يحقق الشيء

¹ - جورج ليفيسر: عصر الثورة الفرنسية، ترجمة، جلال يحيى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، 1979، ص ص 119 - 120.

² - الملك لويس السادس عشر (1754 - 1793): ملك فرنسا و نافارا، آخر ملوك فرنسا قبل الثورة الفرنسية في عهده، قامت الثورة الفرنسية وأدت إلى الإطاحة بالحكم المطلق، تزوج ماري انطوانيت أنجب منها لويس السابع عشر الذي مات صغيرا، ساعد لويس السادس عشر الثورة الأمريكية عام 1776، فأرسل فرقة فرنسيين بقيادة لافاييت لمساعدة الثوار الأمريكيين في عام 1793 حاول لويس السادس عشر الفرار من فرنسا برفقة زوجته ماري انطوانيت ولكن ألقى القبض عليه وتم إعدامهما عبر المقصلة في باريس، انظر إلى وكيبيديا، الموسوعة الحرة.

الكثير، وأبقى فكرة لدى المفكرين في فرنسا، وهي أن الإصلاح المنشود له يأتي من العرش بل يجب أن يبحث عنه من جهات أخرى.

قد خلفه الوزير نكر (Necker) (1739-1794)، وهو بروتستاني جمهوري من جنيف أصلاً، شارك في الحرب الأمريكية وكسب حب الشعب يدفعه نفقات الحرب بالقروض لكونه كان يعمل في أحد المصارف، لكنه خسر هذا الحب حين أنشأ مجالس محلية تحل محل مندوبي الملك في تأدية واجباتهم الإدارية، وعزل نكر من منصبه عام 1781¹، ومن أجل الإصلاح أيضاً قدم كالون (Calonne) (1783-1787) مشروعاً يأخذ ضريبة مالية على كل عقار من الأرض (ضريبة العقار) فأثار ذلك الأرستقراطيين إلى درجة من الغضب عظيمة، وطالبوا بدعوة "مجلس الطبقات" (States Général) الذي لم يجتمع منذ 1613 وكان ذلك المجلس جمعية تضم ممثلي هيئات ثلاث: النبلاء ورجال الدين، والطبقة الثالثة أي العامة، قدم كالون مذكرة إلى الملك لويس السادس عشر في أوت 1676 تصر على ضرورة إصلاح الدولة، كما اقترح كالون تعميم ضريبة الملح، وكذلك احتكار الطباقي، و أن يبذلوا ضريبة الرؤوس و ضريبة الواحد من عشرين بإعانة إقليمية يدفعها كل الملاك العقاريين²، فكان رد المعارضين التاريخي يوم الرابع عشر من الشهر نفسه باجتياح أقصى الحصون، وهو (الباستيل) وقتل الحامية بقسوة، وهدم السجن وهو في أطراف باريس، ولقي ترحيب الناس في كل أرجاء فرنسا كنهاية لفترة من الطغيان السجن والظلم والاستبداد، وبشرى ليوم جديد هو العيد القومي لفرنسا الذي أصبح فيما بعد يوم الحرية والاستقلال والجمهورية.

بدأت تسير باريس نحو حركة تاريخية جديدة، فصار لها مجلس بلدية وحكومة، وجيش شعبي أهلي وكان سقوط (الباستيل) حدثاً كبيراً في فرنسا، وعندما وصل النبأ إلى الملك قال أنه فتنة كبيرة، ولكنها الدوق دي ليانكور رد عليه قائلاً: كلا يا مولاي أنها الثورة العظيمة، وأصبحت الملكية عاجزة حقيقة عن حماية أصدقائها، أو القضاء على أعدائها، وأجبر الملك على أن يتجرع الذل، ويعزل عدد من وزرائه، ويستدعي نكر (Necker)، وأن يبارك علانية باستيلاء الرعاع

¹ - مفيد الزيدي، ج 3، ط 3، المرجع السابق، ج 3، ص 661.

² - فرغلي علي تسن، المرجع السابق، ص 96.

على (الباستيل) وأن يقبل أمام الناس ذلك، بل الأكثر من ذلك كعلم الأمة بعد تحررها وهو الشارة المثلثة الألوان وقد ابتكرها **لافاييت** القائد المنتخب الحرس الأهالي¹.

اتفق الثوار على إبقاء الملك في باريس خوفا من تلاعبه أو جمعه الجنود حوله، وإن يقوم الحرس بمراقبته، وكانت صاحبة الفكرة هي مدام (السيدة) **رولان** امرأة فصيحة اللسان، وجميلة وكانت قرينة مفتش مناجم، وأدركت باريس خلال هذه الفترة طريقة إثارة الجماهير، واستيعاب أساليب الثورة، وفي الأسبوع الأول من أكتوبر 1789 ظهر ما يبرر الانقلاب، فقد دعا الملك فرقة (الفلاندر) إلى فرساي، ورفض توقيع قانون إجارتها الجمعية الوطنية، وأنه قد يفكر بالهروب، هذا مع قلة الخبر في باريس حينذاك، كلها كافية لتحرك سريع وزحف شهير إلى فرساي في 05 أكتوبر ومع ظهور النساء الجائعات، ومجيء الحرس الأهلي بقيادة **لافاييت** أحضرت الأسرة المالكة إلى باريس وإلى قصر (التويلري)، وأصبح شبه سجن للملك وأتباعه².

انتقلت الجمعية الوطنية إلى باريس عقب مغادرة الملك (فرساي) واعتمدت على حماية الشعب منه تدخل الحكومة في أعمالها، ولكنها أصبت يتدخل الشعب في تصرفاته، وكانت قد بدأت في وضع الدستور في فرساي في 3 سبتمبر 1791 ولكن تدخل الشعب في أعمالها أثر تأثيرا سيئا في وضع الدستور وأهم قرارات الجمعية في هذا الشأن ما يلي:

- 1- حقوق الإنسان: تضمنت أن الناس ولدوا أحرار متساويين في الحقوق والعمل على ضمان الحرية الأملاك الشخصية.
- 2- إلغاء كافة الامتيازات والحقوق والواجبات المترتبة عليها.
- 3- تم إعادة تقسيم فرنسا من جديد إلى 83 قسما وأطلق على كل منها اسم معلم بارز من معالمها (كنهر أو جبل)، وأصبح لكل قسم مجلس منتخب بالتصويت العام.
- 4- وضعت السلطة التشريعية في يد مجلس نيابي واحد منتخب لمدة سنتين واشترط في عضو مجلس النواب دفع قدر معين من الضرائب، ويحرم على العضو دخول الوزارة ودخول

¹ - مفيد الزيدي، ط3، المرجع السابق، ج3، ص 663.

² - مفيد الزيدي المرجع السابق، ص 663 - 664، انظر إلى المرجع فرغلي على تسن، المرجع السابق، ص 107 - 108.

الملك (Véto) أي حق الرفض أو إلغاء قرارات المجلس، إلا إذا أعيدت هذه القرارات على ثلاث مجالس متتالية:

- الجمعية التشريعية: انحلت الجمعية عقب إتمام وضع دستور وعقدت إتمام التشريعية الجديدة أولى جلساتها في أكتوبر 1791 وكان أمامها مهمات رئيسية ثلاث وهي:
أولاً: ضرورة تنفيذ جميع مواد الدستور الجديد.
ثانياً: صياغة المكاسب التي أنجزتها الثورة الفرنسية بمقتضى القوانين التي صدرت عن الجمعية الوطنية.

ثالثاً: حماية الدولة من المخاطر الخارجية خاصة من قبل الدول المجاورة¹.

4-2 الثورات الشيوعية²:

تعتبر نمطاً من الثورة الاجتماعية، التي تؤدي إلى تغييرات جذرية وشاملة في البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتسهم في تغيير التكوين الطبقي للمجتمع، والسير به على طريق النظام الاشتراكي، وتحدث الثورة الاشتراكية نتيجة للتناقضات الموجودة في المجتمع، ولتطور نضال الجماهير ضد الفئات المسيطرة نتيجة اتساع وعيها وزيادة تنظيمها.

ويتمثل المحتوى الأساسي للثورة الاشتراكية في إقامة نظام سياسي اقتصادي اجتماعي جديد، يُسهم في تغيير السيادة الاجتماعية، وطبيعة العلاقات السياسية والاقتصادية، وتغيير شكل السلطة القائمة، وأساليب عملها، وإقامة طراز جديد للدولة يعبر عن مصالح الأكثرية من أفراد الشعب، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وبناء قاعدة واسعة من الديمقراطية الشعبية، وإطلاق قدرات الجماهير من خلال توعيتها وتنظيمها، وأغناء حياة مجموع الناس في المجتمع، وتحرير العلاقات

¹ - المرجع السابق، ص 108-109.

² - الشيوعية: بالانجليزية (Communism): مشتقة من اللاتينية ("Common, universel, communis")؛ هي مصطلح يشير إلى مجموعة أفكار في التنظيم السياسي والمجتمعي مبنية على الملكية المشتركة لوسائل الإنتاج في الاقتصاد؛ تؤدي بحسب منظرها لإنهاء الطبقة الاجتماعية وتغيير مجتمعي يؤدي لانتفاء الحاجة للمال ومنظومة الدولة. وفي العلوم السياسية والاجتماعية هي إيديولوجية اجتماعية اقتصادية سياسية وحركة هدفها الأساسي تأسيس مجتمع شيوعي بنظام اجتماعي اقتصادي مبني على الملكية المشتركة لوسائل الإنتاج في ظل غياب الطبقات المجتمعية والمال ومنظومة الدولة.

الإنسانية من الاستغلال، وإحلال المساواة المعنوية والمادية، وتوسيع مساهمة مجموع الناس في بناء المجتمع الجديد. وثمة مدارس مختلفة من حيث نظرتها إلى الثورة الاشتراكية.

- الثورة السوفياتية:

أدرك لينين¹ أن الوقت أصبح مهياً ودعا اللجنة المركزية الحزب البلشفي إلى الاجتماع سرا في أكتوبر 1917، وتقرر فيه إعلان الثورة المسلحة ضد الحكومة المؤقتة، وتم انتخاب الأعضاء لتمثيل منظماتهم في المؤتمر، وفي مساء 06 نوفمبر أعلن البلاشفة أن أعداء الثورة بدؤوا في مواجهتها، وإن قادة القياصرة يريدون القضاء على المؤتمر العام للسوفييت والجمعية الدستورية، احتلت القوات البلشفية بسرعة المرافق والبنائات العامة في "بتروغراد" مثل السكك الحديدية، ومكاتب الاتصالات، والجسور، وغيرها، وفي الصباح تم الإعلان في بيان من البلاشفة عن إسقاط الحكومة المؤقتة، والقبض على أعضاء الحكومة عدا كرنسكي الذي هرب وأقر مؤتمر السوفييت العام الانقلاب وأسس حكومته مؤقتة جديدة باسم المجلس السوفيتي لوكلاء الشعب، وانتخب لينين رئيسا لهذا المجلس وكروتسكي وزيرا للخارجية، وبعد أسبوعين من الثورة أرسل تروتسكي مذكرة إلى الممثلين الدبلوماسيين في العاصمة الروسية يؤكد لهم إن الحكومة السوفيتية تقترح على حكوماتهم عقد هدنة سريعة من أجل إقامة صلح ديمقراطي، ولكن الحلفاء تجاهلوا المذكرة، أما دول الوسط الذين كانوا يريدون خروج روسيا من الحرب فقد وافقوا على مقترح السوفييت، وفتح باب المفاوضات في 03 ديسمبر في (بوسيت ليتوفسك)، ثم أعلنت الهدنة بين روسيا ودول الوسط².

عقد اجتماع الصلح في 10 من يناير 1918 في (بريست ليتوفسك)، وكانت تواجه مشكلات أهمها مصير البلاد التي احتلتها ألمانيا والنمسا وطلب البلاشفة جلاء تلك القوات عن بولندا وكورلاند ولتوانيا على أن يجري استفتاء لأهل البلاد في طبيعة الحكم الذين يريدونه ورفضت

¹ - فلاديمير لينين (1870 - 1929): ثوري روسي ماركسي كان قائد الحرب البلشفي والثورة البلشفية كما أسس المذهب اللينين السياسي

رافعا شعاره الأرض والخبز والسلاح، أنظر إلى ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

² - مفيد الزيدي: موسوعة تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، ج4، ط2، المرجع السابق، ص 982.

دول الوسط هذا الأمر، ولم يجد لينين إلا التسليم بشروط الألمان حتى يتفرغ لتنظيم شؤون روسيا الداخلية.

وأخيرا تم توقيع معاهدة (برسيت ليتوفسك) في 03 مارس 1919 وتضمنت:

- 1- وافقت روسيا على التنازل عن بولندا ولتوانيا، وترك تقرير مصير تلك البلاد للبت فيه بين ألمانيا والنمسا من سكان البلاد تلك.
- 2- الجلاء عن لتوانيا و استوانيا و فلندا.
- 3- الجلاء عن أوكرانيا والاعتراف بمعاهدة أوكرانيا مع دول الوسط.
- 4- التنازل لتركيا عن "أردهان" وقارس وباطوم¹.
- 5- الامتناع عن نشر الدعاية البلشفية في الأراضي التي تسيطر عليها دول الوسط.

وبهذا الصلح خسر البلاشفة حوالي 500 ألف ميل مربع من الأراضي ويسكنها 66 مليون من الناس، ولكن البلاشفة كانوا يتطلعون للسلام الذي من خلاله يستطيعون أن يقوموا بتجربتهم في قلب نظام الحكم وإقامة بروليتاريا عمالية.

أما الدول الوسط فقد أدى انسحاب روسيا من الحرب والثورة الداخلية إلى إنهاء حالة الحرب على الجبهتين بالنسبة لهم، وفتح الطريق لنقل أعداد كبيرة من القوات إلى الميدان الغربي للمشاركة في المعارك الفاصلة في عام 1919.

وواجه البلاشفة صعوبات في الداخل كان لا بد من حلها، فقد كان أعداؤهم يحاولون النيل منهم²، واستمر النضال بينهم وبين المعارضة لهم، ونشبت بينهم وبين أنصار الملكية ورجال الدين والإشراف مواجهات خلال ثلاث سنوات، ودعم الحلفاء الموقف، وقرروا مساعدة الأحزاب البرجوازية التي تؤيد مواصلة الحرب والعودة إلى الجبهة الشرعية، ورأوا الإسراع في إرسال المال والرجال والسلاح إلى روسيا لاستخدامها ضد البلاشفة ومخاضهم التسليم للألمان في هذا الوقت الحرج من الحرب، ورأى الحلفاء أن يجرموا الألمان والبلاشفة من القطع الحربية الضخمة التي سبق أن

¹ - مفيد الزيدي، المرجع السابق، ص 983.

² - المرجع نفسه، ج4، ط2، ص ص 983-984.

بعثوا بها إلى (مورمانسك وأركانجل) لتكون تحت تصرف الروس قبل تسليمهم، ومدوا الحصار نحو الحدود الروسية، وأرسلوا الفرق العسكرية إلى المناطق تلك، وكانت فرنسا أشد الحلفاء سخطا على الموقف الروسي الذي قضى على التحالف الفرنسي الروسي، وأضاع عليها الديون الطائلة التي قدمتها إلى الحكومة الروسية والتي جاء البلاشفة فأعلنوا عدم اعترافهم بها، وعندما هزم الأتراك وانسحبت الدولة العثمانية من الحرب في نوفمبر 1915 اقتحم الفرنسيون البحر الأسود، وضربوا أوديس بالقنابل، بينما احتلت القوات البريطانية بعض أراضي القوقاز واستولت على (باكو)، وذلك لتشجيع العناصر الروسية المعادية للبلاشفة على اتخاذ تلك الأقاليم مكانا للتآمر على قلب نظام الحكم السوفياتي¹.

انتهزت جماعات من استونيا ولاتفيا وليتوانيا وفنلندا والقوقاز الفرصة لتعلن استقلالها، وتشجعت رومانيا، واخترقت بعض قواتها بساريا، وتقوى الأمل في نفوس الروس البيض، ونظموا أنفسهم بمساعدة الفرق الأجنبية لإقامة حكومات بيضاء، وتأسست حول (مورمانسك، وأركانجل) حكومة روسيا الشمالية المؤقتة، وقام الأميرال **اسكندر كولجاك** قائد الأسطول الروسي في البحر الأسود السابق بتأسيس حكومة روسية أخرى في سيبيريا في منطقة (أومسك) بمساعدة الحلفاء والجنود التشيك أسس آخرون حكومات في جنوب روسيا وجنوب أوكرانيا و القرم، ولما رأى البلاشفة أن المؤامرات تحاك ضدهم في الداخل والخارج، قرروا الاعتماد على قوتين (فرقة الشيكات) (والجيش الأحمر)، أما الشيكات فتكونت بعد الثورة مباشرة كحامية لحفظ النظام العاصمة، ولكنها تحولت إلى إدارة لمجابهة العناصر المعادية للثورة، وكان من حق أعضاء (الشيكات) أن يقبضوا على العناصر التي تعد معادية للحركة السوفييتية ومحاكمتهم وإعدامهم.

أما الجيش الأحمر فقد نظمه **تروتسكي** ليستطيع أن يتغلب على قوات الروس البيض التي سلعها الحلفاء بأحدث الأسلحة، وأصبح هذا الجيش الأحمر على استعداد دائم لمواجهة الخطر الخارجي والدفاع عن البلاد²، وبدأ هجوم القوات الروسية المحايدة في عام 1919، وعلى أميال من (تيروغراد) ولكن الجيش الأحمر تصدى لها وهزمها، واضطر الحلفاء إلى سحب قواتهم في أواخر

¹ - المرجع السابق، ص 984.

² - المرجع نفسه، ص 985.

عام 1919 ورفعوا الحصار عن روسيا في العام التالي، ولم يبق إلى مدينة (فلاديفتسك) على المحيط الهادي التي بقيت تحتلها القوات اليابانية، وتمكنت البلاشفة بين (1919-1920) من طرد الحكومات المعادية في أوكرانيا وروسيا البيضاء، وقبضوا على السلطة في (القوقاز وأذربيجان وأرمينيا وجورجيا)، وتآلف بها حكومات اتبعت نهج النظام السوفيتي الجديد.

وكان مؤتمر السوفيت العام قد أصدر في ربيع عام 1918 دستورا تأسست بموجبه جمهورية السوفيت الاتحادية الاشتراكية الروسية (U.S.S.R) وتقرر أن تكون موسكو عاصمة قومية بدلا من لينينغراد، وأصبحت روسيا دولة اتحادية تستمد مكانتها من الطبقة العاملة وذاع شعار لينين (السلطة كلها السوفيت) وأن النظام الجديد يجب أن يجرم منه البرجوازية والارستقراطية، وفي عام 1922 اجتمع في موسكو وفود من الولايات البلشفية وقعت معاهدة على أن يبدأ العمل فيها في جويلية 1922¹.

وكانت دول السوفييت الأربع التي وقعت إنشاء الاتحاد هي جمهورية روسيا السوفيتية الاتحادية الاشتراكية، وروسيا البيضاء، وأوكرانيا، واتحاد جمهوريات القوقاز، ولم يحتفظ البلاشفة بكلمة (الروسية) كصفة للاتحاد للجمهوريات السوفيتية، وذلك لترك الباب مفتوحا أمام الولايات التي تسكنها أغلبية غير روسية للانضمام إلى ذلك الاتحاد السوفياتي، وكان ذلك الاتحاد يضم الولايات هي أساس العقيدة السوفيتية لا العنصر الروسي.

وأصبح الاتحاد السوفيتي يتكون من روسيا السوفياتية وأوكرانيا وبيلاروسيا (روسيا البيضاء) وأوزبكستان، وكازاخستان، وجورجيا، وأذربيجان، وليتوانيا، ومولدافيا، ولاتفيا، وقرغيزانا، وطاجكستان، وأرمينيا، وتركمنستان، واستونيا، وكابليوفينيا².

3-4 الثورات التحررية:

هي نمط خاص من أنماط الثورة الاجتماعية هدفها إحداث تغييرات سياسية واجتماعية واقتصادية في حياة الدول والشعوب التي كانت خاضعة للسيطرة الاستعمارية وإقامة الدول الوطنية

¹ - المرجع السابق، ص 985.

² - المرجع نفسه، ص ص 985 - 986.

المستقلة. ونمت هذه الثورات على أرضية تطور حركة التحرر الوطني واتساعها وتقويتها نتيجة ضعف الدول الاستعمارية بعد الحرب العالمية الثانية، وبروز التنظيم الدولي، وانتشار الأفكار المنادية بالحرية، وحق تقرير المصير، وإنهاء السيطرة الاستعمارية. وتتحدد المهام السياسية والاقتصادية والاجتماعية لهذه الثورات، بطبيعة الظروف الداخلية لكل دولة أو شعب وبطبيعة المرحلة التاريخية التي تحدث فيها.

المسألة الأساسية في هذه الثورات كما في كل ثورة اجتماعية هي مسألة السلطة السياسية، حيث يتم نقل السلطة إلى القوى الوطنية والديمقراطية. والقوى المحركة لهذه الثورات من العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة، والبورجوازية الوطنية، والمثقفين والضباط الوطنيين. وشهد القرن العشرون ثورات تحرر وطني واسعة ومتعددة ضد السيطرة الاستعمارية، في العالم الثالث وانتقلت بعض هذه الثورات من النضال في سبيل التحرر الوطني إلى النضال لتحقيق تحولات ديمقراطية واقتصادية واجتماعية تنهي من خلالها مظاهر الاستغلال والسيطرة، وترسخ مظاهر التطور والتقدم والعدالة الاجتماعية.

أ- الثورة المصرية:

تعد حركة 1952 في مصر من الحركات العربية ضد الاستعمار البريطاني التي كان لها الأمر الكبير في الساحة العربية بصورة عامة في مصر خاصة، إذ كانت النتيجة الحتمية للفساد الذي انتشر في مصر خلال النصف الأول من القرن 20 وللسياسات العقيمة التي كانت تمارس في البلاد أثناء تلك الفترة، إذ كانت السياسة المتبعة من النظام القائم آنذاك مجحفة بحق الشعب المصري واعتمدت الطبيعة القائمة على أساس أن الملك وحاشيته¹ ومن يدور في فلكهم مع الذين لهم الحق في الانتفاع من مقدرات الوطن وخيراته حرمان الغالبية العظمى من الشعب من هذه الخبرات هذه الغالبية التي كانت دوما من الفقر والمرض والجهل والتخلف، إذ يقول عبد الناصر²

¹ - عبد الرحمن الرافعي: في أعقاب الثورة المصرية، ج3، دار المعارف، 1987، ص ص 178.

² - جمال عبد الناصر (1918 - 1970): هو ثاني رئيس لمصر من الفترة من 1956 حتى وفاته في 1970 وقام جمال عبد الناصر بقيادة ثورة 23 يناير (يوليو) 1952، والتي أطاحت بالملك فاروق وكذلك بداية مرحلة جديدة في تاريخ مصر، وكان مؤيدا للعروبة ومناهضا للاستعمار ودعم الثورات العربية في الجزائر، ليبيا، العراق، اليمن، وكان له دورا رئيسي في تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964، وحركة عدم الانحياز افقد تولي منصب رئاسة الوزراء عشر مرات.

في ذلك: إن مجتمع مصر ما قبل الثورة كان مجتمع النصف بالمائة أي نصفًا بالمائة من عدد السكان كان يستعمل الأغلبية الساحقة وكانت هذه النسبة الضئيلة تشمل الملك وأفراد أسرته وأصدقائه ورجال حاشيته ثم كبار الإقطاعيين الذي يمتلكون آلاف الأفدنة البرجوازية الصناعية ولاسيما التجارية، كانت هاتان الفئتان تسيطران تماما على جميع الأحزاب، وأن المستفيد الأول والأخير من هذه السياسة هو المستعمر لذلك تصاعد نضال الشعب العربي في مصر من خلال قيادة الطبقات التي أتيحت لها فرصة التعلم وإدراك الوضع السياسي والمحلي والدولي للنضال ضد الانجليز وقد تمثل في رفض معاهد 1936 لأنها أبقت الجيوش البريطانية في مصر.

كان الوطنيون المصريون ينتظرون من بريطانيا أن تدرك أن معاهدة 1936 التي لم تحدث تغييرات يذكر في طبيعة العلاقات بين بريطانيا ومصر قد استنفذت أغراضها، وأنها ينبغي لها أن تستعد الجلاء عن مصر، وأعلن مجلس في 23 سبتمبر 1945 البيان التالي: "أن حقوق مصر الوطنية كما أجمع عليها رأى الأمة وأعلنتها الحكومة هي جلاء القوات البريطانية وتحقيق مشيئة أهل وادي النيل في وحدة مصر والسودان"¹.

وقد تقدمت الحكومة المصرية بالفعل يطلب تعديل المعاهدة عام 1942 لكن الحكومة البريطانية رفضت ذلك بحجة أنها مشغولة بأمور الحرب العالمية الثانية، وبعد انتهاء الحرب وافقت بريطانيا للحكومة المصرية على عقد اتفاقية معها عرفت باتفاقية (صدقي، بيفن) ولكن الشعب المصري لم يجد في هذه الاتفاقية ما يحقق أمانه في الحرية والاستقلال مع بقاء معاهدة 1936، وعندما وقعت الحرب العربية والعصابات الصهيونية عام 1948 بعد الإعلان عن تأسيس الكيان الصهيوني على أرض فلسطين، دخلت مصر الحرب لكن الملك فاروق لم يرسل إلى فلسطين أكثر من أربع فرق أي حوالي ثلاثة آلاف جندي وعلى رأسهم جميع الضباط الذين لم يكونوا موضع ثقة، فقد انتهاز فرصة حرب فلسطين ليستفيد من صفقات الأسلحة التي مكنته من جمع ثروة

¹ - عبد الرحمن الراعي: في أعقاب الثورة المصرية، المرجع السابق، ص 179.

هائلة، لقد أظهر الحكم في مصر عجزا كبيرا في إدارة الحرب وانكشف الفساد الذي كانت منتشرا ومتفشيا في الدولة¹.

كما أخذت الصحافة تسخن المصريين بالسخط ونصب عام غضبها على الملك وذلك لأول مرة منذ اعتلائه العرش، فاستثناء الفترة التي فرض فيها الانجليز مصطفى النحاس على الملك (1942-1944)، كان الملك يقيل الوزراء والوزارات ويعبث بالدستور كما يشاء، ويحكم البلاد حكما مباشرا، وشعر الوفد يعد أن تسلم الحكم عام 1950، وسط مشهد من أشد المشاهد تخاذلا في بعض زعمائه، إلى إرضاء القصر، وانتقاد بعض الوفديين لسياسة الوفد، وتمد بعضهم على زعامة الحزب².

ورغم ذلك لم يتردد فؤاد سراج الدين في الدفاع عن الملك وأعوانه وخاصة في قضية الأسلحة الفاسدة وعندما عاتب الدكتور محمد حسن هيكل سراج الدين على موقفه هذا، أجابه بأن الوفد أقصى عن الحكم عشر سنوات وله الغدر في الاتفاق مع القصر، ولم يكن هناك سبيل أمام الحكومة الوفدية لإرضاء الشعب الساخط وكسبه إلى جانبها إلا إلغاء المعاهدة في 08 أكتوبر 1951، وإعلان وحدة مصر والسودان تحت تاج المصري.

رأت بريطانيا والملك أن هذه التطورات تهديدا خطيرا لمركز مهما، فأخذا يعملان جمل التخلص من الوفد، وكانت بريطانيا قد حاولت تعويض الملك عن حادث 04 فبراير فمناحته رتبة جنرال في الجيش البريطاني، وبعض النظر عن الدواعي والملابسات الحزبية التي أحاطت بإلغاء المعاهدة، فإن هذا الحدث كان بالغ الأهمية في النضال الوطني للشعب المصري، لقد كان انتصارا حققه الشعب بنضاله واعتبر فاتحة لمعركة فاصلة، وهي (معركة القتال) التي خاضها الشعب بكل

¹ - كان موضوع الأسلحة الفاسدة التي سلمت الجيش خلال حرب فلسطين الأثر الكبير في إقدام الضباط الأحرار في التفكير الجدي للتخلص من نظام الحكم، خصوصا إن الحرب أخفقت في منع الصهاينة من إقامة كيانهم المفتعل، وسط هذه الظروف المتزدية والأوضاع الصعبة كان أسلوب الكفاح المسلح هو الطريق الذي اختطه الشعب المصري بالتنسيق مع البعض مع ضباط الجيش والحكومة لإنهاء الوجود البريطاني في مصر، في وقت عجزت فيه القوى السياسية والاجتماعية البرجوازية القريبة من نظام الحكم عن تقديم بديل عن سوء الأوضاع العامة للبلد وتدهورها. أنظر إلى عمر العزيز عمر: دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2008، ص 514.

² - العزيز عمر، المرجع السابق، ص 514.

طبقاته فغاته وتشكيلاته وضرب فيها أروع مثل التضحية والفداء¹، وبلغت (معركة القتال) أوجها في يناير عام 1952 عندما هاجم الفدائيون المصريون في وضح النهار حامية التل الكبير البريطانية ونسفوا مخزنا للذخيرة، وبينما تصاعد الكفاح الوطني المسلح ضد القادة الوطنية البريطانية في منطقة القتال، حرقت القاهرة في 26 يناير 1952، وفي نفس الليلة أعلنت الأحكام العرفية وأقيمت وزارة الوفد في اليوم التالي علي ماهر الوزارة التي تلتها، ومن المؤكد أن الذين خططوا للحريق القاهرة وباشروا تنفيذه هم الانجليز لتحقيق ما يلي:

1- ضرب حكومة الوفد وإيجاد المبرر لذلك ألا وهو عدم قدرتها على السيطرة على الموقف وحماية أرواح وممتلكات المصريين والأجانب وليس هناك سبب أقوى من ذلك لإقالة أية وزارة.

2- إخماد الحركة الوطنية ضد القاعدة البريطانية في منطقة القتال والتي تتمثل في الكفاح المسلح من جانب الفدائيين المصريين أو الإرهابيين كما يسميهم الانجليز وهي الحركة التي اشتركت فيها بشكل بارز قوات البوليس المصري، كما يضاف إلى ذلك انسحاب العمال المصريين من العمل في القاعدة البريطانية وإيقاف منع تمويل القاعدة بما تحتاجه من مؤن ولوازم².

إن كل تلك الأمور وتسارع الأحداث كانت تعجل للقيام بعمل ما وخاصة من قبل الجيش إن تثبت إن الاستعمار الانجليز بمخابراته النشطة والمعروف بالتجائه إلى مثل هذه الأساليب من حرق وقتل واتخاذها ذريعة لإحداث ثورة مضادة وإخماد الحركة الوطنية هو المسؤول عن ذلك، ومن المسلم به تماما إن مصر عاشت فترة الثورة المضادة القصيرة الأمد منذ 26 يناير 1952، وجدير بالذكر أن بيانات الضباط الأحرار عقب الحريق في 26 يناير كانت تتضمن في تحليلها إن الانجليز والمخابرات على حد سواء إذ أن القوى السياسية والاجتماعية في مصر في ذلك الحين كانت تتصف بالبرجوازية والعجز عن القيام بثورة أو حركة تغيير، أي أن يكون تغييرا في سياسة النظام الحاكم وليس تغيير الحكومة فقط وكانت الجهة التي استطاعت القيام بذل العمل هو تنظيم

¹ - المرجع نفسه، ص ص 513-514.

² - المرجع نفسه، ص 516.

الضباط الأحرار وكان قد عرف الملك يأمر هؤلاء الضباط وتنظيمهم يعد تحديهم له في انتخابات نادي الضباط، وكان عليهم أن يسبقوه في التحرك، وأن يضربوا ضربيتهم، ويقوموا بالانقلاب الذي كانوا يعدون أنفسهم له قبل أن يعمل هو على تصفيتهم نهائيا من الجيش وتضيع عليهم الفرصة¹.

هكذا وجدت نواة في الجيش المصري من أبناء الطبقات الشعبية التي تشاركها آلامها وتستشعر باتجاهاتها الوطنية، وبمعنى آخر وجدت الطليعة في الجيش المصري التي رفضت أن نضع نفسها في خدمة السراي، وربطت نفسها بالقوى الوطنية والشعبية، وتم تشكيل تنظيم (الضباط الأحرار) بشكل سري في أوائل الأربعينات، وأعيد تنظيمه في أواخر عام 1949 وعقب حريق القاهرة ونزول الجيش إلى الشوارع بناء على أوامر الملك لقمع المظاهرات الشعبية التي كانت تنادي بسقوطه وسقوط النظام الملكي عموما، وزع الضباط الأحرار منشورا أهاب أولا بالجيش ألا يكون أداة في يد الطاغية يضرب الشعب، كما أوضح ثانيا أن الجيش لن يقف ضد المظاهرات الشعبية ولن يرغم الشعب على قبول نظام لا يقبله، وأكد ثالثا أن الجيش قد صار ملتحما مع الشعب في نضاله الوطني الرائع²، وفوجئ المواطنون في الساعة السابعة والنصف من صباح الأربعاء 23 يوليو 1952 ببيان تذييعه الإذاعة المصرية باسم القائد العام القوات المسلحة، ويعلن انتفاضة الجيش المصري على الطغيان وعلى الفساد الذي انتشر في البلاد³.

اجتازت الثورة خطواتها الأولى بنجاح ملحوظ، وكان عليها أن تبدأ مرحلة التحرر الوطني، وذلك بمواجهة السيطرة الداخلية المستقلة القائمة على تحالف الإقطاع والرأسمالية من ناحية والسيطرة الخارجية المعتدية المتمثلة في الاستعمار الرابض على ضفاف القناة من ناحية أخرى ولم يكن الثورة تملك وقتئذ من دليل العمل غير المبادئ، والأهداف السنة التي وضعتها أسلوب للعمل والتحرر الوطني لتحقيق أهداف وهي:

¹ - حسن عون، أبرز ملامح ثورة يوليو، دار المعارف بمصر، مطبعة المغرب، 1969، ص 36.

² - عمر العزيز عمر، دراسات في تاريخ مصر الحديث المعاصر، المرجع السابق، ص 516 - 517.

³ - فعلا أن أفراد الشعب المصري في مختلف مدن القطر وقراه، قد استقبلوه (الحركة المباركة) - كما كان يطلق على الثورة وقتئذ - بالفرح والبشر والارتياح، وذلك منذ أن استعملوا إلى بيانها الأول، وشعر الشعب أن الحركة ليست لحساب الجيش فقط، بل ولحسابه أيضا، فطفقوا يعلنون عن تأييدها بطرق شتى، وانفجرت موجه التأييد الشعبي للثورة تكتسح على شيء وعهد للعمل القادم العظيم. أنظر إلى عمر العزيز عمر، المرجع السابق، ص 517.

- 1- القضاء هي الاستعمار وأعوانه.
- 2- القضاء على الإقطاع وسيطرة رأس المال.
- 3- القضاء على الاحتكار.
- 4- إقامة عدالة اجتماعية سليمة.
- 5- إقامة جيش وطني قوي.
- 6- إقامة حياة ديمقراطية سليمة¹.

وهذه المبادئ والأهداف الستة التي صاغها جمال عبد الناصر هي التي حددت معالم تمام ثورة يوليو، ووضعت الحلول للمشاكل القاسية التي كان يعانيها المجتمع المصري عند قيام الثورة، والتي كانت على الثورة أن توجيهاها لكن تنقل مصر من عهد الإقطاع والاستغلال إلى عهد تسوية مبادئ الحرية والعدالة الاجتماعية، وبذلك كانت للثورة يوليو 1952 في جوهره وحقيقتها أمرها ثورة سياسية اجتماعية، وتضمنت هذه المبادئ الستة حصيلة تجربة ماضية عاشت خلال قائد الثورة فكان لها أكبر الأثر في بلورة أفكار ومعتقداته.

ب- الثورة الجزائرية:

اندلعت الثورة الجزائرية في الأول من نوفمبر عام 1954 بعد تأسيس اللجنة الثورة للوحدة والعمل، حيث نادى الثورة بالاستقلال وإنشاء دولة الجزائرية ديمقراطية مستقلة ذات أسس إسلامية، بعدها تم تأسيس جيش التحرير الذي كانت مهمته تجنيد الحشود الجزائرية ضد الفرنسيين، ووضعوا خطة متكاملة للحرب وخريطة المناطق الجزائرية وعنوا قادتها وتجهزوا للانطلاق.

1- ميلاد جبهة التحرير الوطني:

كانت لثورة أول نوفمبر 1954م أسباب عامة، و أسباب مباشرة، أدت إلى اندلاعها فمن الأسباب الغير المباشرة نجد أن مجازر الثامن ماي 1945م التي اعتبرها الكثيرون ثورة فاشلة قام بها الوطنيون الجزائريون ضد الوجود الفرنسي في بلادهم، فاستحقوا بذلك القمع الشديد²،

¹ - المرجع نفسه، ص 518.

² - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائر 1930، الجزء الأول، ط3 (منقحة)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 223.

فكانت ضريبة قاضية للحركة الوطنية، أثبتت للشعب وللمناضلين بأن تحرير الجزائر لا يمكن أن يتحقق بوسائل (اللاعنف أو الثورة بالقانون)، وأن الاستعمار الفرنسي لا يمكن أن يسلم بحق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال إلا بالقوة والعنف، فلقد خرج الشعب الجزائري من الحرب العالمية الثانية محطما منهوك القوى، ماديا ومعنويا وكان الحزب يعاني من الإرهاب الاستعماري والتنكيل بأعضائه ومناضليه وأجهزته، بصفة مستمرة وبقية الأحزاب الأخرى لم تكن تؤمن بمنطق الثورة المسلحة، أو أنها كانت ترهب العنف ونتائجه تماشيا مع ميولها وأيديولوجياتها المختلفة، وإلى جانب هذه الأوضاع العامة السياسية العفنة، كان الشعب الجزائري في هذه الفترة يعاني بؤسا اجتماعيا خطيرا، يتجسم في الكلمات الثلاث: الفقر المدقع والجهل المطبق والمرض¹.

أما الأسباب المباشرة التي عجلت بتنفيذ الفكرة، هو تعرض حزب حركة انتصار من أجل الحريات الديمقراطية الواجحة القانونية لحزب الشعب الجزائري، خلال سنتي 1953-1954 إلى أزمة عنيفة انتهت بتفتته وبنشوء جبهة التحرير الوطني واندلاع ثورة أول نوفمبر، ولهذا الأزمة أهمية كبيرة في التاريخ الحديث، ليس فقط لتفسير نشأة جبهة التحرير، هذا هو الأهم وأعطت في رأي بعض الكتاب النموذج النظري لمختلف الأزمات².

يرى فرحات عباس أن الجيل القديم قد وضع المبدأ في حين يريد الجيل الجديد العمل المباشرة فكانت الأزمة صراع بين القديم والجديد³، يفسر البعض الابتعاد عن الطريق الثوري بسب استحواذ العناصر البورجوازية الجديدة على قيادة الحزب⁴، وظاهرة انعدام الديمقراطية تماما في العلاقات وتركيز السلطة في جهاز بيروقراطي وانفصال القمة عن القاعدة فكلها كانت من الأسباب احتدام هذه الأزمة، مما أدى إلى انقسام إلى قسمين المصالحين والمركزيين ونشأت تيار

¹ - يحيى بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج2، المرجع السابق، ص ص 124-125. أنظر إلى:

- Le régime législatif de l'Algérie, N° 24. 30 Dec 1949 .

² - Vatin (J. C) et Leca (J): L'Algérie Politique, institutions et régime, ED. F.N.S.P, Paris, 1975, p 331.

³ - الأمين شريط: التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية (1919-1962)، المرجع السابق، ص 77.

⁴ - M. Harbi: le FLN, Mirage et réalité, ED , jeune Afrique, 1980, p 99.

جديد كان هدفه الأساسي هو التوفيق بين التيارين المتصارعين لتحقيق وحدة الحزب وحل الأزمة عن طريق دفعه إلى العمل الثوري¹.

جاءت مبادرة إنشاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل في مارس 1954 من طرف محمد بوضياف² وديدوش مراد³ والعربي بن مهدي⁴ ومصطفى بن بولعيد⁵ ورايح بيطاط⁶، وبعد تأسيسها اقترح بن بولعيد تنظيم لقاء التنسيق والتعاون ووضع حد للصراعات المصاليين والمركزيين، نوقشت قضية التنسيق والتعاون للإعداد الثورة المسلحة وكانت وجهات النظر متفقة تقريبا على كل الأمور والمشاكل⁷، تابع أعضاء اللجنة الثورية عقد اجتماعات السرية بين مارس أكتوبر

¹ - كان معظم هؤلاء الشباب من مناضلين حركة انتصار الحريات الديمقراطية ، وسيقت لهم الخدمة الفعلية في الجيش الجزائري والمنظمة الخاصة، حاول المناضلون الثوريون أن يوفقوا بين وجهات نظر الطرفين المتناحرين، واهتدوا إلى تشكيل هيئة أخرى جديدة، أطلقوا عليه (اللجنة الثورية للوحدة والعمل) انظر إلى: بسام العسلي: جبهة التحرير الوطني الجزائري، ط1، دار النفائس، بيروت، 1984، ص ص 17-18.

² - محمد بوضياف: ولد سنة 1919، انضم بعد مظاهرات ماي 1945، كلف بإدارة المنظمة الخاصة بناحية قسنطينة، كان له الفضل في لم شمل مجموعة الـ22، اختطفته فرنسا مع زملائه في 22 أكتوبر 1956، ومكث في السجن إلى غاية سنة 1962، عين وزيرا في الحكومة المؤقتة الأولى والثانية ثم نائبا لرئيسها في الحكومة الثالثة، عارض نظام السيد بن بلة ثم نظام هواري بومدين، اختار المنفى إلى غاية سنة 1992 حيث عاد إلى الجزائر كرئيس للمجلس الأعلى للدولة من بداية شهر فيفري إلى يوم إغتياله في 29 جوان من السنة نفسها. أنظر، محمد حربي، الثورة الجزائرية، سنوات المخاض، ترجمة: نجيب عباد، صالح المثلوثي، ط موفم للنشر، الجزائر 1994، ص 186.

³ - ديدوش مراد (1927-1955): ولد بالمرادية بالعاصمة، انظم إلى صفوف حزب الشعب الجزائري سنة 1942، أنشأ فرقة الكشافة الإسلامية سنة 1946، كان من أبرز أعضاء المنظمة الخاصة، شارك في إنشاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل، شارك في اجتماع الـ22 في جوان 1954 من أبرز محرري بيان أول نوفمبر 1954، عين كقائد للمنطقة الثانية في الشمال القسنطيني، سقط شهيد في جانفي 1955 إثر معركة بدوار الصوادق وهو لم يبلغ سن الثمانية والعشرون. أنظر إلى القرص المضغوط لوزارة المجاهدين تاريخ الجزائر 1830-1962.

⁴ - العربي بن مهدي (1923-1957): ولد بعين المليلة من أبرز قادة الثورة الجزائرية، شارك في مظاهرات 08 ماي 1945، مسؤول على منطقة الجنوب في المنظمة الخاصة سنة 1974، من أعضاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل، قائد المنطقة الخامسة عند اندلاع الثورة، عضو لجنة التنسيق والتنفيذ ألقى عليه القبض في فيفري 1957 وقتل تحت التعذيب، أنظر إلى صالح بلحاج: تاريخ الثورة الجزائرية، دار الكتاب الحديث الجزائر، 2008، ص 705.

⁵ - مصطفى بن بولعيد (1917-1956): ولد بآريس ولاية باتنة انحرف في حزب الشعب سنة 1945، من مؤسسي المنظمة الخاصة، ترأس اجتماع 22، قائد المنطقة الأولى ومن زعماء الثورة، ألقى عليه القبض في 12 فيفري 1955 وتمكن من الفرار بعد أن حكم عليه بالإعدام وعاد للقيادة واستشهد في 23 مارس 1956، أنظر إلى صالح بلحاج، المرجع السابق، ص 705.

⁶ - رايح بيطاط (1925-2000): ولد بعين التين قسنطينة، خلال ح ع 2 انظم إلى حزب الشعب، ثم عضو في المنظمة الخاصة، ظل متابعا من طرف السلطات الفرنسية منذ 1951، وعضو في اللجنة الثورية للوحدة والعمل، قائد الولاية الرابعة عند اندلاع الثورة، يعتقل يوم 23 مارس 1955، عضو المجلس الوطني للثورة الجزائرية، شارك في حركة جوان ويؤيد انقلاب العقيد بومدين 1965 ويشغل عدة مناصب وزارية، أنظر، محمد حربي، الثورة الجزائرية، سنوات المخاض، المرجع السابق، ص 188.

⁷ - يحيى بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرون، الجزء الثاني، المنقحة ومزودة، منشورات المتحف الوطني للمجاهدين، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1996، ص 115.

1954 اتفقا على حمل السلاح ضد الاستعمار، وسرعان ما انظم إليهما الزعماء الأربعة الآخرون وحددوا المسؤوليات والأهداف واتخذوا في اجتماعهم التاريخي الذي عقده في العاشر من أكتوبر قرارهم الخطير بالبدء الثورة في ليل عيد جميع القديسين أي في الساعة الواحدة من صباح الأول نوفمبر .

انظم عدد من أنصار اللجنة المركزية إلى الحركة، لكن جميع المحاولات التي بذلت لإقناع مصالي الحاج والمقرين بالعودة إلى جماعة باءت بالفشل، هكذا بدأت الثورة وتحولت اللجنة الثورية للوحدة العمل عشية يوم الثورة إلى جبهة التحرير الوطني الناحية السياسية، وجيش التحرير إلى الناحية العسكرية¹.

بذلك تحملت جبهة التحرير الوطني ثقل المسؤولية التاريخية، ليس في الثورة فقط بل أيضا في عهد الاستقلال الوطني لمدة 26 سنة من معركة البناء والتشييد. وبهذا التزمت جبهة التحرير الوطني في مبادئها بتحقيق الحرية والاستقلال للشعب حيث قامت في بداية عملها بتقسيم القطر الجزائري إلى ولايات وتوزيع المهام على أعضاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل، هذا التقسيم كان كالتالي:

— الولاية الأولى: الأوراس (النمامشة)، وقائدها: مصطفى بن بولعيد.

— الولاية الثانية: الشمال القسنطيني، وقائدها: مراد ديدويش.

— الولاية الثالثة: القبائل الكبرى، وقائدها كريم بلقاسم.²

— الولاية الرابعة: الجزائر العاصمة، و قائدها: رابح بيطاط.

¹ - بسام العسلي: جبهة، المرجع السابق، ص ص 18-19. أنظر إلى:

-STORA Benjamin : Histoire de l'Algérie coloniale 1830-54, Ed. La Découverte, 1991 .

² - كريم بلقاسم: ولد سنة 1922، انخرط في صفوف حزب الشعب سنة 1954، أصبح مسؤول الحزب بمنطقة القبائل، التحق بالقيادة الخماسية التي أعدت للثورة، عين قائدا للمنطقة الثالثة، أصبح فيما بعد من أبرز قادة الثورة حيث تولى مهام عليا أبرزها وزيرا للخارجية في الحكومة المؤقتة الثانية ووزيرا للداخلية في الحكومة الثالثة، قاد وفد التفاوض في محادثات إيفيان، =شكل بعد سنة 1962 جبهة معارضة للحكم، اتهم بمحاولة قلب نظام الرئيس هواري بومدين، اغتيل في شهر أكتوبر 1970 بفرانكفورت بألمانيا. أنظر، محمد حربي، الثورة الجزائرية، سنوات المخاض، المرجع السابق، ص 188.

— الولاية الخامسة: وهران، وقائدها: العربي بن مهدي.

أما الصحراء الكبرى فقد قسمت نشاطاتها الثورية والسياسية بين الولاية الثالثة — القبائل الكبرى والولاية الرابعة — الجزائر العاصمة، وأما محمد بوضياف فقد كمنسق بين أعضاء جبهة التحرير الوطني في الداخل والخارج، بالإضافة إلى أحمد بن بلة¹ ومحمد حيزر² وحسين آيت أحمد³ أرسلوا كوفد إلى قاصر للتعريف بالثورة التحريرية وشرح وإبعادها وأهدافها السياسية وتسجيلها ضمن الحركات التحريرية في العالم.

2- بيان أول نوفمبر 1954 وأهداف الثورة الجزائرية:

¹ - أحمد بن بلة: ولد سنة 1916، انظم بعد سنة 1945 إلى حزب الشعب الجزائري، ترأس المنظمة سنة 1949، اعتقل سنة 1950 بحادثة بريد وهران، فرمن السجن في مارس 1952 ليلتحق بالقاهرة، مسؤول التسليح في الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني، اعتقل مع رفقائه في عملية اختطاف الطائر، عين وزيرا للدولة في الحكومة المؤقتة الأولى ثم نائبا لرئيس الحكومة في العهدين الثانية والثالثة، أول رئيس للجمهورية الجزائرية، انقلب عليه في 19 جوان 1965، بعد سنة 1980 اختار المنفى إلى غاية سنة 1989 حيث عاد إلى الجزائر، أنظر، محمد حربي، المرجع السابق، ص186.

² - محمد حيزر: ولد سنة 1912، ناضل في صفوف حزب الشعب الجزائري، انتخب سنة 1946 نائبا في الجمعية الوطنية الجزائرية، لجأ بعد حادثة وهران سنة 1950 إلى القاهرة ليصبح مسؤولا عن وفد الحزب هناك، كلف بعد اندلاع الثورة برئاسة الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني، اعتقل في عملية القرصنة الفرنسية المشهورة في 22/10/1956، عين وزيرا للدولة في الحكومة المؤقتة (1958-1962)، تولى بعد الاستقلال سنة 1962 الأمانة العامة لجبهة التحرير الوطني، بعد خلافه مع بن بلة استقر في مدريد حيث اغتيل في الرابع جانفي 1967. أنظر، محمد حربي، المرجع السابق، ص190.

-Mohamed Harbi :Le FLN mirage, Op Cit P396.

³ - حسين آيت أحمد: ولد سنة 1926، انضم إلى حزب الشعب سنة 1942، مسؤول المنطقة الخاصة (1948-1949) التحق بالقاهرة سنة 1951، وكان ضمن الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني، اعتقل أثناء عملية القرصنة على طائرة الوفد الخارجي، أطلق سراحه سنة 1962 عين وزيرا للدولة في الحكومة المؤقتة (1958-1962)، عارض النظام السياسي الجزائري، شكل سنة 1963 جبهة القوى الاشتراكية، وقاد تمردا مسلحا وهو ما أدى إلى اعتقاله وسجنه ليفر سنة 1966، واستقر بالمنفى حتى سنة 1989 حيث عاد إلى الجزائر. أنظر، محمد حربي، المرجع السابق، ص185 .

قبل أن تنطلق أحداث الثورة، حددت جبهة التحرير الوطنية وسائلها وأهدافها ومطالبها، في منشور عام وزعته ليلة أول نوفمبر، وبعد عرض أسباب الانتقال إلى العمل الثوري يعرض البيان اسم الحركة التي ستقود المعركة الحقيقية وهو جبهة التحرير الوطني، هذه الجبهة التي ستكون مفتوحة لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية لتنظيم إلى الكفاح التحريري دون أدنى اعتبار آخر، ينتقل أصحاب البيان إلى عرض البرنامج السياسي لهذه الجبهة حيث جاء فيه:¹

الهدف: الاستقلال الوطني بواسطة:

- إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن المبادئ الإسلامية.
- احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني.

تضمن البيان شروطا وتعهدات لفتح نقاش مع السلطات الفرنسية تجنباً لإراقة الدماء ورغبة في تحقيق السلم، أن اعترفت هذه السلطة الاستعمارية بحق الشعوب التي تستعمرها في تقرير مصيرها بنفسها، وهذه الشروط والتعهدات هي:²

1- الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية ملغية بذلك كل الأقاويل والقرارات والقوانين التي تجعل من الجزائر أرضاً فرنسية رغم التاريخ والجغرافيا واللغة والدين والعادات للشعب الجزائري.

2- فتح مفاوضات مع الممثلين المفوضين من طرف الشعب الجزائري على أساس الاعتراف بالسيادة الجزائرية وحدة لا تتجزأ.

3- خلق جو من الثقة وذلك بإطلاق سراح جميع المعتقلين ورفع كل الإجراءات الخاصة وإيقاف كل مطاردة ضد القوات المكافحة وفي المقابل:

¹ - محمد لحسن أزغيدى: مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1954-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989، ص221.

² - المرجع نفسه، ص 222.

- فإن المصالح الفرنسية، ثقافية كانت أو اقتصادية والمتحصل عليها بنزاهة ستحترم وكذلك الأمر بالنسبة للأشخاص والعائلات.
- جميع الفرنسيين الذين يربعون في البقاء بالجزائر يكون لهم الاختيار بين جنسيتهم الأصلية ويعتبرون بذلك كأجانب تجاه القوانين السارية، أو يختارون الجنسية الجزائرية وفي هذه الحالة يعتبرون كجزائريين بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات.
- تحديد الروابط بين فرنسا والجزائر وتكون موضوع اتفاق بين القوتين الاثنتين على أساس المساواة والاحترام المتبادل.

قام البيان بتوجه نداء إلى الشعب الجزائري يدعو للانضمام لمسعى الكفاح الوطني حيث جاء فيه: "إننا ندعوك لتبارك هذه الوثيقة، وواجبك هو أن تنظم إليها لانقاد بلادنا والعمل على أن نسترجع له حريته إن جبهة التحرير الوطني هي جبهتك وانتصارها هو انتصارك"¹.

قررت الطليعة الثورية الخروج من عقم النضال السياسي والدخول مباشرة في المقاومة المسلحة كحل وحيدة للتخلص من الاستعمار. فقد كانت الثورات دائما من صنع الطلائع التي تمهد وتقرر ثم تخطط وتجر الجماهير، بالتدرج إلى أن تقتنع بالفكرة، عندها يكون التبني والاحتضان اللذان لا بد لتحقيق النصر، وهذا ما دأبت عليه الثورة الجزائرية، حيث أنار بيان أول نوفمبر الطريق للمناضلين والجماهير الشعبية لاحتضان الثورة، ذلك أن ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة، فقرر هؤلاء المناضلون الوطنيون الواعون التوجه نحو تفجير الكفاح الثوري المسلح خاصة وأن الظروف الدولية والإقليمية كان ملائمة للقيام بذلك².

3- انفجار الثورة الجزائرية:

¹- المرجع نفسه، ص223.

²- أحمد منغور: موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية 1954-1962، ط1، دار التنوير للنشر والتوزيع، 2008، ص 72.

وبفعل اندلاع الأعمال المسلحة في 1 نوفمبر 1954 بمثابة حرب التحرير طويلة كانت الهجمات متعددة في أماكن مختلفة في منطقة خلال نفس الليلة، وظهر التزامن المنظم، نقطة تحول في السياسة¹، ووزع نداء الذي يعلن عن بداية الثورة، قد اشترك في الهجوم نحو إفين إلى ثلاثة آلاف مجاهد سلاحهم على الأغلب بنادق الصيد وأسلحة محلية أخرى، وبلغت جملة الحوادث التي حصلت في تلك الليلة: ثلاثين عملية فدائية، نتج عنها قتل ضابط وجنديين في باتنة وخنشلة، وجنديين من حراس الليل في بلاد القبائل، وتم إطلاق الرصاص على مراكز لشرطة، والقوا القنابل المحرقة... الخ

حقا فإن أهداف المرحلة الأولى لمخطط المعركة قد تحققت بشكل سريع نسبيا بفضل فاعلية التنظيم الذي أقيم منذ البداية، وتحسنها موازية لتقدم المعركة، ولكن ذلك تم ببذل جهود وتضحيات لا حصر لها. أما اثر المفاجأة الذي تم الحصول عليه بعمليات الكوماندو التي تمت في الأيام الأولى من نوفمبر 1954، فأثما أضعفت بدرجة جدية، من قدرة الرد جدية، لدى العدو، الذي لم يستطع أن يعرف عن هذه الحركة ولا عن رجالها شيئا. وهذا ما يفسر حل حركة انتصار الحريات الديمقراطية الذي تم يوم 5 نوفمبر، وإيقاف عدد هام من أعضائه.

4- مسار الثورة:

مرت الثورة الجزائرية بمراحل أساسية كل مرحلة أعطت دفعا أساسيا مكتملة للمرحلة المقبلة متحدية للصعاب والعراقيل التي مارستها الإدارة الاستعمارية مصممة للوصول إلى الاستقلال مهما كان الثمن.

1-4 هجومات الشمال القسنطيني 20 أوت 1955.

الذين يزعمون بأن نوفمبر لم يسبق بثورة فكرية فأهم يجهلون حقيقة² لعللى أهم و أبرز تلك الأحداث هي التي ظهرت في صيف 1955 هي معالم سياسة النواة الجديدة للثورة الجزائرية، وتعتبر هذه الهجومات على الشمال القسنطيني منعطفًا تاريخيًا هامًا في مسيرة ثورتنا

¹ - Mahfoud Kaddache: et l'Algérie se libéra 1954-1962, c éditions, Paris- méditerranée, 2003, p 11.

² - محمد العربي الزبيري : المرجع السابق، ص ص 18 - 19.

التحريرية، إذ تميز الأحداث بشمولية العمل المسلح و استمراريته حيث قررت القيادة الثورية بمؤازرة الجماهير الشعبية في القلب المدن والقرى أن تشن هجوما أدخل الرعب في صفوف العدو المدجج بأحدث الأسلحة، فألحق خسائر فادحة بمنشآت الاقتصادية والعسكرية، وبذلك صدقت مقولة أحد رموز ثورة التحرير وقادتها الأوائل **محمد العربي بن مهيدي**: "ألقوا بالثورة إلى الشارع فسيحتضنها الشعب"، فبعد اتصالات عديدة تمت بين عدد من قادة الولايات الثانية والثالثة والخامسة بعد تلقي قائد الولاية الثانية **زيعود يوسف**¹ رسالة من قائد الولاية الأولى الذي تولى قيادة الثورة في الأوراس، يطلب فيها من **زيعود يوسف**، أن يقوم بعمل ما "لتخفيف الضغط الاستعماري المفروض"، هكذا وجد قائد الولاية الثانية نفسه مضطر إلى قيام بمبادرة وعدم الانتظار الكثير من قادة الأصليين²، قام بتنظيم عمليات 20 أوت 1955 وذلك بقصد تخفيف الضغط على الأوراس، وقيام بعمليات جماعية وجماهيرية أي بمشاركة الشعب الذي ينبغي أن يحرر نفسه بنفسه وقد تقرر إن تكون العمليات في منتصف النهار أي ليس في الخفاء وكان القصد من ذلك الجاهرة بالثورة وقطع كل الصلات مع الاستعمار³.

سطرت الثورة الجزائرية من خلال هجومات الشمال القسنطيني عدة أهداف سعت من خلالها على إنجاح مسيرة الثورة الجزائرية وضرب الاستعمار نذكر:

- فك الحصار المضروب على منطقة الأوراس وبعض المناطق المجاورة لها.

¹ - **زيعود يوسف (1921-1956)**: من مفجري ثورة الفاتح من نوفمبر، قائد سياسي وعسكري لمنطقة الشمال القسنطيني، ولد ببليدة السمندر الخوط في صفوف حزب الشعب واستمر في نضاله حيث قام بتنظيم الجناح العسكري = للمنظمة الخاصة، ولما اكتشفت هذه الأخيرة سنة 1950، يعتقل ويسجن ولكنه تمكن من الفرار سنة 1951، قام بالتحضير للثورة الجزائري ضمن اللجنة الثورية للوحدة والعمل، مهندس ومنظم هجومات الشمال القسنطيني 20 أوت 1955، من لبن الأعضاء الدائمين في المجلس الوطني للثورة الجزائري و استشهد يوم 23 سبتمبر 1956، أنظر عبد الكريم بوصفصاف وآخرون، حرب الجزائر و مراكز الجيش الفرنسي للقمع والتعذيب في ولاية سطيف، دار البعث قسنطينة الجزائر 1998، ص ص 143-147.

² - قال **زيعود يوسف** عشية التحضير لـ 20 أوت 1955 بهذا الخصوص: «أنا يجب أن نتحمل الأعباء مع الأوراس، وإذا بقيت العمليات مكثفة هناك وبقي الأوراس وحده فسوف تضع الثورة، يقضي عليها العدو» ينظر إلى **أحسن بومالي**: المرجع السابق، ص 112.

³ - **عمار بوحوش**: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 388.

- تحطيم أسطورة الجيش الذي لا يقهر، فقد أثبت هجوم 20 أوت 1955 قدرة جبهة التحرير الوطني على التخطيط والتنسيق والتنفيذ، وضعف دفاع العدو أمام هجومات جيش التحرير الوطني المدعم بالجماهير الشعبية.
- تعبئة الشعب الجزائري وجماهيره لإمداد جيش التحرير الوطني.
- فكرة القيادة في الداخل بأن تقوم بعمل عسكري حتى تكون هذه الأعمال سندا للمثليين السياسيين في الخارج.
- تكذيب أقاويل وإدعاءات الاستعمار بتبعية الثورة الجزائرية لبعض العواصم الخارجية، وإثبات وطنية الثورة وشعبيتها¹.
- كسب انضمام كل تيارات الحركة الوطنية والشخصيات السياسية الجزائرية المرتبطة بالأحزاب في صفوف جبهة التحرير الوطني لتوحيد جهودها من أجل الاستقلال.
- سياسة سوستيل الإصلاح عجلت بالقيام بمثل هذا الهجوم حتى تجهض الثورة كل المناورات الفرنسية والقضاء نهائيا على سياسة الإصلاحات المزعومة.

كانت من نتائج هجوم 20 أوت 1955 انتقام فرنسا من الجزائريين الأبرياء حيث اعدم 1300 جزائري ويؤكد مراسل (نيويورك تايمز) بأن الأوروبيين بعدما فقدوا 71 شخصا في حوادث 1955 نظم أنفسهم في مليشيات وقاموا بقتل جماعي ضد المسلمين حيث تجاهل الفرنسيون كل الاتفاقيات المبرمة حول التعامل مع الأسرى والمساجين في الحرب، خاصة اتفاقيات جنيف التي وقعتها فرنسا²، بل تمت الإعدامات بالجملة وبدون محاكمة استطاعت هذه الهجومات القضاء على ما تبقى من التعايش بين المجموعتين الأوروبية والمسلمة³، سقطت فكرة (الاندماج

1 - أزغيد محمد لحسن: المرجع السابق، 93.

2 - اتفاقية جنيف: هي عبارة عن أربع اتفاقيات دولية تمت صياغة الأولى منها في 1864 و أخيرتها في 1949 تتناول حماية حقوق الإنسان الأساسية في حالة الحرب، أي طريقة الاعتناء بالجرحى والمرضى وأسرى الحرب، حماية المدنيين الموجودين في =ساحة المعركة أو في منطقة محتلة إلى آخره. كذلك نصت اتفاقية جنيف على تأسيس منظمة الصليب الأحمر تسمى اليوم بـ"منظمة الصليب الأحمر والهلال الأحمر الدولية" كمنظمة دولية محايدة لمعالجة شؤون الجرحى وأسرى الحرب. عند صياغة الاتفاقية الرابعة في 1949 تم كذلك تعديل نصوص الاتفاقيات الثلاثة السابقة ودمج النصوص الأربعة في اتفاقية موحدة. تلحق باتفاقية جنيف ثلاثة بروتوكولات وهي عبارة عن إضافات وتعديلات للاتفاقية الأصلية. تم إلحاق البروتوكولات بين 1977 و2005. انضم إلى اتفاقية جنيف 190 دولة، أي عموم دول العالم تقريبا، مما يجعلها أوسع الاتفاقيات الدولية قبولا، وجزء أساسي مما يسمى بالقانون الدولي الإنساني. ينظر إلى <http://ar.wikipedia.org>

3 - صالح فركوس: المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفنيقيين إلى خروج الفرنسيين، دار العلوم للنشر والتوزيع عنابة، الجزائر 2002 ص263.

التام) التي كان جاك سوستيل¹ يؤمن يدعو إليها لم يبقى تفاؤل الحاكم العام سوستيل شيء، بعد انتفاضة الشمال القسنطيني الواسعة².

لقد عملت أحداث 20 أوت 1955 على دفع المسيرة الثورية نحو الأمام، وبعث روح الأمل من جديد في صفوف المجاهدين والشعب معاً، لم تبق الثورة محصورة في مناطق الأحداث فحسب، بل اتسعت الهجومات لتشمل مناطق الأحداث فحسب، بل اتسعت الهجومات لتشمل مناطق مختلفة من التراب الوطني. ومما زاد في تعزيز صفوف الثورة انضمام التشكيلات السياسية الوطنية في صفوفها كأفراد وعزمهم على مساندة القضية التي تدافع عنها جبهة التحرير الوطني³.

4-2 مؤتمر الصومام 20 أوت 1956 :

بعد مؤتمر الصومام أهم اجتماع هياكلها وأجهزتها السياسية والعسكرية، كما تبلورت خلاله إستراتيجية توحيد جميع الجزائريين لمواجهة الاستعمار والانتصار عليه، وهي الإستراتيجية المستمدة من بيان أول نوفمبر، الذي أكد أن جبهة التحرير الوطني تتيح الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية، وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية أن تنظم إلى الكفاح التحرري دون أدنى اعتبار آخر.

لقد درس المؤتمر مختلف القضايا المعروضة عليه، وناقشها ثم خرج بجملة من القرارات المهمة، والتي مختلف الجوانب التنظيمية والعسكرية والسياسية وهي:

¹ - جاك سوستيل (1912-1990): مفكر فرنسي محنك في السياسة من مؤسسي الحركة الديغولية سنة 1947 RPF، وخبير في المجتمعات البدائية التي درسها في أمريكا اللاتينية فكان لا بد من السلطات الاستعمارية من الاستنجد بدهائه وخبرته، أصبح والي عام في الجزائر ما بين 1955-1956، كان ممن صنعوا حركة ماي 1958 ثم تحول إلى معارضة ديغول منذ 1960، ألف عدة كتب عن المشكلة الجزائرية وعن المكسيك حيث تخصص في الدراسات الآثنية عنها.

² - محمد حربي: المرجع السابق، ص 147.

³ - محمد لحسن أزعيدي: مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الجزائرية، المرجع السابق، ص 100.

- قرر المؤتمر تقسيم البلاد إلى ستة مناطق واستبدال لفظ المنطقة بالولاية وتقسيم إلى مناطق نواحي والناحية إلى قسمات¹.
- تناولت العسكري والرتب العسكرية والمرتبات والمنح العائلية².
- أقر المؤتمر كذلك الألفاظ المستعملة في صفوف جيش التحرير الوطني وهي: (المجاهد، المسبل، الفدائي)³.
- تأسيس المجلس الوطني للثورة ويتكون من 34 عضوا منهم 17 دأئمون و17 مساعدون.
- لجنة التنسيق والتنفيذ وضمت بن يوسف بن خدة، عبان رمضان، العربي بن مهيدي، كريم بلقاسم، سعد دحلب.
- المجالس الشعبية وتشكل بواسطة الانتخابات، وتنظر في القضايا العادلة والإسلامية، والمالية، والاقتصادية، والشرطة⁴.
- العلاقة بين الداخل والخارج قرر المؤتمر إعطاء الأولوية للداخل على الخارج مع مراعاة مبدأ التشارك في الإدارة⁵.
- خرج المؤتمر كذلك بميثاق الصومام الذي عالج القضايا الجزائرية في حاضرها ومستقبلها وشكل عصارة الفكر السياسي لقادة الثورة الجزائرية التي في تحويل جبهة التحرير الوطني إلى المنظمة الوطنية الحقيقية الوحيدة، ونفوذها في عامة القطر الجزائري، وقد حققت تفوقها على سائر الأحزاب السياسية، وبرز الميثاق أن الكفاح الوطني يهدف إلى تدمير حكم الاستعمار الفوضوي وأنه ليس جهادا دينيا، وأن الثورة هي السير إلى الأمام في الاتجاه التاريخي للإنسانية، وليست

¹ - المرجع نفسه، ص 124.

² - أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص238.

³ - المصدر نفسه، ص244.

⁴ - أزغيد محمد لحسن، المرجع السابق، ص124.

⁵ - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص ص 244 - 246.

رجوعا إلى النظام الإقطاعي وأنها كفاح في سبيل نهضة دولة جزائرية في شكل جمهورية ديمقراطية اجتماعية بما يتطابق مع بيان أول نوفمبر¹.

5- مظاهرات ديسمبر 1960:

كان كلما زادت سنوات الحرب في الجزائر بالطبع كان ذلك يكلف فرنسا خسائر مادية والبشرية. وأخيرا تهديدها بحرب أهلية في فرنسا بين جيوشها وبين الفرنسيين بالجزائر، وكان على الجنرال ديغول الإسراع لإنقاذ فرنسا قبل فوات الأوان. خاصة لما يتمتع به من تجارب وخبرة في الحروب، و لأن الجزائر جزائرية كما قال، ولا بد للشعب الجزائري أن يستقل مهما طال الزمن أم قصر... لذلك قرر القيام بزيارة خاصة عبر مناطق القطر الجزائري لمدة أسبوع كامل للإطلاع على الحقائق الملموسة ورأي الشعب الجزائري في تقرير مصيره، وكذلك الإطلاع على رد فعل الفرنسيين أو المعمرين بالجزائر وموقف الشعب الفرنسي أيضا، ولهذا المظاهرات ديسمبر 1960 نتائج بالغة الأهمية، بالنسبة لمسيرة الثورة الجزائرية على المستوى الداخلي والخارجي:

نتج عن المظاهرات خسائر فادحة في الأرواح تفاوتت تقديراتها وإحصائياتها المتضاربة بين الطرفين الجزائري والفرنسي: فالأرقام الجزائرية تفر بأكثر من 800 شهيد عبر التراب الوطني خلال المظاهرات الأسبوعية. وأكثر من 1000 جريح، واعتقال أكثر من 1400 جزائري من النساء والصبيان والشيوخ.

- إبراز الوحدة الوطنية الشعبية والترايبية في وحدة الصف الوطني وراء قيادة جبهة وجيش التحرير الوطني وحكومته الناطق الرسمي باسمه.
- التحرر من عقد الخوف والمجابهة مع القوات الفرنسية المتفوقة عدة وعددا، والتحاق ضعاف النفس والمرتدين بصنوف الثورة...
- أدت المظاهرات إلى انتقال المعارك الطاحنة والمواجهة مع قوات العدو في المدن والقرى لتخفيف الضغط على المجاهدين في الجبال والصحاري، وتفتت القوات الفرنسية الشيء

¹- أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 249.

الذي أدى إلى تحطيم الأسطورة الفرنسية وترسانتها العسكرية المعززة بجنود وسلاح الحلف الأطلسي ومن المرتزقة واللفيف الأجنبي¹.

- تشديد وحدات جيش التحرير الوطني في الجبال والصحاري، داخل المناطق وعلى الحدود، معاركها وهجماتها على القوات الفرنسية ومصالحها الإستراتيجية والاقتصادية، وتكثيف العمليات الفدائية والمدن ضد المعمرين والعملاء.

في العالم الخارجي انعقدت الاجتماعات الشعبية والمنظمات الجماهيرية من الطلبة، والعمال، والنساء، والفلاحين، والتجار، والموظفين، والحرفيين، والجمعيات والهيئات الثقافية والعلمية والدينية، والأحزاب السياسية وغيرها من الهيئات القومية الوطنية، في مسيرات ومظاهرات وتجمعات وندوات عبر مدن وقرى العالم العربي في تضامن وتأييد للشعب الجزائري في كفاحه العادل².

قامت الجمعية العامة للأمم المتحدة بعد انتهاء المناقشات يوم الأربعاء حول القضية الجزائرية بالمصادقة على لائحة الكتلة الآسيوية الإفريقية التي تنص على إشراف الأمم المتحدة ومراقبتها لتقرير المصير في الجزائر، وقد كانت التصويت على اللائحة كفقرات تم التصويت على مجموعة إذ أحرزت اللائحة العامة للقضية الجزائرية على 80 صوت وامتناع 08 دول دون معارضة.

6- المفاوضات:

تجمع كبار المحللين السياسيين و العسكريين في العالم أن الحرب بين طرفين أو قوتين ما هي إلا نوع من التفاوض ، تستخدم فيه البندقية و المدفع و الطائرة و الدبابة كوسيلة للتخاطب يحاول عن طريقها كل طرف من الأطراف أن يسمع صوته للطرف الآخر ، و يجبره على الاعتراف بحقوقه و الإصغاء لمطالبه.

1 - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص ص 46-47.

2 - المرجع نفسه، ص48.

لم تشذ حرب الجزائر التحريرية التي خاضها الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي عن هذه القاعدة فبعد أن أصمت فرنسا أذنيها عن سماع صوت الشعب الجزائري ورفضت حتى مجرد فكرة إعطاء الجزائريين حقوقهم السياسية التي كانوا يطالبون بها عن طريق الأحزاب و الجمعيات الوطنية لم يجد الجزائريون أمامهم أي وسيلة للتفاوض مع العدو سوى وسيلة العمل المسلح خصوصا بعد سقوط 45 ألف شهيد جزائري.

لذلك فقد لجأ الجزائريون إلى استعمال العنف الثوري والقوة المسلحة لإجبار المستعمر على مراجعة حساباته وتغيير أسلوبه في التعامل مع الشعب الجزائري وبالتالي الاعتراف بحق هذا الشعب في الحرية وتقرير مصيره أسوة بباقي الشعوب¹ لم يكن اللجوء إلى هذه الطريقة سوى ورقة أخيرة التي لا بد لأي شعب يريد الحرية أن يلعبها.

أن المعركة المفاوضات لا تقل خطورة عن معركة المسلحة فهي أيضا لها إستراتيجيتها وأساليبها كما أنها و الثورة عمل متكامل كما هو معلوم² والواقع أنه وقعت عدة اتصالات بين مندوبين عن جبهة التحرير الوطني ومندوبين عن مختلف الحكومات الفرنسية في فترات متعددة في أماكن مختلفة في سنة 1956³ لكنها كلها باءت بالفشل، والمفاوضات الجدية لم تبدأ إلا في عهد ديغول الذي تأكد من استحالة القضاء على الثورة الجزائرية بالوسائل العسكرية ورغم ذلك فإن المفاوضات الفرنسية اتبع سياسة المناورة للتهرب من المسائل الجوهرية وعدم الاعتراف الصريح بجبهة التحرير كمحاور أساسي ووحيد يمثل الثورة والشعب الجزائري.

كانت المبادرة الأولى أطلقها ديغول⁴ والتي اعتبرها شرطا أساسيا لفتح باب الحوار يقول: "تحدثت عن سلام الشجعان، ماذا يعني ذلك؟ يعني ببساطة ما هي ليتوقف هؤلاء الذين يطلقون النار وليعودوا بكرامتهم إلى عائلاتهم و أعمالهم..."¹

¹ - عمار قليل، المرجع السابق، ج3، ص 183.

² - بن يوسف بن خدة: شهادات ومواقف، الطبعة الأولى، دار النعمان للطباعة والنشر الجزائر، 2004، ص 131.

³ - كان أول اتصال وقع في الجزائر سنة 1956 بين مندوب عن مندس فرانس وبين عبان رمضان، يوسف بن خدة ثم حصل لقاء آخر في القاهرة بلغراد روما لقد كانت هذه اللقاءات والاتصالات بالنسبة للفرنسيين عبارة عن جس النبض.

⁴ - شال ديغول: ولد سنة 1890، أبرز شخصية فرنسية في القرن العشرين، انضم منذ صغره إلى الجيش الفرنسي شارك في الحرب العالمية الأولى 1914/1918، تدرج في الرتب فعين في لندن في لجنة تحرير فرنسا، بعد سقوط هذه الأخيرة في يد الألمان في جوان 1940، تولى تأسيس

أما المبادرة الثانية التي أخرجت مفاوضات هو إعلان الجنرال ديغول عن خطته في السياسة... تحت عنوان تقرير مصير والواقع أن تقرير مصير الذي اقترحه ديغول يعني بصريح العبارة فرض الخيار بين ثلاثة أمور: "الاستقلال، الفرنسية، أو المشاركة مع فرنسا"².

تأتي المبادرة الحقيقية لفتح باب الحوار والتفاوض مع الجبهة كانت دعوة الرئيس ديغول جبهة التحرير الوطني يوم 10 نوفمبر 1959 حيث جاء فيها "أقول مرة أخرى أنه إذا كان قادة الانتفاضة يريدون النقاش مع السلطان حول شروط إنهاء المعارك فباستطاعتهم القيام بذلك وأكرر أن الشروط ستكون مشرفة..."³.

وجوابا على تصريح ديغول بتاريخ 14 جوان 1960 التقى الوفد الفرنسي والجزائري في (مولان) (فرنسا) وقد فشل هذا اللقاء كما فشل غيره من اللقاءات لأن ديغول يريد ذلك وبعد انتظار ثمانية أشهر على لقاء (مولان) بدأت الاتصالات الجديدة وبالتحديد في شهر فبراير 1961 إذا كانت المفاوضات عسيرة وشاقة جدا وكان نجاحها يتوقف على وحدتنا وخاصة المستوى القيادي وعلى دعم الجماهير للجبهة وقد تجلى هذا الدعم القوي في المظاهرات من 10، 31 ديسمبر 1960 وتعتبر هذه المظاهرات بمثابة منعطف تاريخي عظيم في مسيرة الثورة الجزائرية.

مع إصرار الوفد على موقفه تخلى الطرف الفرنسي من إشراك أي كان في المفاوضات مع جبهة التحرير الوطني وبتاريخ 30 مارس 1961 أعلنت كل من الحكومة المؤقتة الجزائرية والحكومة الفرنسية في آن واحد بتونس وباريس والشروع في المفاوضات الرسمية يوم 07 أبريل 1961⁴، وتعتبر المفاوضات من جديد مع بقاء الاتصالات قائمة¹ وكانت المفاوضات تجري في

ورئاسة الجمهورية الرابعة، وبعد جانفي 1946 انسحب من الساحة السياسية اندلاع الثورة الجزائرية، حيث جيء به على إثر انقلاب 13/05/1958، ليشكل الجمهورية الخامسة بعد سقوط الجمهورية الرابعة ويحكم فرنسا إلى 1969، وتوفي سنة 1970 أنظر:

1- رضا مالك: الجزائر في إيفيان تاريخ مفاوضات السرية 1956-1962 ترجمة فارس عصون بالمؤسسة الوطنية للنشر والإشهار - الجزائر -

ودار الغاري - بيروت - ط1، 2003، ص ص 57-58.

2- عمار قليل، المرجع السابق، ج3، ص 187.

3- رضا مالك، المرجع السابق ص 70.

4- بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص ص 137-139.

جو مصحوب بالحذر و عدم الثقة و خاصة ديغول مصر على اقتطاع الصحراء عبر لقاءين آخرين (ببال) بسويسرا يومي 28-29 أكتوبر 1961، 09 نوفمبر 1961 وكانت المقترحات الفرنسية وأجوبة الحكومة المؤقتة عليها تدور حول كثير من النقاط ذات أهمية كبرى مثل وضع الأقلية الأوربية وازدواج الجنسية والقواعد العسكرية و العلاقات الثقافية و الاقتصادية و التجارب النووية والفضائية في الصحراء... الخ وقد كان **جوكس** حسب ما فهمه الوفد الجزائري حريصا على الوصول إلى اتفاق على وقف إطلاق النار فوافق على معظم الأجوبة التي قدمها الوفد الجزائري في لقاء بال الثاني.

ثم استأنفت المفاوضات يوم 07 مارس 1962 بصفة رسمية وقد ترأس **كريم بلقاسم** الوفد الجزائري ولم يوافق على الاتفاقيات إلا في يوم 18 مارس 1962 وقد تحقق فعلا وقف إطلاق النار من القوات الجزائرية والقوات المسلحة الفرنسية يوم 19 مارس 1962 على الساعة الثانية عشرة ظهرا².

¹ تعتبر المفاوضات تصريح لويس جوكس وزير الدولة المكلف بالجزائر في 8 أبريل 1961 بالجزائر ندوة صحفية عقدها بوهران لأعلن أن المفاوضات ستجري أيضا مع الحركة المصالية فرد الحكومة المؤقتة عقب هذا التصريح مباشرة بأنها تحضر مفاوضات إيفيان انظر: المصدر نفسه، ص 140 .

² - المصدر السابق ، ص ص 140-142 .

ثانيا: الثورة الجزائرية و تأثيرها بالثورات العالمية:

تعد ثورة أول نوفمبر من الثورات العالمية التي تأثرت كان لها التأثير على سواء في الميدان الداخلي أو الخارجي تميزت بخصائص مميزات ميزتها عن غيرها من الانتفاضات والمقاومة الوطنية التي سبقتها والتي مكن له من دون غيره من اقتلاع جذور الاستعمار ورموزه نهائيا من الجزائر من العديد من الدول الإفريقية والعربية والعالمية.

1- مقارنة الثورة الجزائرية ببعض الثورات في العالم:

تميزت الثورة الجزائرية بخصائص ومميزات ميزتها عن الثورات وجعلها من أعظم منها وأبلغ تأثيرا، كما ستوضح بالأثلة والأدلة يعد تشريح وتقييم الثورات السابق لها.

ما يلاحظ عن برامج ومشاريع الثورة، ذلك التجانس بينها في المسائل المتعلقة بالثوابت، والاستقلال الوطني، والمقومات الأساسية للمجتمع الجزائري: فقد بقيت مبادئ أهداف بيان أول نوفمبر 1954 هي نفسها سائدة في البرامج اللاحقة كمبدأ الوحدة، ومبدأ الحرية، ومبدأ العدالة الاجتماعية، ومبدأ الديمقراطية بمفهومه الكامل و الشامل، و الانتماء العربي الإسلامي.

يتجلى لنا ذلك في تأكيد معظم البرامج على الكفاح المسلح وضرورة تقويته والرغبة في الحلول السلمية عن طريق التفاوض الذي يعطي لكل ذي حق حقه، وتكرار هدف إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية، وربط الجزائر في أكثر من برنامج بماضيها الحضاري من خلال تبني هدف الوحدة المغاربية وتقوية التحالفات مع الدول العربية و تحديد طابع الثقافة الجزائرية كثقافة عربية إسلامية¹.

كما تتضح مظاهر التشابه في تأكيد معظم البرامج على الخطوط العامة للسياسة الخارجية الذي حددها بيان أول نوفمبر، وهي السياسة التي ترمي على تدويل القضية الجزائرية وإدماج الجزائر في محيطها الحضاري والجغرافي وتحرير الشعوب المستعمرة، وفي مقارنة أخرى، كانت إيديولوجية جبهة التحرير الوطني مرتبطة -في كل البرامج- ارتباطا السياسية من مستوى العمل

¹ - فتح الدين بن أزواو: إيديولوجية الثورة الجزائرية 1954-1962، دار الإرشاد للنشر والتوزيع، 2013، ص ص289-292.

الثوري العلمي الواعي لحركة التاريخ ولقوانين التطور الاجتماعي وهذا يعني - كما يقول بعض - إن تلك البرامج كانت تمثل صيغة جدلية لوحدة الفكر والممارسة.

قد خلت كل نصوص موثيق الثورة من العنف، و ما تأكيد تلك الموثيق على قبول السلم متى اعترف بالحق الشرعي للجزائريين إلا دليل على أن العنف ليس هدفا في - حد ذاته - من أهداف إيديولوجية الثورة الجزائرية. فالعنف في عرف الثورة الجزائرية لا يستعمل إلا في سبيل تحقيق الهدف السياسي العادل والمشروع، وما عدا ذلك فهو في نظرها يدخل في باب الفوضى والتطرف. وهو ما يثبت بأن الثورة الجزائرية ثورة منظمة ذات عقيدة وليست حركة فوضوية.

في جانب يشبه هذا الجانب، خلت برامج ومشاريع الثورة من كل تعصب أو تطرف ديني، ولا أدل على ذلك، تأكيد هذه البرامج، في كل مرة، على إقامة الدولة الجزائرية دون تمييز عرقي أو ديني، و تأكدها على احترام الأقليات. ولم نجد أي برنامج يخالف هذا التوجه وهو ما يثبت صفة الاعتدال والتسامح الديني التي اصطبغت بهما إيديولوجية جبهة التحرير الوطني.

أكدت برامج الثورة على سلطة الشعب ونظمتها بدءا من ميثاق الصومام - في إطار القيادة الجماعية، وهذا لضمان مسيرة الشرعية الوطنية، فإن هذه الخلافات - كما يقول البعض - لم تكن ذات طابع إيديولوجي أو مذهبي، وإنما تدخل في إطار الصراعات الشخصية¹.

ما عدا بيان أول نوفمبر الذي جاء في ظروف استثنائية و برنامج القاهرة (أوت 1957)، فإن كل برامج المشروع الإيديولوجي للثورة أعطت مكانة للمرأة الجزائرية المساهمة في الثورة إلى أن أصبح الاهتمام في بعض الموثيق مشروع داخلي وخارجي للمجتمع الجزائري² اهتمت خلاله تلك الموثيق بتسطير أفكار تتعلق بتحرير المرأة و تعليمها و محاربة الذهنيات المتحجرة بشأنها وإبراز دورها في الحياة الاجتماعية³.

¹ - المرجع السابق، ص ص 292 - 293.

² - CHICK Slimane: L'Algérie en armes ou le te ;ps des certitudes, opu, Alger,1981,p 331.

³ - فتح الدين بن أزواو ، المرجع السابق، ص 294.

نظرا لطبيعة التطور المحلي الذي ينطلق من الجزء إلى الكل، ويعتمد الاستقراء الواعي لظروف كل مرحلة برهاناتها و تحدياتها، لم تكن برامج الثورة متشابهة من حيث المردود الفكري، فبحكم أنه أول وثيقة إيديولوجية للثورة اكتفى بيان أول نوفمبر بتسطير الخطوط العريضة والمبادئ العامة لإيديولوجية جبهة التحرير الوطنيين لأنه صدر في ظروف بالغة الخطورة و التعقيد فقد كان شديد الإيجاز، وبعد مرور سنتين على بيان أول نوفمبر برز ميثاق الصومام في شكل أكثر ثراء وتطور في الأفكار والمناهل من وثيقة أول نوفمبر، وذلك بسبب تفجير العمل المسلح وشموليته، فقد استطاعت وثيقة الصومام إن تقدم إنتاجا فكريا معتبرا في مختلف المجالات السياسية والعسكرية والتنظيمية وإبراز نواقص المشروع الثوري.

رغم ما امتازت به وثيقة الصومام من الثراء الفكري، فإنها مع ذلك لم تضع سياسة شاملة وعميقة للدولة الجزائرية المستقلة في المجالات الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية، كما أن وثيقة الصومام كما يقول محمد حربي لم تعطي أي تصور تحديثي للأمة الجزائرية ويفسر هذا النقص - في نظرنا- باهتمام مؤتمر الصومام بالمسائل المتعلقة بالعمل المسلح لطبيعة تلك المرحلة التي جاء فيها. كذلك نلاحظ أن ميثاق الصومام قد انحرف عن الأرضية المصادق عليها في بيان أول نوفمبر فيما يخص "إقامة الدولة الجزائرية في إطار المبادئ الإسلامية" فصمته المطبق بخصوص هذه المسألة الجوهرية المتعلقة بمقومات الأمة الجزائرية يعد انحرافا خطيرا في مسيرة المشروع الإيديولوجي، لأنه فتح الباب أمام مجموعة من التأويلات الأخرى عن الإطار الإيديولوجي للدولة الجزائرية المستقلة.

تأتي الثورة الأمريكية أهميتها في كونها استطاعت أن تحرر 13 ولاية على الشاطئ الغربي الشمالي المحيط الأطلسي بأمريكا الشمالية من الاستعمار الإنجليزي وأن تعلن حقوق الإنسان بالنسبة للإنسان الأوربي في تلك المنطقة، ولكن هذه الثورة سرعان ما انزلت بعد ذلك إلى الحرب الأهلية بين ولايات الشمال والجنوب، بسبب مشكلة الاسترقاق والعبيد الأفارقة السود التي ما تزال قائمة حتى اليوم¹، وتمثل وصمة عار في جبين المجتمع الأمريكي الذي يطبق سياسة التفرقة العنصرية البغيضة ضد الأفارقة السود والهنود الحمر، ثم إن الثروة الأمريكية قهرت الإنسان

¹ - يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج2، المرجع السابق، ص 157.

الأمريكي الأصيل، ووسخت دمه النقي بدماء الأوربيين المستعمرين، وفرضت سيطرة الأوربي الذي ذهب إلى هناك غازيا مستعمرا مستعبدا، وهكذا يتضح أن الثورة الأمريكية يقدر ما كانت خير وفائدة ورحمة على الأوروبي الغازي فهي لغته على الأمريكي النقي الذي طردته من أرضه ووطنه واستعبده وشرده ما تزال تطارده إلى اليوم رغم أنها تزعم لنفسها إعلان حقوق الإنسان.

الثورة الفرنسية عام 1789 عظيمة الأثر، لكونها حطمت أكبر ملكية مستمرة جائزة في أوربا، وأعدت للشعب الفرنسي كرامته، حرته، بعد أن ألقت نظام الإقطاع وامتيازاته التي كانت تقسمه إلى طبقات اجتماعية متفاوتة ومختلفة من حيث الحقوق والواجبات وكان كابوسها ثقيلًا على المجتمع الفرنسي لعدة قرون خلت، ثم إن هذه الثورة استطاعت أن تعوض عروش أوربا الأخرى، وتبعث في شعوبها روح الأمل في التحرر و الإنعتاق من مخالب الإقطاع وجبروته، وذلك بفعل المبادئ والمثل التي جاءت بها نادت لتطبيقها، وكان لها الفضل بعد ذلك في اندلاع الثورات الدستورية في هذه الحقبة من التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر¹.

ولكن الثورة الفرنسية رغم كل هذا، كانت ثورة حمراء، سالت فيها الدماء أنهارا وقطعت المفصلة رؤوس حوالي خمسة عشر ألف شخص في ظرف شهر ونصف وأغلبهم أبرياء، ثم إن هذه الثورة سرعان ما تحولت عن أهدافها التحررية، وانساق وراء سياسة التوسع داخل أوربا وخارجها بزعامة نابليون الأول بوناپرت²، الذي غزا إيطاليا والنمسا وألمانيا وإسبانيا في أوربا ومصر وسوريا في المشرق العربي، وهدد حتى الجزائر بنفس المصير لو لم تعاجله المشاكل الداخلي والخارجية الدولية، لما تحالفت ضد عروش أوربا وبصورة خاصة بريطانيا والنمسا، فسقط ويقضي بقية حياته في المنفى حتى توفي، وعادت الملكة البونبرنية مرة إلى العرش الفرنسي، ولكن إلى حين على أي حال، لتخلفها ملكية "أورليان" لفترة قصيرة كذلك³.

¹ - المرجع السابق، ص 158.

² - كان نابليون يعجب بتاريخ الاسكندر المقدوني وكان يحلم بإنشاء إمبراطورية في الشرق تضاه إمبراطورية، انظر إلى حسن جلال: الثورة الفرنسية، سلسلة المعارف العامة، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، 1927، ص 384.

³ - يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج2، المرجع السابق، ص 158.

فإن الثورتين الأمريكية والفرنسية، لم تكونا أول من أعلن حقوق الإنسان لأن المسلمين عرفوا حقوق الإنسان منذ القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، وطبقوها في كل البلاد التي وصل إليها الإسلام وساد انتشار بها.

الثورة الروسية عام 1917، حررت الشعب الروسي من ظلم وجبروت القياصرة المستبدين وسيطرة الإقطاع الفلاحي المتخلف، وساعدته في تخطي عصور التخلف بسرعة ولو بتضحيات كبيرة تحقيق معجزاته الكبرى في ميادين انتفاضة والاقتصاد والتكنولوجيا وعلوم الذرة والقضاء والطاقة النووية وغيرها، وهذا النمو والتطور السريع في هذه المجالات العلمية والتكنولوجية هو الذي ساعد على تأثير هذه الثورة الروسية في الشعوب المجاورة لها بشرق أوروبا وفي الصين الهند الصينية بآسيا.

ولكن هذه الثورة الروسية لا تستطيع أن تبرئ نفسها من التحكم والسيطرة التي يفرضها الشعب الروسي والشعوب غير روسية بآسيا الوسطى والشرقية، خاصة الشعوب الإسلامية في القوقاز والتركستان وكازخستان وغيرها، ويسعى لتذويبها والقضاء على شخصيتها التاريخية والحضارية، وتجري هذه العملية حاليا على شعب أفغانستان، ما لم تحدث تطورات دولية أو داخل هذا البلد¹.

الثورة المصرية 1952 ذات فضل كبير في تغيير أوضاع مصر الداخلية ومركزها الخارجي خلال حكم جمال عبد الناصر فقد حرر الشعب المصري من الملكية الفاسدة والأقلية الإقطاعية الفرعونية المستغلة والبرجوازية المتعاونة مع الاستعمار الإنجليزي، وساعد على اقتحام معارك البناء الاقتصادي والمضارب والسياسي في أوسع مجالاتها، وكان من أبرز مكاسبها طرد الاستعمار الإنجليزي من البلاد واستعادة قناة السويس إلى الشعب المصري وبناء السد العالي ووضع السلطة في أيدي الشعب المصري بصورة حقيقية.

ولكن الثورة المصرية يقف في طريقها الإقطاع الداخلي الذي عاد إلى الظهور في عهد السادات وبعده، الرجعية العربية في المنطقة التي ترى فيها خطرا محقا بها، وتسعى جهدها

¹ - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص 158- 159.

لتصنيفيتها مستعينة بالقوى الخارجية الامبريالية التي تشاطرها الرأي، لأن الثورة المصرية هي سبب كل الثورات التي حدثت في المشرق العربي خاصة بالعراق واليمن وإمارات جنوب شبه الجزيرة العربية وسوريا ولبنان وغيرها¹.

وما يمكن قوله كذلك، عائق إسرائيل التي ترى في نهضة مصر وتقدمها أكبر خطر عليها وضدها وتمكنت من إقناع الولايات المتحدة الأمريكية بوجهة نظرها، وهي أكبر دولة ذات تأثير أساسي، ومن هنا تعاون اليهود والأمريكان على احتواء هذه الثورة المصرية في عهد السادات، بعد أن وضعوا ضدها عوائق لا تحصى ومهولة في عهد الرئيس عبد الناصر، ويبدلون جهودا جبارة لتكون طريقها يتم احتواء باقي الثورات العربية، كما يلاحظ الآن في العراق بعد اندلاع الحرب العراقية إلا وكما حدث في اليمن الشمالي، ولا ندري ماذا يحدث بعد هذا إن لم تحدث تطورات غير متوقعة².

تولدت عن ثورة أول نوفمبر ثورة تحريرية وطنية شعبية لم تزد مواجعتها بالواقع الاستعماري نسقتها إلا تأكيدا وانسجاما... ومنهجها إلا فاعلية، تماما كما لم يزد استلهاام العالم الثالث لها في كفاحه من أجل استعادة استقلاله، آفاق تحرر إلا اتساعا، وبذلك لم تكن ثورة نوفمبر التحريرية مجرد تمرد أو عصيان، كما توهم المستعمر في البداية أو حاول أن يوهم، بذلك وهذا قبل أن ترغمه في النهاية على الاعتراف بأنها حرب تحريرية وطنية³.

إن الثورة الجزائرية التحريرية جديدة بهذا الاسم ليست مجرد حرب، أو سفك للدماء غزير بل أنها بالدرجة الأولى تغيير جذري لا يلعب فيه العنف العسكري خاصة، سوى دور الوسيلة أكدت هذه الثورة أكثر من مرة، أنها ليست، وكما يدعي الاستعمار الفرنسي مجرد تمرد وفوضوي، بل أنها ثورة تحريرية وطنية وأنها حتى لو سلمت بأنها تمرد، فإن ذلك التمرد تمرد أخلاقي وعسكري ولدته حواجز والظلم التي اصطدمت بها آمال كل الأجيال الجزائرية الناشئة من احتلال الفرنسي للجزائر.

¹ - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 159.

² - المرجع نفسه، ص 159.

³ - حمامة بخاري، فلسفة الثورة الجزائري، المرجع السابق، ص 46.

كما لم تكن هذه مجرد عصيان أو تمرد فإنها لم تكن كذلك، وكما ذهب بعض رموز (حزب الشعب) في مقدمتهم **مصالي الحاج** انقلابا أو مؤامرة داخلية ضد حزب الشعب، تماما كما لم تكن وكما وصفها بعض رموز جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بـ (المغامرة)¹.

فإن ثورة نوفمبر إذا كانت قد أعلنت ونادت بضرورة المقاومة ضد المستعمر، فإنها لم تفعل ذلك للتخفيف من الواقع المأساوي الجسد له، كما فعل ذلك و دون جدوى كبيرة، الشباب الجزائريون والمعلمون الأهالي والمنتخبون والشيوعيون الجزائريون بل لتجاوزه كلية.

كذلك فإن ثورة نوفمبر التحريرية إذا كانت قد أخذت في البداية شكل المقاومة شأن كل ثورة فإنها رفضت أن تبقى بعد ذلك عند حدودها كما فعلت العديد من الانتفاضات الوطنية، ولأسباب عدة لا مجال للتوقف عندها هنا لأي نتيجة مع المستعمر.

من هذا المنظور كانت عملية تغيير هذه الثورة لصحيفة المقاومة بصحيفة المجاهد، مؤكداً، بذلك أنها قد انتقلت من دائرة الانتفاضة إلى دائرة الحرب التحريرية، وهي الحرب التي لم تستهدف منها مجرد... الحرب بل إجبار العدو على القبول بأهدافها السلمية وذلك انطلاقاً من قناعتها بأن أهداف الحرب تظل متمثلة في النهاية في الوصول إلى مثل ذلك السلم².

وأخيراً فإن ثورة نوفمبر التحريرية إذا كانت قد وقفت موقفاً متحفظاً من الحركة الإصلاحية في العالم العربي والإسلامي عامة، وفي الجزائر خاصة، فإن ذلك راجع إلى قناعتها بأن ذلك الإصلاح الذي لا تشك أو نشك في الدور الهام، الذي يعد كتيار محافظ النهضة في بلورة الوعي العربي الإسلامي بروح الإسلام الحقيقية، بواقعه المزري الذي تولد عن ابتعاده عن الروح، فإنها تظل مع ذلك تعيب على الإصلاح اقتصره على الجانب التربوي في تلك النوعية، وانحصاره في دوائر النخبة والطبقات الحاكمة في البلدان العربية الإسلامية، دونما نفاذ يذكر إلى الجماهير، التي تظل بدون تحولات اجتماعية عميقة تمكنها من افتكاك حريتها غير فاعلة في النهاية وغير مهيأة عملياً للثورة.

¹ - حمادة بخاري، المرجع السابق، ص 46.

² - المرجع نفسه، ص ص 46 - 47.

وبذلك فإن الثورة كانت بمثابة الإعلان الحاسم لكل الشعوب المستعمرة في العالم عامة وفي العالم العربي والإفريقي خاصة، وللمستعمر كذلك لا عن استحالة ذلك التعايش مع الأيام السالفة لكل منهم بل وعن نهاية مثل ذلك التعايش إلى الأبد¹.

2- الثورة المصرية أثرها في اندلاع الثورة الجزائرية 1954:

كانت مصر قبلة العرب ومعقل لثوار المغرب العربي، حيث فتحت صدرها للجزائريين وناصرت قضيتهم، فاتحة لهم المجال لإسماع صوتهم عاليا انطلاقا من الدعاية للقضايا المغربية والقضية الجزائرية إلى جانب الملتقيات والندوات وكذلك المؤتمرات للتعريف بهذه القضية ودعمها ماديا ومعنويا² وهكذا كانت مصر السبابة في دعم نضال الحركة الوطنية والثورة الجزائرية من خلال الدور الفعال الذي جسده رئيسها جمال عبد الناصر الذي وقف إلى جانب الثورة الجزائرية ودعمها بكل الوسائل والطرق.

2-1 الدعم الإعلامي:

إن مصر الثورة، أكملت مشوار النضال وقدمت كل ما في وسعها لنصرة القضايا العربية ومنها قضية الجزائر التي كانت تصل إلى كل العرب من المحيط إلى الخليج عن طريق إذاعة (صوت العرب) من القاهرة، حيث قدمت دعما إعلاميا لا نظير له للثورة الجزائرية منذ الأيام الأولى لانطلاقتها فمن على منبرها الإعلامي (صوت العرب) كانت إذاعة بيان أول نوفمبر وإعلان انطلاق أول رصاصة للثورة، واستمرت في التعريف بالقضية والثورة و أبعادها الحقيقية والتصدي للدعاية الفرنسية المغرضة وفي ذلك يقول المذيع احمد سعيد: "إن جمال عبد الناصر كان يتابع الإذاعة شخصيا ويعطي التعليمات والتوجيهات منذ اللحظات الأولى لانطلاق الثورة وحرص عبد الناصر على توفير كافة الإمكانيات المتاحة للمقاتلين فوق ارض الجزائر"³.

¹ - حمادة بخاري، المرجع السابق، ص 47.

² - محمد بلقا سم: الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910 - 1954، ج2، رسالة ماجستير قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1994، ص375.

³ - عمار قليل: ملحمة الجزائر الجديدة، ج3، المرجع السابق ص 133.

كان لاندلاع الثورة الجزائرية عام 1954 صدى كبير في الصحف المصرية، فقد نشرت صحيفة الأهرام بعد يوم من اندلاع الثورة الجزائرية خبرا بعنوان اضطراب الحالة في الجزائر " جاء فيه: أن الثورة قد اشتعلت في الجزائر وأن الثوار قد تلقوا مالا يقل عن 30 قنبلة و اشعلوا عدة حرائق في المنطقة الواقعة حول قسنطينة، ووصفت الصحيفة هذه الإضرابات بأنها الأولى من نوعها التي تشهدها البلاد وتساندها الجماهير¹ .

اهتمت صحيفة الأهرام بنقل الأحداث نشر البلاغات العسكرية التي كان يصدرها جيش التحرير الجزائري، حيث جاء في أحد أعدادها: " إن معركة واسعة النطاق قامت في جبال الأوراس، استعملت فيها طائرات الهيلكوبتر التي كانت تقوم بمهمة الاتصال بين القوات الفرنسية المرابطة حول مدينة (أريس) الجبلية وبين الإمدادات التي وصلت إلى مدينة (باتنة) في الشرق الجزائري"، ونقلت الأهرامات معظم البلاغات العسكرية، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر بعض العناوين التي كان تنشرها في صفحتها الأولى: " إخلاء جبال الأوراس من الثوار الجزائريين " . " تطهير المعقل الجبلية من المدنيين"، " فرض الرقابة على الصحف والإذاعة في الجزائر "، "القوات الفرنسية تحتل مراكز الوطنيين في الجزائر"² .

وتابعت الصحافة المصرية نشر مطالب الثوار الجزائريين، النداءات والمذكرات التي يوجهها قادة الداخل، أو أعضاء الوفد الجزائري بالقاهرة، ومن ذلك البيان الذي وجهته لجنة تحرير المغرب العربي إلى الشعب الجزائري والذي نوه بما يلقاه جيش التحرير الوطني في الجزائر من تأييد الشعب الجزائري له ومؤازرته لروح الكفاح الذي بدأه هذا الجيش من أجل استرجاع استقلال الجزائر وإعلان حقها في تقرير المصير، وركزت الصحيفة على التحذير الذي تضمنه البيان من أن تخضع هذه الروح الوطنية إلى نفوذ بعض الأحزاب أو الشخصيات السياسية التي لا يحتاج إلى برهان، وطالبت الصحيفة باستمرار الكفاح و أن يظل الشعب الجزائري ملتفا حول "جبهة التحرير الوطني" التي تتمتع برضاء الجميع حتى تعيد السيادة الكاملة للجزائر.

¹ - صحيفة الأهرام، 02 نوفمبر 1954، العدد 24814، السنة 80، ص 2.

² - عبد الله منقلاتي وصالح لميش: مصر والثورة التحريرية الجزائرية، سلسلة التضامن العربي مع الثورة الجزائرية، ج4، شمس الزيبان والتوزيع، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013، ص ص 187-189.

كما كانت صحيفة le journal d’Egypte رافداً آخر من روافد المساندة الإعلامية المصرية للجزائر فقد نشرت العديد من المقالات كانت حول الأوضاع في الجزائر وانتصارات الثورة، كما كانت تنشر نداءات الوفد الجزائري بالقاهرة والتي جاء في أحدها "لقد أعلنتموها بالأمس ثورة عارمة ضد الاستعمار الفرنسي الذي زعم لمائة وهنا أوضحت الصحيفة أن المعمرين حكموا البلاد مدة تزيد عن مائة من احتلالها أنها فرنسية وأن الفرنسيين يعتبرون الجزائر من الوجهة القانونية والسياسية جزءاً من فرنسا وتنبأت كذلك الصحيفة أن حدوث الثورة كان عملاً منظماً وجاء هذا في مقالات تحت عنوان (موجة الاضطرابات في الجزائر) ¹."

أبرزت الصحافة المصرية الجانب الدبلوماسي للثورة الجزائرية على مستوى الدول العربية والإفريقية والآسيوية، حيث أوضحت النشاط الدبلوماسي على مستوى هذه الدول والعالم، ومن ذلك مثلاً الطلب الذي قدمته المملكة العربية السعودية إلى مجلس الأمن البحث القضية الجزائرية. والنداء الذي تقدم به وفد الجزائر بالقاهرة إلى حكومات (باكستان والهند وبروما وسيلان واندونيسيا)، وبمناسبة اجتماع رؤساء هذه الحكومات باندونيسيا طالبهم فيه بإثارة القضية الجزائرية أمام مجلس الأمن لوقف الحرب التي تشنها القوات الفرنسية ضد الشعب الجزائري، وتأييد حق هذا الشعب في تقرير المصير، كذلك المذكرة التي قدمها وفد الجزائر إلى حزب المؤتمر الهندي، والتي تعرض فيها إلى تطورات قضية الجزائرية الدينية واللغوية والثقافية، وطالب الوفد المؤتمر في المذكرة ببذل المزيد من العون للشعب الجزائري في كفاحه للحصول على حريته واستقلاله، والمذكرة التي أرسلها وفد الجزائر بالقاهرة إلى وفود جامعة الدول العربية بشأن مناقشة قضية الجزائر والعمل على عرضها في مجلس الأمن ².

كان إدراج القضية الجزائرية في العامة للأمم المتحدة عام 1955 مثار اهتمام الصحافة المصرية، فقد كتبت صحيفة الجمهورية بهذه المناسبة مقالاً أبرزت فيه الموقف في المغرب العربي بأنه بلغ أقصى ذروة من الخطورة نتيجة لما يقع من طرف السلطات الفرنسية، نبهت الصحيفة هيئة

¹ - صالح لميش: مصر و ثورة الجزائر (1954-1962)، رسالة ماجستير 1988، ص ص 74 - 75.

² - عبد الله منقلاتي وصالح لميش: مصر والثورة التحريرية الجزائرية، سلسلة التضامن العربي مع الثورة الجزائرية، ج4، المرجع السابق، ص ص 191- 192.

الأمم المتحدة إلى المشكلة الجزائرية بقولها أن المشكلة الجزائرية لا تعالجها فرنسا إلا بالحديد والنار باعتبار أن الجزائر جزء من الوطن الفرنسي كما تدعى فرنسا، و أن فرنسا ترفض استنادا إلى ذلك تدخل الأمم المتحدة في شؤون ذلك البلد العربي¹، ولما اصطدم عرض القضية الجزائرية في هيئة الأمم المتحدة في دورتها العاشرة بعدم موافقة بعض الدول تناولت صحيفة الأهرامات هذا الرفض بالتحليل، إذا ذكرت أن القرار الذي اتخذته الأمم المتحدة بشأن الجزائر لم يؤخذ بشأنه الأصوات لأن أحدا لم يعترض عليه، وخلصت الصحيفة، أن لم يكن مرضيا للجزائريين، إلى أنه لم يجد من طموحاتهم و آمالهم.

استمرت الصحافة المصرية في متابعة نشر تطورات القضية الجزائرية في هيئة الأمم المتحدة، فأثناء انعقاد الدورة الثالثة عشر للأمم المتحدة في أوائل عام 1958، كتبت صحيفة الشعب مقالا ذكرت فيه: "تبدأ اليوم مناقشة قضية الجزائر في الجمعية العامة للأمم المتحدة، وهي في نظر جميع الأحرار قضية شعب عربي مكافح في سبيل حياته، وحرته ومستقبله وبصراع الطغيان الاستعماري في هذه المرحلة الحاسمة من معركة الشعوب وتصفية الاستعمار"².

كتبت صحيفة الجمهورية قبل انعقاد الدورة الخامسة عشر للأمم المتحدة عام 1960، مقالا نبهت فيه الدول العربية و الإفريقية وكل الدول المحبة للسلام والحرية أن تقف بجانب القضية الجزائرية، وذكرت الصحيفة: " أما أمامنا شهر سبتمبر هو شهر الأمم المتحدة، انه الشهر الذي يتحدد فيه الصراع الدولي. وأمامه قضية الجزائر والمنبر الدولي هو الذي يهز أعصاب العدو ويحطم غطرسته وكبريائه"، أوضحت الصحيفة " أنه في الدورات الماضية كانت بعض الدول الأعضاء في الأمم المتحدة تتردد في الوقوف بجانب القضية الجزائرية بحجة أن الجنرال ديغول قد وعد باستقلال الجزائر وبحق تقرير الشعب الجزائري في تقرير مصيره، أما اليوم فقد ثبت سوء نوايا ديغول وانكشفت ألاعيبه وبطلب حججه، لذلك لا بد من جميع الدول المترددة بأن تحزم أمرها وتحدد

¹ - صحيفة الجمهورية، 19 العدد 652، سبتمبر 1955، ص 2.

² - منقلا من: لميش، مصر والثورة التحريرية الجزائرية، سلسلة التضامن العربي مع الثورة الجزائرية، ج4، المرجع السابق، ص ص، 193-194.

موقفها وتقف معها وتعطينا أصواتها في أي مشروع قرار يدين فرنسا ويتهمها في قضية حرب الجزائر¹.

وأما تطور الثورة الجزائرية على الصعيد السياسي والعسكري، كتب محمد محجوب مقالا في صحيفة الجمهورية، نبه فيه كل العرب إلى معركة الجزائر وطالبهم بالوقوف الفعلي إلى جانب الجزائريين وحذرهم من الهزيمة التي ربما تلحق بالجزائريين إذا لم ينتبه العرب إلى ذلك، فذكر أنه " لا يمكن أن نقول أن شعب الجزائر لا يهزم أبدا ولكي ينتصر لا بد أن نعمل عملا إيجابيا وفعالا لمنع وقوع الكارثة، وأن الكارثة تبدأ عندما نبثلي أنفسنا بشطب احتمال الهزيمة من حسابنا حتى نجد ثغرة للتهرب من المسؤولية" ، وأكد " أن المسؤولية صعبة وضخمة أمام كل الذين يقاتلون ضد القوة الاستعمارية المتكثلة"، وأوضح أن الكارثة الكبرى إذا غفل العرب عن خطورة ما يحدث في الجزائر وسلوا أنفسهم أن أحرار الجزائر لا يمكن أن يهزموا أبدا.

أبرزت صحيفة الأخبار تطورات الثورة الجزائرية خلال عام 1957، ففي مقال لها بعنوان "الجزائر وإدارة الإنسان العربي" ذكرت فيه: " إذا كان العقل في هذا القرن قد وصلب الإنسان إلى حيث الاكتشاف العلمي والتسلط على الطبيعة وتذليل صعوبات الحياة في جميع مرافقها، فإن الإرادة الإنسانية المتخلفة في جهاد الجزائر في سعيها إلى الخير والحرية قد شارف أوجها، وبلغت ذروتها أيضا في عصرنا الحاضر"، وطالب المقال بالوقوف إلى جانب الشعب الجزائري حتى يحقق استقلاله وحرته²، وتحولت قضية الجزائر في نظر الكثير من الكتاب المصريين إلى قضية القومية العربية نفسها وناقشوها على الأساس، فبمناسبة مرور العام السادس للثورة الجزائرية، كتب مصطفى الآمين مقالا في صحيفة الأخبار اتهم فيه فرنسا بأنها عدوة للعرب جميعا حيث ذكر " أعلنت فرنسا نفسها عدوة للعرب جميعا، أنها تعتقد أن القومية العربية هي التي كفت إمبراطوريتها دفنتها في التراب والجنرال ديغول يريد بعث الإمبراطورية من جديد"، وأكد الكاتب: "أن

¹ - صحيفة الجمهورية، 01 سبتمبر 1960، العدد 2447، ص 4.

² - مقالاتي ولميش، مصر والثورة التحريرية الجزائرية، سلسلة التضامن العربي مع الثورة الجزائرية، ج 4، المرجع السابق، ص 198-199.

الإمبراطورية لا يمكن أن تعود إلا إذا عادت عقارب الساعة إلى الوراء... وتحول العرب المنتصرون إلى منهزمين... وعادوا إلى الأقفاس المخصصة للعبيد"¹.

لم تغفل الصحافة المصرية المساعدات العربية للثورة الجزائرية وأعطتها أهمية بارزة، وذلك أن الصحافة المصرية كانت ترى أن الجزائر جزء من الوطن العربي، وأن تحريرها مكمل لتحرير الوطن العربي واستقلاله، فبمناسبة انعقاد مؤتمر وزراء الخارجية العرب في بغداد عام 1960، ذكرت صحيفة الأخبار أن تأييد الدول العربية للثورة الجزائرية يعد نصرا رائعا لهذه الثورة، ذلك إن كفاح الشعب الجزائري طوال هذه السنوات جدير بالإعجاب والفخر لكل عربي، وإن شعلة الحرية في الجزائر ستظل موقدة والمعارك ستبقى مستمرة².

وهكذا كان الدعم الإعلامي المصري من خلال منبرها إذاعة صوت العرب للتحسيس والإعلام و التعريف بأهداف جبهة التحرير الوطني والتشهير ببشاعة الجرائم الاستعمارية وكانت إذاعة صوت العرب قوة موازية ومدعمة السماع العمل المسلح الجزائري ووجد الطلبة الجزائريين من هذه الإذاعة مصدرا لإذاعة بيانات وقصائد تحميسيه للشعوب العربية، وكانت هناك برامج خاصة للمغرب العربي ككل يشارك فيها ومسؤولو الحركات الوطنية بما فيها جبهة التحرير الوطني، إن ما تعرضنا له يعتبر جزءا بسيطا من دور مصر الإعلامي لدعم القضية الوطنية والدفع بها إلى التدويل³.

2-2 الدعم المادي والعسكري:

لم تكتف القيادة المصرية بالوقوف إلى جانب المناضلين الجزائريين وتأييدهم تأييدا معنويا فقط، بل تجاوز ذلك تأييد العسكري، وكان هذا التأييد نابعا من أن القيادة المصرية كانت مقتنعة بجدية النضال وتصميم الشعب الجزائري على الكفاح المسلح من أجل حريته واستقلاله، وقبل أن نستعرض حجم المساعدات العسكرية المصرية للثورة الجزائرية لا بد من الإشارة إلى بعض الأسباب

¹ - مقالاتي ولميش، مصر والثورة التحريرية الجزائرية، المرجع السابق، ص 199.

² - المرجع نفسه، ص ص 201 - 212.

² - أحسن بومالي: إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى (1954-1956)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1985،

ص 136.

التي جعلت من تنفيذ القرار أمرا صعبا، فطول المسافة بين البلدين ووجود منطقتين عازلتين تحدان من قدرات الحركة البرية، هي ليبيا وخضوعها آنذاك لحكم ملكي خاضع بدوره لبريطانيا، وتونس تخضع أيضا للحكم الفرنسي، كذلك يمكن أن نذكر اتساع رقعة الأراضي الجزائرية وتباين طبيعتها الجغرافية وهو الأمر الذي فرض على الكفاح المسلح الجزائري ميزات جعلته فريدا من نوعه من حيث الإستراتيجية والتكتيك¹، فضلا عن ذلك احتياج الكفاح الجزائري إلى إمداد سريع وعاجل بالسلاح لمدة الثورة على مستوى القطر الجزائري والحفاظ على القدرة القتالية نظرا للاستهلاك المستمر من السلاح والذخيرة في العمليات اليومية، أضف إلى ذلك خشية الثوار من توقف القتال أو توقف القتال أو تضاعف حدته مما يسمح للسلطة الفرنسية بأن تقضي على الثورة في بدايتها، زد على ذلك افتقاد المصريين للخبرة فيتهرب السلاح لتزويد أي حركة تحريرية، فهذه تعتبر أول تجربة لهم مما ألزهم الاعتماد على قدراتهم الذاتية ضد المخابرات الفرنسية التي كانت لها خبرتها الطويلة وقدرتها في هذا المجال².

أ- الإمداد الأول بالسلاح:

لم تبخل الحكومة المصرية و لا رئيسها عبد الناصر بتدعيم الثورة الجزائرية عسكريا و ماديا منذ انطلاقتها حيث تم صرف كميات من الأسلحة الخفيفة(بنادق رشاشات،قنابل يدوية) كما تسلم قادة الثورة مبلغ 5000 جنيه لتوفير أكبر كمية من السلاح وإعداد أسلحة للتهريب إلى الجزائر مباشرة، وقدرت أول شحنة أسلحة مصرية ب 8000 جنيه وقد دخلت عن طريق برقة(ليبيا) كما أن أول صفقة أسلحة من أوروبا الشرقية بتحويل مصري بحوالي مليون دولار هذا فضلا عن مساهمات الجامعة العربية التي كانت تأتي عبر مصر³.

يذكر **فتحى الديب** في كتابه **(عبد الناصر وثورة الجزائر)** أنه: "التزاما منا بتنفيذ قرار الرئيس **جمال عبد الناصر** بدعم الثورة الجزائرية بالأسلحة والذخيرة، وبمعرفتنا بإمكانيات الإخوة الجزائريين المحدودة من الأسلحة والذخيرة، وضرورة توفير احتياجات المكافحين لها لمواصلة الثورة بلا

¹ - الأهرام العربي، العدد 289، 19 مارس 2016، ص 96.

² - فرحات عباس: حرب الجزائر ثورتها، ليل الاستعمار، ترجمة: أبو بكر رحال، مطبعة فضالة المحمدية، المغرب، بدون تاريخ، ص ص 24-25.

³ - إسماعيل ديش: السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954-1962، دار هومة، الجزائر، 2005، ص 71.

توقف، باشرنا منذ أول أكتوبر عام 1954، وبعد أن قرر الثورة الجزائرية تحديد أواخر أكتوبر لاندلاع الثورة، قررنا تزويدهم وبأسرع وسيلة ممكنة باحتياجاتهم الضرورية من الأسلحة الخفيفة والذخيرة والمتنوعة، وذلك لدعم قدرات الولايات الشرقية مع التركيز على منطقة الأوراس التي تستند عليها الثورة كقاعدة لدعم قدرات باقي الولايات الأخرى في القطر الجزائري"¹.

ويضيف فتحى الديب أنه بعد الاتفاق مع أحمد بن بلا ودراسة كافة الإمكانيات المتاحة للإمداد بالسلاح ووسائل تهريبه، تم الاتفاق على إمكان اختصار نصف طريق المواصلات وسرعة نقلها إلى الحدود التونسية في طريقها إلى حدود الجزائر في إطار السرية المطلوبة، وذلك بتكليف من بعض الليبيين المتخصصين في تهريب السلاح من القاعدة (العضم) البريطانية ومعسكرات الجيش البريطاني المنتشرة في مختلف أنحاء ولاية برقة، ووقع الاختيار على أحد أعضاء السفارة المصرية في ليبيا المدعو أمين الصالح، وذلك لخبرته الطويلة مع الشعب الليبي من خلال عمله لفترة طويلة في ليبيا وتكوينه للعديد من الاتصالات على كافة المستويات، واكتسابه لثقة وصدقة أفراد الأسرة المالكة وقدرته على التحرك بعيدا عن الشبهات من جانب العناصر البريطانية القائمة على شؤون البوليس الليبي وعملائه، وقد كلف بتوفير بعض الأسلحة الخفيفة والذخيرة، وكان تجاوبه سريعا يعد إن تسلم من المسؤولين المصريين مبلغ (300 جينه مصري) لشراء الأسلحة المطلوبة والمحددة².

تمكن أمين صالح من شراء كمية من الأسلحة كدفعة أولى وقام بتخزينها ببلدة (جوا رشة) غربي بنغازي في انتظار تسليمها لمبعوث أحمد بن بلا الذي تم تزويده بكل الاحتياجات وكلمة السر، لكي يتولى مهمة تهريب الدفعة السابقة من برقة إلى الشرق الجزائري لتكون في متناول المجاهدين الجزائريين عند اندلاع الثورة.

وهكذا بدأت الخطوة الأولى من المساعدات تنفذ فعلا، وبدأت الأسلحة تشتري وتجمع في برقة، وبعد ذلك انتقل النشاط إلى طرابلس مع إيقاف عمليات التهريب في برقة، وتم الاتفاق بين السلطات المصرية أحمد بن بلا على سفر هذا الأخير لليبيا والاتصال مع الشبكة المنظمة هناك لشراء الأسلحة وإعدادها للتهريب مباشرة إلى الجزائر، خاصة بعد أن تبين إمكان إتباع أسلوب

¹ - مقالاتي ولميش، مصر والثورة التحريرية الجزائرية، سلسلة التضامن العربي مع الثورة الجزائرية، ج4، المرجع السابق، ص39.

² - فتحى الديب: عبد الناصر وثورة الجزائر، ط1، دار المستقبل العربي، القاهرة، 1984، ص 58.

التهريب نفسه من قاعدة الملاحاة الأمريكية وبواسطة أصدقاء أحمد بن بلا من الليبيين الذين كان لديهم فعلا كمية جاهزة من الأسلحة، وهكذا ما لبثت الشحنة الأولى التي قام أحمد بن بلا بشرائها أن أخذت طريقها على جبال الأوراس من الحدود التونسية الليبية قبل أن تشد الرقابة البوليسية في محافظة طرابلس، ولتحملها الإبل على مرحلتين:

- الأولى: من الحدود الليبية إلى منطقة التخزين في تونس.
- الثانية: من منطقة التخزين عبر منطقة الكاف وبمعرفة المناضلين الجزائريين أنفسهم إلى منطقة الأوراس بالجزائر¹.

وما كادت أخبار الشحنة الأولى من المساعدات تصل إلى السلطات الاستعمارية الفرنسية حتى باشرت اتصالاتها مع كل من بريطانيا وأمريكا، طالبة منهما الوقوف إلى جانبها وتشديد الضغط على الحكومات العربية و خاصة الليبية لقطع الطريق على إمكانية تهريب السلاح من مصر على الجزائر، وقد تبلور ذلك في حملات التفتيش المستمرة التي قام بها البوليس الليبي بقيادة ضباط بريطانيين، مما جعل من المستحيل الاستمرار في الاعتماد على الوجود العسكري الغربي في ليبيا كمصدر للإمداد بالسلاح.

ومع التطورات الجديدة تشاور قادة الثورة الجزائرية في القاهرة مع المسؤولين المصريين المكلفين بمتابعة تطورات الكفاح الجزائري وتوصلوا إلى حلين:

- 1- شراء الأسلحة عن طريق المهربين الدوليين.
- 2- الاعتماد على مستودعات الجيش المصري مباشرة والمخاطرة باستخدام البحر وسيلة لنقل الإمداد سرا.

وبعد عرض الموضوع على الرئيس جمال عبد الناصر في نهاية الأسبوع الثالث من شهر نوفمبر عام 1954، اعترض على الحل الأول تخوفا من احتمالات تسرب أخباره وطول الفترة

¹- مصطفى طلاس العسلي بسام: الثورة الجزائرية، ط1، طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1984، ص 143.

الزمنية التي يتطلبها، وقرر بلا تردد استخدام قطع الأسطول المصري للقيام بهذه المهمة، وطلب من المشير "عبد الحكيم عامر" إعطاء أوامره في بدء التنفيذ.

وقد بدأ تنفيذ العملية بعد الاتصالات التمهيديّة السريّة على النحو التالي:

- 1- تمّ صرف السلاح والذخيرة ووضعت في صناديق صغيرة الحجم لتأمين سهولة نقلها.
- 2- وقع الاختبار على اليخت (إنتصار) باعتباره سيقوم برحلة تدريبية في منطقة شرقي البحر الأبيض المتوسط¹.
- 3- تمّ إعداد اليخت وأذيع في أوساط السلاح البحري أنه سيقوم برحلة تدريبية بعد الاتفاق على نقل الشحنة في عبواتها الخاصة ليلا بمساعدة المخابرات².
- 4- وقع الاختيار على أحد الموانئ القديمة الواقعة شرقي طرابلس لإنزال الشحنة فيه بواسطة قوارب اليخت حيث يتمّ نقلها بعد ذلك بالشاحنات.
- 5- بعد التأكد من استعداد بن بلا لاستقبال الشحنة، تمّ شحن وتحدد موعد وصوله ليلة 08-07 ديسمبر إلى مواقع الإنزال.

وبعد نجاح هذه العملية ووصول الأسلحة إلى الثوار داخل الجزائر واصلت الحكومة المصرية إرسال إمداداتها إلى الثورة الجزائرية رغم العقبات والحوادث والمؤامرات الخارجية والداخلية التي كانت تحاك ضد الثورة الجزائرية وضد أي طرف يمدّها المساعدة والتأييد³.

وأبحر اليخت (دنيا)⁴ من بورسعيد يوم 24 مارس 1955 وعلى ظهره سبعة من الجزائريين الذين تمّ تدريبهم ووقع الاختبار عليهم لتولى بعض الأعمال القيادية في وهران، وهم: "عرفاوي

¹ - فتحي الديب، عبد الناصر وثورة الجزائر، المصدر السابق، ص 62-63.

² - المصدر نفسه، ص 63.

³ - المصدر نفسه، ص 65.

⁴ - يخت دنيا: هو اليخت الذي كانت تملكه الملكة السابقة (دينا عبد الحميد) زوجة الملك حسين ملك الأردن، وأن "حسين خيرى" قد استأجره منها نظير مبلغ مالي شهري دون أن يطلعها على سبب الرحلة مدعيا أنّها رحلة ترفيهية لبعض الأثرياء العرب، انظر إلى مرجع مصطفى طلاس، بسام العسلي، الثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 146.

محمد صالح وجمامى على وبوخربة محمد وعبد العزيز مشري وعبد الرحمان محمد وحسين محمد وشنوت أحمد" وقد وصل اليخت في موعده إلا أنه نتيجة تأخر القارين الجزائريين لنقل الشحنة، اضطر قبطان اليخت إلى المخاطرة به باقترابه إلى مسافة 30 مترا من الشاطئ لتمكين الجزائريين من تفرغهم، مما نتج عن هذه المخاطرة فقدان القبطان لسيطرته على اليخت الذي اختل توازنه فاصطدم بمنطقة صخرية، وهذا ما أدى إلى تعطيل اليخت عن الحركة ففوجئ به حراس الساحل الاسباني، وقد لعب المال الموجود لدى القبطان دوره في غلق التحقيق نهائيا¹.

ومع تطور الكفاح في الجزائر خلال التسعة شهور الأولى من الثورة، و أمام تزايد الحشود الفرنسية في الجزائر بصورة سريعة في محاولة منها للقضاء على الكفاح المسلح الجزائري، أصبح لزاما للمزيد من الإمداد والدعم بالسلاح، وبالفعل فقد تم إعداد شحنة من الأسلحة لتأمين جبهتي وهران ومراكش حيث جهز اليخت (انتصار) وأبحر بتاريخ 02 ديسمبر عام 1955 من ميناء الإسكندرية في طريقه إلى مكان الإنزال المحدد بعد أن أشار أحمد بن بلا بما يفيد استعداد المسؤول لاستقبال الشحنة، ووصل اليخت إلى مكان إنزال الشحنة يوم 21 ديسمبر 1955².

وقد تزامن هذا العمل تمكين الوفد المصري برئاسة محمود فوزي وزير خارجية مصر بقية الدول العربية بعرض القضية الجزائرية على الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة رغم محاولات فرنسا وحلفائها لمنع عرضها³.

ومع تطور الكفاح في المغرب العربي عامة والجزائر على الخصوص اضطرت الحكومة المصرية تكليف البكباشي بحري بهاء الدين والبكباشي مهندس سامي الرشيدى لشراء سفينة لغرض نقل الأسلحة وتجهيزها إلى المغرب العربي، وغادر الاثنان القاهرة يوم 10 فبراير 1956 وبجوزتهما (25000 جنيه إسترليني) بعد استخراج جوازي سفر لهما على أساس أنهما من رجال الأعمال

¹- مصطفى طلاس، بسام العسلي، المرجع السابق، ص ص 146-147.

²- جون جليسي، ثورة الجزائر، ترجمة خيرى حماد، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1961، ص 148.

³- فتحي الديب، عبد الناصر وثورة الجزائر، المصدر السابق، ص ص 86-87.

الحرّة وهما بصدد تكوين شركة نقل بحري، واستطاعا بعد حوالي شهرين الحصول على سفينة يونانية تصلح لمهمة تهريب الأسلحة من ناحية الحمولة والسرعة.

ونظرا لاتساع قدرة هذه الباخرة، وضعت على متنها حمولة ضخمة من الأسلحة تجاه ليبيا ومنها إلى الشرق الجزائري أما الجزء الثاني فكان موجه إلى الغرب الجزائري، وكان من المفروض بخصوص الجزء الثاني الحصول مسبقا على الموافقة، والكفالة من السلطات الإسبانية¹ ولأجل ذلك انتقل أحمد بن بلة إلى المغرب قصد التأكد من دعم الملك محمد الخامس². غادرت "ديفاكس" ميناء الإسكندرية في 6 ماي 1956 .

تم إنزال الشحنة الأولى في منطقة زوارة قبل فجر 14 جويلية 1956 كما وصلت الشحنة الثانية فجر 21 جويلية إلى منطقة الإنزال الغربية، حيث أنزلت بسلام، واقنع نجاح هذه العمليات الهامة العقيد عبد الحفيظ بوصوف³ بفاعلية النقل البحري، وكان قد تولى آنذاك الولاية الخامسة اثر استشهاد العربي بن مهيدي، و بناء على قرار جمال عبد الناصر، واتفاق مع أحمد بن بلة قرار إرسال كميات ضخمة من الأسلحة إلى الجنوب لاسيما المدافع المضادة للطائرات. جدول الأسلحة المكونة لحمولة "ديفاكس" الثانية والموجهة إلى الشرق، والغرب⁴.

¹ - عبد المجيد بوزبيدي: الإمداد خلال حرب التحرير الوطني شهداتي، ط2 طبعة خاصة وزارة المجاهدين، 2007، صص 92-93.
² - محمد الخامس (1909-1961): سلطان المغرب بين (1927-1957) قضي منها منفي (1953-1955) وملك بين (1957-1961) بعد أن استبدل لقب سلطان بلقب الملك، ساند السلطات نضالات الحركة الوطنية المغربية المطالبة بتحقيق الاستقلال الشيء الذي دفعه إلى الاصطدام بسلطات الحماية وكانت النتيجة قيام السلطان في الحماية بنفس الأمر فشر على إثر ذلك اندلعت المظاهرات ومطالبة بعودته إلى وطنه أمام اشتداد حدة المظاهرات قبلت السلطات الفرنسية بإرجاع السلطان إلى عرشه يوم 16 نوفمبر 1955 وبعد بضعة أشهر تم إعلان استقلال المغرب، أنظر لزهو بديدة: دراسات في تاريخ الثورة الجزائرية وأبعادها الإفريقية الشخصية العربية، بدون دار النشر، الجزائر، 2009.
³ - عبد الحفيظ بوصوف: ولد سنة 1926، ناضل في صفوف حزب الشعب، عضو مجموعة 22، قائدا للولاية الخامسة بين 1956/1957، عضو المجلس الوطني للثورة بين 1956/1962، وزيرا للاتصال العامة ووزيرا للتسليح والاتصالات في الحكومتين التاليتين، انسحب من العمل السياسي بعد سنة 1962 إلى أن توفى سنة 1982. انظر إلى المرجع:

Mohamed Harbi :Le FLN mirage et réalité, Op Cit , p408.

⁴ - عبد المجيد بوزبيدي، الإمداد خلال حرب التحرير الوطني شهداتي، المرجع السابق، صص 94-95.

أبحرت "ديفاكس" في ميناء الإسكندرية في جويلية 1956، لترسو بالزاورة البحرية لتفرغ¹ حمولتها الموجهة إلى الشرق، والتي استلمها علي محساس²، وبما إنها أفرغت حمولتها الثانية الموجهة إلى الغرب في أحسن الظروف بمنطقة ستة استمرت في القيام برحلات حكومية بين الإسكندرية، وليبيا حتى نهاية سنة 1956، وقد تحطمت السفينة حطمتها البحرية الإسرائيلية شرق البحر المتوسط، وعلى متن قائدها وطاقمها³، هذا إلى جانب السفينة الشهيرة "اتوس" الذي كان القبطان بازيل موزس ويحمل الجنسية اليونانية⁴، وتميزت هذه الشحنة عن سابقتها بعدم اقتصارها على المعدات العسكرية، والأسلحة فقط بل تعدتها لنظم عددا من المناضلين الفتيين الذين تم تدريبهم على استخدام اللاسلكي، والمتفجرات بالإضافة إلى مجموعة من الضفادع البشرية الذين تم أهلهم في القوى البحرية المصرية للقيام بتكبيد الأسطول الفرنسي، في قاعدة المرسى الكبير بأفدح الخسائر بعد أن تم تزويدهم بكافة الأجهزة، والمعدات الفنية الأزمة لهذه المهمة، وما يحتاجونه من معدات التفجير تحت الماء⁵ التي تم استيراد خصيصا من إيطاليا.

أبحرت الباخرة "اتوس" في 14 أكتوبر 1956، وكان عليها أن ترسو في (كابوديو) يوم 12 أكتوبر، وفي هذا التاريخ لم ترسل أية إشارة إلى تجهز الباخرة وفقا للقواعد المطلوبة والمتعارف عليها، أعلنت السلطات الفرنسية في 17 أكتوبر 1956 استيلاء فرنسا عليها و قدمت تفاصيل عن طاقمها وحمولتها وحسب التصريحات الفرنسية تم الاستيلاء عليها في عرض كابوديو من طرف مدمرة تابعة للبحرية الحربية الفرنسية وسبقت هذه الباخرة⁶ إلى المرسى الكبير بدون أي مقاومة من من قائدها غير انه من خلال السلطات المصرية كان ذلك القائد على ما يبدو هو المتسبب في الخيانة التي أسفرت عن حجز "اتوس" إي أن هذا الأخير يكون قد اتصل بالمصالح الفرنسية

¹ - مصطفى طلاس بسام العسلي، الثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 151.

² - علي محساس: ولد 1923 ببومرداس من أسرة فلاحية درس بالمدرسة الابتدائية لم يكمل دراسته بسبب الوضعية الاجتماعية بدأ نشاطه السياسي مع حزب الشعب الجزائري، ثم عمل كقائد لولاية قسنطينة واعتقل مرة أخرى وسجن لمدة 5 سنوات ثم هرب سنتين من اعتقاله وسافر إلى فرنسا لتأسيس فرع جبهة التحرير الوطني للمزيد انظر: بوعلام بلقاسمي، موسوعة أعلام الجزائر 54-62 أثناء الثورة، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 د. ط. د.ت. ص 243، ص 244.

³ - عبد المجيد بوزبيدي، المرجع ساب. ص 97، ص 98.

⁴ - مريم الصغير: البعد الإفريقي للقضية الجزائرية 1955-1962، ج 1، لطبعة الأولى، دار السبيل للنشر والتوزيع، 2009، ص 13.

⁵ - مصطفى طلاس، بسام العسلي، الثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 153.

⁶ - عبد المجيد بوزبيدي، المرجع السابق، ص 99-100.

وزودها مقابل مكافأة هامة بكل المعلومات المتعلقة بالحمولة و يوجهه هذه الباخرة ويقول المدني عن هذه الشحنة "لقد كانت شحنة عظيمة حقا و كان بعضها من مصر على شدة حاجتها يومئذ للسلاح وكان بعضها الآخر مما اشتريناه من الخارج وجمعناه في مخزنا بمصر". ويقول أيضا "لقد أصيبت الجزائر بنكبة فادحة من إجراء استيلاء الفرنسيين على السفينة وحمولتها وسبب ذلك متاعب كبيرة للأخ عبد الحفيظ بوصوف المجاهد العظيم الأبى الذي كان ينتظر السفينة لانتهاج النار العاتية بالغرب الجزائري، وإعطاء الضربة القاضية للجيش الفرنسي كانت تلك الضربة¹ التي وجهها لنا الاستعمار الفرنسي مؤلمة حقا، إن لم تكن حاسمة، لقد أخرجت الأمر أسابيع ليس إلا وقابلنا النكبة بصبر وثبات وإيمان"². ولم يتوقف الدعم العسكري المصري للجزائر عند هذه الحادثة، بل واصل الأشقاء العرب المصريون في عملية أمداد السلاح، خاصة بعد العدوان الثلاثي على مصر في أكتوبر 1956. حيث أمر جمال عبد الناصر بشحن كل الأسلحة التي غنمتها القوات المصرية من العساكر الفرنسيين والبريطانيين، وأمر بشحنها فورا للمجاهدين الجزائريين، وكانت كمية هائلة، ومتنوعة من المدافع الرشاشة، والمسدسات، والقنابل ومدافع الهاون، وأجهزة الاتصال اللاسلكي وكميات معتبرة من الذخيرة وخلال النصف الأول من عام 1957 تم شحن كميات من السلاح نحو الجزائر على الجهة البرية عن طريق الحدود الليبية المصرية بالاعتماد على بعض التجار الليبيين المختصين في عمليات التهريب وكللت هذه العمليات بوصول دفعة الأسلحة استلمها المناضل علي محساس في شهر فيفري 1957 الذي امن وصولها إلى الولايات الشرقية.

قامت الحكومة المصرية بشراء المراكب من اليونان في 20 مارس 1956م بغرض نقل الأسلحة من (دفاكس) إلى الجزائر، وبالفعل فقد قامت هذه السفينة بنقل الشحنة التاسعة إلى منطقة الأوراس وقسنطينة عبر تونس.

¹ - توفيق المدني، حياة كفاح، ج 3، المصدر السابق، ص324.

² - محمد بلقاسم، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910 - 1954، المرجع السابق، ص182.

وعقب المؤتمر الأول للمجلس الوطني للثورة في 1957م تم إعداد دراسة كاملة للموقف العام للثورة وتطوراتها قامت مصر بتسليم مندوب الجزائر بالقاهرة أحمد سليم أربع دفعات بلغت 53 طن من الأسلحة والذخيرة¹.

أمام تطور الثورة الجزائرية وتصعيد الكفاح المسلح في الجزائر وانضمام مقاتلين جدد لجيش التحرير الوطني، قامت الحكومة المصرية بإرسال عدة شحنات من الأسلحة والذخيرة المتنوعة وذلك بهدف استمرار الكفاح الجزائري والقضاء على الوجود الاستعماري في الجزائر.

بدخول الثورة الجزائرية عامها الخامس أمر الرئيس جمال عبد الناصر بالاستمرار في تدعيم المجاهدين الجزائريين بالأسلحة وخلال عام 1959، تسليم مندوب الحكومة المؤقتة المعونة الصينية للثوار الجزائريين والتي وصلت إلى مصر وتم تخزينها بالمخازن المصرية بمرسى مطروح ليتم نقلها باللواري إلى تونس.

أثناء مرحلة المفاوضات الجزائرية الفرنسية بادرت السلطات المصرية بإرسال شحنة من الأسلحة والذخيرة للثوار الجزائريين، وذلك لإعطاء طابع لهذه المفاوضات بحيث يتماشى الطابع العسكري مع الطابع السياسي الذي تمارسه الحكومة الجزائرية².

هذا فضلا عن التظاهرات التي كانت تقام بمصر لجمع التبرعات للثورة و الدورات التأهيلية للممرضات الجزائريات ففي أواخر جانفي 1958 استقبلت مصر الدفعة الأولى المكونة من 35 فتاة و استمر تدريبهم ستة أشهر بمستشفى الهلال³.

ورغم بعض الأزمات التي شهدتها العلاقة بين مصر والحكومة المؤقتة والتي انتقلت على إثرها الحكومة إلى تونس إلا أن الدعم المصري تواصل وذلك من خلال لقاء الرئيس جمال عبد الناصر بفرحات عباس في 06 فيفري 1959م والذي أكد فيه الرئيس المصري مواصلة الدعم للثورة وتمثل ذلك في صورة المعدات العسكرية ومبالغ مالية بالعملة المحلية و الصعبة، وفي 04 ماي

¹ - انظر الملحق رقم 4 من الرسالة.

² - مقالاتي، لميش، مصر والثورة التحريرية الجزائرية، سلسلة التضامن العربي مع الثورة الجزائرية، ج4، المرجع السابق، ص56.

³ - شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم: معالم تاريخ مصر الحديث، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1996، ص 194.

1959م تم تسليم دفعة سلاح جديدة و بقي الأمر على حاله إلى غاية الاستقلال مما زاد من مكانة الرئيس المصري عبد الناصر في أوساط الجزائريين حتى أن جريدة "لوموند" تقول في احد أعدادها أن عبد الناصر قد صار يخص بنوع من التقديس في الأوساط الشعبية المناهضة للغرب¹.

3- الدعم السياسي والدبلوماسي:

أ- الدعم السياسي:

لم يكن في الحقيقة ثمة فرق بين المواقف المصرية سواء كانت على الصعيد الحكومي أو الشعبي، ومن خلال هذا العرض الذي يحاول رصد الموقف الرسمي والشعبي من الثورة الجزائرية، العوامل المتحركة فيه.

1- الموقف الحكومي:

يقصد بهذا الوقف موقف القيادة الثورية المصرية ممثلة في الرئيس عبد الناصر نفسه وأعضاء مجلس الثورة المصرية ممثلة في المصرية، والذين أبدوا اهتماما خاصا بقضايا التحرر في العالم العربي منذ أن حسموا القضية الوطنية في مصر، واستطاعوا أن يتخلصوا من النفوذ الأجنبي الذي كان محور سياستهم داخليا وخارجيا، وكان من الطبيعي بعد نجاح الثورة في مصر أن يحدد قادتها مسار سياستهم الخارجية، فاندفعوا تجاه التيار العربي، خاصة أن الثورة منذ قيامها كانت مدركة تماما لشخصية مصر العربية².

أكد هذا الاتجاه بقية أعضاء قيادة الثورة 23 جويلية، حيث يذكر حسين الشافعي أن مصر تربطها بالعالم العربي أوثق الروابط الروحية والاقتصادية والتاريخية، وأن ما يحدث في مصر من أحداث يؤثر بسرعة على بقية الأقطار العربية، وأكد أنور السادات هذا الاتجاه بقوله: "إن سياستنا تقوم على الوطنية المصرية والقومية العربية بحيث لا يظهر تناقض بينهما وبحيث إلا تكون

¹ - عبد الله شريط: الثورة الجزائرية في الصحافة الدولية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995، ص 533.

² - مصطفى طلاس، بسام العسلي، سلسلة التضامن العربي مع الثورة الجزائرية، ج4، المرجع السابق، ص141.

مصلحة وسلامة دول عربية أخرى، وذلك صلاح سالم: "أن وطننا ليس مقصورا على مصر وحدها، بل هو المنطقة التي تضم العرب جميعا".

ومنذ الأيام الأولى لاندلاع الثورة الجزائرية عملت القيادة المصرية على متابعة تطوراتها بدقة، حيث اجتمع وزير لإرشاد القومي صلاح سالم بوفد من المغرب العربي، ضم الأمير عبد الكريم الخطابي عن مراکش والشيخ البشير الإبراهيمي والفضيل الورتلاني و مكّي الناصري عن الجزائر، وقدم هذا الوفد للوزير صورة حقيقية الموقف في الجزائر، وقدم هذا الوفد للوزير صورة حقيقية عن حقيقة الموقف في الجزائر، وإلقاء الضوء على إمكانيات الشعب الجزائري بعد أن اشتدت مقاومة الاستعمار الفرنسي له، وحصل الوفد على وعد من الوزير بمعاونة شعبي المغرب والجزائر وتدعيم كفاحهما حتى الاستقلال، وبعد هذا اللقاء كلف الرئيس جمال عبد الناصر صلاح سالم بعرض مشكلة الجزائر رسميا على اللجنة السياسية للجامعة العربية التي أخذت بدورها قرارا بعرض قضية الجزائر على هيئة الأمم المتحدة، وفوضت الوفد السعودي في هيئة الأمم المتحدة للقيام بذلك، كما قامت الحكومة المصرية بتكليف سفيرها في باريس للاتصال بالمسؤولين الفرنسيين وتوضيح الموقف المصري لهم إزاء الثورة الجزائرية، والتأكيد على أن مصر لا يمكنها التغاضي عما يربطها بالجزائر من صلات أخوية، كما أنها تحرص على الدفاع عن جميع البلاد العربية المستعمرة تطبيقا لميثاق الأمم المتحدة، وليس في هذا أو ذاك ما يمس العلاقات المصرية الفرنسية أو يؤثر فيها¹.

ولم يقتصر دور الحكومة المصرية تجاه القضية الجزائرية على التصريحات والخطب فقط، بل تجاوز ذلك إلى كسب التأييد الدولي لها في الهيئات الدولية، ففي دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1955 وعندما وافقت الجمعية العامة على إدراج قضية الجزائر في جدول أعمالها وقاطعت فرنسا اجتماع الدورة وانسحب وفدها من هيئة الأمم المتحدة، قام وفد الحكومة المصرية برئاسة

¹ - مصطفى طلاس، بسام العسلي، المرجع السابق، ص ص 142 - 145.

وزير الخارجية **محمد فوزي** بدور حاسم في جلب التأييد والمساندة للقضية الجزائرية، مما دفع مندوب فرنسا والدول المناصرة لها للقيام بحملة على مصر وكل الدول التي تؤيد القضية الجزائرية¹.

وتابعت الحكومة المصرية تطورات الثورة الجزائري وعبرت بوضوح عن مساندتها وتأييدها لهذه الثورة رافضة كل الأعمال التعسفية التي كان يقوم بها الاستعمار الفرنسي في الجزائر، فأثناء الإجراء التعسفي الذي قامت به السلطات الفرنسية ضد الزعماء الجزائريين باختطاف طائرهم عام 1956، استنكرت الحكومة المصرية هذا العمل بإصدار بيان رسمي وصفت فيهما أقدمت عليه سلطات فرنسا بالغدر والمخافة للقيم الأخلاقية².

وقامت الحكومة المصرية بعدة إجراءات تمثلت فيما يلي:

1- قيام وزارة الخارجية المصرية بإرسال برقية عاجلة إلى سفير مصر بتونس للاتصال شخصيا بالملك **محمد الخامس والحبيب بورقيبة**³ ومطالبتهما باسم الرئيس **جمال عبد الناصر** باستخدام نفوذهما لدى السلطات الفرنسية للإفراج عن الزعماء الجزائريين المقبوض عليهم، وبذل كل الجهود لتنفيذ هذه الرغبة، حيث أنهم كانوا في حماية الملك وضيافة بورقيبة.

2- قيام وزارة الخارجية المصرية بإرسال برقية عاجلة إلى جميع السفارات المصرية بالدول العربية والآسيوية والإفريقية للاتصال بالهيئات الوطنية وتشجيعها على إرسال بقرقيات احتجاج

¹ - صحيفة الأخبار، 20 أكتوبر 1955، العدد 1016، السنة الرابعة، ص 2.

² - بيان الحكومة المصرية أثناء اختطاف طائفة الزعماء الجزائري عام 1956، أنظر إلى مقالتي لميش، مصر والثورة التحريرية الجزائرية، سلسلة التضامن العربي مع الثورة الجزائرية، ج4، المرجع السابق، ص 148.

³ - **الحبيب بورقيبة**: ولد سنة 1903 بالمنستير تلقى تعليمه بمدرسة الصادقة، في عام 1924 انتقل إلى فرنسا ليواصل دراسته في الحقوق والعلوم السياسية، يعود إلى تونس عام 1928 بعد حصوله على ليسانس في الحقوق وشهادة في المحاماة في عام 1934، أسس حزب الدستور الجديد في سنة 1945 يتجه إلى القاهرة ليقود الصراع ضد الإمبريالية، يعود إلى تونس سنة 1949، ليواصل نضال ضد سلطات الحماية في تونس. في 8جانفي 1952، أغلّب قادة الحزب الدستور الجديد يتم توقيفهم بعد أعمال العنف التي شهدتها تونس ضد سلطة الحماية هذه الأخيرة تقوم بعمليات واسعة للضغط على حركة المقاومة، في أول جوان 1955 يعود بورقيبة إلى تونس ويوقع اتفاقية بين تونس وفرنسا، و في 20 مارس 1956 يتم الإعلان عن استقلال تونس، ثم ألقى بورقيبة سلطة الباي في 25 جويلية 1957، أعلن النظام الجمهورية ليصبح رئيسا للجمهورية التونسية إلى غاية الإطاحة به من طرف الجنرال "زين العابدين بن علي" في 07 نوفمبر 1987، إعتزل السياسة وبقي يصارع المرض إلى غاية وفاته خلال شهر أبريل 2000. ارجع إلى المرجع **عمر بوضرية**، النشاط الدبلوماسي للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سبتمبر 1958-1960، دار الحكمة للنشر 2012، ص 35.

إلى فرنسا بخصوص القبض على الزعماء الخمسة، كذا برقيات للأمين العام للأمم المتحدة.

3- تكليف إذاعة (صوت العرب) بشن حملة دعائية قوية لتأكيد استمرارية الثورة، والعمل بكل الوسائل للحفاظ على الروح المعنوية للمكافحين الجزائريين¹.

وكان لتشكيل الحكومة المؤقتة الجزائرية عام 1958 في القاهرة، صدى لدى القيادة المصرية، ذلك أن بعض أعضاء الحكومة لم يكونوا مؤيدين لتشكيلها حسب رأي أحمد توفيق المدني الذي يذكر أن بعض أعضاء الحكومة المصرية لم يكونوا مؤيدين لتشكيل هذه الحكومة، ذلك أنهم كانوا يؤمنون بزعامة أخلصوا لها، كان رجال تلك الزعامة في السجون الفرنسية فإنهم لا يتفاهمون معه أصلا، فلا هو يتكلم معهم بالعربية ولا هم يتكلمون معه بالفرنسية، ويرون فيه رجلا دس على الثورة الجزائرية قصد جرها آجلا أو عاجلا إلى مفاوضات مع فرنسا، وإخراج الجزائر من الميدان العربي الثوري إلى التعامل مع فرنسا والسير في ركاب الغرب.

يذكر المدني أنه بعد مجهودات متشعبة تم تشكيل الحكومة وسلم بيان ليلة الإعلان عنها إلى كل السفارات العربية في القاهرة إلى فتحي الديب ليبلغه بدوره إلى الرئيس جمال عبد الناصر حيث قال لي سجل من الآن أننا أول معترف بهذه الحكومة إنما سجل عندك خاصة أننا لسنا راضين عنها ونخشى أن تسؤ العاقبة من جراء وجودها".

مهما يكن من أمر فإن الحكومة المصرية قد اعترفت بالحكومة الجزائرية فور إعلانها، حيث ذكر جمال عبد الناصر " في رده على أحد الصحفيين بعد عشرة أيام من الإعلان عن الحكومة المؤقتة الجزائرية: " أن إعلانها في القاهرة هو الدليل الواضح على تأييدنا الكامل... أننا نثق في أن إعلانها سيكون عاملا يبعث المزيد من القوة والشجاعة في قلوب إخواننا في الجزائر الشجعان الذين يحاربون نصف مليون جندي مسلحين بأسلحة حلف الإطالنتيبي"².

¹ - فتحي الديب، عبد الناصر والثورة الجزائرية، المصدر السابق، ص 271.

² - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص 400.

واستمرت الحكومة المصرية في جلب التأييد والمساندة للثورة الجزائرية، وسعت إلى بعض المسؤولين في الدول العربية والأوروبية للوقوف إلى جانب الجزائر ومؤازرتها، ففي اللقاء الذي تم بين **عبد الناصر وتيتو** بالقاهرة في مارس عام 1960 ناقش الرئيسان مشكلة الجزائر، وأصدروا بياناً طالباً فيه بتسوية القضية الجزائرية على أساس الاعتراف بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، وأكد تأييد حكوميتها للقرارات التي اتخذت في المؤتمر الآسيوي الإفريقي عام 1955¹.

وتابعت الحكومة المصرية مراحل المفاوضات الفرنسية الجزائرية، وقد استطلع المفاوضون الجزائريون رأيها منذ البداية وكان الرئيس **جمال عبد الناصر** قد نصح بالتفاوض مع **ديغول** من أجل إقرار السلام، وأكد **لفرحات عباس**، رئيس الحكومة المؤقتة أن الحكومة المصرية ترحب بالجهود التي يبذلها **بورقيبة** للتوسط بين فرنسا والجزائر رغم ما بينهما من خلافات في تلك الفترة، وأيد **عبد الناصر** إلى تسوية مشكلة الجزائر بشروط معقولة و دون الارتباط بأي حلف مع فرنسا².

أثناء سير المفاوضات التقى **عبد الناصر** بوفد الحكومة المؤقتة الجزائرية وأستعرض معه المحادثات التي جرت في " أيفيان " وتدارس معه سير الأحداث بالتفصيل وموقف كل من الجانبين الفرنسي والجزائري تطوراتهما، وأكد تأييده للوفد الجزائري في جميع الميادين حتى يحقق الكفاح الجزائري الاستقلال والسيادة الكاملة للشعب الجزائري ووحدة ترابه.

وفور انتهاء المفاوضات صرح **عبد الناصر**: "أن الاتفاق الذي توصل له الجانبان الفرنسي والجزائري يفتح آمالاً جديدة لإقرار سلام قائم على العدل في الشمال الإفريقي، و إن التوصل إلى هذا الاتفاق (وقف إطلاق النار) والذي اعترفت فيه فرنسا باستقلال الجزائر ووحدة ترابها، يفتح باب التقارب بين الدول العربية وفرنسا³.

¹ -Fahat Abbas :Autopsie d'une guerre, paris,1980, p225.

² - مقالاتي ولميش، مصر والثورة التحريرية الجزائرية، سلسلة التضامن العربي مع الثورة الجزائرية، ج4، المرجع السابق، ص 159.

³ - المرجع السابق، ص160.

2- الموقف الشعبي المصري:

ونقصد به الهيئات السياسية التشريعية والدينية الاتحادات التعليمية والقضائية والنسائية والطلائية والنقابية وغيرها من التجمعات الجماهيرية.

3- الهيئات السياسية والتشريعية:

نقصد بالهيئات السياسية تلك التجمعات أو التنظيمات التي كان لها دور أساسي في البلاد مثل الاتحاد القومي ومجلس الأمة، وقد عبرت هذه الهيئات السياسية المصرية عن موقفها المؤيد والمساندة للثورة الجزائرية مدفوعة بشعور قومي وانتماء كلي للوطن العربي، فقد وجدت هذه الهيئات في تطورات الثورة الجزائري فرصة للتعبير عن موقفها، فبمناسبة يوم الجزائر عام 1958، عقد أعضاء الإتحاد القومي اجتماعا عاما، ناقشوا فيه تطور الكفاح الجزائري وما يتطلبه هذا الكفاح من تأييد ومساندة، حيث تحدث ممثل الإتحاد القومي **فؤاد جلال** " فأبرز مغرى الاحتفال بيوم الجزائر مؤكدا أن الجزائريين ليسوا في حاجة إلى المعونة المادية لتطور الحرب وإثبات صمودهم، وأثناء المظاهرات التي أقيمت في القاهرة عام 1960 لمساندة الشعب الجزائري في كفاحه، وأثناء المظاهرات التي أقيمت في القاهرة عام 1960 لمساندة الشعب الجزائري في كفاحه، نظم الإتحاد القومي مؤتمرا شعبيا حضرته شخصيات حكومية وممثل الحكومة المؤقتة الجزائرية **أحمد توفيق المدني**،¹ والذي ألقى كلمة شكر فيها الشعب المصري على مساندته للثورة الجزائرية، وذكر فيها أن المعركة واحدة و أن المصير واحد، لذا لا بد من المساندة والمؤازرة في هذه المعركة، وأن الاستعمار يهدف إلى استعمار كل الأقطار العربية وليس هناك من حل سوى أن يعيش الشعب العربي في استقلال أو استعباد كامل، وفي نهاية المؤتمر أصدر المؤتمر بياننا أعلنوا فيه تأييدهم الكامل للكفاح الجزائري ومساندتهم المطلقة للشعب الجزائري في حربه².

كانت القضية الجزائرية محل نقاش في جلسات مجلس الأمة، وعرضت للمناقشة عدة مرات، وفي عام 1960 وعلى أثر المظاهرات التي أقيمت في المدن الجزائرية تعبيرا عن رفض

¹- جريدة المجاهد، (15 افريل 1958)، العدد 22، ص6.

²- مقالاتي ولميش، مصر والثورة التحريرية الجزائرية، سلسلة التضامن العربي مع الثورة الجزائرية، ج4، المرجع السابق، ص162.

الشعب الجزائري للأساليب الاستعمارية الفرنسية، عقد أعضاء لجنة الشؤون العربية التابعة لمجلس الأمة اجتماعا ناقشوا فيه الوضع في الجزائر، وأصدروا عدة قرارات تمثلت في مطالبة الدول العربية بقطع علاقاتها مع فرنسا وتأميم ممتلكاتها وتعزيز الإعانات العربية للثورة الجزائرية وإلى مختلف الأقطار العربية لحثها على تطبيق هذه القرارات بسرعة¹.

4- التنظيمات غير السياسية:

يقصد بها الاتحادية النسائية ونقابة المعلمين ونقابة المحامين ونقابة العمال والمجالس الجامعية والاتحادات الطلابية... الخ ولقد وقفت هذه التنظيمات المصرية بكل أنواعها إلى جانب الثورة الجزائرية ولم تخف موقفها المؤيد والمساندة للثورة الجزائرية مدفوعة بشعور قومي واضح وإحساس بانتماء كلي للوطن العربي، وقد كان لتطورات الثورة الجزائرية صدى واسعا لدى تلك التنظيمات، فتجاوبت مع أحداثه تجاوبا فعالا وواضحا وراحت تساندها تؤيدها بكل ما تملك، وقد كان لحادث اختطاف طائرة الزعماء الجزائريين (وهو مثال واحد نوره كنموذج) لردود فعل هذه التنظيمات، ففور الإعلان عن النبأ أعلنت جميع الهيئات والتنظيمات استنكارها لهذا العمل، فقد أرسلت الهيئة التأسيسية للإتحاد النسائي بطريقتين إلى كل من حكومة فرنسا والسفير الفرنسي بالقاهرة احتجاجا على اعتقال الزعماء والمطالبة بالإفراج عنهم، وعقدت نقابة المعلمين اجتماعا أصدرت فيه بيان تبرز فيه موقف المعلمين. المصريين المؤيد لكفاح الشعب الجزائري ومساندته في نضاله ضد فرنسا، أما نقابة المحامين فقد أصدرت بيانا أدانت فيه العمل الفرنسي واعتبرته مخل للقواعد القانونية والدولية والقيم الأخلاقية ومبادئ الحرية الشخصية، وطالبت النقابة من الأمة العربية في أن تضاعف جهودها لتحرير الوطن العربي تحريرا كاملا، وأرسلت بريقة احتجاج إلى كل من نقابات المحامين في العالم مؤسسة المحامين الدولية بنيويورك ورابطة الحقوقيين ببروكسل².

¹ - جريدة المجاهد، (03 جانفي 1961)، العدد 86، ص 5.

² - منقلا من لميش، مصر والثورة التحريرية الجزائرية، سلسلة التضامن العربي مع الثورة الجزائرية، ج4، المرجع السابق، ص ص 164-165.

5- الهيئات الدينية:

وقفت كل الهيئات الدينية الإسلامية المصرية إلى جانب الثورة الجزائرية وساندتها، فقد تابع علماء الدين الإسلامي تطورات هذه الثورة، حيث اتخذ هؤلاء العلماء طرقاً وأساليب متنوعة في بث الوعي لدى الجماهير المصرية، وقد كان استغلال المناسبات الدينية والوطنية وغيرها من المناسبات فرصة لهؤلاء العلماء للحديث عن الكفاح الجزائري وتطوراته.

وكان لحادث اختطاف طائرة تأثير على علماء الدين، حيث عقد مجلس الأزهر اجتماعاً ناقش فيه الممارسات الفرنسية ضد الشعب الجزائري، وأصدر بياناً استنكر فيه ما تقوم به فرنسا في الجزائر من أعمال وحشية وتصرفات وقتل وغدر ضد الشعب الجزائري، ونبه المجلس حكومة فرنسا للعدول عن سياستها الاستعمارية التي تتنافى مع آمال وأهداف الشعب الجزائري في تقرير مصيره واسترجاع حريته واستقلاله، وختم المجلس بيانه بأن فرنسا لا يمكن أن تكسب صداقة الشعب الجزائري ولا تنتفع بموارده إلا إذا تركت هذا الشعب يقرر مصيره و يعلن استقلاله.

وفي العام الرابع للثورة الجزائرية وبمناسبة الاحتفال بيوم الجزائر، أذاع شيخ الأزهر عبد الرحمان تاج نداءً موجهاً إلى جميع المسلمين وحكوماتهم طالبهم فيه بمؤازرة الشعب الجزائري في كفاحه ونضاله، كما ألح على جميع المسلمين بتقديم تبرعاتهم إلى المجاهدين الجزائريين لتدعيم كفاحهم حتى يحققوا النصر والاستقلال¹.

واحتفالاً بالذكرى السادسة للثورة الجزائرية، وجه شيخ الأزهر نداءً إلى جميع سكان العالم، ندد فيه بالجرائم الاستعمارية التي تمارسها فرنسا في الجزائر ونادى فيه بالوقوف إلى جانب الشعب الجزائري في كفاحه ضد الاستعمار. وأقيمت صلاة الغائب بمسجد مدينة البعوث الإسلامية ترحمًا على أرواح شهداء الجزائر، اشترك فيها علماء الأزهر وطلبته وممثلو بعض الدول الإسلامية.

أثناء المظاهرات التي قام بها الشعب الجزائري وعمت معظم المدن الجزائرية عام 1960، أذاع شيخ الأزهر نداءً إلى العالم، طالب فيه الرأي العام الدولي بالتدخل للمحافظة على حقوق

¹ - مصطفى طلاس، بسام العسلي، المرجع السابق، ص 166-167.

الإنسان في الجزائر وأدى ممثلو الأقطار الإسلامية صلاة الغائب في الجامع الأزهر ترهما على أرواح شهداء الجزائر، وألقيت الخطب في المساجد للتبشير بوحشية الاستعمار الفرنسي بالجزائر.

وعندما أعلن عن استقلال الجزائر 1962 وأطلقت فرنسا سراح الزعماء الخمسة، أرسل شيخ الأزهر محمود شلتوت لهم برقية جاء فيه: "مع مطلع النصر الذي كلل به الله كفاح الشعب الجزائري، وفي غمرة الفرحة بالأحرار على صعيد مصر التي وهبت نفسها للعروبة والإسلام، أبعث إلى أعز أبناء الإسلام وأبطال الحرية والسلام، قادة الجزائر المناضلة بأصدق التحية وأبر الدعوات، ضارعا إلى الله عز وجل بجميع قلوب المسلمين على الحق والخير، و أن ينفع الإسلام بإيمان الأحرار و برفع شأن مسلمين بكفاح المجاهدين¹.

ب- الدعم الدبلوماسي:

لم يقتصر الدعم المصري للثورة الجزائرية على الدعم العسكري والمادي فقط، بل تجاوز ذلك إلى الدعم الدبلوماسي. ويمكن دراسة الدعم الدبلوماسي المصري للقضية الجزائرية في عدة إطارات هي بالترتيب المؤتمرات الدولية، ثم اجتماعات مجلس الجامعة العربية، وأخيرا مناقشات هيئة الأمم المتحدة.

1- المؤتمرات الآسيوية والإفريقية والعربية والدولية:

لعبت مصر دورا هاما في تدعيم مشاركة الجزائر وتمثيلها في مؤتمر باندونغ 18 أبريل 1955 لنصرة الشعب الجزائري مما أعطى للقضية الجزائرية دفعا نحو التدويل حيث تضامنت معها شعوب آسيا وإفريقيا وأوروبا وكانت كلها عوامل لاستمرار الكفاح المسلح لاسترجاع السيادة الوطنية.

مثلت مصر في هذا المؤتمر بوفد هام ترأسه جمال عبد الناصر الذي ألقى خطابا قويا ندد فيه بالاستعمار واعتبر أن بقاءه لا يتفق مع العهد الجديد في العالم، وأشار إلى قضية الجزائر مذكرا أن الحكومة الفرنسية تزعم أن الجزائر هي جزء لا يتجزأ من الإتحاد الفرنسي، وتقيم الحكومة

¹ - مصطفى طلاس، بسام العسلي، المرجع السابق، ص168.

الفرنسية هذا الزعم العجيب على أساس من جانب واحد هي الحكومة الفرنسية لا تلزم شعب الجزائر ولا يغير حقيقة أن الجزائر بلد عربي وأن لشعبه حقا طبيعيا في الحرية وتقرير المصير¹.

وما ميز مؤتمر باندونغ هو ليس تدويل القضية الجزائرية ومساندتها ماديا ومعنويا فقط بل أكثر من ذلك حيث التزم أعضائه بتقديم المساعدة المادية لحرب التحرير الجزائرية وتأييد المطالب الجزائرية و شرعية الوسائل المستعملة (الكفاح المسلح) من أجل الحرية، كان ذلك من بين التزامات الدول المشاركة في باندونغ التي أكدت تقديم مساعداتها المحسوسة إلى الشعوب من أجل استقلالها².

أعقب مؤتمر باندونغ مؤتمر آخر عقد في (بريوني) بيوغسلافيا يومي 18، 19 جويلية 1956، قدمت فيه جبهة التحرير الوطني إلى الرؤساء تيو ونهرو وعبد الناصر مذكرة أكدت فيها أهدافها السلمية، ومطالبة بعودة السيادة للشعب الجزائري وممارستها بصورة حركة كاملة³. وبحث رؤساء الحكومات الثلاث الموقف في الجزائر الذي اعتبر في نظرهم بالغ الأهمية، ويتطلب اهتماما عاجلا من وجهة نظر الحقوق الطبيعية لشعب الجزائر ولدعم السلام في ذلك الجزء من العالم.

كان لمصر دورا هاما وفعالا في تمكين الجزائريين من التأثير في منظمة الشعوب الأفروآسيوية منذ نشأتها بالقاهرة ديسمبر 1957م، الذي ضم عدد كبيرا من حركات التحرير والأحزاب والتنظيمات السياسية المتخلفة في كل من القارتين، وتولت مصر مسؤولية الاتصال بالتنظيمات المختلفة لحضور هذا المؤتمر، ذلك أن القاهرة قد أصبحت العاصمة السياسية لحركات الاستقلال، والقاعدة الأساسية لتحرير إفريقيا⁴.

وقد أعلن المؤتمر تأييد مصير ومساعيها نحو استقلال الجزائر واسترجاع حريتها، وأصدرت قرارات يحث على المفاوضات بين فرنسا وجبهة التحرير الوطني، والإفراج عن المعتقلين الجزائريين،

¹- مقالتي ولميش، مصر والثورة التحريرية الجزائرية، سلسلة التضامن العربي مع الثورة الجزائرية، ج4، المرجع السابق، المرجع السابق، ص 90.

²- إسماعيل ديش، السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954-1962، المرجع السابق، ص ص 71-72.

³- مقالتي لميش، مصر والثورة التحريرية الجزائرية، سلسلة التضامن العربي مع الثورة الجزائرية، ج4، المرجع السابق، ص ص، 91-92.

⁴- محمد فائق: عبد الناصر والثورة الإفريقية، دار المستقبل العربي، ط2، القاهرة، 1954، ص 42.

كما طالب من شعوب العالم بتنظيم المظاهرات والحملات الصحفية لتعبئة الرأي العام لاستنكار السياسة الفرنسية، وبأن تتولى تلك الشعوب الدفاع عن قضية الجزائر في المنظمات الدولية¹.

وفي أبريل عام 1958 عقد مؤتمر لجميع الدول الإفريقية الحرة في أكرا (عاصمة غانا)، حضره أكثر من ثلاثمائة مندوب يمثلون 62 هيئة شعبية في إفريقيا، وكان ضمن هذه الوفود المشاركة وفد عن جبهة التحرير الوطني الذي قدم مذكرة طالب فيها تأييد الدول الإفريقية والآسيوية للشعب الجزائري في كفاحه، والضغط على أمريكا حتى تقف موقف الحياد بين الجزائر وفرنسا²، وقد مثلت مصر في هذا المؤتمر بوفد ترأسه **محمود فوزي** وزير خارجية مصر آنذاك، والذي ألقى خطابا ابرز فيه شرعية الكفاح الجزائري من أجل استقلال بلاده، حيث ذكر: " أن هذا المؤتمر رمز للعصر الحديث الذي نعيش فيه وعلامة بارزة في طريق الإنسانية الذي يقود إلى ألوان جديدة من العلاقات بين الأمم، وتفهم أكثر للأهداف الإنسانية³.

ومن أجل نصرته القضية الجزائرية اجتمع وزراء خارجية الدول الإفريقية المستقلة (ليبيريا، مراكش، غينيا، السودان، الحبشة، ليبيا) وحكومة الجزائر المؤقتة في منروفيا عاصمة ليبيريا في 14 أوت 1959⁴. ومثل مصر في هذا المؤتمر **حسين ذو الفقار صبري** والذي ألقى خطابا مهما، ندد فيه بالفضائح التي ترتكبها فرنسا ضد الشعب الجزائري، كما ندد بقرار فرنسا الهادف إلى إجراء تجاربها الذرية في الصحراء الكبرى، وتحدث عن قضية الجزائر فساق صوار حية للإرهاب الفظيع وألوان الدمار التي لحقت بالجزائر منذ نوفمبر 1954، وقد اعترفت في هذا المؤتمر كل من غانا وغينيا بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية. وكان اعترافهما دليلا على قوة التضامن بين الشعوب والحكومات الإفريقية، حيث أحرزت القضية الجزائرية مكسبا إفريقيا جديدا⁵.

¹- محمد فائق: عبد الناصر والثورة الإفريقية، المصدر السابق، ص 42-43.

²- مقالاتي لميش، مصر والثورة التحريرية الجزائرية، سلسلة التضامن العربي مع الثورة الجزائرية، ج4، المرجع السابق، ص 94.

³- المرجع السابق، ص 94-95.

⁴- **ليجوم كولي**: الجامعة الإفريقية دليل سياسي موجز، سلسلة دراسات أفريقية، ترجمة: أحمد محمود سليمان، ط9، الدار للتأليف و الترجمة،

1966، ص 256.

⁵- المرجع نفسه، ص 378-380.

وفي إطار دعم النضال الإفريقي، عقد في تونس مؤتمر الشعوب الإفريقية، عقد تونس مؤتمر الشعوب الإفريقية، عقد تونس مؤتمر الشعوب الإفريقية في الفترة (25-30 جانفي 1960) والذي اشتركت فيه مصر، وقد أصدر هذا المؤتمر عدة قرارات بشأن القضية الجزائرية، حيث عبر عن سخطه تجاه الجرائم التي يمارسها الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وأيد المباحثات الجزائرية الفرنسية من أجل تقرير المصير، طالب المؤتمر من الدول المستقلة التي لم تعترف بعد بحكومة الجزائر المؤقتة أن تسارع للاعتراف بها¹.

كان عام 1960 حافلا بنشاط الدول الإفريقية، وتمثل ذلك في تبادل الزيارات بين قادة إيجاد اتفاق موحد بشأن المسائل التي تهم الإفريقية جميعها²، وفي مؤتمر الثاني لتضامن الشعوب الإفريقية الآسيوية الذي عقد في كوناكري عاصمة غينيا في الفترة الممتدة ما بين (11 و 15 افريل 1960)، بذلت مصر مساع حثيثة من أجل إصدار المؤتمر لقرارات تستنكر سياسة فرنسا في الجزائر والموافقة على إنشاء جيش تحرير إفريقي آسيوي للاشتراك في تحرير الجزائر³.

وفي الفترة الممتدة ما بين (4-7 جانفي 1961) وبدعوة من الملك محمد الخامس عقد مؤتمر بالدار البيضاء في المغرب الأقصى، حضره رؤساء حكومات (مصر، غانا، مالي، غينيا، الحكومة المؤقتة الجزائرية، وزير خارجية ليبيا، وقد بحث المؤتمر القضايا الإفريقية، وبالخصوص القضية الجزائرية التي أعلن المؤتمر بشأنها تصميمهم على تأييد الشعب الجزائري وحكومته المؤقتة بكل ناشد جميع البلدان التي تؤيد كفاح الجزائر بزيادة دعمها الدبلوماسي والمادي للحكومة المؤقتة⁴، وكانت قرارات هذه المؤتمرات بشأن القضية الجزائرية إيجابية عبرت بوضوح عن مشاعر الشعب الجزائري الذي يطمح إلى الحرية والاستقلال، وكان لتجمع عدد من رؤساء دول مستقلة في المغرب يعد حدثا تاريخيا يعيد الأثر في سير حركة التحرير العربي نحو تحقيق الأهداف الكاملة للشعوب المستعمرة، وبدون شك فقد سمح لهم هذا اللقاء في المغرب بالتعرف الدقيق على قضايا المغرب العربي عامة وقضية الجزائر على الخصوص⁵.

¹ - شوقي الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، معالم تاريخ مصر الحديث، ط1، المرجع السابق، ص23.

² - المرجع السابق، ص24.

³ - شوقي الجمل: التضامن الآسيوي الإفريقي وآثاره على القضايا العربية، القاهرة، 1964، ص157.

⁴ - ليجوم كولين، الجامعة الأفريقية دليل سياسي موجز، سلسلة دراسات أفريقية، المرجع السابق، ص ص390-391.

⁵ - جريدة المجاهد، (الاثنين 16 جانفي 1961)، العدد 87، ص10.

نالت القضية الجزائرية دعماً إفريقياً أخرى في مؤتمر شعوب إفريقيا الذي انعقد في القاهرة من (25 إلى 30 مارس عام 1961)، وق لعبت مصر دوراً أساسياً في هذا المؤتمر من أجل دعم القضية الجزائرية، حيث افتتح الرئيس جمال عبد الناصر المؤتمر بخطاب تعرض فيه لمراحل كفاح القارة الإفريقية ضد الاستعمار، وقد ربط ذلك بما تمارسه فرنسا في الجزائر، وأوضح أن القضية الجزائرية تمثل ذروة النضال الإفريقي من أجل الحرية والاستقلال، وأكد أن الشعوب الإفريقية تؤيد الجانب الجزائري بكل قواها المادية والمعنوية في المفاوضات مع فرنسا¹.

وكانت قضية الجزائر أولى القضايا التي استمع إليها ممثلي شعوب إفريقيا باعتبارها القضية الحية المتحركة في إطار المؤتمر وخارجه، وقد قدم رئيس الوفد الجزائري المشارك في المؤتمر تقريراً أبرز فيه تطورات الثورة الجزائرية، وأعلن أن الحكومة فرنسا عرضت الدخول في المفاوضات مع الحكومة الجزائر، وقد قبلت الحكومة الجزائرية هذا العرض على أساس إيجاد حل سلمي يحقق الحرية والسيادة للشعب الجزائري، وأشار في تقريره أن مصر أيدت باستمرار وبفاعلية حرب التحرير الجزائرية، وأعلن أن المفاوضات بين الجانبين ستبدأ خلال أسبوعين أو ثلاثة نؤكد أن هذا معناه نهاية النضال، وأوضح أن احتمال فشل المفاوضات يمكن في مطامع فرنسا في (الصحراء الجزائرية الغنية ببترونها)، ورغبتها في عد إخلاء قواها عنها، وطالب رئيس الوفد الجزائري الشعوب الإفريقية بأن تساند المفاوضات الجزائرية.

وأعلن المؤتمر في قراراته أن تقرير المصير الجزائر هو الوسيلة الوحيدة لحل النزاع القائم بين فرنسا والجزائر، وأكد أن محاولات فرنسا لاقتطاع الصحراء الجزائرية فيهم تهديد لاستقلال الجزائر والوحدة الإفريقية، ولذلك قرر تأييد قرار الحكومة المؤقتة الداعي إلى الدخول في مفاوضات مع الحكومة الفرنسية، لوضع مبدأ تقرير المصير موضع التنفيذ، وطالب المؤتمر الدول الإفريقية لزيادة المساعدات المادية والدبلوماسية للثورة الجزائرية حتى يحقق الشعب الجزائري استقلاله واعتبر المؤتمر أن أراضي الصحراء من الأراضي القومية الجزائرية².

¹ - المصدر السابق، (10 أبريل 1961)، العدد 93، ص 11.

² - منقلا من لميش، مصر والثورة التحريرية الجزائرية، سلسلة التضامن العربي مع الثورة الجزائرية، ج4، المرجع السابق، ص 101.

وأثبت مؤتمر القاهرة تصميم الشعوب الإفريقية على استخلاص حقوقها مهما كلفها ذلك من تضحيات كانت قراراته ناطقة بهذا المؤتمرات وفي مجمل قراراتها قد أعطت القضية الجزائرية دفعا معنويا على المستوى العالمي وكسبت لها التأييد والمساندة، ولعبت قراراتها دورا دبلوماسيا إعلاميا.

2- جامعة الدول العربية:

وإذا ما حاولنا تتبع موقف مصر في جامعة الدول العربية اتجاه القضية الجزائرية فغنه يحسن بنا أن نذكر أن البدايات الأولى ترجع إلى ما قبل الثورة الجزائرية عام 1954، حين عقد ملوك ورؤساء الدول العربية في نهاية ماي 1946، مؤتمر في -أنشاص- إحدى المدن الشرقية في مصر لبحث شؤون العالم العربي، وأصدروا فيه بيانا أوكلوا فيه إلى تحقيق رغبات أهل بلاد شمال إفريقيا، تونس، الجزائر، المغرب.

وفي 11 ديسمبر 1946 أرسلت الأمانة مذكرة إلى الحكومة الفرنسية أشارت فيها إلى المعاملة السيئة التي يعانها العرب في شمال إفريقيا مع إبراز عطف مجلس العربية الشديد على شعوب مراكش والجزائر وتونس¹. وفي 19 أبريل 1958 أصدر مجلس الجامعة قرارا بموافقتة على قرار اللجنة السياسية حول قضايا شمال تضمن الفقرة التالية:

" أما في ما يتعلق بالجزائر فتوصي اللجنة بأن يثار هذا الموضوع أمام اللجنة الثالثة للأمم المتحدة في دورتها المقبلة وتكليف الأمانة بإعداد دراسات وافية عن مختلف الشؤون في الجزائر لتكون بين أيدي الوفود العربية عند إثارة هذه القضية، وتوصي اللجنة بأن تبذل المساعي منذ الآن لدى لجنة حقوق الإنسان تمهيدا لبحث هذه القضية للتمكن من إثارتها أمام اللجنة الثالثة"².

تابعت مصر داخل جامعة الدول العربية قضايا المغرب العربي عامة والقضية الجزائرية على الخصوص حتى قيام ثورة 01 نوفمبر 1954، بمقر الجامعة في القاهرة لدراسة قضايا الدول العربية

¹- محمد علي رفاعي: الجامعة العربية وقضايا التحرير، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1971، ص 96.

²- المرجع نفسه، ص ص 94.93.

وطالب الرئيس جمال عبد الناصر من وزراء خارجية الدول العربية، بتوحيد السيادة الخارجية اتجاه الحملات الاستعمارية وخاصة في منطقة المغرب العربي¹.

وامتثالاً لهذا الطلب قام ممثلو الدول العربية في الجامعة إلى تأييد ومساندة الثورة الجزائرية، متخذين من أساليب السلطات الفرنسية نحو الشعب الجزائري مبرراً للرد على أي دعاية فرنسية تهدف إلى عزل الجزائر عن محيطها العربي.

ولقد برزت قضية الجزائر على الصعيد السياسي العالمي بداية من الجامعة العربية التي قامت بدورها مع مصر، والدول العربية للتعريف بهذه القضية على المستوى الدولي، ففي 13 جوان 1955، بعث الأمين للجامعة مذكرة إلى السكرتير العام للأمم المتحدة يوجه فيها نظره إلى ما تمارسه فرنسا من ظلم وتعسف تجاه الشعب الجزائري موضحاً النتائج والعواقب التي ستترتب عن هذا الوضع. وبعثت الأمانة العامة بمذكرات مماثلة إلى سفارات دول خلف شمال الأطلسي بالقاهرة موجهة النظر فيها إلى ما قامت به السلطات الفرنسية من سحب قوات كبيرة تابعة للحلف وإرسالها إلى الجزائر لتقمع بها الوطنيين الجزائريين².

في ميدان المساعدة طلب ممثل جبهة التحرير الوطني في بيان له أمام اجتماع لجنة الشؤون السياسية للجامعة العربية الذي انعقد في القاهرة في 03 نوفمبر 1957 تخصيص ميزانية سنوية للجزائر، تقررها الحكومات العربية الأعضاء في الجامعة العربية، ووافقت مصر على تلبية هذا الطلب، وبعثت بمذكرة إلى الأمانة العامة بتاريخ 09 ديسمبر 1957، تفيد باستعدادها للمساهمة في أي خطة تقرر اتخاذها اتجاه القضية الجزائرية.

وأمام تزايد تطور الكفاح المسلح، واستمرار القمع الفرنسي تجاه الشعب الجزائري، تقدمت (جمعية الهلال الأحمر الجزائر) بطلب مساعدة ومساندة ضحايا العدوان الفرنسي على الجزائر، وقد عينت الجامعة بدراسة هذا الطلب، حيث قرر مجلسها الذي انعقد في دورته العادية عام 1957 بالقاهرة، استمرار الدول الأعضاء في بذل المساعدات العاجلة للمنكوبين واللاجئين الجزائريين

¹ - منقلا من لميش، مصر والثورة التحريرية الجزائرية، سلسلة التضامن العربي مع الثورة الجزائرية، ج4، المرجع السابق، ص104.

² - المرجع السابق، ص105.

بواسطة الهيئات المختصة بذلك، وأن يتولى مندوبو الدول الأعضاء بالجامعة الاتصال بحكوماتهم من أجا المزيد من الدعم للقضية الجزائرية¹.

وأمام تتويج الكفاح الجزائري، بتشكيل الحكومة المؤقتة الجزائرية في 19 سبتمبر 1958 بالقاهرة، عبرت الأمانة العامة للجامعة العربية عن دعمها ومساندتها لهذه الحكومة، ورحبت بها كعضو في الجامعة، وكان لمصر دور بارز في السعي لدى الدول العربية الإفريقية للاعتراف بهذه الحكومة، وقد ألقى مندوب الجمهورية العربية المتحدة **عبد الحميد غالب** كلمة رحب فيها بعضوية الحكومة الجزائرية ضد فرنسا، وما يلاقيه هذا الشعب من قمع واضطهاد وطالب من الدول لعربية بذل المزيد من الدعم والمساندة للقضية الجزائرية، وفي الدورة الحادية الثلاثين التي انعقدت بالقاهرة عام 1958، قررت مصر مع جميع الدول العربية الأعضاء في الجامعة الموافقة على توصية اللجنة السياسية الخاصة بتقرير ميزانية سنوية قدرها اثنا عشر مليون جنيه إسترليني لمعونة الجزائر.

وقد تابعت الجامعة العربية المفاوضات الفرنسية الجزائرية في "مولان" عام 1960، وطالبت أن تجري هذه المفاوضات على أساس تقرير المصير للشعب الجزائري في استرجاع حريته واستقلاله. كما تابعت باهتمام مراحل مفاوضات (ايفيان) عام 1960، ووقفت على تطوراتها من المسؤولين في الحكومة الجزائرية وخاصة مندوبها الدائم لدى الجامعة العربية ودعت مكاتبها في الخارج إلى الدعوة لهذه المفاوضات وتأييدها.

ويمكن القول أنه رغم وجود موقف عربي موحد تجاه القضية الجزائرية في جامعة الدول العربية، إلا إن ذلك قد تدعم أكثر بالموقف المصري المساند دون تردد، وذلك بسبب مركز مصر كانت ترى بأن القضايا العربية كل لا يتجزأ بحكم الموقع والتاريخ وكل ما يتعلق بالميراث المشترك².

¹ - منقلاتي لميش، مصر والثورة التحريرية الجزائرية، المرجع السابق، ص 107 - 108.

² - المرجع نفسه، ص 108 - 111.

3- هيئة الأمم المتحدة:

ترجع بداية الجهود الدبلوماسية للقضية الجزائرية في هيئة الأمم المتحدة إلى جهود الجامعة العربية التي كلفت المملكة العربية السعودية، بأن ترفع القضية الجزائرية إلى مجلس الأمن وتساندها الدول العربية في ذلك لتحقيق آماني الجزائريين¹.

أرسلت هذه الأخيرة مذكرة إلى مجلس الأمن في 05 جانفي 1955، لفت انتباه أعضاء المجلس إلى الوضع في الجزائر على اعتباره يشكل تهديدا للأمن والسلام الدوليين، وأبرزت المذكرة في بيان تفسيري أرفق بها أن فرنسا تحاول - تحت أسطورة وضعها في الجزائر الذي فرضته على البلاد- طمس حقائق الشعب الجزائري القومية والثقافية والدينية عن طريق ما تمارسه من أعمال عسكرية².

أكد ممثل مصر أن معالجة القضية الجزائرية يدخل في اختصاص الجمعية العامة وأوضح أن موقف مصر نحو هذه القضية، و أوضح فقال: " أود أن أشير هنا بصفة خاصة إلى أن مصر إذا أيدت تلك الخطوة، كانت تحدها دوافع نبيلة منزهة عن كل نزعة إلى إثارة الغضب وأوضح عراقيل، ونحن لا نريد أن نحكم على مسلك فرنسا حين قاطعت اجتماعات الأمم المتحدة بسبب إدراج القضية الجزائرية في جدول الأعمال، ذلك المسلك الذي أسفنا له ولنتائجه. وأكد ممثل مصر، أن مناقشة قضية الجزائر قد ارتفعت إلى مرتبة عالمية إذا وضعت على مبادئ ميثاق الأمم المتحدة ووفقا لقرارات مؤتمر باندونغ، ثم أضاف " ولم ترد استجابة منا للرغبة في المصالحة والتوفيق أن تعارض الاقتراح الذي تقدم به مندوب الهند إلى تأجيل المناقشة إلى الدورة الحالية"³.

وأثناء مناقشة القضية الجزائرية أمام الجمعية العامة قدمت مشاريع قرارات ثلاثة، ومن المهم الإشارة هنا إلى القرار الذي تنبه مصر مع مجموعة الدول الآفرو آسيوية والذي نص على أن تطلب الجمعية العامة من فرنسا الاستجابة لرغبات الشعب الجزائري في ممارسة حقه الأساسي في تقرير المصير ودعوة فرنسا وشعب الجزائر إلى مفاوضات لوقف الأعمال العسكرية وإيجاد تسوية سليمة

¹ - Youcef Saadi :La bataille d'Alger, T.E.N.A.L , Alger, 1984, p, 219.

² - منقلاتي، لميش، مصر والثورة التحريرية الجزائرية، سلسلة التضامن العربي مع الثورة الجزائرية، ج4، المرجع السابق، ص111.

³ - المرجع نفسه، ص 113.

للخلاف بينهما طبقا لميثاق الأمم المتحدة .و على الرغم من اعتدال قرار الكتلة الأفرو آسيوية إلا أن هذا الاقتراح لم يحصل على الأغلبية أثناء الاقتراع، ولم توافق الجمعية العامة إلا على اقتراح أكثر ميوعة وأشد غموضا تقدمت به (اليابان والفلبين...)، وبعض دول أمريكا اللاتينية، وصدرت بشأنه توصية في 15 فيفري 1957، حيث تعمدت الجمعية العامة عدم ذكر طرفي النزاع ضمني بأن للجزائر كيان مستقل قائم بذاته، وجاء في التوصية " أن ما يجري في الجزائر الآن قد أدى إلى آلام كثيرة، وخسائر جسيمة في الأرواح، لذلك فالجمعية العامة للأمم المتحدة تعرب عن أملها في الوصول بوسائل مناسبة وبروح متحمسة بالتعاون إلى حل سلمي لمشكلة الجزائر¹.

وعندما عرضت القضية الجزائرية على الجمعية العامة في نفس الدورة طالبت مصر ودول الكتلة الأفرو آسيوية عرض القضية الجزائرية، رافضة الإدعاءات الفرنسية بأن قضية الجزائر مشكلة فرنسية داخلية. وكان لحديث الوفود العربية التي شاركت في مناقشة القضية الجزائرية أثره الواضح على سير الأحداث، وقد مثلت مصر بوفد هام ترأسه وزير الخارجية **محمود فوزي** الذي ألقى بيانا أبرز فيه بوضوح ما يعاينه الشعب الجزائري من ظلم وطغيان مطالبها الجمعية العامة بإيجاد تسوية سلمية للقضية الجزائرية، حيث ذكر قائلا: "أن شعب تلك البلاد يقاسي على أيدي الفرنسيين الألم والذل في الوقت الذي ينهمك فيه البرلمان الفرنسي في مجادلات لا نهاية لها، تسقط وزارة المسألة دون أن نفعل شيئا، مكتفين بالاستماع إلى أقوال بعض نواب فرنسا عن الجزائر كجزء من فرنسا".

و كان لكلمة **محمود فوزي** صدى واسع، حيث كانت بمثابة ضرب مباشرة لفرنسا في هيئة الأمم المتحدة، كما أنها لقيت كل التأييد من الدول العربية الإفريقية، وذلك ما أكسب القضية الجزائرية انتصارا دبلوماسيا مكنها من المضي إلى الأمام². وأثناء مناقشة القضية الجزائرية وفي اللجنة السياسية تقدم **محمود فوزي** ببيان، أوضح فيه موقف مصر المؤيد للوطنيين الجزائريين في المعركة التي يخوضونها ضد فرنسا في سبيل تحقيق الاستقلال، وأشار إلى مشروع **ديغول** الخاص بإجراء استفتاء في الجزائر حيث قال: " أن يكون من شأن الجزائريين بطبيعة الحال، ومن شأنهم

¹- منقلاتي لميش، مصر والثورة التحريرية الجزائرية، المرجع السابق، ص 117.

²- المرجع نفسه، ص ص 119-120.

وحدهم أن يتخذوا قراراتهم الخاصة، ونحن نلاحظ ونسجل اعتراف فرنسا بحق الجزائريين في تقرير مصيرهم"، وفي ختام البيان أبرز **محمود فوزي** موقف مصر من القضية الجزائرية حيث قال: "إن موقف حكومتي من حكومة الجزائر وشعبها في كفاحها من أجل الاستقلال واسترداد البلاد والمحافظة على سلامة الأراضي سيظل كما كان في أي وقت مضى هو موقف الحزم والتصميم، وأثناء مناقشة القضية الجزائرية الجمعية العامة هاجم **محمود فوزي** الأمم المتحدة واتهمها السلبية في معالجة قضية الجزائر، وحث على بدء المفاوضات بين الجزائريين والفرنسيين من أجل تسوية نهائية للقضية الجزائرية.

ورغم إدراج القضية الجزائرية في الدورة ودراستها دراسة حيث أصدرت معظم الوفود العربية والإفريقية على إيجاد تسوية سلمية للقضية الجزائرية، إلا أن قرار هيئة الأمم المتحدة كان مجحفاً في حقها. حيث أصدرت الهيئة قرار دعت فيه إلى فتح مفاوضات لضبط شروط اللازمة لتطبيق حق الشعب الجزائري في تقرير المصير¹.

وعادت الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها الخامسة عشر إلى مناقشة القضية الجزائرية في شهر ديسمبر عام 1960، وفي الوقت الذي كانت اللجنة السياسية تبحث قضية الجزائر، كان القصد منها تنفيذ مطالب الدول العربية في هيئة الأمم المتحدة الرامية إلى استقلال الجزائر، والزعم بأن الشعب الجزائري يؤيد السياسة الفرنسية في الجزائر، إلا أن ما حدث هو العكس، حيث استقبل بمظاهرات صاحبة عبر فيها الشعب الجزائري عن سخطه مطالب بالاستقلال، وتحولت المظاهرة السلمية إلى مجازر وحشية حيث سقط الكثيرون جرحى وقتلى².

وأثناء مناقشة القضية الجزائرية في الجمعية العامة للأمم المتحدة في ديسمبر 1960، ألقى الرئيس **جمال عبد الناصر** الذي كان على رأس الوفد المصري خطاباً، أبرز فيه القضية الجزائرية التي اعتبرها من الأمور البالغة الأهمية مذكراً الأمم المتحدة بتجاهلها لهذه القضية، وموجها اللوم والعتاب للحكومة الفرنسية واتهمها بعدم تطبيق قرارات الأمم المتحدة بشأن القضية الجزائرية حيث قال: "إنه من الأمور البالغة الأهمية التي لا تنسى الأمم المتحدة نفسها ولا تنسى قراراتها و إلا

¹- جريدة المجاهد: (الثلاثاء 15 ديسمبر 1959)، العدد 57، ص 6.

²- مقالاتي، لميش، مصر والثورة التحريرية الجزائرية، سلسلة التضامن العربي مع الثورة الجزائرية، ج4، المرجع السابق، ص 122-123.

فإننا نشجع بذلك اللذين يحاولون تناسي الأمم المتحدة وتجاهل وجودها وإننا لا نرى المثال الصارخ لهذا التجاهل في سياسة فرنسا اتجاه الجزائر. فلقد عرقلت الحكومة الفرنسية كل محاولات الأمم المتحدة الهادفة إلى وضع حد للمجازر الاستعمارية في الجزائر" ثم أعلن أن سياسة فرنسا في الجزائر وما يمارسه جيشه جزء من فرنسا " حيث قال: " إن حكومة فرنسا تتصور أنها قادر بالمدافع على أن تغير إرادة الله الذي جعل الجزائر قطعة من القارة الإفريقية، وجعل شعبها جزءا من الأمة العربية. فإذا هي تحاول من أرضها امتداد جغرافيا لفرنسا ومن شعبها شعب تابعا مستعبدا...".

كان لهذا الخطاب إلى جانب خطب الزعماء الآخرين من أقطاب دول عدم الانحياز، أثره اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا نص " على اعتبار استمرار الحرب في الجزائر خطرا على الأمن والسلام الدوليين، وتأكيد حق الشعب الجزائري في حريته ممارسة سيادته.

وخلال عام 1961 دخلت قضية الجزائر مرحلة جديدة وحاسمة، خصوصا بعد أن رضخت فرنسا وقبلت الدخول في مفاوضات مع الحكومة المؤقتة الجزائرية حول تحقيق الاستقلال وكيفية تقرير المصير، لكن ذلك لم يمنع من إثارة القضية الجزائرية في الدورة السادسة عشرة لهيئة الأمم المتحدة بناء على طلب تقدمت به اثنتان وأربعون دولة آسيوية وإفريقية، من بينها مصر إلى الجمعية العامة¹، حيث عرضت القضية الجزائرية على الهيئة السياسية لهيئة الأمم المتحدة في 14 ديسمبر 1961، وقدت ركزت خطب ممثلي الدول المساندة للقضية الجزائرية على ضرورة الإسراع في المفاوضات بين الجزائر وفرنسا، تنفيذًا لقرارات الأمم المتحدة والوصول بها إلى نتائج مرضية تضمن للجزائريين حق تقريرهم والاستقلال الكامل.

وهكذا كانت مصر دائما وراء المساعي لدعم القضية الجزائرية والحصول على قرار تأييدها واستنكار الأعمال الفرنسية و ظل هذا الدور بلا فتور أو ضعف طوال فترة كفاح الشعب الجزائري حتى حقق استقلاله. وأن تأثير موقف مصر في هيئة الأمم المتحدة كان واضحا على الدول العربية والكثير من الدول الآفرو آسيوية الأعضاء في الهيئة، وقد اتسمت كل خطب الوفد المصري بالعنف والقوة ومخاطبة فرنسا بصورة مباشرة، حيث كانت هذه الخطب تحمل دلالة

¹ - منقلا من لميش، مصر والثورة التحريرية الجزائرية، المرجع السابق، ص 126.

واضحة وهي ربط النضال الدبلوماسي بالواقع الجزائري والاستناد على الأدلة القانونية والتاريخية، وذلك لإعطاء القضية الجزائرية الصفة الشرعية والقانونية¹.

3- أثر بداية الكفاح المسلح في المغرب وتونس عام 1955:

إن فكرة التعاون بين البلدان المغاربية والتضامن بين شعوبه ما فتئت تحتل مكانا بارزا من اهتمامات الحركة الوطنية في كل من تونس والمغرب وليبيا والجزائر نتيجة الضرورة التي طرحتها المجاهدة المشتركة ضد استعمار واحد. وقد تمكنت لجنة تحرير المغرب العربي من تفعيل هذا التضامن ووضع خطط منسقة هدفت إلى التحرير الشامل لأقطار المغرب العربي.

أ- المغرب:

في بداية الثورة التحريرية لم تشهد المنطقة الغربية نشاطا معتبرا لجيش التحرير الوطني إذ كانت قوات المنطقة الخامسة تخضع لرقابة فرنسية مشددة وفي حاجة ماسة للسلاح و التزود بالمؤونة و هذا ما يفسر لجؤ الثوار الجزائريون إلى الحدود الجزائرية المغربية و نشاطهم المتزايد بها حيث كانت مناطق الريف الإسبانية ملجأ آمنا و قاعدة مهمة للتزود بالسلاح و ازداد معها احتكاك الثوار الجزائريين بسكان الريف المتعاطفين تلقائيا مع الثورة الجزائرية و كشفت الاتصالات مع عناصر المقاومة المغربية عن إمكانية الاستفادة من المغاربة، غير أن الاتصالات الأولى التي نشطها **حسين قديري** لم تؤد إلى أي تعاون يذكر و اكتفى جيش التحرير الوطني بجمع التبرعات من الجزائريين المقيمين بالمغرب و شراء الأسلحة وقد كان مسؤولو جبهة التحرير الوطني يدركون أهمية المنطقة الشمالية للمغرب الخاضعة للنفوذ الإسباني في تأمين نشاط الثورة الجزائرية و تهريب الأسلحة فعولوا على إمكانية التنسيق مع المقاومة المغربية و توحيد المعركة المسلحة، و انتقل **محمد بوضياف** من القاهرة إلى المغرب و أقام عدة اتصالات مع شبكات تهريب الأسلحة بالريف المغربي ومع المقاومة المغربية، ولم يلتقي بقائد المنطقة الخامسة **بن مهدي** إلا في مارس 1955 بواد ملوية، فأبلغه بقرب وصول دفعات السلاح المصري، ولعل أهم إنجاز تحقق سنة 1955 هو مبادرة الوفد الخارج لجبهة التحرير المغرب العربي، وبيدوا أن القيادة المصرية اشترطت من الطرفين

¹- عبد الله منقلاتي، دور المغربي العربي وإفريقيا في دعم الثورة الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص ص، 135-136.

الالتزام بالعمل الموحد كشرط لتقديم دعمها المادي¹، وفي الإطار عقدت في جانفي 1955 اجتماعات تنسيقية بمبادرة مصرية ضمت من الجانب المغربي **علال الفاسي**²، و **عبد الكبير الفاسي**، و تم استعراض وضعية الكفاح الجزائري والمغربي وظروف تنسيق العمل بين الجبهتين، واتفقوا على أن تقوم مصر بإمداد الثوار الجزائريين والمقاومة المغربية بالسلاح وأن توصله إلى منطقة الريف الشمالية، وأن يلتزم جيش التحرير الجزائري وحركة المقاومة المغربية ببدء الكفاح الموحد و التنسيق بينهما ضمن قيادة مشتركة سميت "القيادة العسكرية العليا لشمال إفريقيا"، و تم الالتزام باستمرار الكفاح دون توقف أي طرف حتى يتم التحرير الشامل الأقطار المغرب العربي³.

واصل أول إمداد مصري بالأسلحة و الذخيرة إلى سواحل منطقة الريف المغربي في فيفري 1955 عبر سفينة (ديانا)، قام رجال الثورة بإنزالها بنجاح و إيصالها إلى المنطقة الخامسة وتلتها باخرة مصرية في جوان 1955 أفرغت كمية هامة من الأسلحة و الذخيرة و يذكر الراحل رشيد⁴ بأن الأسباب كانوا يغضون الطرف ويتظاهرون بعدم العلم بما يجري، وأن التنسيق مع المقاومة المغربية حقق نتائج هامة في دعم الثورة، ووفق لروايته فإن جيش التحرير الوطني كان يتحرك بكل حرية من الغرب الجزائري إلى داخل الريف المغربي، حيث يتم تدريبهم و تزويدهم بالأسلحة و يعودون إلى الجزائر، و تركز الاهتمام المصري على تزويد الجبهة الغربية الجزائرية ومنطقة الريف بالأسلحة، فتم تجهيز باخرة (انتصار) بكميات من الأسلحة استقبلت بالساحل المغربي في شهر ديسمبر، وقسمت حمولتها بين الثوار الجزائريين ورجال المقاومة المغاربية، واعتبرت بمثابة الموعد بمثابة انطلاقة قوية للثورة التحريرية بمنطقة وهران، كما فتحت حركة المقاومة المغربية جبهة كفاح بالأطلسي، وخاضت سلسلة قوية من الهجمات على المواقع الفرنسية، وقد أثارت هذه الانطلاقة المفاجئة والمنسقة تخوفات المستعمر الفرنسي، خاصة وإن هذه العمليات رافقتها حملة إعلامية وتعبئة شعبية واسعة، أصدر خلالها جيش التحرير الجزائري وحركة المقاومة المغربية بيانات مشتركة باسم "جيش

¹- عبد الله منقلاتي: دور المغربي العربي وإفريقيا في دعم الثورة الجزائرية، ج1، مرجع السابق، ص 306.

²- **علال الفاسي**: (1910-1974)، زعيم حزب الاستقلال، أقام في القاهرة منذ عام 1946 وأسهم في العمل المغاربي المشترك، تحالف مع الوفد الخارجي للثورة من أجل توحيد الكفاح المغربي الجزائري لكنه تخلى عن هذا المشروع بعد استقلال المغرب و أصبح يطالب بتحرير الصحراء ومغربية موريتانيا. أنظر إلى مرجع عبد الله منقلاتي: العلاقات الجزائرية المغاربية والإفريقية إبان الثورة الجزائرية، ج1، ص 21.

³- فتحي الديب: جمال عبد الناصر و ثورة الجزائر، المصدر السابق، ص 73.

⁴- الراحل رشيد: هو أحمد مستغاني كان عضوا بقيادة الولاية الخامسة سنة 1957، و مسؤولا عن منطقة الحدود المغربية الجزائرية.

تحرير المغرب العربي¹، أكد فيها إصرار الطرفين على مواصلة الكفاح ووحدة التنسيق بالشمال الإفريقي وولائهما للالتزامات المشتركة²، ففي أول منشور لجيش تحرير المغرب العربي أعلن الطرفين عن أهدافهما المتمثلة في:

1- الكفاح حتى النهاية في سبيل الاستقلال التام لأقطار المغرب العربي مع عودة سلطان المغرب الشرعي إلى عرشه بالرباط.

2- عدم التقييد بأي اتفاقات عقدت أو تعقد مستقبلا لا تحقق الهدف الأول بالكامل.

3- اعتبار كل مواطن منادي بخلاف ما ذكر خارج على ما أجمعت عليه البلاد والحركات الوطنية الفدائية وأن مثل هؤلاء لا يمثلون إلا أنفسهم و كفى ما قاسته البلاد من مفسادهم.

وأصدر قسم الجزائر والمغرب بلجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة بيانا ألقاه **علال الفاسي** يوم 4 أكتوبر 1955 أعلن فيه عن تكوين قيادة موحدة لحركة المقاومة المغربية و جبهة التحرير الجزائرية في جيش موحد مهمته "التنسيق الكامل و التعاضد التام في الخطط و العمليات التي يقوم بها المقاومون لأجل تحقيق هدفهم الأوحد في استقلال أقطار المغرب العربي..."³.

عقد قادة جيوش تحرير المغرب العربي اجتماعا بالقاهرة في شهر جانفي 1956 تناولوا خلاله تطور الموقف على ضوء توسع نطاق الكفاح المسلح بالجزائر والمغرب، وسبل تقويته وتعرض المشاركون للصعوبات المعترضة لنشاط حركة المقاومة المغربية إثر رجوع السلطات **محمد الخامس**

¹-جيش تحرير المغرب العربي: بعد أن تقوى نفوذ الثورة الجزائرية واحتدمت الأزمة المغربية الفرنسية عقب حوادث 20 أوت 1955، وبعد أن تبين للتونسيين زيف الاستقلال المحقق، بدأت ملامح الرؤى التحررية تتوحد، و أوضحت بعض الظروف الدولية والمعطيات السياسية أهمية تكريس الوحدة في الكفاح ضد العدو المشترك، وضرورة العودة إلى تفتيت قضايا المغرب العربي، وتمييع كفاحها بالحلول السلمية والمناورات السياسية. لقد تحقق ميلاد جيش تحرير المغرب العربي في أكتوبر من عام 1955، بعد أشواط من التحضيرات وتجاوز كثيرا من العقبات، وساهمت كثير من الظروف في بعث المشروع الذي كان طموحا لمناضلي الحركات الاستقلالية في المغرب العربي منذ سنة 1947، ورسخته الثورة الجزائرية، بدفعها لحزب الاستقلال وحركة المقاومة إلى تعميم العمل العسكري و تنسيقه مع جبهة وهران الجزائرية، ونجح مخططها الاستراتيجي في توحيد معركة المغرب العربي ضد الاحتلال الفرنسي ميدانيا. أنظر إلى مرجع **عبد الله منقلاتي**: العلاقات الجزائرية المغاربية والإفريقية إبان الثورة الجزائرية، ج1، ط1، دار السبيل للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009، ص ص 161-159.

²- فتحي الديب: جمال عبد الناصر وثورة الجزائر، مصدر سابق، ص ص، 121، 149.

³- عبد الله منقلاتي، دور المغربي العربي وإفريقيا في دعم الثورة الجزائرية، ج1، ص ص 309-310.

من منفاه ونوايا حزب الاستقلال في توقيف المقاومة التعويل على المفاوضات، وتم التأكيد على ضرورة مواصلة الكفاح المشترك وتعزيز جبهاته بعودة الكفاح إلى تونس مع أنصار صالح بن يوسف¹، وأكد ممثلو جيش التحرير الوطني وحركة المقاومة المغربية في مذكرة للرئيس عبد الناصر عزمهم على مواصلة الكفاح حتى حصول أقطار المغرب العربي على الاستقلال التام، ومعارضتهم لسياسية فرنسا الرامية إلى تجزئته قضية شمال إفريقيا و نعتبرها قضية شعب واحد².

إن انتقال جيش التحرير المغربي إلى الجنوب شكل مرحلة أخرى من التعاون بينه و بين الثوار الجزائريين، وكان من دوافع هذا الانتقال الاضطراري هو المحافظة على نشاطه بدل حله ومواصلة الكفاح المسلح لاستكمال تحرير المناطق الجنوبية، و فتح جبهة عسكرية ضد الاستعمار الفرنسي والإسباني شكلت عامل ضغط للتخفيف على الثورة الجزائرية، كما استمر دعمه للثوار الجزائريين بالرجال و الأسلحة تناسباً مع أوضاعه، فقد أكد أحد من قيادته محمد بن سعيد أن من دوافع انتقال جيش التحرير إلى الجنوب هو مؤازرة الثورة الجزائرية" كان هدف استكمال تحرير باقي مناطق التراب المغربي"³.

وأدركت القوات الفرنسية المخاطر التي تشكلها هذه المقاومة المسلحة التي تشرف على كامل منطقة الجنوب من فجيج حتى المحيط الأطلسي، خاصة عندما قامت وحداته بشن هجمات على الفرنسيين بالقرب من مناطق تندوف وبشار، ووجهت ضربات قوية للتواجد الإسباني بالساقية الحمراء، واعتمد جيش التحرير الوطني على الاستفادة قدر الإمكان من هذه الجبهة الجنوبية طوال سنتي 1957-1958 فيما يخص مرور الأسلحة ووحدات الجيش عبر ممر فجيج بعد تكثيف القوات الفرنسية لرقابتها على الحدود الشمالية، وقدم جيش التحرير المغربي في الجنوب دعماً مادياً للثوار الجزائريين بالصحراء يذكر محمد بن سعيد (من أمثلة ما قدم من طرف الدكتور علال الأسلحة ومواد التموين والمواد الطبية وعدد من السيارات والأموال).

¹ - صالح بن يوسف (1907-1961): مناضل وطني تولى الإشراف على الحزب الدستوري الحر في غياب "بورقيبة" عارض سياسته التفاوضية وطالب بالاستقلال التام لتونس، ووحدة المعركة المغربية. أنظر عبد الله منقلاتي، العلاقات الجزائرية المغاربية الإفريقية إبان الثورة الجزائرية، ج 1، ص 50.

² - فتحي الديب، جمال عبد الناصر وثورة الجزائر، المصدر السابق، ص ص ، 149، 162.

³ - عبد الله منقلاتي، دور المغربي العربي وإفريقيا في دعم الثورة الجزائرية، ج 1 ، المرجع السابق، ص 318.

لم تكن قيادة الولاية الخامسة تعول كثيرا على هذه المساعدات بقدر ما كانت تهتم بمواصلة التعاون والتنسيق بخصوص تمرير الأسلحة عبر الجنوب، وإمداد وحداتها المقاتلة بمناطق الساورة وبشار، وهو ما اضطر القوات الفرنسية بهذه المناطق لطلب الإمدادات من وحداتها بالشمال وكان ذلك بمثابة تخفيف ضغط على الجبهة الشمالية، ومع تواصل مرور الأسلحة واستمرار جيش التحرير المغربي في مقاومته بدأت القوات الفرنسية تخشى تطور الوضع بالمناطق الصحراوية وتتخوف من نجاح جيش التحرير المغربي في طرد الأسبان وإمداد مقاومته إلى موريتانيا الفرنسية أو أن تتحالف إسبانيا مع المغاربة فتثير لها متاعب تؤثر على الصحراء الجزائرية و المناطق الإفريقية¹.

من هنا يتضح لنا أن تجربة الكفاح المسلح لحركة المقاومة المغربية أفادت الكفاح الجزائري أدبيا وماديا، سواء في مرحلتها الأولى بمناطق الريف الشمالية أو مناطق الجنوب الصحراوية في المرحلة الثانية، إذ كانت عوننا للجزائريين وسندا في ترسيخ نفوذهم بالمناطق المغربية وفي دعم قدراتهم العسكرية، والتأكيد على خيار تنسيق الجهود في خدمة القضايا المشتركة.

ب- تونس:

إن اندلاع المقاومة المسلحة في تونس وتفجير ثورة التحرير الجزائرية خلق تفاعلا شعبيا واسعا معهما من كلا القطرين خاصة سكان المناطق الحدودية، وقد لوحظ بداية عمل مسلح مشترك كانت الحركات الوطنية لأقطار المغرب العربي قد دعت إلى تنسيقه من أجل تعميم المعركة ضد الاستعمار المشترك، ومن هنا وجدت المقاوم التونسية بالمناطق الحدودية الجزائرية كل الدعم والمساندة من تموين بالسلاح والذخيرة، وحتى بالأفراد، كما أن الثورة الجزائرية اعتمدت منذ اندلاعها الواجحة التونسية منطلقا للتزود بالسلاح، ووطد مصطفى بن بولعيد وباجي مختار اتصالاتهما مع المقاومة التونسية من أجل شراء الأسلحة أو إهدائها خاصة بعد قرار توفيق الكفاح المسلح بتونس، وأقدم عدد من الجزائريين المتطوعين في صفوف المقاومة التونسية وآخرون من رجال

¹ - عبد الله منقلاتي، دور المغربي العربي وإفريقيا في دعم الثورة الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص ص 319-320.

المقاومة التونسية على الالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني بدلا من تسليم أسلحتهم إيماناً منهم بوحدة الكفاح المشترك¹.

لقد أقامت لجنة التنسيق والتنفيذ علاقات تعاون وتنسيق مثمرة مع السلطات التونسية واتخذت إجراءات جديدة لتنظيم العلاقات المدنية والعسكرية، إذ انتظم الإشراف على جبهة التحرير الوطني بتونس، ونسق أوعمران وابن عودة النشاط العسكري مع أحمد التليلي والحرس التونسي على طول الحدود الليبية و الجزائرية، وتم نقل مخزون الأسلحة المتواجد بليبيا، وهيكلت القاعدة الشرقية لتؤدي مهمة إمداد المناطق الداخلية بالأسلحة، وهكذا وفق أوعمران في مهامه العسكرية وضمن تعاون السلطات التونسية، ومررت شحنات ضخمة من الأسلحة قدرتها بعض المصادر بألف قطعة سلاح شهريا².

وبذلك نجح هذا الإطار الرسمي في إنجاح مهمة إمداد الثورة التحريرية بالأسلحة في حين كان الأسلوب القديم في التهريب محفوفا بالمخاطر ولا يستجيب لطلبات الثورة المتزايدة، وعندما اضطرت لجنة التنسيق والتنفيذ الخروج من الجزائر اتجهت إلى تونس فوجدت إقبالا وتضامنا رسميا وشعبيا، ونظاما وجمالية جزائرية متعاونة، وقد كانت في انتظارها مهمات شاقة داخل تونس فأرست تنظيمات ومصالح جديدة و عاجلت بعض مظاهر الفوضى، ويؤكد تقرير البعثة الجزائرية في تونس أن اللجنة أرست قواعد التعامل مع التونسيين، وذلك من أجل الحصول على دعم الحكومة التونسية، ويحدد التقرير ضروبا من الدعم والتسهيلات المقدمة في النقاط الآتية:

- حرية تنقل قوات جيش التحرير .

- معالجة المرضى و الجرحى .

- حرية عبور الأسلحة .

- تنظيم مشاركة الجالية الجزائرية المالية والسياسية .

¹- عبد الله مقلاتي، دور المغرب العربي و إفريقيا في دعم الثورة الجزائرية، ج1، ص ص 248 - 252.

²- عبد الله مقلاتي وصالح لميش، تونس والثورة التحريرية الجزائرية، سلسلة التضامن العربي مع الثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص ص 132-

- جمع المساعدات للجزائريين.
- تسهيل تنقل الأشخاص و العتاد.
- تسهيلات إدارية متنوعة.
- تسهيلات إعلامية و دعم رسمي للحكومة التونسية¹.

¹-Harbi Mohammed : Les Archives de la révolution Algérienne, jeune Afrique paris, ed p452.

الفصل الثاني:

أثر الثورة الجزائرية على البلدان المغاربية.

أولاً: تأثير النضال الجزائري على البلدان المغاربية قبل 1954 .

ثانياً: تأثير الثورة الجزائرية على البلدان المغاربية بعد 1954 .

سنتطرق في هذا الفصل إلى التعرض إلى أثر الثورة الجزائرية على بلدان المغاربية قبل بعد 1954 من خلال تبيان احتلال الجزائر وتسهيل مهمة فرنسا في احتلالها لتونس والمغرب، ثم التعرف على أوضاع السياسة العامة للبلدان المغاربية ومقارنتها بالأوضاع السياسية في الجزائر مع الإشارة إلى البعد المغاربي للثورة الجزائرية، كذا تطرقت في هذا الفصل إلى دور الثورة الجزائرية في كفاح البلدان المغاربية من أجل محاربة الاستعمار الأوروبي بكافة أشكاله وأنواعه، بالإضافة إلى الدعم المغاربي للثورة الجزائرية.

أولاً: تأثير النضال الجزائري على البلدان المغاربية قبل 1954:

عرفت البلدان المغاربية المحتلة خلال القرن العشرين تطورات حاسمة أثرت بعمق على الأوضاع السياسية وعلى طبيعة علاقات أقطاره، سنركز في هذا الفصل على التغلغل الاستعماري الفرنسي في تونس والمغرب من الجزائر (1830-1912)، ثم التعرف الظروف السياسية بالأقطار المغاربية نظراً لأهمية انعكاساتها على تجسد القطرية الوطنية ونوضح الأبعاد المغاربية الثورة الجزائرية كأساس بارز في علاقاتها مع بلدان المغرب العربي.

1- تغلغل الاستعمار الفرنسي في تونس والمغرب من الجزائر (1830-1912):

الأهمية الإستراتيجية والاقتصادية الجزائر، وموضع الجزائر في منتصف الساحل الغربي على البحر المتوسط تقريبا، امتلاكها لأسطول بحري قوي يقع بالدول الأوروبية الاستعمارية إلى التنافس عليها (فرنسا وبريطانيا)، ففي الأخير خضعت للاحتلال الفرنسي، ولا شك أن حصول فرنسا على قاعدة بحرية في شمال إفريقيا سيؤدي إلى تفوقها في الحوض الغربي للبحر المتوسط وتهديد الخطوط البريطانية التي كانت تسيّر بين الشرق والغرب، وكان نابليون يفكر دائما في إقامة إمبراطورية واسعة تشمل مصر والهند وبلاد فارس، وكان احتلال شمال إفريقيا يدخل ضمن ذلك المشروع¹.

1-1- التغلغل الفرنسي في تونس انطلاقا من الجزائر (1830-1881):

أخذ التنافس الاستعماري يشتد على هذا القطر العربي منذ احتلال الفرنسيين الجزائر في سنة 1830، فمن ناحية عملت فرنسا على أن تحتفظ لنفسها بأولية النفوذ السياسي

¹- جعفر عباس حميدي: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 167.

والاقتصادي في البلاد، حتى يتسنى لها تأمين الحدود الشرقية للجزائر، واتبعت في ذلك خطة تشجيع ولاية تونس على الاستقلال عن الدولة العثمانية تونس، ولو بإعلان الحرب عليه، وناحية أخرى عملت بريطانيا هي الأخرى بالحيلولة دون سقوط تونس في أيدي الفرنسيين من أن لا تصبح مصالحها في المتوسط تحت رحمة فرنسا¹، وتبنت خطة ربط تونس بالإمبراطورية العثمانية، ومحاربة أي مشروع يفصلها عن السيادة العثمانية، ومن ناحية ثالثة كانت مصالح إيطاليا تتعارض مع مصالح وأطماع فرنسا وبريطانيا وكانت إيطاليا تحاول التوسع الإقليمي في تونس، وخاصة بعد احتلال فرنسا للجزائر وفتح الجزائر لاستيطان الأوربيين حيث أن إيطاليا في ذلك الوقت تعاني من الفقر وزيادة السكان، فأخذ الساسة الإيطاليون يوجهون أنظارهم إلى سواحل المغرب العربي القريبة منهم، وينظرون إلى تونس على أنها فريسة سهلة قد حان قطفها².

بعد أن أحكمت فرنسا سيطرتها على الجزائر تماماً، واهتمت بأمر تونس وأخذت تتحين الفرصة والمناسبة للانتقاض عليها وظلت نصف قرن كامل تبعد عنها أيدي الطامعين من الأوروبيين المنافسين لها في ميدان الاستعمار، وكان بايات تونس بنواياها التوسعية، ولكنهم لم يكونوا في مستوى الأحداث والتطورات ولذلك عجزوا عن تجنب بلادهم ويلات الاحتلال³ حيث قام الباي بتهنتهم على النصر الذي أحرزوه في الجزائر وعرض عليهم أن يتولى ابنه السلطة فيها باسم الفرنسيين، وبدأت فرنسا تتدخل في الشؤون التونسية⁴ لاسيما أن محمد الصادق كان يستدين الأموال والقروض من فرنسا وشركاتها الرأسمالية للإنفاق على قصوره، وعلى مشاريع اقتصادية غير مدروسة، وذلك مقابل منحها امتيازات مدد بعض خطوط الهاتف ومحاري المياه، وأتاح ذلك لفرنسا فرص التدخل في شؤون تونس الداخلية والوقوف في وجه قوات الدولة العثمانية التي جاءت لمساعدة قوات الباي ضد ثورة علي بك. زيادة على ذلك كان الإصلاح الذي أراد الباي إدخاله سبباً في كثرة النفقات الأمر الذي لم تتحمله الميزانية مما أضطره إلى عقد قروض حيث

¹ - المرجع نفسه، ص 189.

² - المرجع السابق، ص 190.

³ - يحيى بوعزيز: تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية-ويليه الاستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات، دار البصائر، 2009، ص 75.

⁴ - رياض زاهر: استعمار إفريقية، دون طبعة دار البصائر للنشر والتوزيع 2009، ص 159.

وصلت سنة 1862م إلى 28 مليون فرنك ومن أجل إنقراض الموقف عقد قرض جديد قيمته 35 مليون فرنك في سنة 1863م بفائدة 12 بالمائة.¹

وفي سنة 1865م عجزت الدولة عن دفع الضرائب فتدخلت الدول الأجنبية فجمعت الديون في دين موحد بفائدة 12 بالمائة بلغ أربعين من الجنيهات كان نصيب البريطانيين منه 16 مليون والإيطاليين ومع هذا، فلم تستطع الخزنة أن تسدد شيء من هذا الدين، ولا مرتبات الموظفين، أو النفقات المطلوبة الأخرى.

ومنذ عام 1868م أصبح الباي عاجزاً عن دفع فوائد ديونه، ففرضت عليه الدول التي زودته مصارفها بالقروض إنشاء صندوق الدين² وفي عام 1869م تشكلت لجنة إدارية برئاسة أحد المختصين التونسيين، وقد تمكنت اللجنة من تجميع الديون مرةً أخرى في دين واحد قيمته 160 مليون جنيه، بفائدة قدرها 12 بالمائة ثم انخفض المبلغ إلى 125 مليون جنيه بفائدة 5 بالمائة، ولأجل ضمان حقوق الدائنين، قسّمت إيرادات الولاية وقدرها 13 مليون جنيه إلى قسمين متساويين، خصص أحدهما لخدمة الدين.³

كانت تونس محل تصارع بين كل من فرنسا وإيطاليا وإنجلترا، بسبب موقعها الجغرافي في مركز وسط البحر المتوسط، ولصلاحيه سواحلها لإقامة موانئ هامة عليها، ولكن المنافسة كانت على أشدها بين إيطاليا وفرنسا، إذ أنّ جالية كبيرة إيطالية كانت في تونس، بلغ عددهم نحو 10 آلاف من الإيطاليين، كما أن موقع تونس يجعلها أقرب إلى إيطاليا من الدول الأخرى، ولذلك كانت إيطاليا ترى أنها أحق بتونس من فرنسا.⁴

في الوقت نفسه كانت تونس قد وصلت إلى حالة من الضغط العام بسبب التدخلات الأجنبية استيطان أعداد كبيرة من الجالية الأوربية (الفرنسية والإيطالية خاصة) وسيطرتها على مرافق

¹ - شوقي عطا الله الجميل: المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، ط1، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، 1977، ص30.

² - كان يتولى الإشراف على المالية التونسية وقد حدث مثل هذا في مصر فيما بعد.

³ - جريدة المنار "جريدة سياسية-ثقافية-دينية"، العدد 12، الجمعة 28 نوفمبر 1952، العام الثاني، ط2، البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، 2013، ص4.

⁴ - إسماعيل حلمي محروس: تاريخ العرب الحديث (من الغزو العثماني إلى نهاية ح.ع.1)، د.ط، مؤسسة شباب الجامعة، 1997، ص239.

البلاد الاقتصادية والاجتماعية، وكانت فرنسا من أكثر الدول التي سعت إلى زيادة نفوذها في تونس حيث تنامت مصالحها الاقتصادية والثقافية لحصولها على العديد من الامتيازات¹.

في مؤتمر برلين 1878 استطاعت فرنسا الحصول على المساندات البريطانية والألمانية لمخطط الاحتلال لأسباب معروفة، في عام 1881 اتخذت من انتقام بعض القبائل التونسية (قبائل خمير) عبر الحدود الجزائرية ذريعة للغزو حجة مساندتها للشوار الجزائريين، فاجتازت القوات الفرنسية حدود تونس من الجزائر في 24 أبريل (31 ألف جندي)، فيما هاجمت قواتها البحرية من الشمال ميناء بنزرت، تقدمت صوب العاصمة تونس.

وفي 11 ماي وضعت أمام قصر الباي (باردو) وفي يوم 12 ماي أجبر الباي محمد الصادق على توقيع المعاهدة والتي عرفت بمعاهدة (باردو) أو قصر (سعيد) وقد حاولت فرنسا في هذه المعاهدة أن تظهر المعاهدة وكأنها عقدت بين طرفين متساويين، إلا أن الضغط العسكري الذي أصطحب هذا التوقيع، وسيطر فرنسا وإشرافها على الشؤون العسكرية والعلاقات الخارجية يظهر حقيقة النوايا الفرنسية².

وبموجب هذه المعاهدة وافق الباي على احتلال القوات الفرنسية لبعض المناطق في تونس وبدعوى المحافظة على الأمن ورعاية حسن الحوار وعدم إنهاء هذا الاحتلال إلا بموافقة الطرفين على تولي فرنسا تمثيل تونس ورعاية مصالحها ومصالح رعاياها في الخارج وضرورة إبلاغ فرنسا بأي اتفاق تعقده دولة أخرى للحصول على موافقتها مسبقاً، وتعهد فرنسا ببذل مساعدتها المستمرة للباي وحمايته من كل خطر يمكن أن يهدده أو يهدد عائلته أو أمن مملكته وتعيين مقيم فرنسي عام يكون هو الواسطة بين الدولة الفرنسية والسلطات التونسية، وفرض غرامة حربية كل القبائل العاصية على الحدود وبالداخل³، استمرت القوات الفرنسية تتابع مسلسل الاحتلال حتى سيطرت على جل تونس وأهلها في نهاية العام 1881.

¹ - نقولا زيادة: تونس تحت الحماية (1881-1934)، معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1963، ص 09.

² - محمد علي داهش: الدراسات في الحركة الوطنية والاتجاهات الوجدانية في المغرب العربي، المرجع السابق، ص 143. وارجع جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص 192.

³ - جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص 192.

وتدل معاهدة (باردو) هي أن فكرة الحماية عند نشأتها يقوم فعلا على مبدأ أن الدولة الحامية تشرف فقط إشرافا فنيا على الإدارة الوطنية وتوجهها دون أن تحل محل بل أن تلك المعاهدة نصت على أن الاحتلال العسكري مؤقت، وبعد سنتين يناير 1883 ألحقتها ومعاهدة أخرى (معاهدة المرسى الكبير) في عهد الباي علي، كانت أكثر وضوحا وصراحة في فرض الاحتلال¹.

وقد اتبع الفرنسيون نفس السياسة المتبعة في الجزائر، إدارة مباشرة، واستيطان زراعي قائم على الاستحواذ على الأراضي الزراعية بموجب قوانين متعددة وتوزيعها على المستوطنين والأوروبيين بالإضافة إلى السيطرة على الموارد المعدنية في البلاد.

وحاول الفرنسيون - كما فعلوا في الجزائر - القضاء على الهوية العربية الإسلامية للشعب التونسي وخاصة في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى، وذلك من خلال سياسة (التجنيس 1924) الفاشلة ومحاربة المؤسسات التعليمية والدينية من أجل القضاء على اللغة العربية وإحلال اللغة والثقافة الفرنسية، إضافة إلى تمييز نفس الوطنيين والدارسين والأوروبي عامة في الحقول الاقتصادية والاجتماعية والصحية وغيرها.

وهذه العوامل مجتمعة سعت السعي التونسي، منذ البداية ومن خلال أحزابه ومنظمات المهنية لمواجهة الاحتلال الفرنسي في شكل كفاح مسلح وسياسي منذ عام 1881 حتى الاستقلال عام 1956².

1-2- التغلغل الفرنسي في المغرب انطلاقا من الجزائر 1830 - 1912:

"إن لفرنسا في المغرب العربي حقوقا وواجبات تفوق ما لغيرها من الدول الأخرى، وأن الأساس الأول لحقوقنا هو الجزائر، وإن الجزائر قادتنا إلى تونس وينبغي أن تقودنا إلى المغرب" هكذا عبر أوجين أتيين زعيم الفريق الاستعماري الفرنسي ودفع بالنزعة التوسعية الفرنسية إلى

¹ -محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 43 - 44.

² - المرجع نفسه، ص 44.

احتلال دول المغرب المستقلة في عهد السلطان عبد العزيز بن الحسن الأول (1894-1908) وخلفه السلطان عبد الحفيظ بن الحسن الأول (1908-1912)¹.

احتلت فرنسا الجزائر 1830م تدخلت مراكش حرب مع فرنسا حتى عام 1835 وساند الأمير عبد القادر واحتلت فرنسا تونس 1881، وانطلقت الدول الأوربية في مغامرات استعمارية.

قام سباق بينها لاحتلال بقية الأقطار العربية وهنا أدرك المغرب أن عليه مواجهة تلك الأخطار فاتجه إلى مدينة تلمسان فدخلها ليمنع الفرنسيين من احتلالها وأمدت الأمير عبد القادر الجزائري بالسلاح لمحاربة فرنسا وواجهت فرنسا الموقف بهجوم مماثل على بلاد المغرب فدخلت معنية وجدة واستغل الموقف بين فرنسا والمغرب وبدأ في مهاجمة طنجة الصويرة، واضطر المغرب إلى عقد صلح مع فرنسا وبذلك، بدأ التدخل الأوربي الاقتصادي ونشأ المراكز التجارية في مدن ساحل وأثر نفوذ الفرنسي في الأحوال التجارية والمالية المغربية في الداخل².

استطاعت فرنسا في مجال العلاقات الدولية أن تحصل على موافقة الدول الكبرى للانفراد بامتيازات خاصة في المغرب ولاحتلاله وضمه إلى مستعمراتها في المغرب العربي.

بدأت فرنسا تتطلع إلى المغرب الأقصى منذ أن احتلت الجزائر ولكنها لم تبدأ خطواتها الجدية في هذا السبيل إلا بعد أن انتهت من احتلال تونس سنة 1881م و22 آذار 1902م، وكان لمقتل الدكتور موشان في مراكش في الجنوب، سبباً في اجتياز القوى الفرنسية الحدود منتقمة، واحتلت مدينة وجدة، في شمال شرق المغرب ونفس الشيء بمدينة الدار البيضاء حيث قُتل ثلاثة فرنسيين، وثلاثة إسبان وثلاثة إيطاليين.³

وبدأت عام 1903م حين اضطر السلطان عبد العزيز إلى اقتراض 800 ألف جنيه إسترليني من بيوت مالية: بريطانية، فرنسية، وإسبانية والذي تجلّى في عهده ضعف الإدارة وانصرافه إلى

¹ - المرجع نفسه، ص 128.

² - محمود السيد: تاريخ إفريقيا القديم والحديث، مؤسسة شباب، الجامعة الإسكندرية، 2006، ص 288.

³ - المرجع نفسه، ص 185.

اللهو والترف وكانت فرنسا أكثر الدول تشجيعاً للسلطان على الاقتراض والتورط في الديون بالرغم من أن فرنسا كانت إحدى الدول الموقعة على معاهدة مدريد عام 1880م والتي تنص على المحافظة على استقلال المغرب¹.

وكان المبلغ الذي اقترضه هو اثنان وستون مليون وخمسمائة فرنك فرنسي كانت فائدته 5%، وفي سبيل أن يدفع الفائدة خصص السلطان 60% من جميع الواردات الجمركية ووضعها تحت إشراف فرنسي، وفي سنة 1906م أُغريَّ بوجود استدانة مبالغ صغيرة متعددة من فرنسا لشراء أسلحة وذخيرة، وقد اشترطت فرنسا أن يبتاع الأسلحة من الشركة الفرنسية (كروز) لأمن السوق الحر بالإضافة إلى فاتورات الخاصة بالتعويض عن الأضرار التي لحقت بالتجارة الفرنسية أثناء الحملات التأديبية، حيث لجأ السلطان لفرض ضرائب ثقيلة ليتمكن من جمع جزء من التعويض فأعتبر الشعب هذه الضرائب غير عادلة، فقامت الثورات على إثر ذلك، وفي سنة 1911م أرسل عبد الحفيظ² إلى فرنسا يطلب حمايتها من أجل سحق الثورات المتكررة.³

استغلت فرنسا الأوضاع في المغرب للحصول على شروط أفضل للاستغلال الاقتصادي وارتفعت أصوات بعض الفرنسيين الداعية إلى ضرورة احتلال المغرب وجعله امتداد الجزائر الفرنسية وعمدت فرنسا إلى محاولة الاتفاق مع اسبانيا بشأن مصالحها في المغرب في وقت كانت بريطانيا مشغولة بحرب البوير في جنوب إفريقيا (1899-1902)، وحاولت تقسيم مناطق النفوذ بينهما، فيكون لفرنسا السيطرة المطلقة على المغرب، ويكون لاسبانيا بعض القواعد والممتلكات في شمال المغرب، كما حاولت فرنسا الحصول على موافقة بريطانيا عام 1902 على ضمان هذا الاتفاق، لأن بريطانيا كانت تخشى من تغلغل النفوذ الألماني، فأبرمت فرنسا الوفاق الودي مع بريطانيا في 08 أبريل 1904، أطلقت فيه بريطانيا يد فرنسا في المغرب، وإمكانية تقسيم المغرب بين فرنسا

¹ - جميل بيضاء: تاريخ العرب الحديث، الطبعة الأولى، دار الأمل للنشر والتوزيع، دون مكان، 1991، ص 114.

² - كان قد ثار على أخيه عبد العزيز سنة 1908م وانتزع منه العرش مستنداً إلى الجيش.

³ - رياض زاهر، المرجع السابق، ص 169.

واسبانيا، وحدد منطقة النفوذ الاسبانية في المنطقة المحطة (المليلة وسبتة) وبعض الأملاك الاسبانية في الشمال¹.

فاستطاعت فرنسا الحصول على موافقة إيطاليا عام 1902 وبريطانيا واسبانيا عام 1904، وموافقة دول مؤتمر الجزيرة الخضراء عام 1906، ألمانيا عام 1909-1911²، كما باركت هذه الموافقات روسيا القيصرية على الصعيد الداخلي، عملت على تغلغل الرأسمال الفرنسي بعد خواء خزينة الدولة المغربية بموجب إصلاحات عام 1904، والتي دفعت السلطان المغربي إلى الاستدانة من البنوك الفرنسية، وسرعان ما استولت فرنسا على كامل اقتصاد المغرب وخاصة بعد عام 1907 كما قامت العديد من الاعتداءات العسكرية البرية من الجزائر على مدينة وجدة عام 1907 والاعتداءات البحرية على الشاوية والدار البيضاء عام 1907 ثم تدخلت عسكريا وحاصرت العاصمة فاس عام 1911 بحجة حماية السلطان عبد الحفيظ من انتفاضة الشعب وأدى ذلك إلى فرض حمايتها في العام التالي³.

في 30 مارس 1912 فرضت فرنسا حمايتها على المغرب بموجب (معاهدة فاس)، وأقر استقلال لشهور السلطان المغرب عبد الحفيظ وخلفه السلطان يونس بن الحسن الأول (1912-1927)، ولما كانت اسبانيا تمثل بعض أجزاء الشمال المغربي فقد تم الاعتراف في هذه المعاهدة ب (مصالح اسبانيا) ل (1/10) من مساحة البلاد بموجب اتفاق 27 نوفمبر 1912 وأن تكون منطقة نفوذ اسبانيا خاصة للنفوذ المدني والديني لسلطان المغرب والذي يمثله (خليفة) يقطن مدينة (تطوان) التي اتخذت عاصمة الشمال الغربي، كما تم في معاهدة (فاس) الاعتراف ب الوضع الدولي لمدينة طنجة⁴.

¹ - جعفر عباس حميد، المرجع السابق، ص 229.

² - قامت فرنسا بإرضاء ألمانيا بالاتفاق معها في 04 نوفمبر 1911 - بعد أزمة أغادير - بإعطائها رقعة من الأراضي الفرنسية في الكونغو مقابل إطلاق يد فرنسا في المغرب، أنظر إلى المرجع، جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص 230.

³ - محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 129.

⁴ - منذ عام 1865، عقدت سبع دول أمريكا اتفاقية مع السلطان المغربي محمد بن عبد الله تم بموجبها إقامة إدارة عليا في طنجة وخاصة المنارة والمرافأ وبأخذ كان تلك مقدمة لتدويل مدينة طنجة، والذي أصبح قانونيا بموجب اتفاق 1923 تم اتفاقيات 1928 - 1930 - 1952، من الجدير بالإشارة إلى أن اسبانيا استغلت ظروف الحرب العالمية الثانية، فأعلنت إلغاء الإدارة الدولية، ووضع طنجة تحت حمايتها من 14

حرمت معاهدة (فاس) المغرب من ممارسة سياسته الداخلية والخارجية المستقلة، وأصبح المقيم العام الفرنسي والمقيم العام الإسباني هما المسيطران على كافة شؤون البلاد، واتجه النظام الاستعماري في المغرب بنفس الاتجاه الذي سار عليه في الجزائر وتونس وموريتانيا على الأرض الزراعية ويملكها للفرنسي وحق نزع الملكية المصلحة العامة، وفرض تشغيل الأراضي مقابل رسوم معنية ومن لم يسجل أرضه تنزع ملكيته لها¹، بالإضافة إلى السيطرة على الموارد المعنية، وتوظيف الرساميل الفرنسية ثم الأمريكية (منذ الحرب العالمية الثانية) في منطقة النفوذ الفرنسي، إنكار الحقوق السياسية للسلطان والشعب المغربي وفي الجانب الثقافي والاجتماعي والصحي، فقد تركزت جهود فرنسا في محاربة اللغة العربي، ومحاربة مؤسسات الثقافية والدينية، وفضلا على إتباع سياسة الفصل العنصر بين العرب والبربر وبموجب قوانين متعددة كان أخطرها إصدار (الظهير البربري)² عام 1930، وكانت التمييز واضحاً في المجالين الاجتماعي والصحي بين المستعمرين وأهالي البلاد.

وهكذا أدى فقدان الحرية السياسية والاقتصادية، والهيمنة الكاملة على مرافق البلاد من قبل المستعمرين الفرنسيين والإسبان إلى إثارة النقمة عند جميع فئات الشعب المغربي باستثناء فئة من كبار رجال الإقطاع المغربي الذين جندوا أنفسهم لخدمة الاستعمار وكانت البرجوازية الوطنية المغربية من بين فئات المتضرر أيضاً، لأن سياسة الحماية التي يستعين على تغلغل الرأسمال الأجنبي في الاقتصاد المغربي، قد أصرت بها كثيراً، وعليه فقد أدى ذلك إلى ثورة الشعب المغربي في جميع أنحاء البلاد وابتداء هذا الكفاح وبشكل عنيف بأسلوب الكفاح المسلح وخاصة في المناطق الرسمية والجبالية، ثم أخذ شكله السياسي بعد ذلك³.

يناير 1940، وحتى عام 1945 حيث عادت ثانية إلى الإدارة الدولية، قد بقيت المدينة خاضعة شكلت لسيادة سلطان المغرب حتى عادت إلى الحكم الوطني المغرب عام 1956، أنظر إلى المرجع نفسه، ص 149.

¹ - محمود السيد، تاريخ إفريقيا القلم والحديث، المرجع السابق، ص 289.

² - الظهير البربري: يعني المرسوم أو القرار الذي أصدرته السلطات الفرنسية وحاولت من خلاله فصل العرب عن البربر في ميدان القضاء الإسلامي - الشريعة الإسلامية - الحيلولة دون استعمال اللغة العربية تمهيدا لعزلهم عن العرب وإدماجهم فيما عرف بـ (العائلة الفرنسية) قد أثار صدور هذا الظهير استياء بالغا في عموم المغرب وبقية أقطار المغرب العربي، وتساعد النشاط السياسي والثقافي والديني في المغرب والوطن العربي وبعض الدول الإسلامية. أنظر إلى صلاح العقاد، المغرب العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1950، ص 358، 359.

³ - محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 130 - 131.

2- الأوضاع السياسية العامة للبلدان المغاربية:

إن سياسة الاضطهاد البالية التي انتهجتها فرنسا بأقطار الشمال الإفريقي غداة الحرب العالمية الثانية انعكست أثارها العميقة على نمو الحركات الوطنية بهذه الأقطار وقابلت العناصر الوطنية التطورات الدولية والإقليمية بتصميم أكبر على ضرورة حد للسياسة الفرنسية وإن تطلب الأمر استخدام القوة في وجه المستعمر الأجنبي.

2-1- الأوضاع في تونس:

بدأ الشعب التونسي كفاحه ضد الاحتلال الفرنسي مع إعلان توقيع معاهدة (باردو) ماي 1881، واستمر كفاحه حتى إعلان استقلال تونس عام 1956، وقد ابتدأ الكفاح الوطني التونسي، كما في الجزائر بأسلوب الكفاح المسلح وتساعد هذا الأسلوب القتالي في مواجهة الاحتلال الفرنسي مع فرص الفرنسيين لمعاهدة (المرسى الكبير) في جويلية 1883، إلا أنه سرعان ما خفت حدته لعدم تكافؤ الطرفين في الإمكانيات القتالية وغير ذلك، ومنذ منتصف ثمانينات

القرن التاسع عشر تداخل الكفاح السياسي مع الكفاح المسلح، واستمر هذا التدخل غير المنسق وغير المترابط حتى الحرب العالمية الأولى، حيث استقر الكفاح الوطني التونسي على أسلوب الكفاح السياسي في المدن، وخاصة العاصمة تونس من خلال عدد من الأحزاب والمنظمات السياسية والمهياة حتى مطلع الخمسينيات من القرن العشرين، حيث عاد الكفاح المسلح المنظم والمتناسق من خلال التنظيم السياسي بظهور (جيش التحرير التونسي)، استمر هذا التدخل تارة بشكل منظم وتارة بشكل منفصل عن العمل السياسي، خاصة في مراحله الأخيرة حتى إعلان استقلال تونس عام 1956¹.

بدأت في تونس حركة المقاومة ضد الحكم الفرنسي فقاوم الفرنسيون الحركة بالاعتقالات والنفي خارج البلاد، ونفوا الشيخ محمد السنوسي واعتقلوا السيد حسونة ابن مصطفى في قابس وغيرهم الزعماء الأنصار فقام غيرهم لمواصلة المقاومة ضد الفرنسيين.

واصل الفرنسيون النفي والاعتقال الوطنيين التونسيين لقد سارعت فرنسا لاحتلال تونس خوفا من الشعار الذي أطلقه السلطان عبد الحميد الثاني "يا مسلمين العالم اتحدوا"، حيث بلغت تنمية الشعور بالرابطة الإسلامية مداها، وظهر الإحساس بالخطر الذي يهدد الشعوب الإسلامية، وأما الاستعمار الغربي المتربص بما فيدعوها إلى التجمع حول تركيا بوصفها أقوى الشعوب الإسلامية وأقدرها على قيادة المعركة ضد العدو المشترك².

بدأ الكفاح السياسي التونسي عام 1884، متزامنا مع الكفاح المسلح حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وقد أسهمت عوامل داخلية وخارجية (كما في الجزائر)، في تطور وإنضاج الوعي الوطني التونسي، وقد تخفى الكفاح السياسي في بدايته وراء واجهات ثقافية كالجمعيات والمدارس والصحف حيث كانت قد أنشئت المدارس الصادقية منذ عام 1875 على يد الوزير خير الدين والجمعية الخلدونية عام 1897، وقد سخرت الجمعيات جهودها وأعضاءها التثقيف الشعب التونسي بواسطة الدرس والمناصرات العربية في شتى المعارف التقليدية والعصرية وكان لجهودها الدور كبير في تخرج العديد من التلاميذ الذي أسهموا في خدمة قضية بلادهم من خلال

¹ - محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 43.

² - محمد السيد، تاريخ إفريقيا القديم والحديث، المرجع السابق، ص 246.

نشاطاتها، التي أيقظت الهمم وحركت العاملين في الحقل الوطني وأعداده التخلص من الحكم الأجنبي¹، كان جامع الزيتونة، وجامعته الحصن الحصين للثقافة وللروح العربية الإسلامية، ومعقلا للحركة الوطنية التونسية، وقد عجز الفرنسيون عن التدخل في شؤونه أو التسلل إلى أموره وثقافته، لا بل كان جماعة الزيتونة من أيد المواطنين أعداء الفرنسيين وحملوا شعلة التحرر الوطني في المغرب كله مع حفاظهم على تراثهم ولغتهم وتمسكهم بدينهم.

وكان الاختلاف ظاهرا بين عقلية رجال الزيتونة عقلية المثقفين الجدد الذين تعلموا في المدارس الصادقية وفرنسا، واقتبسوا بعض العادات والتقاليد الغربية ورأوا تحويل البلاد إلى الطابع الغربي، فرجال الزيتونة يتهمون هؤلاء بالتضليل، وبينما الرجال الذين تعلموا في فرنسا وتأثروا بها يتهمون رجال الزيتونة بالجمود والرجعية²، وفي أحضان هؤلاء نشأت وتطورت الحركة الوطنية التونسية ومثلها نشأت المنظمات السياسية، وكان من بينهم تشكل حزب الشباب التونسي الذي شارك في مؤتمرات فرنسية في مرسيليا 1907 وباريس 1910 الدفاع عن قضية بلادهم، إلا أن هذا الكفاح لم يأخذ شكله المنظم العلني إلا في عام 1919 من خلال ظهور عدد من التنظيمات السياسية والثقافية³، وقد يبرز في هذه المرحلة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، عدد من زعماء الوطن كان أبرزهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي⁴، وآخرون جاؤوا من المرحلة اللاحقة، وقد غلبت النزعة الإصلاحية على الكفاح السياسي التونسي بشكل عام حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، وتمثلت هذه النزعة الإصلاحية بمواقف وبرامج المنظمات السياسية المهمة التي ظهرت في الفترة بين الحربين⁵.

¹ - محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 45.

² - جعفر عباس حميدي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 194.

³ - مجلة المستقبل العربي، من صلاح التطور الفكري في المغرب العربي، محمد المنجي الصيادي، العدد 2، بيروت، 1980، ص ص 20 - 21. أنظر إلى جلال يحيى: العالم العربي الحديث، دار المعارف، القاهرة، 1966، ص ص 687 - 693.

⁴ - عبد العزيز الثعالبي (1874-1944) عالم من أعلام المغرب العربي ولد بتونس من أصول جزائرية مصالح سياسي عمل في التخلص من الاحتلال وظلمه. أنظر إلى أنور الجنيدي: عبد العزيز الثعالبي رائد الحرية والنهضة الإسلامية، 1874-1944، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1984.

⁵ - محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 46.

وفي سنة 1907 تأسست في تونس جمعية (تونس الفتاة) وقد قام **علي باشا حمبة**¹ بدور أساسي في تأسيسها وكانت ثقافته الأولى عربية إسلامية أكملها دراسة فرنسية وانتهت مع إجازة الحقوق من باريس واشتغل في المحامات وكتب في الصحافة بخاصة بجريدة الحاضر وأشرف **علي باشا حمبة** على إصدار جريدة (تونس بالفرنسية)، وصدرت نسخة عربية منها بإشراف الشيخ **عبد العزيز الثعالبي**.

ظلت جماعة تونس الفتاة تمثل الحركة الوطنية في البلاد وتتجاوب مع جمعية تركيا الفتاة الدولية العثمانية، وحينما نشبت الحرب الإيطالية - الليبية سنة 1911 بعد الغزو الإيطالي إلى ليبيا، كانت تونس الفتاة جهازا هاما من أجهزة تكتل الرأي العام العربي والإسلامي في كل أقطار المغرب العربي للوقوف في وجه العدوان الاستعماري على هذا الإقليم العربي الإسلامي، بل لقد قامت تونس الفتاة ورجالها بدور هام في إمداد المحاربين المجاهدين الليبيين في ميدان المعركة بما يلزمهم من أسلحة وذخائر وعملت على إثارة حركة تحررية تمتد من طرابلس حتى تونس والجزائر، وحاولت تجميع قوات من أبناء المغرب العربي الموجودين في أوروبا وإرسالهم إلى شمال إفريقيا والمشاركة في عمليات المقاومة أمثال **الحبيب بورقيبة**، **بحري قيقية**، و**طاهر صفي**، والدكتور **المطري** وغيرهم، وأصدروا جريدة (العمل) التي نجحت في كسب الرأي العام التونسي لأنها عالجت موضوعات اجتماعية واقتصادية وسياسية تتفق مع طموح الشباب، ففي السياسية الاجتماعية دعت إلى تطوير المجتمع، وتثقيفه وتحرير المرأة ومشاركتها الفعالة في الحياة العامة، وفي السياسية الاقتصادية فضحت الاستغلال الاستعماري الفرنسي، وفتح أبواب تونس البضائع الأجنبية ودعت إلى تشجيع الصناعة الوطنية، وفي المجال السياسي ركزت على ضرورة الاعتراف لتونس بحريتها واستقلالها ومشاركة أبنائها في تدوير شؤونها السياسية والمطالبة بمبدأ الفصل بين السلطات وإنشاء مجلس تشريعي منتخب².

¹ - **علي باشا حمبة**: (1879-1918)، مناضل تونسي دافع عن الحقوق الوطنية للتونسيين، وقاد حركة الشباب، نفته فرنسا إلى الأستانة، فواصل نضاله لتحرير ووحدة المغرب العربي.

² - **جعفر عباس حميدي**، المرجع السابق، ص 196 - 197.

منذ عام 1930 والسنوات الثلاثة اللاحقة العمل على توسيع القاعدة الاجتماعية للحزب في عام 1934 وأثناء انعقاد مؤتمر (قصر هلال) في 12 مارس انبثق الحزب بين القيادات القديمة والجديدة، وقد اتهمت العناصر الشابة وقادة الحزب القدامى، بقلة الاهتمام بالدعاية بين الجماهير، قامت هذه المجموعة الشابة بتأسيس (الحزب الحر الدستوري الجديد) وأصبح الحبيب بورقيبة رئيس له¹، فيما استمر قادة الحزب القدامى يعملون ضمن إطار الحزب الحر الدستوري القديم.

ناصبت السلطات الفرنسية الحزب الدستوري الجديد العداء بعد انتقاده لسياسة المقيم الفرنسي لإصداره سلسلة من المراسيم لإضفاء صفة قانونية على عمليات القمع، ووصف بورقيبة، هذه المراسيم بأنها (كريهة) فألقت السلطات الفرنسية القبض عليه وعلى عدد من زعمائه في 03 سبتمبر 1934 وأبعدتهم إلى المناطق النائية والواحات ولكن مجيء حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا عام 1936 والدعاية الواسعة التي رافقتها وفرت الأجواء لقادة الحزب لممارسة نشاطهم خاصة بعد موافقتهم على مشاريع الحكومة الجديدة، ولكن ظهر بعد وقت قصير عدم الجدية في تغيير أسس السياسة الاستعمارية في تونس، فحدثت اضطرابات عديدة خلال عام 1937 اشتبك فيها العمال المضربون مع رجال الشرطة، وأسفرت الاشتباكات عن وقوع بعض القتلى والجرحى، وقد تركزت الشعارات التي رفعت على المطالبة بالحرية والاستقلال وحرية التنظيم النقابي وأدى الحزب الدستوري الجديد دورا فيها، فأصدرت السلطات الفرنسية قرارا تحل الحزب، وإعلان الأحكام العرفية واعتقال زعماء الحركة الوطنية وفي مثل هذه الظروف أعلنت الحرب العالمية الثانية، وكان بورقيبة مع زملائه في السجن فنقلوا إلى جنوب فرنسا، وعليه يمكن القول أن تاريخ الحزب من الناحية الشرعية كان قصيرا لأن السلطات الفرنسية لم تكف تفرج عن زعمائه حتى تعيد إلقاء القبض عليهم وسد حزمهم وإبعادهم عن مراكز النشاط السياسي².

¹ - محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 48.

² - جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص 197 - 198. أنظر إلى مجموعة المؤلفين، تاريخ الأقطار العربية المعاصر، ج2، دار التقدم، موسكو، 1976، ص 272.

يضاف أهميته تسهيل عمليات مرور بعض الضباط العثمانيين عن هذا الطريق إلى ميدان القتال ولا شك أن هذا الدور يمثل الاتجاه العربي الإسلامي عند تونس الفتاة، وبشكل يسجله له التاريخ.

ولكن وفاة **علي باشا حمبة** الموجه لجمعية تونس الفتاة قبل نهاية الحرب العالمية الأولى عملت على إظهار قيادة جديدة، كما أن تطور الأوضاع في كل من تونس والوطن العربي قد عملت على إخراج تشكيل سياسي جديد، هو حزب الدستوري¹.

في عام 1920 تأسس (الحزب الدستوري) بزعمامة الشيخ **الثعالبي** كانت قاعدته الاجتماعية تتكون من المثقفين والإقطاعيين الليبراليين، البرجوازية الوسطى، وكان ذا اتجاه عربي إسلامي وبمعنى خلال مسيرته السياسية إلى زيادة وتعميق الروابط مع المشرق العربي، وكان ذلك صفة الحزب وأساس شخصيته في معركته ضد الحكاية الفرنسية وفي عام 1921 اشتقت القوى المثقفة (المتفرنسة) عن الحزب الحر الدستوري، أسست (الحزب الإصلاحية) الذي بدأ اتجاها يمينيا مواليا للسياسة الفرنسية، إلا أن هذا الحزب ما انتهت في العام التالي تحت ضغط الجماهير فيما واصل الحزب الدستوري الحر نشاطاته (الإصلاحية)، والتي بقيت منذ عام 1925 وحتى عام 1930 قائمة على المطالبة بالاستقلال الذاتي والدستور والإصلاحات في نطاق الحماية وتقديم الاحتجاجات وإلقاء الخطب في الاجتماعات العامة، لكن هذه النشاطات كانت مناسبة لتعميق الوعي الوطني السياسي والاجتماعي للشعب التونسي².

منذ انطلاقة الحرب، كانت مواقفه لا تخلو من أبعادها المغاربية فقد حاول الثعالبي أن يوجه جهوده مع حزب الإصلاح الجزائري الذي كان يقوده الأمير **خالد** في مطلع العشرينيات وأن يعمل على "إتباع خطة منسقة في النضال والعمل من أجل تحرير هذين البلدين العربيين"³، وقد

¹ - المرجع السابق، ص 195.

² - محمد علي داهش، المرجع السابق، ص ص 46 - 47.

³ - عبد الكريم بوصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار البحث قسنطينة، 1983، ص 72.

تعرض أعضاء الحزب وقادته إلى النفي والاعتقال، ومنهم زعيم الحزب الشيخ عبد العزيز الثعالبي الذي نفي خارج تونس منذ عام 1923 حتى عام 1927¹.

ولم يكن الانشغال بالقضية الوطنية التونسية يمنع الحزب الدستوري بفرعيه عن تأطير نضاله بالبعد المغاربي في مرحلة ثلاثينات، إذ بدا التضامن السياسي وضاحا، وكان ذلك في عام 1937، حيث نظم الحزب إضرابا تضامنيا مع أبناء الجزائر والمغرب في نضالها ضد سياسة القمع والنفي التي اتبعتها السلطات الفرنسية ضد قيادة حركة الوطنية وقواعدها، ووجه عبد الحميد ابن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رسالة تهنئة ولكبار الموقف التونسي شاكرًا لهم هذه المبادرة الطيبة، التي تتجلى لها الروح العربية والأهداف القومية الموحدة².

في الوقت نفسه أدت سياسة الكبت الفرنسية إلى ظهور عناصر شابة طواقمة للعمل السياسي تفوق في نشاطها نشاط أعضاء الحزب الدستوري، تتمثل في عدد من الشبان الذين تثقفوا بالثقافة الغربية.

أثناء الحرب العالمية الثانية ومع هزيمة فرنسا أمام ألمانيا النازية في جوان 1940، أصبحت السلطات الفرنسية في تونس تابعة لحكومة (فيشي) الموالية للألمان، وقد استغلت الحركة الوطنية التونسية ممثلة في الحزب الحر الدستوري القديم والجديد ظروف فرنسا، فتقدم وفد برئاسة الحبيب تامر³ بمذكرة إلى السلطات الفرنسية عن طريق باي أحمد في 20 يونيو طالب فيها "بالغاء الحماية والإفراج عن المعتقلين السياسيين"، إلا أن المطلب رفض، وتم اعتقال الباي محمد المنصف في 19 يونيو 1942 والمعروف بمواقفه الوطنية وتأييده للحزب الحر الدستوري (كان عضوا فيه منذ عام 1922) فقد أعلن معه الحركة الوطنية (الحياد) في الحرب الدائرة بين الحلفاء، المحور، واشتد ساعد الحركة الوطنية ممثلة بجزيي الحر الدستور القديم والجديد وتقدم الباي المنصف

¹ -علال الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، طبعة السادسة، دار البيضاء، 2003، ص ص 61-84.

² -محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 47.

³ -الحبيب تامر: (1909-1949): ولد بتونس، درس الطب في باريس، ترأس جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين عاد إلى تونس سنة 1938، سجن في سنة 1941، انتقل إلى القاهرة سنة 1946 ووصل نشاطه إلى أن توفي في حادث طائرة في سنة 1949 لباكستان.

بمذكرة إلى حكومة (فيشي) في 04 أوت 1942، طالب فيها "احترام سيادة تونس والبقاء اتفاقية المرسي كبير وتحقيق رغبات الشعب"¹.

ومع هزيمة قوات المحور من تونس وعودة قوات (فرنسا الحرة) بقيادة ديغول في ماي 1943 فقد اتخذت السلطات الفرنسية مواقف سلبية ضد الباي وقادة الحركة الوطنية ضد الشعب بشكل عام، بتهمته التعاون مع القوات المحور، فأصدر المقيم العام الفرنسي الجنرال جيرو أمرا عسكريا في 14 ماي تم فيه خلع الباي محمد منصف ونفيه إلى جنوب الجزائر، وتنصيب محمد الأمين بايا على تونس، وفرض حظر على نشاط الحزب الدستوري القديم والجديد، وزج بمئات المواطنين في السجن، ودمر القرى وصادر الممتلكات، وزاد هذه الأوضاع فقد تطور برنامج الحزب الدستوري الجديد من المطالبة بالإصلاحات إلى المطالبة بالاستقلال التونسي، وجاء ذلك في مؤتمر سري عقب الحرب في فبراير 1945، إن التطور في برنامج الحزب الحر الدستوري الجديد جاء استجابة الموقف الشعبي العام الذي نادى بالاستقلال منذ عام 1939، وجاء ردا على السياسة الفرنسية، ومحاولتها فرض الاحتلال الفرنسي كاملا على البلاد من جديد دون الاستجابة إلى أبسط المطالب الإصلاحية.

اتجهت أنظار الزعماء والقادة التونسيين إلى الجامعة العربية من بداية تأسيسها أبريل 1945، سافر بورقيبة زعيم الحزب الدستور الجديد إلى القاهرة لعرض قضية تونس على جامعة الدول العربية وقدم مذكرة إلى الأمين العام للجامعة لتوزيعها على الدول الأعضاء وكشف سياسة المستعمر الفرنسي واستقبلت الجامعة العربية الحبيب بورقيبة استقبالا حافلا انتهت مباحثاته إلى إيجاد هيئة وطنية تكون قريبة من الجامعة وهي مكتب الحزب الحر الدستوري التونسي الذي عمل متعاوناً مع الجامعة وهيئاتها في كل مناسبة تتعلق بالقضايا القومية²، منذ هذه الفترة وحتى الاستقلال بدأت القضايا التونسية تحظى ورعاية جامعة الدول العربية على الأصعدة السياسية والمالية في داخل الوطن العربي وخارجه في المحافل الدولية فجرحت القضية التونسية ولأول مرة المستوى الدولي، لتحظى بالدعم العربي وللمساندة الدولية.

¹ - الطاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية، رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956، ط2، 1987، ص 70.

² - جلال يحيى: المغرب الكبير الفترة المعاصرة وحركات التحرر والاستقلال، ج3، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 112.

في عام 1946 أصدرت الحكومة الفرنسية قرارا بعودة الحياة الطبيعية إلى فرنسا وانعكس ذلك على سياستها في تونس (كما في الجزائر)، ففي تونس، طرح المقيم العام الفرنسي الجنرال ماست مشروعا للإصلاحات الإدارية في 23 ديسمبر 1946، وجاء ذلك محاولة لامتناع النقمة الشعبية التي تولدت عن حملات الاعتقال والنفي والإعدام بحق الشعب وقادة الحركة الوطنية، عمت البلاد، موجة من المظاهرات والاضطرابات احتجاجا على موقف السلطات الفرنسية، استمر الموقف الشعبي حتى منتصف عام 1947، حيث نقل الجنرال ماست وجاء المقيم العام الجديد جان مونس سياسة جديدة تقدم على استخدام عناصر تونسية في الحكومة تطبيق برنامج الإصلاحات، كانت تتكون من العناصر الموالية لفرنسا، إلا أن الموقف الشعبي بقي متصاعدا ومواصلا لحالة الرفض للإصلاحات المزيفة، كما برز دور الإتحاد العام للشغل التونسي بزعامة فرحات حشاد¹ استمرت الأوضاع على حالها حتى عام 1949 إن رفض، قد أدى الزعيم النقابي التونسي دورا وطنيا ومغاربيا طوال المرحلة اللاحقة حتى الاستقلال كان البعد أو الاتجاه المعارض أكثر بروز لدى الإتحاد العام التونسي الشغل من بقية الأحزاب والمنظمات التونسية².

بدأ الصدام بين الحركة الوطنية التونسية والسلطات الفرنسية في يونيو 1946 بحادثه القيروان وأن الإضراب العام الذي أعلنه الإتحاد العام للنقابات العمال في صفاقس 28 جوان وفي هذا الوقت برزت شخصية صالح بن يوسف، الذي خلف بورقيبة أثناء غيابه عن تونس، وخاصة بعد نجاحه في تشكيل الجبهة التونسية التي تجمعت بها كل الأحزاب السياسية وعقدت في 23 أوت 1946 مؤتمر وطنيا شارك فيه ممثلون عن الحزب الدستوري القديم واتحاد نقابات العمال واتحاد الموظفين واتحاد طلبة جامعة الزيتونة، ووضع المؤتمر ميثاقا وطنيا تضمن إعلام سقوط الحماية

¹ - فرحات حشاد: ولد في شباط 1914 في تونس، حصل على شهادة الابتدائية عام 1928، عمل في عام 1936 موزع تذاكر بالشركة التونسية في نقابة عمال النقل ونظم إضراب عمال شركة نقل سوسة عام 1937 مما أدى إلى إقصائه من عمله لنشاط النقابي عام 1938، خرج عن اتحاد العمال التونسي الفرنسي في 1944 وفي آذار من العام نفسه أسس النقابات المستقلة في الجنوب وأشرف في عام 1946 على المؤتمر التأسيسي للإتحاد العام التونسي للشغل وانتخب فيه أمينا عاما للإتحاد، وتحمل بشجاعة وإخلاص مسؤولية حركة المقاومة التحررية في الحزب الحر التونسي والاتحاد حتى اغتالته العصابة الاستعمارية الفرنسية اليد الحمراء في 05 سبتمبر 1952. أنظر إلى الأكاديمية للدراسات الاجتماعية الإنسانية ج/ قسم العلوم الاجتماعية العدد 14 جوان 2015، نسخة الإلكترونية، ص ص 63-69.

² - محمد علي داهش، المرجع السابق، ص ص 51 - 52.

الفرنسية، وتأكيد عروبة تونس وضرورة انضمامها إلى الجامعة العربية، وقد هاجمت سلطات الأمن الفرنسية المؤتمر وقررت المجتمعين بالقوة وهم يهتفون للاستقلال¹.

بعودته أعلن بورقيبة ضرورة التفاهم المباشر مع فرنسا استخلاص حقوق تونس وقد برر ذلك بعدم قدرة جامعة الدول العربية أو هيئة الأمم المتحدة على مساندة تونس في كفاحها من أجل الاستقلال، أن هذه السياسة لم تكن نتيجة لما أعلنه إذ أن الوقائع تؤكد المواقف الإيجابية لجامعة الدول العربية تجاه القضية التونسية كما أن جهود مكتب المغرب العربي ولجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة، في مساندة قضية الشعب التونسي وكانت مستمرة والرأي الأرجح، هو أن رغبته حتى ولو كانت على حساب المصالح الوطنية لتونس، يؤكد ما ذهبنا إليه، لقاءه في القاهرة قبل مجيء إلى تونس مع الملحق العسكري الفرنسي، فقد أكد بورقيبة له أنه في حالة قيام تفاهم بين الطرفين، "فإن فرنسا لن تفقده كصديق حتى أن اختلفت مطالب عن مصالح الفرنسيين، إذ أنه سيتقدم هم في نهاية المطاف"².

وبعد تأسيس الجبهة الوطنية التونسية كثف الضغط على الفرنسيين لتدبير عدد من المظاهرات والإضرابات التي اقتترنت فيها المطالبة بتحسين ظروف المعيشة بالمطالبة بالاستقلال السياسي، وشهدت السنوات بين عامي 1944-1955 تدهور المستوى المعيشي العام بين عامة الشعب، وحلت المجاعة ببعض أجزاء البلاد، وفي عام 1949، أي بعد عودة بورقيبة من القاهرة، اتخذت قيادة الحزب الدستوري خطوة هامة إلى الأمام بإعداد إستراتيجية لكفاح تونس من أجل الاستقلال، وعلى الرغم من أن تحقيق الاستقلال الكامل كان هو الهدف الذي التفت حوله صفوف التونسيين فإن بورقيبة، وقد أدرك شدة معارضة الفرنسيين للاستقلال التونسي، وكان على استعداد لقبول حل وسط يفضي به تدريجياً إلى غايته، على أساس سياسة (خذ وطالب) ومرحلة بعد مرحلة، وهو ما أصبح يعرف بالطريقة البورقيبية.³

¹ - جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص 199.

² - جلال يحيى، المغرب الكبير، الفترة المعاصرة وحركات التحرر والاستقلال، ج3، المرجع السابق، ص 1128.

³ - جعفر عباس حميدي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 200.

بدأ بورقيبة يدعو إلى هذا الاتجاه داخل تونس ولم يعدل عن هذا، بل سافر إلى فرنسا في 15 أبريل 1950 لتأكيد اتجاهه لدى الحكومة الفرنسية، حيث أعلن في ندوة صحفية: "بأنه يود أن يكون استقلال تونس باتفاق مع فرنسا ويكون لفائدتها وفائدة تونس"، وأثناء وجوده في باريس، قدم مشروع التفاهم مع فرنسا، وكان يعتقد أنه سيكون أساسا في بدء مرحلة التعاون الجديدة مع فرنسا، وتضمن مشروعه:

- 1- إرجاع السيادة التونسية.
- 2- تشكيل حكومة تونسية من التونسيين فقط يرأسها وزير أول تونسي يعينه الباي.
- 3- إلغاء منصب الكاتب العام للحكومة التونسية.
- 4- إلغاء منصب المراقبين المدنيين الفرنسيين.
- 5- إلغاء الدرك - العسكر - الوطني الفرنسي.
- 6- تشكيل هيئات بلدية تمثل فيها المصالح الفرنسية.

التي ينبغي أن تكون في المستقبل بين تونس وفرنسا والتي يجب أن تقوم على احترام متبادل المصالح المشروعة للبلدين.

إن مشروع بورقيبة يطرح في الظاهر قضية استقلال تونس، لكنه في جوهره وحقيقته لا يؤثر إلا على استقلال شكلي، لأنه حافظ على المصالح الفرنسية في البلاد وحافظ على وجود المستوطنين الفرنسيين كأنهم مواطنون تونسيون يحق لهم المساهمة في إدارة البلاد، ومع ذلك فإن هذه السياسة البورقيبية التي سميت (سياسة المساومة المشرفة) لم تعطي نتائج المرجوة منها، لا بل أن فرنسا حاولت أن تأخذ زمام المبادرة لحل القضية التونسية وفقا لمصالحها وبشكل أكبر مما تضمنه مشروع بورقيبة لكي تحافظ على نفوذها في تونس¹.

وقد برز في هذه الفترة دور الطبقة العاملة ومن ورائها السعي متحدية السياسية الفرنسية ونظموا مظاهرات كبيرة وقدموا عددا آخر من الضحايا، فيما اتخذت السلطات الفرنسية من ذلك ذريعة لإعلان الأحكام العرفية ولاعتقال عدد من الزعماء الوطنيين.

¹ - جلال يحيى، المغرب الكبير، المرجع السابق، ص 1131.

في فبراير 1951، حاولت السلطات الفرنسية تهدئة الأوضاع الداخلية، وذلك بإجراء بعض الإصلاحات الدستورية لامتناع النخبة الشعبية، فوسعت من صلاحيات الباي، ومن إشراك التونسيين في وظائف الدولة، وقد رحب بورقيبة نيابة عن الحزب الدستوري الجديد بهذه الإصلاحات الدستورية تماشياً مع سياسته (خذ وطالب) أو كما يقول (أخذ كل ما هو مستطاع لكي يستعان به في المراحل المقبلة).

بدأ الموقف الشعبي يتصاعد بعد تصريحات 15 ديسمبر 1951 باتجاه استخدام القوة في مواجهة الاحتلال الفرنسي، ومن جهة أخرى جاءت هذه التصريحات استهانة ورفض لاتباع المعتدل الذي مثله الحبيب بورقيبة داخل صفوف الحزب الدستوري الجديد، وعلى هذا الأساس، فقد غير بورقيبة (وتحت ضغط الموقف الشعبي) موقفه من فرنسا واتبع تكتيكاً جديداً تماشياً مع موقف الشعبي العام فكتب في اليوم التالي 16 ديسمبر قائلاً: "لقد انتهت صفحة من تاريخ الشعب التونسي لتبدأ صفحة أخرى... فخداع الشعب التونسي قد وصل إلى حدوده، وهذا الشعب قد بلغ مرحلة من النضوج لحصوله على حريته..."¹، وبالفعل بدأت حركة التحرير الوطني تتحرك بالاتجاه الذي يعكس المطلب الشعبي العام، وبالالتجاه الذي يجعل الأحزاب يداً واحدة متحدة في مواجهة العدو المشترك.

ردت السلطات الفرنسية على الموقف الحزبي والشعبي العام سلسلة أعمال إرهابية وانتقامية في الأوامر التي أصدرها المقيم العام الفرنسي الجديد في 18 يناير 1952، وخصوصاً بعد أن رفض الباي محمد الأمين (الذي غير سياسته هو الآخر تجاه السلطات الفرنسية)، فقامت السلطات الفرنسية باعتقال قادة الحركة الوطنية من زعماء الحزب الحر الدستوري الجديد القديم، والحزب الشيوعي التونسي، وعدد من الزعماء النقابيين، والكثير من المواطنين، على أثر ذلك عقد الحزب الحر الدستوري الجديد مؤتمر استثنائياً سرى برئاسة الهادي شاعر (بعد اعتقال بورقيبة) في 18 يناير 1952 وغيرهم من الزعماء الحزب لدراسة الموقف ولاتخاذ ما يلزم من قرارات، وقرر

¹ - محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 55.

المؤتمر و"إعادة النظر في العلاقات التونسية الفرنسية برمتها والدعوة إلى إلغاء الحماية واستقلال تونس"¹.

في نهاية عام 1952 طوال عام 1953 وزاد استمرار السياسة الفرنسية في عدم الاعتراف بالحقوق المشروعة لتونس، بدأ التناقض يظهر بشكل أكبر في العمل السياسي نفس خطى متعارضين، خط أول آمن وأيقن بأن الحل عند فرنسا أوروبا عامة (خط بورقيبة) وخط الثاني كان يؤمن بالعمل العسكري، ويبحث في الوقت نفسه عن نظرية سياسة تقوده، قد تجاوب هذا الخط صالح بن يوسف مع التيار الذي كان تمثله (لجنة تحرير المغرب العربي) وجيش التحرير التونسي².

2-2- المغرب الأقصى:

أدى إعلان الحماية الثنائية الفرنسية والاسبانية عام 1912، إلى انتفاض الشعب المغربي في جميع أنحاء البلاد، وقد ابتدأ هذا الكفاح الوطني، كما هو الحال في الجزائر وتونس بأسلوب الكفاح المسلح الذي تركز في المناطق الريفية والجبلية في الشمال والوسط والجنوب وقد استمر الكفاح الوطني المسلح حتى عام 1924، وفي داخل المدن الكبرى، بذل الشعب المغربي جهودا متواضعة عن المقاومة السياسية رافقت الكفاح المسلح منذ عام 1926، تم تطورت في شكل تنظيمات سياسية بعد عام 1930، بعد انتهاء مرحلة الكفاح المسلح، بدأ الكفاح السياسي يقوى ويشتد في المدن الكبرى وفي منطقتي النفوذ الفرنسي والإسباني وقد استمر الكفاح السياسي حتى بداية الخمسينات حيث عاد الكفاح الوطني المسلح ثانية وبشكل منتظم أكثر من السابق، ومتداخل ومتناسق مع الكفاح السياسي، واستمر الخطاب السياسي والمسلح في كفاحهما ضد الاحتلال القومي خاصة في هذه المرحلة حتى إعلان استقلال المغرب عام 1956³.

بدأ الكفاح الوطني المسلح مع إعلان الحماية الثنائية على البلاد، ووقع عبء الكفاح على عاتق الشعب المغربي بعد أن أصبحت المؤسسة السياسية المغربية أسيرة الحماية مثلما حصل في

¹ -مجموعة مؤلفين، تاريخ الأقطار العربية المعاصر، ج2، المرجع السابق، ص 383 - 384.

² -محمد الميلي: المغرب العربي بين حسابات الدول مطامع الشعوب، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983، ص 230 - 231.

³ -محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 131.

تونس، وانشطر الكفاح المسلح إلى شطرين شطر في مواجهة الاحتلال الفرنسي وشطر مواجهة الاحتلال الاسباني.

واجهت اسبانيا مقاومة عنيفة من الوطنيين في المغرب، وقد نشبت عدة معارك ظهرت فيها بطولات وطنية أدت دورا في مقاومة الحماية، ومن الشخصيات التي برزت في مجال الكفاح ضد الإسبان أحمد بن محمد الريسولي، وقد ظهر في شمال المغرب في منطقة (جبالا) واجتمعت حوله جماعة قوية من أنصاره حتى اضطر السلطان عبد الحفيظ أن يعينه حاكما على منطقة (جبالا) في شمال المغرب، وحين احتل الاسبان مدينة تطوان سنة 1913 وأحاطوا بمنطقة (جبالا) رفع راية المقاومة الاحتلال فاضطرت اسبانيا لمهادنته والاعتراف بحكمه لإقليم (جبالا) طوال الحرب العالمية الأولى¹.

وبعد انتهاء الحرب العالمية شنت اسبانيا في سنة 1919 حربا ضد الريسولي بقصد القضاء على سطوته، واستطاعت القوات الاسبانية تطوير منطقة (جبالا) ولكن حين ظهر الأمير عبد الكريم الخطابي كقوة خطيرة تهدد الوجود الاسباني في المغرب، رأت الحكومة الاسبانية أن تتفاوض مع الريسولي لاستمالاته إليها على مقاتلة عبد الكريم الخطابي فعلا بدأت المفاوضات بين الطرفين وانسحب الاسبان عن منطقة نفوذ الريسولي وقبلوا دفع تعويض له عما أتلفته جيوشهم أثناء عملياتها الحربية.

حاول الخطابي أن يستميل الريسولي إلى جانبه ليقفا معا في وجه العدو المشترك لكن الريسولي فضل التعاون مع الإسبان وظل كذلك حتى تمكنت قوات الخطابي من دخول (جبالا) وطرد الاسبان منها، ووقع الريسولي أسيرا في عام 1925 ومات في سجنه بعد أشهر قليلة تزعم حركة المقاومة المسلحة ضد الاسبان محمد عبد الكريم الخطابي، الذي أطلق عليه (بطل الريف) والذي تجاوزت حركته الحدود القبلية والإقليمية، فنادى بالجهاد ضد الاستعمار عامة، حتى شعرت فرنسا بخطورته على وجودها الاستعماري في المغرب.

¹ - جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص 231 - 232. أنظر إلى علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، المصدر السابق، ص 106 - 107.

وقد اكتست ثورة الأمير عبد الكريم الخطابي في المغرب الأقصى الطابع المغاربي خاصة بعد النداء الذي وجهه الأمير الخطابي في 25 أوت 1925 إلى الأمة الجزائرية والتونسية للوقوف معه لمواجهة الاستعمار الفرنسي والاسباني لطرده من المغرب العربي، وقد أشاد الخطابي من خلال النداء بالجنود الجزائريين والتونسيين الفارين من الجيش الفرنسي الذين يقاتلون إلى جنبه ودعا إلى الاتحاد لتكوين (عصبة واحدة)¹.

وفي منطقة النفوذ الفرنسي بدأ الكفاح المسلح في أفريل 1912 في العاصمة فاس وامتد لهيب الكفاح إلى عموم البلاد، وتركز في جبال الأطلس في الوسط، كما تركز في الجنوب والتحم وتداخل مع الكفاح المسلح الموريتاني، وراء قيادات شعبية، لم يستطع الفرنسيون إخضاع الشعب في هاتين المنطقتين إلا عام 1934 بعد أن تكبدوا خسائر فادحة في الأفراد والمعدات².

بدأ الكفاح السياسي في منطقتي النفوذ الاسباني والفرنسي عام 1926 على يد مجموعة من أساتذة وعلماء جامعة (القرويين) ومثقفي المدن، وكان أبرز هؤلاء هم "علال الفاسي ومحمد حسن الوزاني، وأحمد بلا فريج، وعبد السلام بنونة، وعبد الخالق الطريس، ومحمد الناصري" وآخرون.

في الجنوب المغربي، الخاضع للحماية الفرنسية، بدأ الكفاح السياسي وراء واجهات ثقافية ودينية تمثلت بالعديد من الجمعيات (اتحاد الطلاب - حماة الصدق) التي ركزت على التوعية الإسلامية والإصلاح الاجتماعي.

وفي عام 1929، أسس أفراد هذه الجمعيات (كتلة العمل الوطني) برئاسة علال الفاسي فيما أصبح محمد حسن الوزاني وأمينها العام، وظهرت هذه الكتلة حركة سياسية ابتداء من صدور (الطهير البربري) في 16 ماي 1930.

في الحقيقة لعب صدور ما يعرف : (الطهير البربري) في 16 ماي 1930 دورا كبيرا في دعم الانطلاقة الحقيقية للعمل السياسي للحركة الوطنية المغربية، فقد استغلته هذه الأخيرة انطلاقا

¹ -رضا ميموي، دور الوطنيين المغاربة في حركة تحرير تونس والجزائر من نهاية الحرب العالمية الثانية إلى الاستقلال، المرجع السابق، ص 1.

² - مجموعة المؤلفين، تاريخ الأقطار العربية المعاصرة، ج2، المرجع السابق، ص 390.

حركة احتجاج واسعة ضد السياسة الاستعمارية بالمغرب على شكل تجمعات بالمساجد وسرعان ما عمت المدن الكبرى، قد تعرض الشباب المشارك في حركة الاحتجاج السلمية هذه للاعتقال والأبعاد¹.

كان أول تنظيم سياسي قد ظهر في الحياة السياسية المغربية (كتلة العمل الوطني المغربي) في عام 1934، ولم تكن هذه الكتلة حزبا سياسيا بالمعنى المفهوم، بل كانت تمثل اتجاهها سياسيا وطنيا بين قادة وطنيين للعمل من أجل البلاد، وكانت تستند على أسس سياسية ودينية قبل اعتمادها على الأسس الاجتماعية أو الطبقة، وكان نزول هذه الكتلة إلى ميدان العمل الجماهيري منذ سنة 1934 حين منعت السلطات الفرنسية السلطان محمد الخامس من الصلاة في جامعة القرويين التي كانت معقلا من معاقل الكتلة الوطنية، فانتهزت الكتلة هذه الفرصة لكي تزيد من إعلان ولائها للسلطان حتى تجتذبه إليها، وتتخذ شعار الوحدة الوطنية وأساسا للكفاح الوطني والإسلامي ضد السيطرة الأجنبية².

والواقع أن السلطان محمد الخامس كان قد تولى العرش وهو في سن صغير بعدها توفي والده في عام 1927، وكان هو الابن الثالث للسلطان يوسف، لعبت السلطات الفرنسية دورا مهما في الوصول به إلى العرش على أساس صغر سنه وخضوعه التام للبرامج الفرنسية التي وضعت لتعليمه، بل لترويضه ولكن فرنسا فشلت في معرفة أنه أسد صغير سرعان ما تنمو مخالبه ويصل إلى مرحلة من النمو والاكتمال وبشكل يجعل منه ملكا يصعب على الاستعمار أن يتعامل معه، ولكن الفترة الأولى من حياته شهدت منه هدوءا في التفكير ودراسته الموقف قبل أن يقوم بتوجيه ضربات أذهلت فيما بعد العالم العربي الإسلامي، إذ أنها جاءت من ملك أثبت أنه زعيم شعبي، وقائد وطني وإمام إسلامي، وقد كانت سياسة السلطان محمد الخامس في ذلك الوقت لا تعارض كثيرا اتجاهات السلطات الفرنسية في بلاده.

¹ - السبتي غيلاني: علاقة جبهة التحرير الوطني الجزائرية بالمملكة المغربية أثناء الثورة الجزائرية، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، قسم العلوم الإنسانية، 2010-2011، ص 37.

² - أحمد إسماعيل راشد: تاريخ أقطار المغرب العربي السياسي والحديث والمعاصر (ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا)، ط 1، دار النهضة العربية، بيروت، 2004، ص 218.

وقد وضعت الكتلة للعمل الوطني برنامجا للإصلاحات ولم يشتمل هذا البرنامج على مطالب تؤدي إلى الاصطدام مع السلطات الفرنسية، وأهم ما نص عليه البرنامج: بقاء الحماية الفرنسية ونظام الاحتلال مع توسيع صلاحيات ووظائف جهاز السلطة لدرجة كبيرة، كما طالب البرنامج بالتوحيد الإداري والحقوقى للمغرب بمساهمة المغاربة في إدارة البلاد¹.

قامت الكتلة في ديسمبر 1934 بتقديم مذكرة (مطالب الشعب المغربي) إلى المقيم العام والسلطات ورئيس الحكومة الفرنسية تضمنت ما يلي:

- فتح باب الوظائف أمام المستترين من المغاربة حتى يتمكنوا على شؤون الحكم.
- فصل السلطات القضائية على السلطات الإدارية.
- إنشاء مجالس بلدية.
- الإبقاء على السلطان مسيطرا على السلطات التشريعية والتنفيذية.
- احترام حرية مبدأ التجارة.
- توحيد نظام التعليم في المغرب².

الملاحظ من خلال برنامج الكتلة هو ذو توجه إصلاحي مثلما طرح في برامج الإصلاحية في الجزائر وتونس، كما حاولت الكتلة استمالة السلطان المغربي محمد الخامس الذي كان في هذه الفترة لا يعارض كثير اتجاهات الإقامة العامة الفرنسية، عملت الكتلة على اجتذابه إلى صفوفها بتكرارها التصريحات التي تشمل على الولاء لعرشه والخضوع لسلطته³.

وبطبيعة الحال فإن السلطات الاستعمارية الفرنسية لم ترفض هذه المطالب، لأنها لا ترى فيها مساس بالمصالح الفرنسية في المغرب الأقصى، وعكس المعمرين الخائفين على مصالحهم والذين ضغطوا على السلطات الفرنسية بأن لا توافق على تلبية مطالب الكتلة الوطنية، وفعلا فإن

¹ - المرجع السابق، ص ص 218-219.

² - عيلاني السبتي، المرجع السابق، ص 38.

³ - علي داهش، المرجع السابق، ص 133.

الإدارة الاستعمارية قد خضعت لتأثير المعمرين الفرنسيين وتراجعت عن وعودها بتلبية كل ما تقدمت به الكتلة الوطنية من مطالب¹.

ويعد فشل حركة الإصلاحات وما صاحبها من قمع واجهت به السلطان الحماية أعضاء الحركة حدث انشقاق داخل صفوف كتلة العمل التي أصبحت أراء أعضائها متباينة، بسبب اختلاف التكوين الثقافي والتوجه السياسي والانتماء الطبقي بين زعماء الكتلة وبرز حزب جديد باسم (حزب الحركة القومية) بزعامة محمد حسن الوزاني، فيما واصلت الكتلة نضالها بزعامة **علال الفاسي** رئيسا و**أحمد بلافريج** أمينا عاما، واستمر الحزبان في توجيه الانتقادات لأعمال التفرقة والتمييز التي مارستها الإدارة الاستعمارية بحق المواطنين المغاربة².

في مارس 1957، صدر قرار الإقامة العامة بالحظر على الكتلة، فواصلت نشاطها سرا واتخذت في مؤتمرها السري المنعقد في جوان 1937 قرار بقيام حزب جديد باسم (الحزب الوطني) برئاسة **علال الفاسي** وقد حظي هذا الحزب بتأييد واسع من قبل فئات الشعب ونجح في كسب العمال والفلاحين إلى جانبه الذي سيتحول إلى (حزب الاستقلال) استطاع الحزب الوطني أن يظفر بالاعتراف الرسمي من السلطات الفرنسية، غير أن الحزب بعد حصوله على الاعتماد، أيد حركة الاحتجاجية التي قام بها المغاربة ضد تحيز سلطات الحماية الفرنسية في توزيع مياه الري لصالح المعمرين الفرنسيين سنة 1937، تتعرض الحل من طرف المقيم العام نوجيس الذي نفى قادة الحزب بمن فيهم **علال الفاسي**، الذي اعتقلته السلطات الفرنسية ونفته إلى الغابون في إفريقيا الاستوائية حيث قضى في منفاه سبع سنوات إلى سنة 1946³.

منذ عام 1937، حتى عام 1939، تعرض قادة وأعضاء الحزبين الملاحقة والاعتقال والنفي من قبل السلطات الفرنسية وكان حملات القمع والاعتقال والنفي بحق قادة الحركة الوطنية المغربية وقواعدها، أثرها في تضامن أبناء المغرب العربي في تونس والجزائر في الدعوة إلى تشكيل

¹ - عيلاني السبتي، المرجع السابق، ص 38 - 39.

² - علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص 224، أنظر إلى صلاح العقاد، المغرب العربي، المصدر السابق، ص 363 - 364.

³ - عيلاني السبتي، المرجع السابق، ص 39.

جبهة واحدة للدفاع عن مصالح المغرب العربي والجبهة الاستعماري¹، لكن نشوب الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، وفتت الحركة الوطنية والسلطان المغربي محمد الخامس، إلى جانب فرنسا أملا في الحصول على بعض المكاسب الوطنية، مع هذا الموقف المغربي المتضامن مع فرنسا فإن دخول قوات الجنرال ديغول (قوات فرنسا الحرة) ثانية في المغرب عام 1942، وإقصائها للسلطة القاسية الموالية للألمان، تناست توضيحات المغاربة، وعين ديغول مقيما عاما جديدا الجنرال بيو.

أدركت الحركة الوطنية في المغرب ضرورة الأخذ بزمام المبادرة من جديد، واندفع الشعب وراءها بمظاهرات كبيرة عام 1943 مطالبين بإلغاء الأحكام العرفية وبحرية أكثر للبلاد ودفع ذلك الوطنيين المغاربة لإعادة تنظيم الحزب الوطني والانطلاق سياسة جديدة².

بعدها انتهت الحرب العالمية الثانية، أخذ السلطان المغربي يطالب فرنسا وحلفاؤها بإلغاء الحماية وإنهاء الحكم المباشر وإقامة علاقات جيدة مع فرنسا على أسس جديدة لا يكون فيها مساس لسيادة البلاد واستقلالها، ولكن كل هذه المطالبات واجهت آذان صماء، فلم يكن أمام الحركة الوطنية المغربية إلا أن يتخذ في إطار تكتل واحد هو (حزب الاستقلال) الذي أخذ يرفع صوته مطالبا باستقلال البلاد وبزعامة الملك محمد الخامس.

¹ - منذ أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها فإنه يقف عند المنحنى الجديد، الذي ميز نشاط الحركة الاستقلالية في أقطار المغرب العربي، وذلك بتكثيف اتصالاتهم، والتشاور فيما بينها، بهدف إيجاد صيغة مشتركة لتوحيد النضال السياسي المغربي، إن توحيد النضال السياسي في أقطار المغرب العربي خلال هذه المرحلة لم يكن بالأمر السهل، ومن أجل تحقيق ذلك تطلب المزيد من الجهود والنشاطات، استطاعوا التكتل في "جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية، التي تأسست في 18 فيفري سنة 1944 بالقاهرة تحت إشراف رئاسة شيخ الأزهر محمد الأخضر حسين وكتابة الشيخ الفضيل الورتلاني، وضمت أعضاء من جميع أقطار المغرب العربي، ووضع لهذه الجبهة قانونا أساسيا يهدف بالدرجة الأولى إلى استقلال هذه البلاد استقلالا تاما لا زيف فيه ووحدة كاملة شاملة لا تقصى فيه، غير أن بعض المصادر تؤكد أن هذه الهيئة لم تكن لها صلة مع الحركات الاستقلالية وداخل المغرب العربي وأن نشاطها كان محدودا. أنظر الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، الجزائر، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، دار الهدى، 2009، ص 276.

² - علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص 229. أنظر إلى صلاح العقاد: المغرب العربي، المصدر السابق، ص 365-369.

ففي ديسمبر 1944 تقدم حزب الاستقلال المنبثق عن تكتل جميع الأحزاب المغربية بمذكرة إلى الملك محمد الخامس الذي قام بتسليمها إلى فرنسا، وتضمنت هذه المذكرة المطالبة بالاستقلال وتهيئة الإمكانيات لملك المغرب بغية تشكيل أجهزة جديدة للإدارة وتوحيد المغرب.

وقد أثارت المذكرة حماسا شعبيا مغربيا عارما أقلق السلطات الفرنسية قامت على إثرها باعتقال الزعماء المغاربة، وقمعت بكل وحشية نضالات المغاربة، وجرت معارك شديدة خاصة في مدينة فاس وحرمت سلطات الاحتلال المدنية ولعدة أسابيع من الماء والكهرباء والمواد الغذائية واستخدم المستعمرون الدبابات ومختلف أنواع الأسلحة لكي يحتلوا مواقع المقاومة الشعبية.

وبالرغم من كل هذه الإجراءات إلا أن الشعب المغربي لم يتوقف عن المطالبة بحق في الاستقلال، وفي سيادته الوطنية، وبعد الحرب العالمية الثانية جرت تغيرات كبيرة في حياة المغرب السياسية والاقتصادية فقد أصبحت البلاد عرضة للتوسع الأمريكي، وسعت المجموعات الاحتكارية الفرنسية والأمريكية على حد سواء إلى توظيف رأسمالها في الصناعات الاستخراجية المغربية، وازداد استخراج المعادن في البلاد لدرجة كبيرة كما ازداد واتسع إنشاء القواعد العسكرية¹.

أما في الشمال المغربي الخاضع للحماية الإسبانية، فبعد أن تمكن الإسبان والفرنسيون من القضاء على ثورة الريف عام 1926، فقد تشكلت في العاصمة (تطوان) في العام نفسه، كتلة العمل الوطني، وهي متفقة في الأهداف والغايات مع الكتلة الجنوبية، وقد تحفت الكتلة الشمالية أيضا وراء واجهات ثقافية ودينية، وكان أبرز أعضائها عبد السلام بنونة، وعبد الخالق الطريس والمكي الناصري وآخرون، وقد استمرت في عملها بشكل سري حتى عام 1930².

وقامت بتقديم مطالب سياسية إصلاحية إلى السلطات الإسبانية في يونيو 1931، بعد قيام جمهورية إسبانية في 18 ديسمبر 1932، شكلت كتلة (تطوان)، حزبا باسم (حزب الإصلاح الوطني) برئاسة عبد الخالق الطريس، وكانت قاعدته الاجتماعية تتألف من المثقفين والطبقة الوسطى، وكان أول نشاط الحزب، تقديم مطالب للشعب المغربي إلى المقيم العام الإسباني، وفيها

¹ - أحمد إسماعيل راشد، المرجع السابق، ص ص 220 - 221.

² - محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 135.

أكد حزب الإصلاح الوطني على وحدة المغرب وعروبته وإسلامه، وفي عام 1937، تشكل حزب آخر باسم (حزب الوحدة المغربية) برئاسة محمد المكي الناصري وكانت قاعدته الاجتماعية مثل حزب الإصلاح، وهو متفق في أهدافه معه¹.

وكانت هناك صلة وثيقة بين الوطنيين في الشمال والجنوب، فمنذ (الظهير البربري) الذي صدر عام 1930 وكان رد فعل المغاربة في الشمال والجنوب واحد، وكانت الخريطة الحزبية في المغرب حتى عام 1940 توضح بأن هناك تناسقا بين حزب الإصلاح الوطني والحزب الوطني وبين حزب الوحدة المغربية خلال فترة الحرب العالمية الثانية، فقد كان الاتصال مستمرا بين الوطنيين في مواقفهم من بعضهم، ومواقفهم اتجاه الحماية الاسبانية خلال الحرب الثانية، ففي عام 1942 وقع ميثاق بين حزب الإصلاح الوطني وحزب الوحدة المغربية، وتكونت بموجب ذلك الميثاق (جبهة وطنية) لتوحيد النضال من أجل الوحدة والاستقلال وكانت أبرز أعمال (الجبهة)، هي تقديم مذكرة طنجة، وذلك بتاريخ 24 فبراير 1943.

وعندما علم حزب الإصلاح الوطني بوثيقة حزب الاستقلال المقدمة في 11 يناير 1944، ضم صوته إلى جانب الاستقلال مؤيد مطالبه العادلة في استقلال المغرب²، شهدت الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية عام 1945، لنشاطها سياسيا متصاعدا للحركة الوطنية المغربية بجميع أحزابها في الجنوب والشمال، وإلا أن تقل الحركة الوطنية تركز على نشاط حزب الاستقلال، إذ أن هذا الحزب عرف نموا كبيرا في جميع المدن والأرياف، وأصبحت له قاعدة جماهيرية عريضة ضمن مختلف فئات الشعب وفي الخارج المغرب نشط أعضاؤه من الطلبة في تأسيس مكاتب إعلامية للتعريف بالقضية المغربية في القاهرة ودمشق وباريس ولندن.

وشهدت المرحلة ذاتها، بداية الدعوة لتأسيس "جبهة التحرير الوطني" حيث دعا إلى ذلك الحزب الشيوعي المغربي، بعد أن لمس التوجهات الاستعمارية السياسية الفرنسية إلا أن قيادة حزب

¹ - محمد بن العربي الشاوش: أعضاء عل الحركة الوطنية في شمال المغرب، دار الوحدة الكبرى، تطوان، 1980، ص 27.

² - المرجع نفسه، ص ص 30 - 31.

الاستقلال والحزب الدستوري والاستقلال "حزب الحركة القومية" أصبح يعرف بهذا الاسم منذ عام 1944 رفضا للتعاون مع الشيوعيين لموقفهم من وثيقة الاستقلال عام 1933¹.

أدى تصاعد نشاط الحركة الوطنية المغربية بجميع أحزابها وحزب الاستقلال خاصة إلى قيام السلطات الفرنسية بإتباع سياسة الشرطية، فعينت مقيما عاما جديدا أريك لابون وبدأ بالعفو عن الزعماء الوطنيين المنفيين ورفع الحظر على نشاط الصحف الوطنية، واقترح في 22 جويلية 1946 مشروعا للإصلاح السياسي والإداري والاقتصادي يقوم على السيادة المشتركة، أي تأسيس حكومة مغربية مختلفة ومجالس مشتركة أيضا كما حصل في الجزائر وتونس وموريتانيا، كمرحلة أولى للوصول إلى الحكم النيابي شريطة أن يشترك المستوطنون الفرنسيون بشكل متساوي مع المغاربة على الرغم من الفارق العددي بين الطرفين، وكذلك الاستغلال المشترك للمشروعات الاقتصادية والتعدينية وغيرها إلا أن حزب الاستقلال رفض مشروع "لابون" في رسالة وجهها إلى ملك محمد الخامس في 23 جويلية، وأدى ذلك إلى رفض المشروع من قبل الملك أيضا، وبدأ محمد الخامس منذ هذه الفترة بغير سياسة تجاه الإقامة العامة الفرنسية، ويرتكز على الحركة الوطنية والشعبية وعلى حزب الاستقلال بالذات².

في 09 أبريل 1947، قام الملك محمد الخامس بزيارة طنجة، ليؤكد السيادة المغربية عليها، رغم محاولات منعه من قبل المقيم العام لابون، وألقى في طنجة خطابا أشار فيه إلى (وحدة المغرب، و(حقوق الشعب المغربي المشروعة) و"أن المغرب يريد بإلحاح الحصول على حقوقه"، كما أكد على الروابط الوثيقة بين المغرب والوطن العربي وجامعة الدول العربية، وكانت هذه الروابط، أو مجرد الإشارة إليها تمثل خطرا في نظر الفرنسيين الذين كانوا يبذلون جهدهم لتقوية وحدة المغرب مع فرنسا ضمن (الاتحاد الفرنسي) لا مع البلاد العربية، وقد بدا لفرنسا بأن هناك تعاونا واضحا بين الملك وحزب الاستقلال في معارضة برامج الإقامة العامة، وعليه فقد حملت الحكومة الفرنسية المقيم لابون مسؤولية ما حدث في طنجة، كما أن سياسته الاقتصادية لم تحظ برضى المستوطنين

¹ - علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص 318 - 319.

² - صلاح العقاد، المغرب العربي، المصدر السابق، ص 304، أنظر إلى علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص 285 - 286.

الفرنسيين، مما أدى إلى ضعف مركزه، فقررت الحكومة الفرنسية عزله وتعيين الجنرال جوان (1947-1951) المعروف بأنه (الرجل الحديد) لمواجهة الموقف في المغرب، فابتدأ حكمه اعتباراً من ماي، بعد أن تصاعدت الحركة الجماهيرية المعادية للاستعمار في عموم المغرب بعد زيارة الملك محمد الخامس لطنجة¹، وقد حصلت هذه (الجهة) على دعم ومساندة السلطان محمد الخامس، الذي طالب أثناء زيارته بفرنسا، في أكتوبر 1950، الحكومة الفرنسية أن تمنح بلاده استقلالاً ذاتياً سياسياً واقتصادياً وأن توسع حقوق حكومته الدستورية والسياسية، وأن تعيد النظر عموماً في العلاقات المغربية الفرنسية، فلم يكمل مسعاه بالنجاح وفي تلك الفترة طلبت الدول العربية المستقلة الستة (العراق، مصر، سورية، لبنان، السعودية، الأردن) من الأمم المتحدة، أن تدرج المسألة المغربية في جدول أعمال الدورة السادسة للجمعية العامة عام 1951، وعادت تقديم اقتراحها في السنة التالية، وبرغم ذلك رفضت الدول الاستعمارية حتى مناقشة مطالبة المغاربة المشروعة بالاستقلال².

فقد وضع الملك وأكد في 25 فبراير 1951 على التوقيع على التصريح، وقد تحاشى الملك ذكر الحزب الاستقلال صراحة، إنما استعمل عبارة (وسائل بعض الأحزاب)، وأناط مهمة إصدار التصريح بالصدر الأعظم - رئيس الوزراء - استغل الجنرال جوان تصريح الملك بعد أن حرف كلمة (الأحزاب) واستخدمها في صيغة المفرد (حزب) في الترجمة الفرنسية، وأشار بالنص إلى حزب الاستقلال فشن حملة اعتقال واسعة في صفوف الحركة الوطنية المغربية، فاعتقل اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال كما جرى مطاردة الحزب الشيوعي المغربي ومحكمة أمينه العام علي بعثة في الدار البيضاء، وبلغ عدد المعتقلين من رجالات الحركة الوطنية حتى أواخر عام 1951 نحو 30 ألف معتقل، على الرغم من أساليب القمع الفرنسي إلا أن حزب الاستقلال وغيره من الأحزاب، لم يبد أية مقاومة وكانت جهة في ذلك، خشيته أن تتخذ السلطات الفرنسية من ذلك

¹ - علي محمد داهش، المرجع السابق، ص 137.

² - جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص 234.

ذريعة لنفي الملك الذي غدا رمزا للمقاومة الوطنية لكن حزب الاستقلال ناشد الرأي العام المغربي والدولي الوقوف إلى جانب المغرب¹.

إن خضوع الملك محمد الخامس لضغط الإقامة الفرنسية، موقف حزب الاستقلال الإسلامي من جهة أخرى، جعل بعض أعضاء الحزب وبشكل خاص في مستويات القاعدة، يميلون إلى ضرورة تغيير أسلوب الكفاح ضد الحماية الفرنسية والعودة إلى وتبنى أسلوب الكفاح المسلح، لأنهم اعتقدوا بعدم جدوى الطرف السياسية والدبلوماسية لانتزاع حقوق المغرب، لكن هذا التيار لم يتضح داخل حزب الاستقلال إلا أواخر العام التالي.

من جانب آخر، وعلى صعيد العلاقات الداخلية بين الأحزاب المغربية، فقد شهد عام 1951 بداية توحيد الجهود الوطنية لمعظم الأحزاب المغربية في الجنوب والشمال عن طريق عمل جهوي واحدة لمواجهة الحماية الثنائية، ففي 09 أبريل 1951، ولدت (الجبهة الوطنية المغربية) وبتأثير من جامعة الدول العربية، فقد عقد حزب الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال وحزب الإصلاح الوطني وحزب الوحدة المغربية مؤتمرا في طنجة تمخض عنه قيام الجبهة الوطنية، قد أكد ميثاق طنجة على:

- 1- أن تعمل كل الأحزاب لاستقلال المغرب استقلالاً تاماً.
- 2- رفض مبدأ الانضمام إلى الاتحاد الفرنسي.
- 3- لا مفاوضة قبل إعلان الاستقلال.
- 4- التمسك بالملك محمد الخامس وتأكيد تعاون المغرب مع الجامعة العربية وفي دائرتها قبل الاستقلال وبعده، وقد شكلت آراء حزب الاستقلال الركيزة الأساسية في الميثاق الوطني.

تصاعد النشاط السياسي للحركة الوطنية المغربية مع قيام (الجبهة الوطنية) فقد أصدرت الجبهة خلال عامي 1951 و1952 العديد من نددت بالبرنامج الإصلاحي الذي طرحه المقيم العام الجديد جيوم، الذي عين في أوت 1951، وأوضحت بأن هذا البرنامج (25 مارس

¹ -مجموعة مؤلفين، تاريخ الأقطار العربية المعاصر، ج2، المرجع السابق، ص 401 - 402.

1952)، هو امتداد للبرامج السابقة التي طرحتها الإقامة العامة الفرنسية، وأكدت الجبهة بأن الحل الوحيد للمشكل المغربي ينحصر في إلغاء نظام الحماية على أن¹: "لا يمس المصالح المشروعة للفرنسيين والأجانب في المغرب".

اعتبرت سلطات الحماية الاستعمارية الفرنسية (حزب الاستقلال) و(الحزب الشيوعي) خارجين على القانون واعتقلت 12 من قادة حزب الاستقلال و30 من قادة الحزب الشيوعي، إضافة إلى قادة الاتحاد النقابي المغربي، وأوقفت الصحف الوطنية عن الصدور، وزجت بآلاف المواطنين في السجون.

لم تقف عمليات القمع على سلطات الحماية الاستعمارية الفرنسية، بل ساندتها في ذلك ومنذ بداية عام 1953، القوى الإقطاعيين المغاربية لقيادة الجلاوي باشا مراكش، وقد تعاون الجاليات في فرض مشروع إصلاحات جديدة على الملك إلا أنه رفض وقرر الجنرال جيون التخلص منه واستند على الجلاوي في ذلك، وعقد الأخير مؤتمرا في فاس في أبريل 1953، ضم كبار القادة المتعاونين مع سلطات الحماية أو من الذين خافوا سطوة الجلاوي، وقدم هؤلاء عريضة موقفه من قبل 270 باشا وقائدا التهم فيها الجلاوي الملك محمد الخامس بأنه أصبح "سلطان حزب الاستقلال²، ولم يعد سلطان المغرب"، وطالبوا فيها بخلع الملك، تحت خطر الخلع اضطر محمد الخامس إلى الموافقة على (السيادة المشتركة) وحرمانه من الصلاحيات التشريعية إلا أن الجلاوي، والإقامة العامة، كانوا في حقيقة الأمر عازمين على خلع الملك وتعيين بلده آخر يكون أداة طيعة لهم، وعلى الرغم من موافقة الملك على مشروع الإصلاحات، إلا أن الجلاوي وأنصاره أعلنوا محمد بن عرفة ملكا جديدا على المغرب في 15 أوت، ومنحوه السلطة الدينية أيضا واختاروه إماما لهم، واستندت السلطات الفرنسية إلى مبادرة الجلاوي وسطوته. فأعلنت في

¹ -صلاح العقاد، المغرب العربي، المصدر السابق، ص 382.

² - مجموعة المؤلفين، تاريخ الأقطار العربية المعاصر، المرجع السابق، ص 410 - 411.

20 أوت 1953، خلع الملك محمد الخامس ونفيه إلى كورسيكا ثم إلى مدغشقر، اعترفت الحكومة الفرنسية بـ محمد بن عرفة ملكا على المغرب في سبتمبر 1953¹.

أدى نفي الملك محمد الخامس إلى تصاعد التأيد الشعبي والحزبي له بشكل كبير، وغدا رمزا للنضال الوطني، وساعد ذلك على بعد نشاط الحركة الوطنية بشكل أكبر من السابق، وقد اعترفت دبلوماسي معاصر للأحداث بقوله، أن الملك بسبب نفيه إلى خارج المغرب قد أصبح رمز الروح الوطنية المغربية وزعيما للأمة².

ازدادت حدة التوتر بعد نفي الملك محمد الخامس بين الشعب وقواه الوطنية وبين السلطات الفرنسية والقوى المتحالفة معها، ولم ينتهي عام 1953 حتى كادت عمليات الاضطهاد بحق الشعب المغربي تمارس في طول البلاد وعرضها، وأصبح المغرب كله أشبه ما يكون بمجموعة من معسكرات السجون لأن الجيش الفرنسي قد قطع جميع وسائل التنقل والمواصلات بين القبائل ولأن البوليس قد أحكم إغلاق الأحياء الكبرى في المدن، كما أن القوات الفرنسية جاءت تعزيزات كبيرة، واتخذت احتياطات خاصة لمنع أعضاء المقاومة الوطنية من التغلغل بين القوى حفظ النظام الفرنسية، وبدا إفلاس الحكم الفرنسي واضحا للعيان أكثر من ذي قبل.

وفي الشمال المغربي، بذل حزب الإصلاح الوطني بعد أن استعاد نشاطه عام 1952، جهدا كبيرا لبقاء الشمال المغربي ملجأ ومعسكرا للمقاومة وللغارين من وجه القمع الفرنسي منذ هذه الفترة وحتى إعلان الاستقلال كما رفض الخليفة في تطوان الحسن بن المهدي الاعتراف بالملك ابن عرفة، تمسك الملك الشرعي محمد الخامس³.

اشتدت حركة المقاومة المغربية واتخذ الكفاح الوطني أشكالا شتى، فأسس (حزب الاستقلال) منظمة سرية وكان من أهم الجماعات الأخرى المماثلة (الهلال الأسود) اليساري، وزاد

¹ - محمد بن عرفة: هو عم الملك محمد الخامس، كان رجلا طاعنا في السن في العقد السابع من العمر، ضعف الشخصية من الطراز القديم، مجهولا على غرار أغلب أقرباء الملك ولم يكن متعلما ولا كاتب له تجربة سياسية أو إدارية وقد نصح الجلاوي السلطات الفرنسية باختياره. للمزيد من التفاصيل، أنظر إلى صلاح العقاد، المغرب العربي، المصدر السابق، ص 380.

² - جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص 234 - 235.

³ - محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 143.

كثيرا عدد الإضرابات والمظاهرات في المدن المغربية الرئيسية، وبدأ المغاربة يقاطعون المنتجات الفرنسية، ورفض السكان أداء فريضة صلاة الجمعة في المساجد التي يتوقع أن يدعي فيها للسلطان الذي عينه الفرنسيون، وأنشأ أهالي الريف والأطلس الوسطى (جيش التحرير) وشرعوا في مهاجمة الثكنات والقواعد العسكرية الفرنسية¹.

أدرك الشعب المغربي وبعض أعضاء الحركة الوطنية المغربية، وخاصة في حزب الاستقلال أن الأسلوب السياسي في انتزاع الحقوق الوطنية غير مجدي، ومن هنا كانت البداية لبروز قوى جديدة في منطقة النفوذ الفرنسي، أدركت عجز القيادات التقليدية عن أداء دورها في مواجهة الاحتلال آمنت بأن طريق الاستقلال لا يكون إلا بحمل السلاح ثانية، واعتماد أسلوب الكفاح المسلح وكان ذلك انسجاما مع توجيهات لجنة تحرير المغرب العربي، فكانت البداية لإنشاء (جيش التحرير المغربي)، وظهرت العمليات الفردية وتطورها وتوسعها إلى شكل جماعي أكثر قوة وتنظيما وفعالا، وعليه فقد شهدت مرحلة عام 1953 وما بعدها، تداخلا بين النضال السياسي والكفاح المسلح أمتد حتى إعلان الاستقلال، وقد عاد ذلك بالضرورة إلى بروز قيادات وتنظيمات جديدة.

أشد النضال الوطني بشكل أكبر في نوفمبر 1953، استمر الإضراب العام، وطالب الشعب المغربي من جديد بعودة الملك محمد الخامس، الشروع في المفاوضات، ومن جهة أخرى تصاعدت عمليات الكفاح المسلح في المناطق الريفية على يد الاتحاد الوطني للقوات الشعبية الذي أسس (الجيش التحرير المغربي).

واتخذ من الشمال المغربي، قاعدة للمقاومة المسلحة، وأصبحت مدينة (تطوان مركزا للمجلس الأعلى للمقاومة المسلحة، وقد أمد حزب الإصلاح الوطني (جيش التحرير) بالمساعدة في هذه المنطقة، وبدأت عمليات جيش التحرير، تزداد في القوى والمدن مع ازدياد أعداده من المقاتلين، واستطاعت قوات (جيش التحرير المغربي) السيطرة على الأقاليم الشمالية والوسطى في منطقة النفوذ الفرنسي واستمر ذلك عام 1955².

¹ - جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص 235.

² - محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 144.

2-3- الأوضاع في ليبيا:

بعد أن ازداد النفوذ الإيطالي بصورة واضحة في ليبيا، وبعد أن قررت الحكومة الإيطالية إعداد قواتها العسكرية لاحتلالها، وجهت الحكومة الإيطالية إنذارا للحكومة العثمانية اتهمت فيها بعدوانها ومقاومتها لنشاط الإيطاليين في ليبيا، واضطهاد الرعايا الإيطاليين، الأمر الذي يتطلب - حسب زعمها - احتلال ليبيا احتلالا عسكري حفاظا على شرفها ومصالحها، وطلب من الدولة

العثمانية تسهيل هذا الاحتلال، ثم بعد ذلك يمكن الاتفاق بينهما على تسوية الأوضاع، وأعطت الحكومة العثمانية مهلة لمدة أربع وعشرين ساعة للرد على الإنذار.

كانت الحكومة العثمانية آنذاك ضعيفة جدا فحاولت في ردها على الإنذار الايطالي الثقل من اتهامات ايطاليا بتعطيل مصالح رعاياها ودعت إلى إجراء مفاوضات بين البلدين لتجنب الحرب وحسم النزاع بالوسائل السلمية لكن هذا الرد لم يرضي الحكومة الايطالية التي كانت عاقدة العزم على احتلال ليبيا بالقوة العسكرية، وفي 29 ديسمبر 1911 وهو ذات اليوم الذي استلمت فيه ايطاليا رد الدولة العثمانية توجه ممثل الحكومة الايطالية في الأستانة لمقابلة الصدر الأعظم، رئيس الوزراء **حقي باشا**، وسلمت بيانا بإعلان الحرب كانت الحكومة الإيطالية قد أصدرته، هكذا بدأ الغزو الايطالي لليبيا¹.

فجر العدوان الايطالي على ليبيا حركة مقاومة عنيفة في كل من طرابلس وبرقة، وارتكز الدفاع الوطني على جهود المواطنين الليبيين مع بعض الدعم العثماني، وقاد المتطوعين في طرابلس الشيخ **سليمان الباروني فرحات بك** فيما قاد حركة المقاومة في برقة السيد **أحمد الشريف** زعيم الحركة السنوسية².

وقد تعاون القادة الوطنيون مع الضباط العثمانيين الموجودين في ليبيا آنذاك ومنهم **أنور باشا** و**مصطفى كامل** و**ناظم بك** فضلا عن الضباط العرب العاملين في القوات العثمانية ومنهم **عزيز علي المصري** قد تولى **أنور باشا** القيادة العامة بينما قاد **عزيز علي المصري** الدفاع في برقة، و**مصطفى كمال** في درنة و**ناظر بك** في طبرق، لكن الحكومة العثمانية سرعان ما أصدرت أوامرها إلى قائدها في طرابلس بإخلاء المدينة والقتال خارجها فقط تم الانسحاب إلى الداخل، على أن هذا الوضع دفع القيادات الوطنية الليبية لتحمل تبعات المقاومة، وظهرت بطولات عربية

¹ - جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص ص 209 - 210.

² - الحركة السنوسية: أسس الحركة السنوسية العالم **أحمد الشريف السنوسي** الذي هاجر من غرب الجزائر واستقر في ليبيا وأنشأ الزاوية البيضاء سنة 1842، وقد توسع نفوذ الحركة في عهد **محمد السنوسي** الذي خاض جهادا مريرا ضد الفرنسيين في ليبيا صحراء الجزائر والتشاد. أنظر إلى **أبو القاسم سعد الله**، التاريخ الثقافي للجزائر، ج5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص ص 489 - 495.

استطاعت تأجيج حماس الجماهير وتنظيمها للقتال، ففي (الخميس) قاد حركة المقاومة بشريك **السعداوي** واتخذ (ساحل آل حامد) مركزا له يرسل منه الدعوى إلى القبائل بحثهم على الجهاد.

وفي طرابلس، وبعد استيعاب القوات العثمانية جنوبا إلى (العزيرية) واصل **سليمان الباروني** و**فرحات بك** قيادة المقاومة الوطنية فيها، فيما اتخذت حركة المقاومة في برقة شكلا خطيرا فقط استنفر زعيم السنوسية **أحمد الشريف** أتباعه، فخرج من ضمن من خرج من القادة السيد **عمر المختار**¹ على رأس قبيلة العبيد المنتسبة لزاوية القصور التي يرأسها، واشتبك مع الطليان عند **بنينة** حين جاء **أنور بك** إلى معسكر القيادة العامة في درنة و**عزير علي المصري** إلى في غازي، وطب **أحمد الشريف** من كل عربي بلغ أربعة عشرة من عمره إلى الخامسة والستين الذهاب إلى الميدان القتال والخضوع لأوامر **أنور بك** بصفته نائب السلطان².

لم تكن الدولة العثمانية قادرة على الصمود في ميدان المعركة قد خلت مع إيطاليا في مفاوضات بدأت في (لوزان) في جويلية 1912، وانتهت في الثامن عشر من أكتوبر 1912، بتوقيع معاهدة (أوشي) أو (لوزان) التي تضمنت:

- 1- إيقاف العمليات الحربية فورا، وسحب الموظفين المدنيين والضباط العسكريين والجنود العثمانيين من ليبيا وتبادل الأسرى بين الجانبين.
- 2- إعلان العفو التام من الجانب الحكومة الإيطالية عن الأهالي الذي قاموا بالاحتلال وإطلاق سراح المعتقلين.

¹ - **عمر المختار (1868 - 1931)**: تعلم في إحدى الروايا السنوسية عندما احتل الإيطاليون بن غازي تولى قيادة الحركة الوطنية ضدّهم رفع راية المقاومة والجهاد وعمره تجاوز ستين سنة، ولكنه كان شابا من حيث غيرته الدينية والوطنية، في إحدى المعارك البطولية أصيب جواده، ثم يتابع الرصاص عليه فأصيب بجروح فوقع في الأسر، وسيق على محكمة صورية مزيفة فأصدروا عليه الحكم بالإعدام الذي نفذ في 16 سبتمبر 1931 في مدينة بن غازي. انظر إلى **محمد الصالح الصديق**: أعلام المغرب العربي، ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغبة، الجزائر، 2007، ص 212-218.

² - **عبد العظيم رمضان**: الغزوة الاستعمارية للعالم العربي، وحركات المقاومة، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص ص 196 - 198. انظر إلى **محمد علي داهش**، المرجع السابق، ص 97.

3- الالتزام بالمعاهدات والاتفاقيات التي عقدت بين الطرفين قبل إعلان الحرب والمساواة في التعامل بين رعايا الدولتين وتأييد الدولة العثمانية في مطالبتها بإلغاء الامتيازات الأجنبية.

وحتى لا يقال بأن السلطان العثماني سلم ليبيا إلى إيطاليا، اتفق الطرفان على أن يصدر للسلطان فرمانا بمنح الأهالي الاستقلال الداخلي التام، حتى يكونوا هم الذين استلموا للطلبان، ثم تصدر إيطاليا بعد ثلاث أيام قرارا ملكيا بوضع ليبيا تحت الحكم الإيطالي، وبهذه الصورة خرجت السياسة نطاق سيادة الدولة العثمانية، ولكن ذلك لم يمنع من استمرار المقاومة الضارية، وقد ظهرت شخصية **عمر المختار** الذي شكل جيشا للمقاومة ظل يقاوم حتى نشوب الحرب العالمية الأولى¹.

تصاعد حركة المقاومة الليبية في إقليم بقيادة السيد **أحمد الشريف** بعد توقيع معاهدة (أوشي) وأكد **الشريف** على نزعة الاستقلال الوطني التي طرحها قبل توقيع معاهدة (أوشي)، كما أكد رفضه لهذه المعاهدة التي تعترف باحتلال إيطاليا للبلاد، ففي رسالة وجهها إلى **أنور بك** المقيم في معسكر (الظهر الأحمر) القريب من (درنة) ما يؤكد ذلك حين قال: "نحن والصلح على طرفين نقيض ولا تقبل صلحا بوجه من الوجوه إذا كان ثمن هذا الصلح تسليم البلاد إلى العدو"، فقد بادر زعيم الحركة السنوسية **أحمد الشريف** بإعلان الجهاد وبعث المنشورات إلى جميع الزوايا وطالبهم بتلبية النداء، في برقة استعد السنوسيون الجهاد، ثم اشتبك الفريقان في معارك انتصر فيها السنوسيون على الإيطاليين الذي بلغ عددهم ستة وثلاثون ألف مشاة وستة آلاف وثلاثمائة من الفرسان.

كما بعث الدولة العثمانية ضباطا إلى برقة لتنظيم القتال وبلغ جنودهم أربعة آلاف ومائتي جندي وكذلك كلف **أحمد الشريف** وكان مقيما بالكندرة **عمر المختار** شيخ زاوية القصور بالبدء في الدفاع ضد الأعداء².

¹ - جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص ص 211-212.

² - محمود السيد: دول المغرب العربي، (ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب - موريتانيا)، مؤسسة شباب الجامعة، 2004، ص ص 66 - 67.

جاء تصميم المقاومة الليبية في برقة على مواصلة القتال ضد الاستعمار الإيطالي باتخاذ الإجراءات العديدة على صعيد إعادة تنظيم القوات الوطنية التي بلغ عددها 7 آلاف مقاتل إضافة إلى ألف من المتطوعين، واستقر رأى قادة المقاومة وعلى رأسهم أحمد الشريف على الانتقال إلى منطقة (إمسعد) لتكون مقرا للقيادة الوطنية، وهذه المنطقة قريبة من الحدود المصرية، وقد كان ذلك قرارا صائبا "إن مصر تشكل عمقا استراتيجيا لقوات أحمد الشريف بالرغم من الحماية البريطانية فإذا ما هوجمت قوات المجاهدين انتقلوا إلى الأراضي المصرية فلا تجرؤ القوات الإيطالية على مطاردتهم داخل الأراضي المصرية".

قاد التصميم الوطني على المقاومة لطرد المحتلين إلى إخراج موقف الإيطاليين، وقد اعترف الممثل الإيطالي في القاهرة الجنرال البريطاني في جويلية 1914 "إن الأمور تتفاقم مع السنوسية بصورة أو بأخرى"¹.

ثم قامت الحرب العالمية الأولى، وانضمت إيطاليا إلى الحلفاء وصارت بذلك بريطانيا وإيطاليا جبهة واحدة وفي ظل تلك الظروف تنازل أحمد الشريف عن القيادة السياسية العسكرية إلى السيد محمد إدريس المهدي، وأبقى هو لنفسه القيادة الدينية، وصارت الزعامة لإدريس المهدي منذ عام 1917.

وبناء على هذا التغيير في القيادة لجأت الدول الأوروبية إلى إدريس المهدي للتفاوض في شؤون البلاد وتوجيه من أحمد الشريف الذي استقر في (جغبوب) تولى إدريس السنوسي إدارة الأجزاء الغربية من برقة (برقة البيضاء) وتكون في (أجدابية) مركز القيادة بينما تولى محمد رضا أمر الجبل الأخضر وتولى محمد صفي الدين أمر طرابلس، على أن الإيطاليين تمكنوا هم السنوسيين من عقد هدفه عسكرية قرب طبرق 1917 وقد نصت الهدنة على:

- 1- إيقاف العمليات العسكرية بين الطرفين وإبقاء الحال على ما هو عليه.
- 2- تبقى المحاكم الشرعية في مباشرة عملها في البلاد.
- 3- تفتح المدارس العلمية والمهنية في برقة.

¹ - محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 99.

- 4- إعادة الزاوية مباشرة عملها وبعض من الضرائب.
 5- تقوم الحكومة الايطالية بدفع رواتب العاملين فيها.
 6- يتم التبادل التجاري بين طبرق وبن غازي ودولة في المناطق الداخلية من البلاد¹.

لم يكن من الصعب الوصول إلى اتفاق بين السنوسيين والبريطانيين بعد ذلك، فقد قبل إدريس إعادة الأسرى جميعهم وتقرر استئناف العلاقات التجارية بطرف الساحل المصري، ولم يسمح بإقامة زوايا سنوسية في مصر، لكن الزكاة كانت تجمع من إتباع السنوسيين المقيمين فيها².

إن التمعن في شروط المعاهدة يؤثر تراجعاً أولياً من قبل إدريس السنوسي أمام أطماع الايطاليين في البلاد، لكن هذا التراجع لا يعني الموافقة الجماعية لقادة حركة المقاومة، وكان من أبرز مواقف الرافض لذلك تلك التي عبر عنها عمر المختار، فقد رفض فكرة المصالحة لأنها كرسّت الوجود العسكري الايطالي في ليبيا وقال على لسان ممثليه "إنهم لا يقبلون بالايطاليين إلا في المدن الساحلية على أن يقتصر عملهم هنا على التجارة" وعدم السماح لهم بممارسة أي نشاط عسكري أو سياسي، مما يوحي أن حركة المقاومة الشعبية ترفض المساومة على مصالح الشعب والوطن وحققها في الحرية والاستقلال، السيادة الوطنية، وعليه فإن إدريس السنوسي لا يعبر عن رأي الأغلبية، وقد تأكد موقف الرفض ثانية عام 1919 أثناء انعقاد الاجتماع الوطني في أجدابيا مقر الإمارة السنوسية³.

إن مرحلة (العمل الدبلوماسي) استمر بين طرفين حتى عام 1920 فيما ترك اتجاه الرفض لدى قاده عمر المختار أثره الواضح على طبيعة العلاقة بين الجانبين السنوسي والايطالي، وتؤكد ذلك من خلال العودة إلى فتح باب الحوار من جديد مع الإيطاليين تم التوصل فيها إلى اتفاق "الرحمة" في 25 أكتوبر 1920.

¹ - محمود السيد، دول المغرب العربي (ليبيا، تونس، الجزائر، موريتانيا)، المرجع السابق، ص 68 - 69.

² - شوقي الجمل: المغرب الكبير في العصر الحديث، المرجع السابق، ص 383 - 384.

³ - أحمد محمود: عمر المختار، الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في طرابلس الغرب، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، 1353 هـ، ص 11-14.

وبموجب الاتفاق عدلت بعض بنود اتفاقية (عكرمة) لصالح الإدارة السنوسية، لكنها أكدت من جانب آخر على اقتصار الجيش السنوسي على ألف من الرجال، وعلى أن يقوم إدريس السنوسي بتصفية الأدوار (المعسكرات) السنوسية السبعة خلال ثمانية أشهر، إضافة إلى حل جميع المنظمات العسكرية والسياسية المتعلقة بها في المناطق الواقعة خارج حكومته ويبدو صحيحا الرأي القائل بأن هذه الاتفاقية مع أنها اعترفت ب إدريس السنوسي حاكما مدنيا بالإضافة إلى زعامته الدينية فإن ايطاليا لم تقصد بالطبع وضع السلطة بيده أو الاعتراف به سياسيا بعد منحه لقب (أمير)، بل أن الاتفاقية فيه كانت محاولة من ايطالي الشراء الهدوء وضمنت السنوسيين، بما تقدمه من أموال فضلا عن أن الاتفاقية تعني اعتراف الأمير السنوسي بفصل برقة عن طرابلس، ولذا كان قبوله لها موضع نقد الكثيرين¹.

وعمر المختار الذي كان يرأس قيادة اثنين منها، ولم تكن الغاية من هذا البند لتحقيق أغراض سياسية بحتة، بل كانت تتعدى ذلك ممارسة النشاط والسيطرة على عرب الصحراء في المناطق الداخلية، ومن هنا يظهر جليا، سبب رفض المختار تلك المحاولة، ويبدو أيضا أن القبول بهذا البند بمعناه فتتيت القوة القتالية لحركة المقاومة، وإتاحة الفرصة للايطاليين بتوجيه ضربة سريعة واحتلال البلاد كاملة في حالة العودة إلى الأسلوب العسكري من قبل ايطاليا².

وعليه فقد وجد الايطاليون أنفسهم في موقع يستحيل معه تطبيق أي اتفاق وفرض النفوذ على البلاد وهكذا وجدوا عمر المختار عائقا عنيدا في طريق محاولتهم إيجاد نفوذ سياسي في ليبيا وبصورة خاصة في برقة، وكل هذا يعني بأن الفضل يعود إلى عمر المختار وغيره من القادة السنوسي مثل صالح العوامي وخالد الحمري وآخرون في استمرار اتجاه الرفض للوجود الايطالي³.

استسلم عمر المختار قيادة الحركة المقاومة بصفة (النائب العام) بعد رحيل إدريس السنوسي إلى مصر، وقد لاقى قبول إدريس السنوسي للرؤوس البلاد في نوفمبر 1922 معارضة

¹ - شوقي الجمل، المغرب الكبير في العصر الحديث، المرجع السابق، ص 386.

² - محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 103.

³ - شوقي الجمل، المغرب الكبير في العصر الحديث، المرجع السابق، ص 386.

إيطالية غير أنه رفض التراجع عن ذلك لكنه لم يدعم ذلك بفعل مقاوم، أي العودة ثانية لحمل السلاح ومواجهة المحتلين، وقد كان رحيله في وقت تصاعدت فيه الأطماع الإيطالية لوصول الفاشية إلى الحكم، وجاء رحيله فشلا غير معلن لاجتماع إجداليا.

تبنّت إيطاليا الفاشية في هذه المرحلة سياسة (القبضة الحديدية) فأعلنت الأحكام العرفية وحلت المعسكرات المختلفة في مراوة وسلطته و(المخيلي والإيبار، وتكنس وعكرمة)، وباشرت حملات الإبادة الجماعية ضد الأهالي بادئة بمدينة أجدايا مقر الحكومة السنوسية حيث هاجمت في 8 مارس 1923، وسحقت من وجدته فيها، تم أعملت القتل والتشريد في المدن الساحلية درنة طرق بن غازي، ومنذ ذلك الوقت تصاعدت عمليات التعبئة الوطنية الشاملة التي بدأها عمر المختار فعقد اجتماعا مطولا مع قبائل (السعدي والجبارنة والحراي) تدارس معهم الأوضاع الناشئة عن شراسة الهجوم الإيطالية وتخلي إدريس السنوسي عن البلاد، واستقر الرأي في النهاية على ضرورة مواصلة القتال واعتماد تكتيك حرب العصابات لمواجهة القوات المحتلة.

اجتمع عمر المختار بعد الهجوم الإيطالي على (جداليا) مع القيادات العسكرية للتداول في إستراتيجية للكفاح ضد القوات الإيطالية، وتمحص الاجتماع عن الأمور التالي:

1- سيمتد عمر المختار في الجبل الأخضر ويتخذة قاعدة له وينشئ داخله مراكز لتدريب المتطوعين.

2- يربط الشيخ صالح الأطبوش (أحد قادة المقاومة) في البريقة ويتخذها قاعدة لمقاومة الإيطاليين.

3- تؤسس ثلاثة مراكز عسكرية أمام درنة وفي شماسا داخل الجبل الأخضر وفي الحرجة.

قسم المجاهد عمر المختار حركة المقاومة على عدة أدوار - معسكرات - في عام 1924، وقد نظم المقاومة حسب القبائل فجعل لكل قبيلة فرقة باسمها، يساعدها عدد من الإخوان وعلى رأس كل فرقة قائد، وكان المفضل أن يكون قائد الفرقة من أفراد القبيلة لكي يتسنى

له ضبط أفرادها بشكل أفضل ويبدو أيضا أن هذا التقسيم (القبلي) كان الهدف منه خلق حالة التنافس بين الفرق المقاتلة لكي تبقى حالة التوتر والاستعداد العالي قائمة بشكل أكبر¹.

إن مسلسل التطويق الذي فرضه عرازياني على حركة المقاومة الليبية لم يؤد إلى استسلامها على الرغم من الضعف الذي أصابها من جراء تناقص قواتها البشرية وإمكاناتها القتالية والمؤسسة وقد حاول عمر المختار وبكل جهد الاستفادة من الحدود المصرية لتزود بما يحتاجه، وعليه فقد حول نشاط المقاومة إلى منطقة (البطنان) - مر مريتا- من الحدود المصرية وواصل المجاهدون تنشيط التجارة مع مصر من ميناء بردية إلى أمساعد في شريط طوله 250 كلم، ومن جهة أخرى أخذ في تنظيم المعسكرات، ورفع معنويات المقاتلين وتوجيه ضربات متلاحقة للقوات الإيطالية المتمركزة في المناطق المحيطة بالجليل الأخضر ويعترف عرازياني بأن المختار وقواته كبدوهم خسائر لا حد لها².

ومن هنا جاء التفكير في استكمال عمليا التطويق لحركة المقاومة بالعمل على إنشاء الأسلاك الشائكة مع الحدود المصرية، وقد بلغ طول هذه الأسلاك 300 كلم، بدأت من الشمال قرب الساحل في منطقة (بردى سليمان) وانتهت إلى ما بعد مدينة (الجنغوب)، فانقطع بذلك الاتصال بين حركة المقاومة في الجبل الأخضر، العالم المحيط وقد حاول المجاهدون اختراق هذه الأسلاك لكنهم كانوا يلاقون الكثير من الصعوبات³.

في 11 سبتمبر 1931، وقع المجاهد الكبير عمر المختار في قبضة القوات الإيطالية، فقد كان من عادته أن يقوم بجولات استطلاعية على مواقع القوات الإيطالية وتثبيت حركاتها ومعرفة نواياها تجاه هذا الموقع أو ذاك من مواقع المجاهدين، وبينما كان يقود كوكبة من المجاهدين يتراوح عددها بين 40 - 50 مجاهد التقى بقوة من الجنود الإيطاليين الذين أحاطوه من كل

¹ - محمد علي داهش، المرجع السابق، ص ص 105 - 106.

² - المرجع نفسه، ص 119.

³ - المرجع السابق، ص 120.

ناحية فوقع أسير في يد الغزاة الايطاليين، وانتهت الحركة الوطنية الليبية المسلحة بعد استشهاد، ودخلت القوات الايطالية معاقل الجبل الأخضر تم الأمر لهم ولكن إلى حين¹.

لاحق أول فرصة أمام الليبيين لتحرير أنفسهم من الحكم الايطالي في بداية الحرب العالمية الثانية فاجتمع كبار الشخصيات الليبية في مصر في أكتوبر 1939 لتصفية خلافاتهم، ووضع خطة للمستقبل ولما دخلت ايطاليا الحرب في 10 يونيو 1940 كثف الليبيون جهودهم الرامية إلى وضع سياسة مشتركة في عقد مؤتمر لليبيين في المنفى، وظهر الانقسام واضحا حول الموقف من الدول المتحاربة وكان إدريس السنوسي قد وضع ثقته في بريطانيا، وازدادت بريطانيا نفسها استغلال الليبيين لتحقيق مآربها في مقاومة الايطاليين، فشجعت على تدريب الليبيين وتسليحهم ودفع رواتبهم دون أن تعدهم بالحصول على الاستقلال والوحدة بعد انتهاء الحرب².

استطاعت القوات الخليفة من احتلال معظم الأراضي الليبية، فقد احتلت القوات الأمريكية طرابلس والمناطق المجاورة لها، واحتلت القوات البريطانية منطقة برقة والفرنسية منطقة فزان وظهر واضحا بأن الدولة الثلاثة تحاول إبقاء سيطرتها على المناطق الليبية وأن استعمار جديدا قد حل محل الاستعمار الايطالي، الأمر الذي دفع الشعب الليبي وحركته الوطنية إلى توحيد الصفوف لمقاومة السيطرة الاستعمارية والحصول على الاستقلال وتوحيد مناطق ليبيا الثلاث والانضمام إلى جامعة الدول العربية، وقد دعمت الجامعة العربية ودولها حق الليبيين في الاستقلال والوحدة يشكل الليبيون (هيئة تحرير ليبيا) للمطالبة بالحصول على الاستقلال وعرض القضية الليبية على الأمم المتحدة التي شكلت لجنة خاصة لدراستها وفي هذه الأثناء نشرت بريطانيا وايطاليا مشروع بيفن- سيفورزا الخاص بليبيا في 10 ماي 1949، وكان مشروع بيفن وزير خارجية بريطانيا وسيفورزا وزير خارجية ايطاليا ينطوي أساسا على فرض وصاية ايطالية على طرابلس، وبريطانية على برقة، وفرنسية على فزان، كما تقرر منح ليبيا الاستقلال بعد عشر سنوات من تاريخ الموافقة على هذا القرار عارض الشعب الليبي هذه المؤامرة الاستعمارية ضد حريته واستقلاله ووحدة أراضيه، ولم يحصل المشروع على موافقة الجمعية العامة للأمم المتحدة، الأمر الذي وسع الخلاف بين الدول

¹ - محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 120 - 121.

² - جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص 218.

الثلاث وإعادة مناقشة القضية محددًا في الجمعية العامة للأمم المتحدة التي أصدرت قرارها الرقم 289 في 21 نوفمبر 1949 الذي يقضي باستقلال ليبيا في موعد لا يتجاوز لأول من يناير 1952.¹

2-4- الأوضاع في موريتانيا:

يمكن تقسيم الكفاح الوطني الموريتاني إلى مرحلتين، مرحلة ما قبل فرض الحماية الفرنسية عام 1903 ومرحلة ما بعد فرض الحماية كما أن المرحلة الأولى أخذت شكل الكفاح المسلح، أما المرحلة الثانية فقد تطور فيها الكفاح المسلح ثم أخذ شكل السياسي وخاصة في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية.²

حملت الحرب العالمية الثانية (1939 - 1945) أرباحًا جديدة إلى المستعمرات الفرنسية إذ أعلنت فرنسا خلال المؤتمر برازافيل لعام 1944 تحت ظروف انتشار الحركة التحريرية الإفريقية، أن فرنسا ستشجع الديمقراطية في الحياة السياسية في مستعمراتها، تؤسس دوائر حكومية وطنية مستندة إلى حق الانتخاب العام إقرار استخدام المحليين الذين أثبتوا تمسكهم بالنفوذ الفرنسي استخدامًا واسعًا في نظام الإدارة الفرنسية استخدامًا واسعًا في نظام الإدارة الفرنسية.³

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، لعبت العوامل الدولية على إثرها في ظهور الحركات الوطنية في المستعمرات، حيث تراجع نفوذ كل من فرنسا وبريطانيا بعد إنهاك الذي أصابها في القضاء على ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية وبالتحالف مع الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية، كما ظهرت بوادر القطبية الثنائية وبداية الصراع السياسي والفكري والاقتصادية العسكري بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكية، وظهرت منظمة الأمم المتحدة، وبدأت الشعوب في عموم العالم المستعمر تطالب بحق تقرير المصير، ولقيت دعماً من قبل الاتحاد السوفياتي بصفته زعيم الكتلة الشرقية المعادي للولايات المتحدة الأمريكية والنظام الرأسمالي والظاهرة الاستعمارية.⁴

¹ - جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص 219.

² - محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 76.

³ - شوقي الجمل، المغرب الكبير في العصر الحديث، المرجع السابق، ص 378.

⁴ - محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 77.

إن الأثر الأعمق في تطور الكفاح الوطني الموريتاني قد جاء نتيجة لأوضاع الداخلية لموريتانيا من جهة وتطور أوضاع الحركات الوطنية في عموم المغرب العربي من جهة أخرى، فقد كان للمعاناة الوطنية وفي مختلف المجالس الاقتصادية والثقافية خاصة أثرها في بلورة وعي الوطني يدعو إلى الإصلاح وتحسين الأحوال العامة في البلاد كان لتطورات الحركة الوطنية المغربية أثرها في تطور الوعي السياسي لموريتانيا بعد الحرب العالمية الثانية حيث طرحت الحركة الوطنية المغربية مبدأ الاستقلال ممثلة بالقوة القائدة لحزب الاستقلال منذ 1 يناير 1944 كل ذلك أسهم في بلورة وعي وطني عام بهدف إلى إنقاذ البلاد من معاناتها تحت وطأة المستعمر الفرنسي.

تركزت مطالب الشعب الموريتاني بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة حول إجراء إصلاحات داخلية، تهدف إلى الرقي البلاد، وانتقلت بعد عام 1936 إلى ممارسة (حق الانتخاب) وتشكيل (المجالس المحلية) بموجب الدستور الذي طرحته الجمهورية الفرنسية الرابعة¹.

في 10 نوفمبر 1936، بموجب الدستور الفرنسي جرت أول الانتخابات التشريعية في موريتانيا ترشح اثنان عن موريتانيا لتمثيلها في الجمعية الوطنية الفرنسية، كان أول فرنسي وهو ايفون رازاك الثاني موريتاني وهو أحمد بن حرمة بن بيانا وقدم زارك برنامج وحصل بموجبه على تأييد القرى المنتقدة من الشيوخ الزمنيين والرومي المرتبطين بالإدارة الاستعمارية، أما حرمة بن بيانا فقد قدم برنامجا وطنيا حصل من خلاله على تأييد الأغلبية الموريتانية.

أوضح البرنامج الثاني، التسميات الدينية والوطنية والعربية للحركة السياسية الموريتانية وتمثل في استنهاض روح الكفاح الوطني من جديد بالارتكاز على المرجعية الدينية والموروث الجهادي ومحاربة النزعة القبلية، ومناصرة اللغة العربية والدفاع عنها والحفاظ على مقومات الشعب وتراثه العربي الإسلامي، وكذلك في استخدام (الورقة العربية) والدعوة إلى ربط موريتانيا بالمحيط المغاربي والاهتمام بالقضايا القومية الكبرى ومن ضمنها، رفض موقف فرنسا الاعتراف بالكيان الصهيوني والذي أدى إلى الانسحاب من عضوية (الفرع الفرنسي من العالمية العمالية) نتيجة مواقف الفرع

¹ - المرجع نفسه، ص 77.

المالية الصهيونية إلى جانب ذلك كان ثمة قسما اشتراكية في البرنامج الاجتماعي الاقتصادي، وبالتأكيد على العمل على إنصاف المجموعات المضطهد¹.

وكان من نتائج هذا البرنامج (اتفاق) أغلبية الشعب الموريتاني بناء جري مرشحة حرمة بن بيانا استطاع الشعب الموريتاني بعد أن عمت انتخابات (المجالس المحلية) ومجالس التشريعي الموريتاني إسقاط المرشح الفرنسي ايفون رازاك واتصال المرشح الوطني أحمد بن حرمة بن بيانا الذي فاز بنسبة 63% من الإضراب لتستغل مقعد موريتانيا في الجمعية الوطنية الفرنسية وبقي نائب عن موريتانيا لمدة خمس سنوات اكتسب منها خبرة سياسية وأدى دورا كبير في فضح السياسة الاستعماري والقوى المرتبطة في بلاده، وقد أدت تلك الانتخابات إلى تنامي الوعي الوطني السياسي عن الموريتاني وتأكيد شخصيتهم على طريق الحرية والاستقلال².

شكل أو حزب سياسيا في موريتانيا في فبراير 1946 باسم (حزب الاتحاد التقدمي الموريتاني) واستمر إلى ماي 1957، وقد اسند رئاسته الشرقية إلى الجنرال ديغول من الأعضاء البارزين المختار أنجاي وكانت قاعدته الاجتماعية تتكون من عناصر موريتانية وزنجية فرنسية وضم كبار الملاك المزارعين وبعض مشايخ العشائر المرتبطين بالإدارة الفرنسية وقد سعى الحزب إلى خدمة أهداف فرنسا، وعليه فقد سار على سياسة (التقبل التام للأوضاع القائمة) وأعلن منذ بداية المواجهة العلنية ضد المرشح الوطني أحمد بن حرمة بن بيانا

في الأول من يونيو 1950، تشكل حزب سياسيا في موريتانيا عرف باسم (حزب الوفاق الوطني بزعامة) أحمد بن حرمة بن بيانا وكان من أعضائه البارزين الأديب والمؤرخ المعروف المختار الحامد وقد بدأ هذه الحزب بأسلوب إصلاحية للتعبير عن المطالب والأهداف الوطنية للشعب الموريتاني، وكانت أهم طموحاته الوطنية هي التأكيد على (الوحدة الوطنية للشعب) بعيدا عن النزعات القبلية كما أكد على وحدة القوى للشعب السياسية في البلاد من أجل تجسيد الطاقات الوطنية لمواجهة المحتل، وكان هذا الحزب ذا اتجاه عروبي واضح بتأكيد على العربية لغة وثقافة وعلى الانتماء العربي الإسلامي لموريتانيا وصورة الاستقلال وربط صلات قوية بالوطن

¹ - شوقي الجمل، المغرب الكبير في العصر الحديث، المرجع السابق، ص 381 - 382.

² - عبد الباري عبد الرزاق النجم: جمهورية موريتانيا الإسلامية، دار الأندلس، بيروت، 1966، ص 165.

العربي كما كان يتعاون مع قومي المغرب العربي، ونتيجة لذلك فقد بدأت المواجهة في حزب الاتحاد التقدمي منذ البداية على زعامة البلاد¹.

تعرض حزب الوفاق موريتانيا بعد هجرة زعيمه إلى الخارج إلى آفة الانشقاق والضعف فقد انشق الحزب إلى ثلاثة كتل صغيرة بزعامة **ألدي بن سيدباية** والثانية بزعامة **أنجور صارة** من مجموعة ثالثة من الزوج في جنوب قرب من السنغال الذين أسس فيها بعد ما عرف الكتلة الديمقراطية **لعور غول** فيما انفرد (حزب الاتحاد التقدمي) بالسيطرة على الساحة السياسية في موريتانيا، حيث فاز مرشحه **المختار انجاي** في انتخابات عام 1956 مع ذلك ظل اسم حزب الوفاق وجماعته ولو بصورة هامشية، حيث اندمج فيما بعد مع حزب الاتحاد التقدمي في إطار "حزب التجمع الموريتاني".

منذ منتصف الخمسينات تطور الكفاح الوطني السياسي في موريتانيا على صعيد الأفكار والتنظيمات وتحديد الأهداف الوطنية بشكل أعمق دليل على نضوج الوعي الوطني السياسي لدى الشعب الموريتاني، وكان ذلك بظهور أحزاب ومنظمات جديدة، وقد كانت العوامل الداخلية السياسية الفرنسية والخارجية (المغاربية-الفرنسية) أثرها الكبير في ذلك، فقد شهدت أقطار المغرب العربي تصعيدا في الكفاح السياسي والعسكري منذ بداية الخمسينات في حين تصاعدت عمليات الكفاح المسلح في تونس 1952 المغرب 1953 والجزائر 1954، كما بدأت أصدااء الثورة المصرية التي قادها **جمال عبد الناصر** تصل إلى موريتانيا، وكل ذلك ترك بتأثيره على بعض السياسة أواخر الخمسينات.

من الجدير الإشارة إلى أن القوى الوطنية في المغرب العربي شكلت في القاهرة منذ عام 1947 (مكتب المغرب العربي) ثم لجنة تحرير المغرب العربي عام 1948 بزعامة المجاهد الكبير **محمد بن عبد الكريم الخطابي** قائد ثورة الريف المغربية، وقد كان للجنة تأثيرها الكبير في توجيه عمليات الكفاح المسلح في كل من تونس والمغرب والجزائر منذ بداية الخمسينات.

¹-محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 79.

وفي القاهرة التحق الزعيم الوطني الموريتاني أحمد بن حرمة ابن بيانا لقيادة حركات الوطنية المغاربية، وانظم إلى مكتب المغرب العربي ولجنة التحرير ثم التحق بالمغرب بعد حصولها على الاستقلال في مارس 1956 ليفوز من هناك الحركة المقاومة مسلحة من جموع المتطوعين في (جيش التحرير موريتانيا)¹.

3- الثورة الجزائرية وبعدها المغاربي:

على الرغم من ظروف أزمة انقسام الحركة الوطنية وقلة الإمكانيات كان تصميم اللجنة الثورية للوحدة والعمل على تفجير الثورة كبيرا، وكان اقتناع رجالها الثوريون حازما بضرورة وضع حد للمماطلات والمأزق الذي دخلته الحركة الوطنية، ويقتضي تصور الثورة كما خطة القادة التاريخيون أن يفور لها الدعم ويعاد تنظيمها بعد انطلاقتها، أما الأهداف المعلنة فهي ثابتة ومستمدة من أيديولوجية حزب الشعب - حركة انتصار الحريات الديمقراطية وتستجيب رغبات جميع الجزائريين، وهي تتحدد أساسا في النقاط الآتية:

- 1- استرجاع السيادة الوطنية عن طريق الكفاح المسلح².
- 2- إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية.
- 3- احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني.

وقد وازنت جبهة التحرير الوطني لتحقيق أهدافها بين العمل الداخلي والعمل الخارجي، وحددت شروطها لحل المشكلة الجزائرية متمثلة في الاعتراف بالجنسية الجزائرية رسميا، وفتح مفاوضات مع ممثلي الشعب الحقيقيين وبعث جو الثقة بإطلاق جميع المعتقلين ورفع الإجراءات الخاصة، وفي المقابل أكدت أنها تضمن المصالح الفرنسية وتمنح الفرنسيين حق الإقامة الجنسية الجزائرية، وتضبط العلاقات بين فرنسا والجزائر بالتفاهم على أساس المساواة والاحترام المتبادل³.

¹ - محمد علي داهش، المرجع السابق، ص 80 - 81.

² - أنظر بيان فاتح نوفمبر 1954، وزارة الإعلام والثقافة (الجزائر)، النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1979، ص 8 - 9.

³ - المصدر السابق، ص 9 - 10.

أكدت الثورة الجزائرية بما يحدث في الجارتين تونس والمغرب "إن أحداث المغرب وتونس لها دلالتها في هذا الصدد فهي تمثل بعمق مراحل الكفاح التحرري في شمال إفريقيا ومما يلاحظ في الميدان إننا منذ مدة طويلة أول الداعين إلى الوحدة في العمل".

وكان أمل جبهة التحرير الوطني أن تكون المعركة في هذه الأقطار الثلاثة موحدة وتأسفت لانفراد كل قطر بمعركته، وأعلنت أن من بين أهدافها الرئيسية في سياستها الخارجية مبدأ (تحقيق وحدة شمال إفريقيا) في إطارها الطبيعي العربي الإسلامي وقد جاء التأكيد على البعد في المواثيق الرئيسية للثورة ولم يكن في المشروع المغاربي مجرد شعار رفعته الثورة الجزائرية بل اجتهدت في تجسيده ميدانيا باعتباره خيارا استراتيجيا والتقليل من ممارسة جبهة التحرير الوطني لمبدأ الوحدة المغاربية في الكفاح منذ انطلاقة ثورة نوفمبر 1954.

لقد استطاعت الحركات الوطنية المغاربية أن تطور وتنسق العمل المغاربي المشترك غداة الحرب العالمية الثانية، إذ صادقت عام 1947 على ميثاق يربط بين استقلال الأقطار الثلاثة ووحدة المغرب العربي¹، وهذا المبدأ أكدته قيادة الثورة الجزائرية وهي تحدد استراتيجيات الكفاح الكبرى، وقد اعتمدت جهود التنسيق التي أرستها حركة الانتصار للحريات الديمقراطية بالداخل ووفدها الخارجي بالقاهرة²، إذ كان الحزب وجه سنة 1949 وفدين إلى كل من تونس والمغرب للبحث على التحضير لعمل عسكري موحد.

وفي الوقت ذاته حرص الحزب على إنشاء لجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة³، ونشط الوفد الخارجي لحركة الانتصار في الخارج لتأكيد هذا الخيار ومواجهة منحى الميول القطرية داخل مكتب

¹ - في 15 فيفري 1947 انشأ مكتب المغرب العربي، بهدف تنسيق عمل الحركات الوطنية في بلاد المغرب العربي، توحيد الخطط لتنسيق عملية الكفاح المسلح المشترك، فقد لعب دورا مهما في التعريف بقضايا المغرب العربي بمصر وفي أقطار المشرق العربي. ومن أبرز الأعمال التي قام بها هم ترتيب عملية لجوء الأمير عبد الكريم الخطابي إلى القاهرة في 30 ماي 1947، وتمت هذه العملية بسعي وجهود الجامعة العربية، وتأسيس لجنة تحرير المغرب العربي. أنظر إلى مرجع معمر العايب: مؤتمر طنجة المغاربي دراسة تحليلية تقييمية، دار الحكمة للنشر، الجزائر 2010، ص 50.

² - محمد حربي، المرجع السابق، ص 57 - 59.

³ - لجنة تحرير المغرب العربي: في 05 جانفي 1948، تأسست لجنة تحرير المغرب العربي، وهذا بناء على توصيات مؤتمر المغرب العربي في القاهرة، تحت رئاسة الأمير عبد الكريم الخطابي، وأعلن عن ميثاقها في معظم الصحف المصرية. وقد أمضى ميثاق اللجنة رئيسها الأمير عبد الكريم الخطابي وممثلو الأحزاب الوطنية، وأديرت من طرف مكتب تشكل من: عبد الكريم الخطابي رئيسا وشقيقه أمحمد عبد الكريم الخطابي وكيل دائم الحبيب بورقيبة أمين عام للجنة أمحمد أحمد بن عبود أمين للصندوق، وقد أقرت اللجنة في ميثاقها لأول مرة التعاون

تحرير المغرب العربي، والتي تزعم أن استقلال أي بلد يدعم استقلال البلد الآخر وأن لكل بلد خصوصيته والأفضل ألا يعطل استقلال، وعارض ابن بلة ومحمد خيضر هذا التوجه الجديد، وأكد العمل بنود لجنة تحرير المغرب العربي المصادق عليها عام 1949، ومضيا ينسقان مع الأمير ابن عبد الكريم الخطابي الذي كان يحضر للعمل المسلح المشترك، فتم إنشاء قيادة مشتركة لجيش تحرير المغرب العربي في أوت 1954، مهمتها الأساسية هي الإعداد للكفاح المغاربي المشترك ميدانيا¹.

إن جهود التنسيق للعمل المغاربي المشترك أحلت إلى حيث وضع الترتيبات النهائية لتفجير الثورة، وكان بن بلة يعلم أول بأول القادة التاريخيين في الداخل بالتطورات الحاصلة وقد عقد معهم اجتماعا تنسيقيا التام في بيرن سويسرا يوم 09 أكتوبر، وتم فيه عرض الاستعدادات الأخيرة وتوضيح المنطلقات السياسية والأيدولوجية التي ستعتمد في بيان أول نوفمبر 1954.

كلف وفد جبهة التحرير الوطني في الخارج برسم السياسة الخارجية وفق المبادئ المتفق عليها وانطلاقا من القاهرة نخض ابن بلة، وخيضر وآيت أحمد بنشاطا للتعريف بالثورة التحريرية، وبذلوا جهودا معتبرة لتوحيد الأحزاب الوطنية إلى أن تمت المصادقة على ميثاق ممثلون عن جمعية العلماء المسلمين مصالي الحاج واللجنة المركزية والاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، ونص على انضمام جميع الهيئات السياسية تحت لواء جبهة التحرير الوطني، والعمل بكل الرسائل لتحقيق أهدافها، وأكد الميثاق تمسك الجميع بمشروع وحدة المغرب العربي، وأوضحوا تصورهم للمشروع وفق البنود الثلاثة الآتية:

- 1- الجزائر جزء لا يتجزأ من المغرب العربي، الذي هو جزء من العالم العربي الكبير.
- 2- الإيمان بوجود توحيد الكفاح بين أقطار المغرب العربي الثلاث تونس، الجزائر ومراكش.

الإيدولوجي للمشروع الوحدوي المغاربي، أما نشاطها فقد تميز عن نشاط مكتب المغرب العربي، الذي كان دعائيا وإعلاميا بصورة واضحة، فإن اللجنة سخرت جهودها منذ البداية للعمل السياسي والدبلوماسي، وكانت تهدف إلى أعمال أكثر ثورية، وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى اتجاه مؤسسها عبد الكريم الخطابي الذي كان يؤمن بالعمل الثوري ضد الاستعمار. أنظر إلى المرجع محمد بلقاسم، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910-1954، ج 2، المرجع السابق، ص، ص 375-394.

¹ - عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائرية المغربية والإفريقية إبان الثورة الجزائرية، ج 1، المرجع السابق، ص 63.

3- جبهة تحرير مستعدة من الآن لتدمج في هيئة اجمع واشمل للأقطار المغربية الثلاثة بنظام يوضح ومسؤوليات تجدد وتهيب بالقائمين على الحركات التحريرية في كل من تونس ومراكش أن يضعوا أيديهم في يدنا، وأن يعملوا معنا على تأسيس هيئة تنظيم الجميع¹.

إن النشاط السياسي لجبهة التحرير الوطني في القاهرة بدأ تنسقه مع جميع الحركات المغاربية وقد أورد محمد يزيد²، في شهادته³ أن مناظلي مكتب المغرب العربي كانوا أول من دعم الثورة الجزائرية "بدأنا تتحرك في مكتب المغرب العربي، لم يكن أن يسمع بجبهة التحرير الوطني وبن بلة بدأ الاتصالات الحكومية فقط... وأول شيء كسبناه كان يدعم من إخواننا من حزب الاستقلال وإخواننا من حزب الدستور... وأذكر من بينهم الرشيد إدريس وبولعراس وعبد الكريم بن جلول وعبد المعيد بن جلول، وابن امليح، وإبراهيم طوبال، هم الذين قاموا بترجمة بيان أول نوفمبر إلى اللغة العربية، وكل وثائقنا يقوم بتحضيرها معنا"⁴.

لقد دعمت مصر تسليح الثورة الجزائرية على الجبهة الشرقية وبطريقة سرية تعاون المسؤولين الليبيين مع ابن بلة والتونسيين من أجل شراء وتمير الأسلحة وتقرر أن يفعل الجبهة الطريقة ويتم التنسيق أكثر مع المغربيين خاصة أن القضية المغربية عرفت حدة أكبر والطموح إلى توحيد الجبهتين عسكريا كان هادفا استراتيجيا للثورة الجزائرية، وفي بداية عام 1955 اجتمع ممثلو جبهة التحرير الوطني بالقاهرة على علال الفاسي وعبد الكريم الفاسي أكدوا على ضرورة تنسيق العمل المشترك وتفعيل نشاط الجبهتين الوهرانية (الجزائرية)، والمغربية مستغلين في ذلك الدعم المصري بالسلح وتساهل الاسبان في تمرير الأسلحة، وبعد نجاح المباحثات تم الإعداد لإنشاء جيش تحرير المغرب العربي، وهكذا تجسد حلم المناضلين المغاربة في توحيد المعركة ضد الاستعمار الفرنسي، وكان دعم جمال عبد الناصر للمناضلين الجزائريين والمغربيين حاسما دفعهم وبحماس إلى أن يرسموا

¹-الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، المصدر السابق، ص 213 - 223.

²- محمد يزيد: ولد سنة 1923 التحق بحزب الشعب الجزائري 1943،ناضل في صفوف الحركة الطلابية بفرنسا مع اتحاد الطلبة المسلمين الشمال الإفريقي، مسؤول وزارة الإعلام في الحكومة المؤقتة 1962/1958 تقلد مناصب سامية بعد الاستقلال، محال اليوم على التقاعد انظر إلى مرجع Ben Jamin Stora,op cit,p304.:

³-في شهادة محمد يزيد: جيش التحرير المغاربي 1948 - 1955 ملتقى مؤسسة محمد بوضياف الجزائر أيام 11 - 12 ماي 2001

منشورات مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 2004، ص 117، عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائر، ج 1، المرجع السابق، ص 68.

⁴-فتححي الديب، عبد الناصر والثورة الجزائرية، المصدر السابق، ص 73.

مصيرا مشتركا لشمال إفريقيا ينسج وأدبيات النضال المشترك المتفق عليها، إذ يذكروا بوضياف أن وصول باخرة (دينا) في أبريل 1955 جاء في ظرف كانت فيه "الثورة بالقطرية يحدوها الأمم في مصير وحدوي لشمال إفريقيا".

وقد كان الأمل في مصير موحد للشمال إفريقيا يدفع بالمسؤولين الجزائري إلى توحيد المرافق السياسية والجبهات العسكرية وحتى الرؤى الإيديولوجية، وحيثما وجدوا كانوا ينشدون عقيدة الوحدة، ابن بلة والوفد الخارجي في القاهرة وبوضياف وبن مهدي في الريف المغربي، بن بولعيد في الجنوب التونسي وليبيا، أثرت هذه المساعي نجاحا سياسيا وعسكريا وإيديولوجيا أفادت كثيرا الثورة الجزائرية¹.

النجاح السياسي كانت مهمة التعريف بالقضية الجزائرية وكسب الدعم لها صعبة للغاية حتى في الأوساط العربية والمغاربية خاصة في ظل التعقيم والمنافسة المصالية لتنظيم جبهة التحرير الوطني الجديد وفضلا عن مساندة جمال عبد الناصر ومحمد بن عبد الكريم الخطابي منح علال الفاسي وصالح بن يوسف تركيتها للثورة الجزائرية، وقد ساعدنا هؤلاء حيث كانت لهم مكانة في العالم العربي².

وانطلاقا من كسب السياسي لجبهة التحرير الوطني وانتهاء يتبنى مواقف مشتركة حقق التوجه الوجدوي للكفاح المشترك نتائج مهمة في مؤتمر باندونغ، إذ كللت الجهود - كما خططت جبهة التحرير الوطني - بإرسال وفد موحد عن أقطار الشمال الإفريقي الثلاثة، والقصد من ذلك رفع القضية الجزائرية إلى مصاف قضيتي تونس ومراكش لتأخذ حضاها من الحل، وكذا توحيد قضايا المغرب العربي، وقد عبر مؤتمر باندونغ في بلاغه النهائي يوم 24 أبريل 1955 عن مساندته لقضايا التحرير في شمال إفريقيا وتأييده لحق تونس والجزائر ومراكش في تقرير المصير وفي الاستقلال، ودعا الحكومة الفرنسية إلى حل القضية حلا سلميا بدون تأجيل³، وقد وصف ممثل

¹ - عبد الله منقلاحي، العلاقات الجزائرية المغربية والإفريقية إبان الثورة الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص 70.

² - شهادة محمد يزيد المنشورة في ندوة "الدبلوماسية الجزائرية"، نظمها المركز ود.ب.ح.و.ث 1954، الجزائر، جوان 1996، منشورات المركز ود.ب.ح.و.ث، 1954، الجزائر، 1989.

³ - جوان غليسي: الجزائر الثائرة، المصدر السابق، ص 143.

تونس في المؤتمر الطيب سليم أجواء التحضير المغاربي المنسق للمؤتمر وأكد على التعاون والتنسيق بين الوفود الثلاثة قائلا: "خطط إستراتيجيتنا المسؤولين عن الوفد الثلاثة التونسي والجزائري والمغربي ونظمتنا في أكبر قاعة في (باندونغ) ندوة حضرها مئات الممثلين عن وكالات الأنباء الأجنبية ومراسلو الصحافة العالمية¹، وأخذ الكلمة بالتناوب طيلة ثلاثة ساعات كل من ممثلي تونس والجزائر والمغرب للتعبير عن مطالبتهم بحقهم الشرعي في تقرير المصير والاستقلال وسلامة الأراضي مع التأكيد على التأييد المطلق للجزائر".

وقد تمكنت الوفود المغاربية من المشاركة في أشغال اللجان الفنية للمؤتمر وأن تبلغ مواقفها الرامي إلى ضرورة توحيد المقاومة في كامل شمال إفريقيا لتخوض المعركة الحاسمة، وساعدت صالح بن يوسف هي إحياء جيش التحرير التونسي وتصعيد المواجهة ضد سياسة بورقيبة وفي منتصف شهر جانفي 1956 اجتمع في القاهرة ممثلو جيوش تحرير المغرب العربي الثلاث وأكدوا على الاتفاق المبرم من أجل التنسيق والوحدة ووضعوا خطة مشتركة لمواجهة العدة الفرنسي²، و إلتتم شمل قادة جيوش تحرير المغرب العربي الثلاثة في القاهرة يوم 24 فبراير 1956³، وذلك لتقييم الوضع من جوانبه المختلفة ومناقشة سبل تفعيل النشاط الثوري، وتقرر العمل على تجسيد وحدة الكفاح المسلح، ومواجهة السياسة الفرنسية في شمال إفريقيا والتعهد باستمرار الكفاح المسلح في الأقطار الثلاثة وعدم إيقافه في أي قطر حتى تتحرر كامل الأقطار وتتجسد وحدة شمال إفريقيا وقد فتح تجسد الوحدة العسكرية ميدانيا جبهات عسكرية واسعة، وضرب بقوة الوجود الفرنسي في شمال إفريقيا⁴.

مما جعل فرنسا تبادر إلى رسم سياسة جديدة منحت من خلالها الاستقلال لتونس والمغرب وحدة إستراتيجية جديدة محاصرة الثورة الجزائرية، وقد تفتنت جبهة التحرير الوطني لمخاطر هذه السياسة، لكن مساعيها في الدعوة إلى احترام الاتفاقات المبرمة ووحدة الكفاح باءت بالفشل، وعلى الرغم من تجسد الخيارات القطرية وبروز الحكومات الوطنية ظلت جبهة التحرير الوطني

1 - عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائرية المغاربية الإفريقية إبان الثورة الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص 72.

2 - فتحي الديب، المصدر السابق، ص 149 - 155.

3 - أنظر إلى الملحق رقم 05 من الرسالة.

4 - فتحي الديب، المصدر السابق، ص 170 - 174.

متمسكة بعلاقات التنسيق على فصائل المقاومة المغاربية وفاء لعقيدة الوحدة ومشروع الكفاح المشترك¹.

3-1 التوحيد الإيديولوجي:

لقد أرست الثورة الجزائرية إيديولوجية ثورية جذبت إليها جماهير المغرب العربي المتمسكة بخيار الكفاح المشترك والتواقفة إلى مجابهة حاسمة مع المستعمر الفرنسي، وبما أنها كانت تحمل أفكارا ثورية وتتسم بطابع الشعبية فقد شكلت خطرا محققا على السياسة الفرنسية وخلقت انعكاسات عميقة على منطقة المغرب العربي².

وقد أحييت الثورة الجزائرية عقيدة النضال والكفاح المشترك، وأكدت على الخيار الراديكالي الداعي إلى عدم تجزئة المعركة في المغرب العربي، وعلى التحام قضايا الشمال الإفريقي، وأن المجابهة الثورية الناجعة تتطلب اتحادا وتنسيقا في المواقف ومواجهة مراوغات الاستعمار وسياسته الجديدة في الأوضاع والهيمنة، ولا شك أن الثوار الجزائريون والخطابي قد خبروا هذه السياسة وأدركوا أبعادها، ولهذا طالبوا بتحقيق الاستقلال التام والشامل لكافة أقطار المغرب العربي ولكن الأنانيات القطرية والسياسية الاستعماري فرضت حلولاً جزئية ومشبوهة، اعترفت بعض النخب المغاربية فيما بعد أن الاستعمار الجديد في عهد الاستقلال أمسى أخطر على البلاد في الاستعمار القديم³.

وقراراتها الحازمة خاصة ما تعلق بمساندة قضية الجزائر، وعليه فقد جندت جبهة التحرير الوطني الفعاليات المغاربية والأحزاب الوطنية لخدمة إستراتيجيتها الثورية وحققت في المرحلة الأولى نتائج مهمة على الصعيد السياسي⁴.

3-2 التوحيد العسكري:

¹ -Mohamed Lbjaoui: Vérité sur la révolution algérienne, ed Gallimard, Paris, 1970, p 135.

² - عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائرية المغاربية الإفريقية إبان الثورة الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص 76.

³ - المرجع نفسه، ص 77.

⁴ - المرجع السابق، ص 72.

بعثت الثورة الجزائرية بما توفر لها من حظوظ النجاح مشروع كفاح عسكري مشترك انخرطت فيه جيوش تحرير الأقطار المغاربية الثلاثة¹، المشروع كان حلما سعى لتجسيده الأمير عبد الكريم الخطابي والوفد الخارجي للثورة الجزائرية، لكن اعترضته الاختلافات الحزبية، والإيديولوجية والمطامح القطرية التي دفعت بورقيبة إلى أن يفاوض الفرنسيين ويقبل بالاستقلال الذاتي في جوان 1955 وقد دفعت الثورة الجزائرية بمبادئ الكفاح المشترك إلى الميدان وتتضافر شهادة المسؤولين الجزائريين مؤكدة على شعبيهم الحثيث لتجسيد وحدة حركات تحرير المغرب العربي².

لقد تجسد الاحتكاك والتنسيق بين جيوش حركات التحرير المغاربية في الميدان حيث كانت المناطق الحدودية التي تصل الجزائر، بتونس والمغرب نقاطا إستراتيجية في التواصل، وحظيت منطقتا الريف المغربي وطرابلس الليبية المكانة مهمة في التعاون والتنسيق وفي حين وجدت القضية التونسية حولا عن طريق المفاوضات فإن قضيتي المغرب العربي والجزائر ازدادت وضعيتها ما تأزما³.

أمام ما ذلك اجتمعت رغبة المناضلين الجزائريين والمقاومين المغربيين في التنسيق أكثر وهو يجتهدون في البحث عن الأسلحة، وفي القاهرة اتفق الوفد الخارجي للجبهة مع علال الفاسي في بداية عام 1955 على توحيد الكفاح المغربي والجزائري وإرساء تعاون وثيق بين جبهتي الريف المغربية، ووهران الجزائري، اللتين باشرتا عملا عسكريا مشتركا بدءا من يوم 02 أكتوبر 1955، حين تأسس جيش تحرير المغرب العربي، واتخذت منطقة الريف الخاضعة للسيطرة الإسبانية منطلقا في التزود بالأسلحة واستقبال السفن المصرية وتدريب المجندين وإقامة القواعد الخلفية⁴.

وقد حقق التنسيق المشترك بين المقاومين المغربية والجزائرية في بداية أكتوبر عام 1955 نجاحات باهرة أدهشت السلطات الفرنسية، وقد بعث ميلاد جيش تحرير المغرب العربي حماسة المغاربة كما اندفع التونسيون المعارضون لاتفاقية الاستقلال الذاتي للعودة لحمل السلاح ومؤازرة

¹ - أنظر إلى الملحق رقم 06 من الرسالة.

² - شهادة محمد بوضياف، جريدة الاتحاد الاشتراكي، عدد 01 نوفمبر 1984، المرجع السابق، ص 72.

³ - عبد الله مقلاتي، علاقات الجزائرية المغاربية والإفريقية إبان الثورة، ج 1، المرجع السابق، ص 73.

⁴ - فتحي الديب، عبد الناصر والثورة الجزائرية، المصدر السابق، ص 100.

الكفاح الجزائري والمغربي، وهكذا دفعت الثورة الجزائرية مشروع الوحدة النضالية المغاربية إلى التجسيد ومهدت العقبات وواجهت الإغراءات التي اعترضت العمل المغاربي المشترك، وقد دعمت مصر بدورها مخطط الثورة الجزائرية.

قد ظهر جليا في تصور جبهة التحرير الوطني أن سياسة الاستعمار لم تحقق كامل أهدافها، كما يوضح أن استقلال تونس والمغرب لن يكون له أي معنى ما دام المستعمر ما يزال باقيا في الجزائر ذلك لأن قضية الجزائر مرتبطة بقضايا المغرب العربي، وهذه حقائق أثبتتها الواقع السياسي في شمال إفريقيا ودلت عن وجهة نظر صائبة ولكنها تخفي أهدافا إستراتيجية¹.

لقد أكدت الثورة الجزائرية منذ انطلاقتها وفائها للبعد المغاربي وربطت مصيرها بأقطار المغرب، ورسمت هذا البعد بوضوح في بيان أول نوفمبر 1954، واستمرت في تنبيهه إلى غاية تحقيق الاستقلال الوطني، وقد كرسه في الميدان وأملت من ورائه لتحقيق غايات إستراتيجية لا يمكن قصرها على المكاسب القطرية الضيقة - كما فهم الكثيرون - لكنها كانت أهدافا عميقة ومتعددة، وتدرج في إطار التصور العام لمفهوم وحدة المغرب العربي ويمكن حصرها في النقاط الآتية:

1- إن الشعور بضرورة النضال المشترك مغاربيا مثل هاجسا وطموحا لشعوب المنطقة وهو ينطلق من الأبعاد الروحية والعاطفية التي تجمع المغاربة ويصب في المعاهدة والنصرة والرد على المخاطر التي تعترض أي قطر، كما حدث عقب اغتيال فرحات حشاد عام 1952 أونفي الملك محمد الخامس سنة 1953، اضطهاد الحركة الوطنية الجزائرية المستمر، وهذا الشعور المشترك لم تتمكن الخيارات القطرية من تجاوزه، إذ انتقد مع أهداف ثورة الجزائر، وقد كان الأمل معلقا على استغلال تصور العام هو إثراء هذا التضامن المغاربي وإشراكه في معركة موحدة تحقق طموح شعب المغرب العربي، وتضرب السياسة الفرنسية في الصميم وتسمح للشعور التحرري الجارف لتجسيد أهدافه².

¹ - المصدر نفسه، ص 78.

² - فتحي الديب، عبد الناصر والثورة الجزائرية، المصدر السابق، ص 78-79.

2- لقد تعهدت الحركات الوطنية المغاربية على ميثاق جماعي يستجيب بمبدأ الكفاح المشترك ووحدة قضايا المغرب العربي، وجاءت الثورة الجزائرية لتؤكد التمسك بالمبادئ المغاربية وتدفع بجيوش التحرير المغرب العربي إلى تجسيد وحدة المعركة ميدانياً قد كانت الساحة المغاربية تعج بالتناقضات وتطرح خيارين أساسيين أولهما الاعتدال في التعامل مع المستعمر، وثانيهما التشدد في مجابهة المستعمر، والمؤكد أن جبهة التحرير الوطني قوت الخيار المتشدد والموحد مع التونسيين والمغربيين وأعطت القوة بميلاد جيش تحرير المغرب العربي الذي كان له دور حاسم في تقوية ساعد الثورة الجزائرية وفي الضغط على السياسة الفرنسية لصالح فرص استقلال تونس والمغرب.

3- تعويل جبهة التحرير الوطني على الحل الشامل لقضايا المغرب العربي ولا يأتي ذلك إلا بوحدة الأقطار الثلاثة في مواجهة العدو المشترك، ولا يتحقق إلا بالعمل العسكري الذي يكفل تجسيد الاستقلال التام ووحدة المغرب العربي، وقد أكدت قيادة الثورة الجزائرية أن الكفاح المشتت لشعوب المغرب العربي، ضد عدو مشترك ليس له آمال غير الهزيمة للجميع لأن كل واحد يسهل قهره على حدة في حين أن قوة الجبهات موحدة يمكن أن تهزم العدو وتشتت قواه، لهذا أكدت الثورة الجزائرية هي وحدة قضايا المغرب العربي، وفضحت السياسة الفرنسية الراحية إلى التفاوض حول حل سلمي لقضيي تونس والمغرب على حدة، وتجنبت الاختيارات القطرية التي تصب في خدمة المخططات الفرنسية معتبرة أن رجال السياسة المعتدلين الذين قبلوا حلولاً جزئية مشوهة للاستقلال بعيدون كل البعد عن المناضلين القاعدة والجماهير الشعبية التي اقتنعت منذ زمن بعيد بأن الكفاح المسلح هو الكفيل وحدة بتحرير المغرب العربي من رقة الاستعمار، وكان الزعيم **الخطابي** يسندها في هذا الطرح ويرى أن الحلول السلمية والتفاهم مع العدو يقبل في إطار الشرف ودون التنازل عن المطالب الجوهرية¹.

4- تأكيد اندماج قضية الجزائر مع قضيي تونس والمغرب، ووفق هذا الاعتبار فإن حلها مرتبط بحل القضايا الشمال الإفريقي خاصة وأنها تشكل كيانا طبيعياً موحداً وتخضع لاستعمار مشترك وترتبط بعلاقات متينة، وقد أكدت جبهة التحرير الوطني أن وضعية

¹ - المصدر السابق، ص ص 79 - 81.

الجزائر والتي يقال أنها تختلف عن وضعية المحميتين تونس والمغرب وبقاء الجزائر خاضعة للسيطرة الفرنسية، وأن الحلول الجزئية للقضيتين تسمح ببقاء نفوذ المستعمر، وأوضحت أن خيار الكفاح المسلح المشترك ليس معناه تعطيل استقلال تونس والمغرب يقدر ما هو تحرير حقيقي يسمح بتجسيد وحدة المغرب العربي لا يمكنها أن تقبل بمشاركة المستعمر سياسته الجديدة في منح الاستقلال السوري لتونس والمغرب والجزائر، وإنه يتوجب عدم الوقوع في الأخطاء السابقة وتجربة الأمير عبد القادر ما تزال ماثلة، فعندما قطعت تونس والمغرب دعمهما للأمير عبد القادر كان مصيرهما أن احتلت من قبل فرنسا انطلاقاً من الجزائر¹.

5- إن اندلاع ثورة الجزائر خلف انعكاسات كبرى في المغرب العربي، ودفع بفرنسا إلى إقرار استقلال تونس والمغرب خوفاً من تعدد جبهات المواجهة في شمال إفريقيا وخطورة المشروع التحرري للجهة الموحدة، ومنه حقيقة أقربها ساسته فرنسا في ظل واقع استقلال تونس والمغرب الجديد أرست جبهة التحرير الوطني علاقات التعاون والتنسيق مع السلطات الرسمية للاستفادة قدر الإمكان من دعمها لتحقيق استقلال الجزائر².

وهكذا فإن تصاعد الثورة الجزائرية عزز استقلال بلدان المغرب العربي، وفرض ضغوط على السياسة الفرنسية، وعلى الأنظمة السياسية المغاربية، وقد كان للتضامن الشعبي المغاربي دور بارز في مؤازرة توجيحات جبهة التحرير الوطني، وخططت بدورها لاعتماده في إرساء مشروع وحدة شعوب المغرب العربي، وذلك بعد أن فشلت في الاعتماد على جيوش المقاومة لتجسيد الوحدة.

¹ -الجندي خليفة وآخرون، حوار حول الثورة، ج3، طبع المركز الوطني للتوثيق والصحافة والإعلام، الجزائر، 1984، ص 387 - 388.

² -عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائرية المغربية الإفريقية، ج1، المرجع السابق، ص 82.

ثانيا: تأثير الثورة الجزائرية على البلدان المغاربية بعد 1954:

إن الدارس للعلاقات التي كانت سائدة بين الحركات الاستقلالية في أقطار المغرب العربي، يخلص إلى أنها عرفت إثر الحرب العالمية الثانية منحى جديدا تميز بتكثيف الاتصالات والتشاور وعيا بأهمية المواجهة الموحدة للعدو المشترك. وكان من أبرز ما أنجز في الأربعينات: تأسيس مكتب المغرب العربي ثم لجنة تحرير المغرب العربي، وإقرارا مبادئ أساسية في مقدمتها:

- التمسك بالاستقلال التام لكافة أقطار المغرب وحصول كل قطر على استقلاله لا يسقط عن القطرين الآخرين واجبه في مواصلة الكفاح لتحرير البقية.
 - رفض فكرة السيادة المزدوجة والدخول في الاتحاد الفرنسي الذي كانت فرنسا تلوح به..
- كان لاندلاع الثورة الجزائرية انعكاسات ايجابية على الدول الجوار حيث أرغمت فرنسا على الجلوس في طاولة المفاوضات مع هذه الدول بعد المماثلة والتسوية، لكن ذلك لم يمنعها من الوقوف إلى جانب الثورة الجزائرية¹.

1- تأثير الثورة الجزائرية على البلدان المغاربية:

لقد كان للمعادلات الدولية الجديدة المترتبة عن الحرب العالمية الثانية، وغيرها من العوامل الإقليمية والدولية، آثارها وانعكاساتها على تطور الأوضاع في كل من تونس والمغرب الأقصى وفي ليبيا وموريتانيا في صراعهما ضد إدارة الحماية الفرنسية.

لذا فإن المناضلين الجزائريين عند اندلاع المقاومة في كل من تونس والمغرب الأقصى لم يترددوا في التفاعل معها ميدانيا، كما أنها (أي المقاومة في القطرين) بدأت تعرف باندلاع ثورة الفاتح نوفمبر 1954 تطورات ملحوظة، أكدت للقيادة الفرنسية ما كانت تخشاه ، وكان قد عبر عنه وزيرها للداخلية آنذاك ميتران قبل اندلاع الثورة بقوله: "نعم إن حوادث المغرب وتونس خطيرة، ولكن ما هو أشد خطرا منها هو الهدوء السائد في الجزائر الآن"² ولم يخطئ ميتران فاندلاع الثورة في الجزائر كانت له انعكاساته وآثاره على أقطار المغرب العربي منذ انطلاق الشرارة.

1-1 الصعيد المغربي:

أ - الثورة الجزائرية وعلاقتها بجيش التحرير المغربي

لقد مثل فضاء المغرب العربي ببعده الاستراتيجي مكانة مهمة للثورة الجزائرية والمغربية، وساعدت كثير من الظروف على التحام المقاومتين الجزائرية والمغربية، وقد اندلعت المقاومة المغربية

¹ - السبتي غيلاني، المرجع السابق، ص 103.

² - فرحات عباس: ليل الاستعمار، المصدر السابق، ص 229.

بتأثير من الثوريين الجزائريين، وتحالفت مع جيش التحرير الجزائري من أجل توحيد المعركة المغربية، وكانت مرحلة النضال المشترك التي ولدت استقلال المغرب عام 1956 مفيدة للثورة الجزائرية في بناء علاقة وطيدة داخل المغرب سواء مع حزب الاستقلال وحركة المقاومة الثورية أو مع القصر ومختلف القوى السياسية والشعبية¹، فما مدى تأثير اندلاع الثورة الجزائرية على المقاومة المغربية استقلالها؟

لقد خطط قادة الثورة الجزائرية لتفجير كانت الثورة أولا ثم الحث عن سبل دعمها وتنظيمها، وباشروا عملهم من أجل دعم قدرات الثورة العسكرية وتوحيد المعركة المغاربية تجسيدا للتضامن المعلن في بيان أول نوفمبر 1954، ودون يأس واصل الوفد الخارجي في القاهرة تحركاته من أجل إقناع **علال الفاسي** ببدء الكفاح المسلح في المغرب²، وظل يؤكد باستمرار أن تجسيد مشروع الحركات الوطنية الذي صادقت عليه منذ عام 1947 يمثل الحل الناجع لقضايا المغرب العربي، وأن العمل العسكري هو الكفيل بإرغام فرنسا للتسليم باستقلال المغرب العربي، ودافعت السلطات المصرية عن هذا الخيار، واقنع به **جمال عبد الناصر** و**علال الفاسي** وابن عمه **عبد الكبير الفاسي**، وأدت الاتصالات واللقاءات المختلفة إلى دفع **علال الفاسي** لتبني الخيار الثوري خاصة بعد تأكده من جدية العرض المصري، وأهمية التنسيق المشترك وبعث مشروع وحدة الكفاح المغاربي³.

من أجل تثوير حركة المقاومة وتفعيل مشروع التنسيق مع الثوار الجزائريين، اجتهد **محمد بوضياف** الذي نزل بالمنطقة للمرة الثانية في البحث عن سبل توحيد المقاومتين الجزائرية والمغربية تمرير السلاح عبر سواحل المغرب إلى منطقة وهران، وكانت السلطات المصرية مهتمة بمسألة التوحيد العسكري وفتح جبهة في المغرب، وبعد مناقشة أوضاع المغرب العربي تم الاتفاق بين الجانبين المغربي والجزائري على تنسيق مهمة إنزال بواخر الأسلحة المصرية، ومباشرة الكفاح المشترك

¹ - عبد الله منقلاحي: العلاقات الجزائرية المغربية والإفريقية إبان الثورة الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص 200.

² - لم يكن **علال الفاسي** حزبه - حزب الاستقلال - ثوريا فقد صرح **أحمد بلا فريخ** في بلاغ أصدره الحزب أياما بعد تأسيسه سنة 1944 قائلا: "أنا لا ننوي تحقيق أملنا (الاستقلال) باستعمال وسائل العنف والقوة...".

³ - المرجع السابق، ص 204.

إلى أن يتحرر كامل المغرب العربي¹، ونظرا لأهمية كسب الموقف الاسباني انتقل **علال الفاسي** إلى تطوان لمقابلة الحاكم الاسباني الجنرال **فالينو** واتفق معه على تقديم مختلف التسهيلات لحركة المقاومة والسماح بإنزال السلاح في الساحل الشمالي، وعولجت مشكلة **أحمد زياد** قائد المقاومة الذي تسبب في كثير من المشاكل ووقف في وجه التنسيق مع الجزائريين²، وتم استبداله **عبد الكريم الخطيب**³ باقتراح من القادة الجزائريين. وقد كلف **بوضياف** بمسؤولية التسليح على الجبهة الغربية وكان استفاد من زيارته للمغرب في أوت 1954 في التعرف على الأرض والتعاون مع المناضلين المغربيين، وكسب ثقة رجل من قبيلة "كيدانة" اسمه **حمدان شوراق**⁴ عاد ليزوره في نهاية عام 1954، ويطلب منه اختيار مكان مناسب لرسو باخرة سلاح مصرية، واتصل خلال أيام قلائل بقيادة المقاومة في تطوان وبالمبعوثين الجزائريين الذين طلب لهم اللجوء السياسي، وكلف **عبد الوهاب بومدين** و**شيبان عمرو** الاتصال ل**حمدان شوراق**، وأوضح **بوضياف** أهداف مهمته بالقول: "فكانت جل التحركات تهدف إلى تقوية الصلة بين الإخوان المغاربة والجزائريين، وربط الاتصال بداخل الجزائر والبحث عن الإمكانيات أي السلاح"⁵، ويذكر **بوضياف** أن أول لقاء انتظم بين الطرفين عقد بشاطئ (مارتيل) قرب تطوان في مارس 1955، وذلك قبل إنزال سفينة دينا⁶، وقال عنه أنه كان حاسما في إرساء العلاقة مع المقاومين المغربيين⁷.

واعتبر **الصنهاجي مجيء بوضياف** في هذه الفترة "فتحا من الله" لأنه خلص المقاومين من **أحمد زياد**، وشدد **محمد آيت ايدر** على اعتبار اللقاء الذي جمع **بوضياف** مع قادة المقاومة

1 - فتحي الديب: عبد الناصر والثورة الجزائرية، المصدر السابق، ص 73.

2 - توفيق الشاوي: حزب الاستقلال (1944-1982)، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1990، ص ص، 42-41.

3 - عبد الكريم الخطيب: طبيب جراح ينحدر من أب جزائري هو عمر الرزيني المعروف الخطيب، يعتبر عبد الكريم الخطيب كأحد مؤسسي جيش التحرير المغربي وتقلد عدة مناصب سياسية منها رئاسة أول برلمان مغربي، أنظر إلى سبتي غيلاني، المرجع السابق، ص 132.

4 - **حمدان شوراق**: تاجر مغربي كبير انتشر صيته داخل التراب الجزائري حتى صلة بين منطقة نفوذ الاحتلال الإسباني والجزائر المحتلة، أنشأ مكتب لحزب الإصلاح بمركز رأس الماء بالناظور، وقد قام بمساعدات كبيرة للثورة الجزائرية من داخل المغرب لمزيد من المعلومات أنظر إلى سبتي غيلان، المرجع السابق، ص 108.

5 - عبد الله منقلاطي: العلاقات الجزائرية المغاربية والإفريقية إبان الثورة الجزائرية، ج 1، المرجع السابق، ص 208.

6 - أنظر إلى تفاصيل عملية إنزال باخرة دينا إلى الفصل الأول من الرسالة.

7 - شهادة **محمد بوضياف**، جريدة الاتحاد الاشتراكي، عدد يوم 01 نوفمبر 1984.

المغربية (بتطوان) لحظة تاريخية ساهمت في توسيع جبهات النضال المسلح ضد الجيوش الفرنسية في كل الشيء الذي أعطى نفسا جديدا وحيويا لوحدة فضائل الثورة في بلدنا"¹.

ولقد اهتم **محمد بوضياف** بمسألة تكوين جيش التحرير المغربي، ومهد له بالدعوة إلى فتح مراكز وجبهات في الناظور والريف قرب المناطق المتصلة بالجزائر، وذلك من أجل ربط الاتصال بالثورة الجزائرية، ومباشرة العمل الثوري في منطقة الريف الإستراتيجية، وكلف بالمهمة رجل ميداني مخلص وهو **عبد الله الصنهاجي** وبعده **عباس المسيعدي**² وبمؤازرة من القادة الجزائريين، وصادقت القيادة العليا لحركة المقاومة على منح صلاحيات إدارة هذه الجبهة الميدانية لـ **عبد الله الصنهاجي وعباس المسيعدي**، وقد باشرا هذين الأخيرين منذ جوان 1955 تنظيم الخلايا وإنشاء المراكز وتدريب عناصر جيش التحرير بإعانة من **بن مهدي وبوضياف**.

وبدا حرص قيادة الثورة الجزائرية واضحا على فتح جبهات الكفاح في المغرب الشرقي ووهران لفك الخناق على الثورة، وبدورها كانت القيادة المصرية تجتهد في تنفيذ مشروع الكفاح الموحد في المغرب العربي خاصة بعد نجاح إنزال باخرتين في النصف الثاني من سنة 1955، وتوالى إلحاح الجزائريين والمصريين على إعلان الثورة في المغرب، وقد انتزع **بوضياف** من قادة المقاومة في اجتماع تطوان السالف موعدا لبدأ الكفاح المشترك يوم 18 جوان 1955 المصادف لاستشهاد **محمد الزرقاطوني**، لكن الموعد تأجل من جديد، وخلال اجتماع بمديرد تم الاتفاق على تاريخ آخر هو ذكرى خلع السلطان **محمد الخامس** يوم 20 أوت 1955، لإعطاء الثورة دلالة مغاربية، وأكد المجتمعون بن بلة، **بوضياف**، **عبد الكبير الفاسي**، **عبد الرحمان اليوسفي** على تأسيس قيادة للمقاومتين، وعدم توقيف الكفاح إلا بعد استقلال المغرب العربي كله³، وعلى الرغم من توفر السلاح فإن القرار السياسي ظل مترددا في تبني مشروع الكفاح الثوري الموحد،

¹ - أنظر شهادة المقاوم محمد بن سعيد: بداية الوعي بضرورة الكفاح المسلح، جيش التحرير المغربي 1948-1955، ملتقى محمد بوضياف، الجزائر، أيام 11-12 2001، مؤسسة محمد بوضياف، الجزائر، 2004، ص 117.

² - **عباس المسيعدي**: مناضل ثوري مغربي ولي القيادة العسكرية بجهة الناظور، ارتبط بعلاقات وطيدة بالقادة الجزائريين اختلف مع قادة حزب الاستقلال وتحفظ عن حل جيش التحرير المغربي، واغتيل في ظروف غامضة في جويلية 1956. أنظر إلى مرجع رضا ميموني، المرجع السابق، ص 82.

³ - **عبد الله منقلاتي**: العلاقات الجزائرية المغربية والإفريقية إبان الثورة الجزائرية، ج 1، المرجع السابق، ص 211-212.

وأظهرت اجتماعات (تطوان ومديرية والقاهرة) أن حزب الاستقلال الوصي على حركة المقاومة كان ما يزال يظهر تردده بخصوص موضوع الوحدة بين المقاومتين، وطلب من بعض عناصر القيادة العامة لحرمة المقاومة عدم التسرع في تبني مشروع وحدة المقاومة، وبالمقابل لقيت أفكار **بوضياف** و**بن مهدي** قبولا لدى عدد من قادة المقاومة الثوريين، وقد نجح "حسين برادة" و**بونعيلات** في تجنيد رجال قبائل الريف وتدريب فرق الجيش.

وواقف "الصنهاجي والمسيدي" أخير على مشروع الوحدة العسكرية، وأعلن في الناظور عن تأسيس (لجنة التنسيق لجيش تحرير المغرب العربي) في 15 جويلية 1955، وذلك بقيادة **بن مهدي** و**بوضياف** و**عبد الله الصنهاجي** و**عباس المسيدي**، وقد جسدت بنود اللجنة وحدة الجيش ومبادئ واطر التنسيق المشترك لكن بعض القادة المسيرين أتهموا **الصنهاجي** و**المسيدي** بالارتجالية والانفعال وامتعضوا المشروع بتوجيه من حزب الاستقلال¹، وقد انتقل الاختلاف حول المشروع الثوري إلى قيادة حركة المقاومة، فطالب السياسيون بعدم رهن مصير المغرب بمصير الجزائر، أما العناصر الثورية فكانت الأحداث تدفع بها أكثر لقبول الإستراتيجية المغاربية في الكفاح التي كان يحرص عليها الجزائريون.

تأتي أحداث هجومات الشمال القسنطيني في 20 أوت 1955²، وقد اختارت قيادة المنطقة موعد الذكرى الثانية لنفي الملك **محمد الخامس** لتخوض معارك مفتوحة وهجمات طالت العديد من المدن، لم تكن هذه الأحداث وليد صدفة، فلقد أدرك **زيعوت يوسف** قائد المنطقة مدى أهمية التضامن مع كفاح الأشقاء المغربيين، ويكون مسؤوله **ديدوش مراد** المطلع على ملف القضية المغربية قد ساعد على بلورة هذا الشعور، وقد أكد **ابن طوبال** على حضور التضامن المغاربي في تفكير قادة المنطقة " ولم يكن يغيب عن أذهاننا أننا نخوض ثورة وفي خضمها لم ننسى مسألة

¹ - قد حاول **الغالي العراقي** تبرير هذا الرفض بالقول: "تعددت وتوالى الاجتماعات بتطوان ومديرية ولم يعد لسي **بوضياف** إيجاد مداخل ومبررات للضغط في كل معاملاته حيث تمكن من إقناع الأخوية بالقيادة الميدانية بأهمية إعلان وحدة المغرب العربي، واستنجد "بعبد المنعم النجار ليكون الضغط متنوعا ومن الجهات التي نحن في أشد الحاجة إليها حيث سيكون من الصعب رفض اقتراحاتها وموافقها، وهذا موضوع أساسي ومهم جدا يستلزم تفكيراً مستقبلياً سليماً لأنه يخص منطقة أساسية متعرضة لكل المطامح الاستعمارية المختلفة وإثارته في الظروف التي كنا نعيشها كانت تتطلب مدة كافية لدراسة عميقة لما كان يكتنف هذا الموضوع وما يحيط به من تصرفات لم تكن كلها تتسم بالبراءة والموضوعية". أنظر إلى **عبد الله منقلاطي**: العلاقات الجزائرية المغاربية والإفريقية إبان الثورة الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص 214-213.

² - ارجع إلى تفاصيل هذه الهجومات إلى الفصل الأول من هذه الرسالة .

توحيد المغرب العربي، أي أننا لم نكن نفكر في أنفسنا فقط ولا في تحرير الجزائر وحدها، وكانت الجرائد والإذاعات تجربنا عما كان يتعرض الشعب المغربي الشقيق من عمليات قمع كنا نحاف آنذاك على المقاومة المغربية أن يشتد الحصار عليها وتفشل ولم تحف عنا تلك الحقيقة في ذلك الوقت أن سيكون ذلك للاستعمار، وأوضح أن قيادة المنطقة احتارت الذكرى الثانية لنفي الملك لشن هذه الهجومات " وهذا كان سبب اختيارنا له وإعطائه الصيغة الرسمية من قبلنا، لكي نبرهن على تضامننا على مستوى المغرب العربي وحتى نثبت أن كفاحنا لم يكن مقتصرًا على تحرير الجزائر وحدها"، لقد كان صدى تزامن الأحداث حاسمًا، وكأن البلدين كانا على موعد مع التاريخ، وكأن **زيغود** أراد أن يدعم مفاوضات الوفد الخارجي الذين كانوا يعقدون الجلسات مع رجال المقاومة في " تطوان" بهدف إقناعهم بوحدة الكفاح بين الجبهتين¹.

وإلى جانب آخر كانت الحكومة الفرنسية وبدفع من **كرنفال Grandval** تسعى إلى تجاوز مخاطر المشكلة المغربية، وقد أتقف مع مفاوضي حزب الاستقلال بعد حوادث 20 أوت 1955 على عقد جلسة مفاوضات في (أكس ليان) الحكومة الفرنسية شروطها وسياقها بهدف تمهيد القضية بمنح المغرب استقلالًا داخليًا وتجاوز مشكلة العرش بتنحية ابن عرفة وتقديم طرف ثالث للعرش، انتهى أسبوع المفاوضات بأمل الوصول إلى الاستقلال وحل مشكل العرش، وأمام إعلان **علال الفاسي** معارسته لمفاوضات (أكس ليان) أرسل المفاوض **اليزيدي** إلى القاهرة ليشرح الموقف ل**علال الفاسي** و**ابن عبد الكريم الخطابي**، ولا شك أن تخوفات الجبهة كانت في محلها وهي تراقب الأحداث، كان عليها أن تحتاط من الوقوع في المأزق وأن تواجه مثل هذه الاستقلاليات المزيفة، استعانت **بعلال الفاسي** و**الخطابي** لدعاية أكبر، ومضت ميدانيا في اتجاه تثوير المقاومة اعتمادًا على العناصر الثورية المخلصة².

وأمام مرحلة التردد هذه تقوت عزيمة **الصنهاجي** و**المسيدي** للمضي في إنجاز المشروع الثوري، فقد فتحا كثير من المراكز في (الناظور والريف) وكونا فرق جيش التحرير وأتما التحضيرات

¹ - انظر شهادة **لخضر بن طوبال** في الملتقى الوطني الأول لتاريخ الثورة: (الطريق إلى أول نوفمبر كما يرويها المجاهدون)، منشورات حزب جبهة التحرير الوطني، (م. ج الجزائر، د.ت)، ج3، ص 233.

² - **عبد الله منقلاطي**: العلاقات الجزائرية المغربية والإفريقية إبان الثورة الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص 224.

النهائية لبدء العمليات العسكرية، بفضل الجهود التنسيقية التي نشطها بوضياف وابن مهدي تم الاتفاق على تفجير الثورة المشتركة يوم 02 أكتوبر 1955 وإعلان وحدة المقاومين على الجبهتين الجزائرية والمغربية، ومثل اندلاع الثورة في المغرب في إطار موحد مع الجزائريين حدثا كبيرا ومؤثرا على السلطات الفرنسية وعلى تطور العلاقات الجزائرية المغربية.

هكذا يتبين لنا أن تأثيرات الثورة الجزائرية كان لها دور فاعل في دفع المقاومة المغربية إلى تبني الخيار الثوري المسلح في علاج القضية الجزائرية، كما إن بعث مشروع الوحدة بين الطرفين في أكتوبر 1955 لم يتجسد إلا بعد مساع حثيثة بذلها القادة الجزائريون¹.

وقد مثل اندلاع المقاومة المغربية وإحياء جبهة (وهران الجزائرية) حدثا مهما في تاريخ القطرين الشقيقين، خلف نتائج كبر على العلاقات بين البلدين وانعكاسات واضحة على السياسة الفرنسية في المنطقة. مع اندلاع الثورة وفي ليلة الثانية من أكتوبر 1955 أشرف كل من بن مهدي وبوصوف وهوراي بومدين وفرطاس محمد وابن علة على تنفيذ عدة هجمات طالت الأهداف الفرنسية في المناطق المتاخمة للحدود المغربية وصولا إلى مدينة تلمسان²، ونفذت عدة عمليات عسكرية في الريف المغربي خاضتها فرق جيش التحرير المغربي التي أشرف عليها الصنهاجي والمسيدي وعلى إعدادها معتمدين على رجال قبائل اجزناية والمقاومين اللاجئين في الناظور، وهوجمت خلال هذه الليلة وطوال ثلاثة أيام مراكز الفرنسيين في (بوردي وتيزي وسلي واكنول ومزكيتان وبركيف وإيموزار وبوزينب)، وألحقت هذه الهجمات خسائر فادحة بالفرنسيين بلغت في الأسبوع الأول أكثر من ثلاثمائة جندي فرنسي³، واضطرت فرنسا لإعلان النفي وحشد كل إمكانياتها لمجابهة الخطر الذي كان محققا، وأدى تناغم الأحداث في الجزائر والمغرب وإعلان الثورة باسم جيش تحرير المغرب العربي إلى تطور الموقف الفرنسي الذي أحس بشدة الضربات وقوة المواجهة، وقد أيقظت قبائل الريف لتوجه بنادقها للفرنسيين، وأصبح تنسيق المقاومين المغربيين المعلن مع الجزائريين يهدد مستقبل فرنسا ليس في المغرب فقط بل في كامل الشمال الإفريقي، وهذا

¹ - المرجع السابق، ص 225.

² - محمد عباس: فرسان الحرية، دار هومة، الجزائر، 2003، ص 59.

³ - عبد الله منقلاطي: العلاقات الجزائرية المغاربية والإفريقية إبان الثورة الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص 227.

الذي تفتن له كرنفال Grandval، وأدرك إبعاد ادغار فور الذي تحدث عن مشروع التنسيق بين المغرب والجزائر قائلاً: "أولى عناصر هذا الجيش احتلت مواقعها وكان مشروع بعث الثورة المسلحة في وقت متزامن مع ثورة نوفمبر الجزائرية، وقد عملت عدة ظروف على تأخير العملية ودفعت المسؤولين إلى تأخير فتح النار لقد عملوا- في سرية تامة مدة طويلة قبل تكوين حكومتي- على تنظيم استعداداتهم العسكرية وتطوير الاتصال بزملائهم في الجزائر، وكان هذا الاتصال يتم على الرغم من أن المواقع كانت بعيدة عن منطقة الحدود الجزائرية المغربية"، وأوضح الأهداف البعيدة لمحركي هذا المشروع الثوري المغربي بالقول: "ونوايا المحركين كانت تتجاوز الدعم العسكري المتبادل لتشمل مشروعاً كبيراً تحت شعار (الجهاد) تهيئ وحدة المغرب الفرنسي الكبير في شكل ثوري جديد."، وقد حذر ادغار فور من النتائج الوخيمة لتثوير الشمال الإفريقي، وكفته حوادث الأيام الأولى ليقدم مشروع سياسي لعلاج القضية المغربية، يأخذ في الاعتبار مسألة عزل الثورة الجزائرية والحفاظ على المصالح الفرنسية في المغرب، ويهدف للقضاء على مشروع وحدة المغرب العربي المتصل بالقاهرة والقائم على التنسيق بين ثوار الجزائر وعلال الفاسي وصالح بن يوسف.

وكان الأثر السياسي لاندلاع ثورة أكتوبر 1955 واضحاً ومؤثراً على الإدارة الفرنسية فإن هذا العمل الكفاحي المشترك لم يحقق كامل أهدافه، بسبب السياسة الفرنسية التي بادرت إلى تسريع المفاوضات وإعادة الملك من المنفى ومنح الاستقلال للمغرب، وعلى الرغم من كل ذلك فقد سعى الطرفان المتحالفان للتغلب على هذه السياسة وتحقيق أهدافهما الكفاحية، وقد كان التصميم حازماً في هذه المرحلة على تشديد اللهجة اتجاه الإدارة الفرنسية، وبدا تأثير الثورة الجزائرية واضحاً على صياغة التوجه الثوري للمقاومة المغربية، وكانت عقيدة توحيد كفاح المغرب العربي لمجاهدة المستعمر الواحد تجرف إليها الكثيرين وتحقق نتائج هامة، إذ وحدت بين حزب الاستقلال وحزب الإصلاح الوطني في منطقة الشمال ودفعت سكان الريف المتحالف مع لاجئي الجنوب، والتضامن مع الثورة الجزائرية، سواء تحت تأثير مرجعية الخطابي أو باسم جيش تحرير المغرب العربي¹.

¹ - عبد الله منقلاطي: العلاقات الجزائرية المغربية والإفريقية إبان الثورة الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص 229.

لقد حصل الاتفاق بين الوفد الخارجي لجهة وعلال الفاسي على مبادئ الكفاح المشترك ووحدة المغرب العربي، وناقش الوفد الخارجي عملياً مشروع التنسيق والوحدة مع مجلس قيادة حركة المقاومة، وحصل حول التوحيد العسكري دون التوحيد السياسي، وأنه تجسد بإنشاء (لجنة التنسيق لجيش تحرير المغرب العربي)، أو ما يعرف بقيادة الناظور، وبفضل مجهود التنسيق هذا نجح الطرفان في ثورة الثاني من أكتوبر 1955، وعليه راعت قيادة الثورة المكاسب المحققة واجتهدت في تفعيلها، بالحفاظ على العلاقة مع الفاسي، والاستمرار في التنسيق مع لجنة تطوان وتمثيلها الخارجي في مدريد **عبد الكبير الفاسي، اليوسفي** وتعزيز العلاقة مع قادة جبهة الناظور وتفعيل النجاحات المحققة ميدانياً¹.

ويمكن أن نقف على الجهود التنسيقية المشتركة في المجالات الآتية:

1. التضامن المغاربي: اتفق الطرفان على مبادئ سياسية مشتركة عملاً على تجسيدها، هي تتمثل أساساً في وحدة واستمرارية الكفاح على أن يتجسد استقلال المغرب العربي التام، وقد جسدت في الميدان مبادئ الكفاح المشترك بين المجاهدين الجزائريين والمقاومين المغربيين، وكان الأمل يوحد الجميع في تكريس وحدة المغرب العربي بأبعاها الوطنية والقومية، ولهذا كان الترحيب بالمساعدة المصرية، واحتضان عدد من المستشارين في صفوف لجنة التنسيق ومنهم **إبراهيم النبال** الذي قاد سفينة "دينا" وبقي فترة في الريف المغربي، **عاطف عبده سعد** والذي حل في هيئة صحفي، **عبد المنعم النجار** سفير مصر في مدريد المكلف بمتابعة كفاح الجبهتين².

2. التسليح والتموين: تسلحت الجبهتين المغربية والوهرانية من بواخر الأسلحة القادمة من مصر، ونظر لجهود بن بلة الكبيرة في الحصول عليها وحاجة الثورة الجزائرية حصل الاتفاق في القاهرة على أن تكون حصّة الجزائر الثلثين وحصّة المغرب الثلث، أنزلت سفينة ديناّ وبعدها يخت "الحظ السعيد" وسفينة انتصار، وبحث لجنة التنسيق في الناظور عن مصادر أخرى للتسلح والتموين منها: تبرعات المواطنين والشراء من الإسبان والمهريين، وتم الاتفاق بين الطرفين على الحفاظ على حصّة القسم السابقة وتعميمها لتشمل الذخيرة والمال.

¹ - المرجع السابق، ص 234.

² - فتحي الديب، عبد الناصر والثورة الجزائرية، المصدر السابق، ص 102.

3. إنشاء المراكز السرية: تم التنسيق بخصوص إقامة قواعد خلفية لجيش التحرير الجزائري في منطقة الريف والمناطق المتاخمة للحدود الجزائرية، وذلك قصد الاستفادة منها في التمركز والتدريب، وقد ورد في التعهد السابق ما يلي: "مساعدتهم على تكوين مراكز سرية في منطقة كبدانة وبني يزناسن وبخصوص في منطقة الركادة واحفير المجاورة للتراب الجزائري"¹. وكانت قيادة الثورة وفرق جيش التحرير الجزائري تلجأ إلى هذه المراكز المهيأة، وتنسق عملها مع جيش التنسيق مباشرة بين أعضاء اللجنة أو بين نوابهم، إذ عين بن مهدي كل من حسين قادييري وعبد الوهاب مسؤولين عن مكتب الجبهة في مركز قيادة جيش تحرير المغرب العربي بالناظور، ولحضورهما ليتم تنسيق الأعمال ومعاينة كل ما يصل إلى المركز، وقد ضمنت حركة المقاومة المغربية للجزائريين حرية التنقل في المغرب الإسباني المؤمن من متابعة الفرنسيين.

4. التدريب: بعد وصول الأسلحة شرع في تدريب الفرق المجندة، وقد كلف الخطيب الضابط الجزائري نذير بوزار² بالإشراف على مركز للتدريب في (جنان الرهوني)، وفيه تدرت الفرق وجهزت لتفتح عدة جبهات داخل المغرب، وقد استعان بوزار بخبرة بن مهدي الذي قدم للفرق دروسا في حرب العصابات، وكانت مهارات بوزار الحربية كانت الأساس في تدريب وتنظيم الجيش، وكان الهدف من افتتاح مراكز التدريب وتكوين الضباط هو الإعداد لمعركة المغرب العربي بالتنسيق مع الجزائريين، ولهذا كان تصميم فرق جيش التحرير المغربي على خوض المعركة المغاربية واضحا.

5. الإستراتيجية العسكرية: تم التنسيق لشن حرب عصابات طويلة المدى، تهدف لاستنزاف قوات العدو وإلحاق أكبر قدر من الخسائر في الجبهتين على أن يتم ذلك - كما هو واضح - بشكل مستقل، أي جيش التحرير المغربي مستقل في تحديد أهدافه التي كانت قريبة من التراب الجزائري، وفي إطار توسيع رقعة الكفاح فتحت جبهات جديدة في الأطلس ومرنسية،

¹ - عبد الله منقلاطي: العلاقات الجزائرية المغربية والإفريقية إبان الثورة الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص 239-237.

² - نذير بوزار: ضابط جزائري بالجيش الفرنسي، عمل متصرفا إداريا بالدار البيضاء، إلى أن قرر الفرار إلى القاهرة، ارتبط هناك بالخطابي، وضمه بن بلة للثورة فحاء على متن يخت ديناً واختلف مع يومدين فقرر إلحاقه بصفوف جيش التحرير المغربي، وكلفه الخطيب بالتدريب، فساهم بخبرته في تكوين الفرق، ثم فتح جبهة الأطلس. أنظر على مرجع عبد الله منقلاطي: العلاقات الجزائرية المغربية والإفريقية إبان الثورة الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص 240.

ووجهت دعاية واسعة لكسب المجندين المغاربة واللفيف الأجنبي، وحوصرت القوات الفرنسية في منطقة تضاريسها الطبيعية تقف إلى جانب مقاتلي حرب العصابات، كان النجاح باهرا لهذه الإستراتيجية الحربية المنسقة، وتلقت القوات الفرنسية ميدانيا الضربات المتوالية، لقد عقد قادة المنطقة الخامسة اجتماعا في جبل زكري لتقييم العمليات العسكرية فكانت ايجابية بشهادة ابن علة، إذ خاضت نواحي المنطقة الخامسة معارك واشتباكات عديدة ألحقت الضرر بالقوات الفرنسية¹.

ولم تقتصر معاناة جيش الحدود بمخاطر هذه الأسلاك الشائكة والمراقبة البحرية لفرنسية المشددة فحسب، إذ كانت القوات الفرنسية المرابطة بالمغرب تفرض حصارا وضغوط على القواعد الخلفية ووحدات جيش التحرير بالتنسيق مع القيادة العسكرية الفرنسية لغرب الجزائر دون أن تستطيع الحكومة المغربية جسم موقفها إزاء التواجد الفرنسي بالمغرب، مما كان يثير المسؤولين الجزائريين ويسبب لهم مشاكل مع القوات المسلحة المغربية التي أصبحت تضايق نشاطات الجزائريين، وتقف حاجزا أمام تحركات جيش التحرير الوطني ومروره بحجة الحد من تصرفاته غير الآبهة بالسيادة المغربية وإيقاف هجماته على القوات الفرنسية تجنبا لاعتدائها الثأرية التي تطل التراب المغربي².

2-1 علي الصعيد التونسي:

¹ - محمد عباس: فرسان الحرية، دار هومة، الجزائر، 2003، ص 59.

² - ANA :Carton N°6, Dossier N°20 et après.

أ- الثورة الجزائرية وعلاقتها بجيش التحرير التونسي:

المعروف أن انتفاضة المقاومين التونسيين سبقت اندلاع الثورة الجزائرية وبدء الكفاح المغربي لكن تشابك قضايا المغرب العربي سياسيا والاحتكاك الجغرافي اثر على مشروع التسوية السلمية، خاصة وأن الانتفاضة الجزائرية كما تصورتها الإدارة الفرنسية تؤثر على المحميتين المتجاورتين، فعلا كان للثورة الجزائرية وقعها المؤثر على تسارع الأحداث باتجاه تشدد المواجهة وتوحيد الجبهة المغاربية في وجه العدو المشترك، وكان لها الفضل الأكبر في حمل التونسيين للعودة من جديد لحسم الموقف مع الإدارة الفرنسية عسكريا وتشكيل جيش التحرير التونسي¹.

لم يكن ارتباط القضيتين التونسية والجزائرية نابع من شعور الوحدة والتضامن المنبعث من مبادئ لجنة ومكتب تحرير المغرب العربي فحسب، فقد أصبح مؤكداً أن القضية التونسية كانت في أمس الحاجة إلى تحرك الجزائريين، مثلما كانت الثورة الجزائرية بحاجة على دعم التونسيين واستمرارهم في المعركة، إذ اندلعت الثورة في تونس منذ عام 1952، واشتدت وبدأت تحقق مكاسب هامة استغلها قادة الحزب الدستوري الحر في الدعاية لقضيتهم والحصول على الاستقلال، وذلك دون إغفال ضغط القضيتين الجزائرية والمغربية في فرض التفاوض مع فرنسا، ففي رسالته إلى الحزب الدستوري الحر دعا **علي البلهوان**² في جوان 1954 إلى ضرورة دعم القضية الجزائرية لتعزيز القضية التونسية، وذلك عن طريق " الدعاية لها، خاصة وأن الاستعمار الفرنسي سائر في غيظه مسترسل في سياسته في الصميم"، وعندما كان **بورقيبة** في إقامته بباريس كان يطلب من المناضلين الجزائريين بإلحاح ضرورة فعل شيء ما، وقد أخذ هذا العنصر كنقطة ارتباط في العلاقات الجزائرية التونسية، من جهة أخرى كان قادة الثورة الجزائرية في الداخل وفي القاهرة يجتهدون عشية التحضير للثورة في التنسيق مع الثوار التونسيين، وكسب موقفهم لصالح ثورة موحدة تشمل أقطار المغرب العربي، وقد فاجأهم مبادرة فرنسا بإعلان استقلال تونس الداخلي كما يؤكد **أحمد بن بلة**³، فهذه التسوية المبدئية التي قبل بها **الحبيب بورقيبة** مثلت ضربة لمبادئ

1-Mohamed Harbi: Les archives de la révolution Algérienne, jeune Afrique pais, ed, paris, 1975, p226.

2 - **علي البلهوان**: (1909-1958)، مناضل درس بباريس وانخرط في نجم شمال إفريقيا، عمل مدرسا في المعهد الصادقي، مثل الحزب في مكتب المغرب العربي بالقاهرة، سائد بورقيبة وتولى عدة مسؤوليات دبلوماسية عبد الله منقلاطي: العلاقات الجزائرية المغاربية والإفريقية إبان الثورة الجزائرية، ج 1، المرجع السابق، ص ص 277-278.

3 -Mohamed Khalifa: Ahmed ben Bella Itinéraires, Alger, elbdil, 1988,p178.

التنسيق المشترك للاتفاقات المغاربية التي وقع عليها **بورقيبة** نفسه وتدعوا إلى عدم قبول الحلول الجزئية والتمسك بالحل الشمولي لكافة أقطار المغرب العربي، وقد اعتبرها كثير من قادة الحزب الدستوري الحر ورجال المقاومة خيانة التضحيات التي قدمها التونسيون، ورفضها المقاومون فلم يستجيبوا لنداء تسليم الأسلحة الذي دعا إليه **بورقيبة**، وانتقدها قادة الحزب في القاهرة، ومنهم **علي البلهوان** و**الرشيد إدريس صالح بن يوسف**، لكنهم لم يجاهرُوا بمعارضتها في ظل ضمانات **بورقيبة** الذي وعد بذلك كخطوة أولى مهمة في إطار سياسة خذ وطالب، ولعل موقفهم هذا يرجع كذلك إلى الصعوبات التي كانت تجابه العمل العسكري، وإلى قناعته بخصوصية القضية التونسية التي أقرتها لجنة التحرير المغرب العربي في أبريل 1954، وبالمقابل نددت المتمسكة بخيار العمل العسكري الشمولي بالحل الذي تنتهجه القضية التونسية المناقض للاتفاقات الكفاح المشترك المتفق عليه، وقد اتهم المناضل **حسين التريكي بورقيبة** بأنه فوت على التونسيين فرصة قيام ثورة عارمة ضد فرنسا تخوضها أقطار المغرب العربي من الأطلسي إلى الحدود الليبية¹.

إن الإدارة الفرنسية اجتهدت في إيجاد تسوية سياسية تقرر بمنح الاستقلال الذاتي مبدئياً لتونس، تماشياً مع الظروف المستجدة، لكن أمكن لفرنسا أن تحقق أهدافها، وما هي تأثيرات حدث اندلاع الثورة الجزائرية؟.

اندلعت الثورة المسلحة في تونس عام 1952 إثر بإمكانيات بسيطة معتمدة أسلوب حرب العصابات، وبعضها كان موجهاً من قبل الحزب الدستوري الحر والبعض الآخر هب بتلقائية أو بتوجيه من **الخطابي**، وما لبث أن احتواهم الحزب كما حدث في المغرب، وقد اشتدت المقاومة عام 1953، في حين لم تكن حصيلتها بالملفتة للانتباه: 86 قتيلاً و224 جريحاً من أعوان فرنسا وبدأت هذه المقاومة تقلق هاجس الإدارة الفرنسية باستمراريتها وتأثيراتها، فكانت خشية **مندائيس فرانس Mendès France** كبيرة من أن تتطور الأحداث لتخلق مشكلة جديدة في شمال أفريقيا، وهذا الشعور نفسه أبلغه إليه مساعده **ادغار فور** وهو يلح في الاهتمام بتسوية القضية التونسية، وفي غمرة أحداث ربيع 1954 كلف **مندس فرانس Mendès France** يوم 04 جويلية 1954 **ألان سافاري** بمباشر الاتصالات مع **بورقيبة** للخروج من المأزق الجديد،

¹ - عبد الله منقلاتي: العلاقات الجزائرية المغربية والإفريقية إبان الثورة الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص ص 279-280.

وتبين له انه بالإمكان التعويل على هذا الرجل، وقد توصلت المباحثات إلى وقف المقاومة وتمكين تونس من الحكم الذاتي مقابل الحفاظ على مصالح فرنسا بالإيالة، وكانت خطوة مفاجئة للجميع لكنها لم تكن نهاية الحل للمشكلة التونسية، ذلك أن نداء الباي بوقف القتال ومنح **بواي دي لا تور** الأمان للمقاومين لم يضع حدا للقتال، كما أن المفاوضات تعطلت في يومها الأول، واندلعت الثورة الجزائرية في هذا الظرف المضطرب، فوجدت فرنسا نفسها أمام خطر حقيقي¹.

إن مشروع الكفاح المغربي المشترك الذي انتعش بتجدد الثورة الجزائرية واجهته السياسة **البورقبية** والمخططات الفرنسية، وإن كان يصعب علينا اتهام **بورقبية** بالتورط في دعم المخطط الفرنسي بطريقة مباشرة، فإنه يكون سهل على الإدارة الفرنسية تجاوز المخاطر التي كانت تحدى بها، فهو استقل بسياسته القطرية عن الإستراتيجية المغاربية، وكان متسرعاً في التضحية بإنجازات المقاومة العسكرية مقابل الاتفاق المبدئي على مجرد الاستقلال الداخلي، وبسبب ذلك تلقت سياسته معارضة جنينية داخل الحزب وفي الصفوف المقاومة، وانتقاداً لاذعاً في القاهرة عبرت عنه لجنة تحرير المغرب العربي بما فيها قيادة الثورة الجزائرية.

لقد كان على فرنسا أن تمنع التحام الثوار التونسيين بالثوار الجزائريين كخطوة أولى، وذلك قبل مباشرة المفاوضات الحقيقية لمشروع الحكم الذاتي، وأن تختار بين رهاناتها، فإما التعويل على **بورقبية** أو على **صالح بن يوسف** في المفاوضات من أجل حماية أكبر قدر من المصالح الفرنسية، وكان **بورقبية** بمواقفه تصريحاته الصحفية أقرب للإستراتيجية الفرنسية الهادفة إلى حل مشكلة تونس في إطار استقلال ذاتي يمنح امتيازات واسعة للفرنسيين ويحافظ على الحضور الفرنسي²، وقد حسم **منداس فرانس** الموقف في مباحثات سرية عقدها مع **بورقبية** أفصح عنها هذا الأخير فيما بعد موضحاً أن محدثه ألح عليه في علاج قضية (الفلاق) الذين يحملون السلاح ويتسببون في تعطيل المفاوضات، وسويت هذه القضية الأساسية التي كانت تهدد باضطراب الوضع في شمال باعتراف الرجلين وفق الشكل الذي يخدم المخطط الفرنسي: وقف العمليات العسكرية، تشكيل لجنة مشتركة

¹ - المرجع السابق، ص ص 281-282.

1-Jean Lacouture: Cinq homme et la France, éd, seuil, paris,1961,p 175.

لتسليم أسلحة (الفلاقة) مقابل منحهم الأمان وعودتهم إلى ديارهم، وبدء المفاوضات الجديدة لتحديد إطار الاستقلال الداخلي لتونس¹.

لقد بدأت مهمة جمع أسلحة المقاومين في الفترة ما بين 30 نوفمبر و10 ديسمبر 1954، وواجهت اللجنة المشرفة صعوبات كثيرة، وكانت الحصيلة استسلام 2713 مقاوم وتسليم السلاح تحت تأثيرات مختلفة واضعين ثقتهم في المفاوضين السياسيين، لكن واحدا من أشهر قادة المقاومة وهو **الطاهر لسود**² أعلن رفضه لتسليم السلاح ودعا المقاومين على عدم وضع الثقة في فرنسا، وإلى مواصلة الكفاح حتى تتحقق نتائجه في الميدان، وقد عبر **بورقيبة** عن تخوفه من هذا الأمر، وأرسل أصراً على موقفه وأبدى عدم ثقته في المفاوضات، وإيمانه بضرورة التحرير الشامل في هذه المرحلة الحساسة، مؤكداً أن اشتعال ثورة الجزائر يدعم كفاح تونس وجميع المغاربة، وتجاوب مع موقفه هذا جنوده الذين يناهزون السبعين مقاوماً، وعدد من قادة الفرق والمقاومين الذين أكدوا علناً مؤازرتهم لموقف **الطاهر لسود**، ومنهم قائد ثوار **محمد قرفة** الذي احتفظ بالأسلحة الصالحة ولم يسلم إلا القطع الفاسدة، ويبدو أن هذه الظاهرة صاحبت عملية التسليم في مناطق عديدة، وأقرها أفراد من اللجنة المشرفة على جمع الأسلحة، والذين اظهروا امتعاضهم من الخطوة المريبة³.

وقد أعلن **الطاهر لسود** عن انتقاله إلى الحدود التونسية - الجزائرية لمساندة الثورة الجزائرية، وتوجهت بدورها العناصر الجزائرية المقاومة لتلتحق بصوف الثورة الجزائرية، وقد كانت هذه العناصر الثورية تؤمن بالمعركة المغربية المشتركة أينما كان ميدانها ومؤطروها، تستند في ذلك إلى مرجعية لجنة تحرير المغرب العربي.

وأبدى الحزب الدستوري الحر المتمسكون بالخيار الثوري تحفظهم على إجراء تسليم الأسلحة، لم يكونوا مرتاحين لفصل القضية التونسية ولا لمنحى المفاوضات، وتجنبنا لأي انشقاق

¹ عبد الله منقلاطي: العلاقات الجزائرية المغاربية والإفريقية إبان الثورة الجزائرية، ج 1، المرجع السابق، ص 283.

² **الطاهر لسود**: (1910-1995) ولد بمنطقة الحامة في الجنوب التونسي، انخرط مبكراً في حزب الدستوري، يعد من أوائل الذين حملوا السلاح، وقد رفض وقف القتال في نهاية عام 1954، تحالف مع **صالح بن يوسف** وترأس جيش التحرير التونسي إلى غاية استسلامه للسلطات في جويلية 1956. أنظر المرجع نفسه، ص 185.

³ **الحبيب المولهي**: الوطن والصمود، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991، ص ص 199-200.

داخلي قبلوا مبدأ تسليم الأسلحة كرها، وكان من الصعب إقناع المناضلين التونسيين بخيارات بورقيبة، خاصة العاملين في لجنة تحرير المغرب العربي الذين آمنوا أن الثورة الجزائرية بثت الروح من جديد في مبادئ اللجئة، وأنها أكدت التصميم على حوض المعركة الموحدة ضد العدو المشترك¹، وقد جاء في رسالة المناضل التونسي **مراد بوخريص الموجهة إلى الرشيد إدريس** تأكيد على هذا التوجه "... هذا وقد جاء بعد ذلك الحدث العظيم وثار الجزائر الباسلة في أول نوفمبر، وتوحد الكفاح المسلح في كامل شمال إفريقيا، وهرع عدد من فوق جيش التحرير التونسي وأخذت تقاتل إلى جانب قوات جيش التحرير الجزائري منذ اليوم الثاني من نوفمبر². كما أن شعور التضامن الوحدوي كان يدفع إلى توحيد الموقف وتنسيقه في إطار مكتب المغرب العربي بالشكل الذي يحقق مطامح شعوب المنطقة، فتشجع الوفد الخارجي للجهة للاعتماد على المناضلين التونسيين في نشاطه الدبلوماسي والسياسي الخارجي³، و**باشر أحمد بن بلة** تنسيق جهوده في تمرير الأسلحة عبر ليبيا وتونس مع أنصار **صالح بن يوسف**، وتحت تأثير العلاقات التي نسجها في القاهرة مع قادة الثورة الجزائرية وجه **صالح بن يوسف** انتقادات حادة لخطوات سير هذه المفاوضات، وقد بعث بتقرير إلى هياكل الحزب بالداخل في 14 ديسمبر 1954 أعرب فيه عن عدم ارتياحه لمبدأ المفاوضات بين الحكومتين التونسية والفرنسية، خاصة وأن ثقة زائدة قد وضعت في فرنسا بقبول تسليم السلاح⁴، وهدد بيان أصدره في مطلع سنة 1955 بالعودة من جديد إلى حمل السلاح مقدما مقترحاته التي لا تقف على حدود الاستقلال الذاتي بل تؤكد السيادة التامة لتونس.

وقد كسب **بن يوسف** الدعم المصري وارتبط بعلاقات وثيقة مع ممثلي الوفد الخارجي الجزائري في القاهرة من أجل تنسيق مهمتين أساسيتين هما: تشكيل لجنة مشتركة جزائرية تونسية في ليبيا لاستقبال وتمرير الأسلحة يشرف عليها **عبد العزيز شوشان**، وحضور مؤتمر باندونغ لوفد مغاربي يمثل الأقطار الثلاثة إعازا للقضية الجزائرية وتأكيد على وحدة القضايا المغربية.

¹ - منصف الشابي: صالح بن يوسف حياة كفاح، دار الأفق للنشر، تونس، الطبعة الأولى، مارس 1990، ص 139.

² - عبد الله مقلاتي، العلاقات الجزائرية المغربية والإفريقية إبان الثورة الجزائرية، ج 1، المرجع السابق، ص 289.

³ - محمد يزيد: الدبلوماسية الجزائرية م 1830-1962، ندوة نظمها المركز و.د.ب.ح.و.ث 1954، منشورات المركز و.د.ب.ح.و.ث 1954، الجزائر، 1998، ص 117.

⁴ - فتحي الديب، عبد الناصر والثورة الجزائرية، المصدر السابق، ص 99.

بحكم العلاقات المتينة التي كانت تربط الشعبين الشقيقين حفل كفاح البلدين ضد الاستعمار بكثير من مظاهر التضامن والتآزر، تجسدت أسمى معانيها في مشاركة الجزائريين في المقاومة التونسية منذ عام 1952¹، ومشاركة التونسيين في الثورة الجزائرية منذ اندلاعها، وقد كانت تتواجد بتونس جالية جزائرية معتبرة أكدت حضورها السياسي والثقافي، ولم تكن الحدود الوهمية لتفصل سكان المناطق الحدودية عن إخوانهم التونسيين، إذ ظلت مظاهر التضامن والتزاور والتواصل قائمة، وأخذت إبعاد النصرمة الأخوية صيغتها المغاربية بتأثير واضح من لجنة تحرير المغرب العربي، ولم يكن مستغربا أن تلتحق كثير من العناصر الجزائرية بشكل فردي بصفوف المقاومة التونسية، ويمكننا أن نعزو أسباب ذلك - واعتمادا على تفسيرات الفاعلين إلى:

- الرغبة في الجهاد والتطوق إلى تحرير المغرب العربي، إذ جندت لجنة تحرير المغرب العربي وبتوجيه من الخطابي والحركات الوطنية أعداد غفيرة من الشبان المغاربية شاركوا في حرب فلسطين عام 1948، ودعموا صفوف المقاومة التونسية ومنهم لزهري شريط والحاج عبد الله.

- الاحتكاك الجوّاري على طول الحدود، العلاقات العائلية أكدت الشعور بالمصير المشترك.
- تفاعل الجالية الجزائرية في تونس مع الحركة الثورية، وتجدد كثير من عناصرها في صف المقاومة التونسية، وقد كانت مشاركتهم فاعلة محت الدور السلبي لفئات أخرى استقدمت لخدمة الوجود الفرنسي.
- ارتقاء المناضلين اللاجئيين الهاربين من العدالة الفرنسية في أحضان المقاومة التونسية التي كانت متنفسا لهم في التعبير عن وطنيتهم الجاحمة التي لا تفرق بين تونس والجزائر.

كان لاندلاع الثورة الجزائرية انعكاسات مباشرة على سير المفاوضات الفرنسية - التونسية التي انطلقت في 18 أوت 1954، فبعد أن كانت المفاوضات العديدة السابقة بين ممثلي تونس والسلطات الفرنسية كثيرا ما تعرف تماطلات وتشدد من الجانب الفرنسي، فإن الأمر باندلاع ثورة نوفمبر 1954 تغير إذ أن السلطات الفرنسية، وفي محاولة منها لتطويق الثورة الجزائرية، عمدت إلى تسريع المفاوضات الفرنسية التونسية لتتوج في شهر جوان من سنة 1955 باتفاقيات تمنح

¹ - الشابي منصف، صالح بن يوسف حياة كفاح، المرجع السابق، ص ص من 145 - 158.

الاستقلال الذاتي الداخلي لتونس ، ومشجعة لجناح **بورقيبة** في الحزب الدستوري الحر في مواجهة جناح **صالح بن يوسف** الراض¹ لتلك الاتفاقية التي كان يرى فيها "خطوة إلى الوراء". وأمام تعاضم الثورة الجزائرية واستمرار جيوب المقاومة التونسية الراضة لأوامر تسليم الأسلحة، فإن فرنسا عززت موقف **بورقيبة** وأنصاره في مواجهة **صالح بن يوسف** وأتباعه الذين كانوا يعملون ويدعون إلى تعميم النموذج الجزائري للمقاومة والتأييد التام للثورة الجزائرية التي كانت ذات انعكاس مباشر على الساحتين التونسية والمغربية وهو ما نبه إليه (مؤتمر الصومام) الذي أكد على أن التغيير المفاجئ في سلوك الحكومة الاستعمارية والذي اتسم بالتخلي عن الجمود والسعي للبحث عن حل عاجل إنما دعت إليه أسباب إستراتيجية تتمثل في:

- منع تكوين جبهة ثانية حقيقية بإنهاء الاتحاد بين الكفاح المسلح في الريف بالمغرب وفي الجزائر.
- إلغاء وحدة الكفاح في بلدان شمال إفريقيا الثلاثة.
- عزل الثورة الجزائرية التي كانت طبيعتها الشعبية تجعلها أشد خطر.

لينتهي إلى التأكيد على أن سياسة الإغراء والمخادعة المستعملة مع زعماء تونس والمغرب للتخلي عن مساندة الجزائر لن تفلح لأن " الذي يمتاز به الوضع السياسي في شمال إفريقيا أن القضية الجزائرية مندوجة في القضية المغربية وفي القضية التونسية أن القضايا الثلاث لا تكون إلا قضية واحدة ."

وكان مؤتمر الصومام بذلك قد أكد موقف الجبهة من الغاية التي كانت فرنسا تستهدفها من خلال سياسة المفاوضات مع تونس والمغرب وترجيح موقف طرف على طرف آخر في الحركتين الوطنيتين المغربية والتونسية ولفهم وقائع ذلك أكثر فإنه من والمعروف أن من الأسباب الرئيسية للقطيعة التي حصلت بين **صالح بن يوسف** الأمين العام للحزب الدستوري، والرئيس **الحبيب بورقيبة** ، أن الأول كان يدعو إلى تبني النموذج الجزائري لنيل استقلال غير مشروط ، في حين كان

¹ - كان بورقيبة يتبنى -سياسة الخطوة- يروي عنه قوله لمنديس فرنس رئيس الوزراء الفرنسي. " أن الاستقلال يمكن أن ينتظر عشر سنوات"، راجع: نجلاء أبو العز، عبد الناصر والعرب، ترجمة يوسف سعيد الصباغ، مكتبة مدبولي والوطن العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1981، ص435.

بورقيبة يتبنى خط المفاوضات المرحلية ليصل الخلاف إلى إقدام المكتب السياسي على تجريد صالح بن يوسف من صفته كأمين عام للحزب بتاريخ 9 أكتوبر 1955¹ ورافق ذلك كتدعيم لخط بورقيبة هجمة إعلامية فرنسية شملت كل "الذين وقفوا إلى جانب صالح بن يوسف ونددت بزعماء المغرب العربي الموجودين ضمن لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة، ونددت بالمتطرفين من قادة الحزب الدستوري في تونس ونددت بالحزب الدستوري القديم ناعته إياه بالتخلف والتشبث بالماضي ممثلا بالعروبة والإسلام."²

ولم يستسلم بن يوسف لذلك القرار فواصل نشاطه مستندا للوائح التنظيمية للحزب التي تجعل صلاحية اتخاذ ذلك القرار من اختصاص المؤتمر الذي بدوره لن يكون شرعيا إلا إذا تم استدعاؤه من طرف الأمين العام.

وما كاد يحل 15 أكتوبر 1955 حتى اجتمع بالقاهرة ممثلو الأحزاب الوطنية الثلاث الممثلة في لجنة تحرير المغرب العربي وهي حزب الاستقلال عن المغرب الأقصى وجبهة التحرير الوطني عن الجزائر والحزب الحر الدستوري الجديد عن تونس وقرروا بالإجماع فصل بورقيبة وأعضاء المكتب السياسي للحزب الدستوري من عضوية اللجنة. كما قرروا نقل كل صلاحيات المكتب السياسي إلى الأمين العام الشرعي للحزب صالح بن يوسف³. وقرروا تعيين إبراهيم طوبال عضوا في لجنة تحرير المغرب العربي باعتباره نائبا لصالح بن يوسف "وختمت اللجنة قرارها بالآتي: "وقد اضطرت اللجنة إلى اتخاذ هذه القرارات لحماية الحركة الاستقلالية بالمغرب العربي من التوجه الاستعماري الذي بدأ يتسرب إلى بعض القادة. وهي تؤمن أنه لا خلاص لتونس إلا بالعودة إلى الكفاح المسلح متضامنة مع مراكش والجزائر."⁴ ولمواجهة ذلك الالتفاف المغاربي حول طروحات جبهة التحرير الوطني وتجاوب صالح بن يوسف معها ، وسعيها منها لتحديد تونس في النزاع الدائر

¹ - منصف الشابي: صالح بن يوسف حياة كفاح، المرجع السابق، ص 182.

² - المرجع نفسه، ص 182.

³ - ترأس اجتماع لجنة تحرير المغرب العربي علال الفاسي ممثلا لحزب الاستقلال، ومثل جبهة التحرير الوطني محمد خيضر، وعن الجانب التونسي المناضل إبراهيم طوبال الذي قدم تقريرا عن تطور الأوضاع في تونس إلى الجامعة العربية مطالبا بتكوين لجنة خاصة لدراسة المسألة التونسية والاتفاقيات المبرمة مع فرنسا معتبرا إياها تفريطا في السيادة التونسية.

⁴ - منصف الشابي: صالح بن يوسف، المرجع السابق، ص 183.

فقد عملت فرنسا على تعزيز اتجاه **بورقيبة** باستجابتها لمطلب الاستقلال السياسي لتونس في 20 مارس 1956 بمقتضى البروتوكول الموقع بين الطرفين والذي يسميه التونسيون "براءة الاستقلال" لكونه أخرج تونس من حالة الاستقلال الذاتي إلى الاستقلال، فتأسس المجلس القومي الوطني التونسي (مجلس تأسيسي) وانتخب **بورقيبة** رئيسا له وألّف الحكومة التونسية ليتم بحلول 25 جويلية 1957 إقدام المجلس التأسيسي على عزل **باي تونس سيدي الأمين** وإعلان تونس جمهورية برئاسة **بورقيبة** في حين كان **مصير صالح بن يوسف** الاغتيال الذي تم في ألمانيا عام 1961 إبان أزمة **بنزرت**¹ وهو الاغتيال الذي اعترف **بورقيبة** بمسؤوليته في أثناء خطاب ألقاه في 15 ديسمبر 1973 بعد أن روى بالتفصيل ظروف الاغتيال قائلا أنه قلد أوسمة لمن قاموا بقتله². ومن الواضح أن فرنسا لم تكن قبل 1954 مستعدة للاستجابة لمطالب تونس ولا لمطالب المغرب الأقصى، إلا أنه باندلاع الثورة الجزائرية أدرك الاستعمار بطبيعته أن تأمين خروجه بأقل تكاليف ممكنة وخسائر محتملة و ضمانات لمستقبل مصالحه وعلاقاته في المنطقة أن " يراهن على التناقض القائم بين حركات المقاومة وأجيال المناضلين لاسترجاع العناصر الوطنية الأقل تصلبا وتطرفا في المبادئ والوسائل وجرها نحو مائدة المفاوضات والتعاون"³.

اعتقدت فرنسا أن في معالجتها للقضيتين التونسية والمغربية تحييد للشعبين المغربي والتونسي وتفاديا مؤكدا لثورة مغاربية شاملة، وهو ما يمكنها من التفرغ لما كان يجري في الجزائر من ثورة شعبية، وكان الساسة الفرنسيين **غي موليه** قد عبر عن ذلك في تصريح له بتاريخ 2 جوان 1956 بقوله: "لن يكون هناك حل مثل الحل المغربي أو التونسي للقضية الجزائرية".

¹ - أحداث **بنزرت**: نعي بما ذلك الاعتداء الذي تعرضت له مدينة **بنزرت** في شهر جويلية 1961، وأراد به ديفول أن يخنق الثورة الجزائرية ومفاوضات إيفيان جارية.

² - أحمد بن صالح: تونس والتنمية والمجتمع والسياسة، حوار **مارك زفان**، دار الكلمة للنشر 1980، ص 50.

³ - دراسة الدكتور المنجي الكعبي: المغرب العربي بين الوحدة والاستقلال، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية 1983، ص 233.

2- موقف الثورة الجزائرية من أزمة بنزرت التونسية:

فرغم إعلان استقلال تونس في مارس 1956 لكنها لم تسترجع سيادتها على كامل التراب التونسي، حيث احتفظت فرنسا بقاعدة بنزرت الأمر الذي جعل الطرف الفرنسي يطالب باستمرار بسط سيادته على ترابه، وقابله الفرنسيون بالتغاضي عن هذا الطلب حيناً وبالمماطلة والمراوغة واستغلال الوضع للمناورة في القضايا أخرى أحيانا مما أدى إلى التوتر العلاقات الفرنسية التونسية في العديد من المرات.

وبداية من شهر جوان 1961 بدأ التصعيد في المواقف بين الطرفين التونسي والفرنسي وصدور في 04 جويلية 1961 بيانا من الديوان السياسي للحزب الدستوري بضرورة استرجاع بنزرت وضرورة الاستعداد لذلك ومنه تسارعت التحركات على المستوي العسكري والشعبي والسياسي، وانطلقت المواجهة بين الطرفين في 19 جويلية واستمرت حتى 22 جويلية 1961 بصدور قرار عن مجلس الأمن يوقف إطلاق النار بين الطرفين التونسي الفرنسي بعد مواجهة ومعارك دامية¹.

وفي ظل ذلك التوتر الذي قاد إلى أزمة وصراع مسلح بين تونس وفرنسا، كانت الثورة الجزائرية تمر بمرحلة هامة قادت لإنهاء الاحتلال الفرنسي بالجزائر، وهي مرحلة المفاوضات التي عرفت مسارا متعثرا سواء بالنسبة للقاء لوزان Lucerne بسويسرا 20 فيفري 1961، أو ما تبعها من لقاءات جماعة وفردية للوفد الممثل لكل من الحكومة المؤقتة والحكومة الفرنسية².

¹ - محمد العيد عقيب، (الثورة الجزائرية وأزمة بنزرت (توني) جويلية 1961)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المجلد 07، العدد 02، 2014، ص 11.

² - المرجع السابق، ص 28.

عن الاهتمام الذي أولته جريدة المجاهد بأزمة بنزرت يوضح مدى ارتباط بين القضية الجزائرية ومطالب الحكومة التونسية بالسيادة على أراضيها واسترجاع بنزرت وجلاء الجنود الفرنسيين عن التراب التونسي.

ففي افتتاحية العدد 101 (1961) من جريد المجاهد جاء: "لا يمكن التكهن لحد كتابة هذه الأسطر بعواقب الاعتداء الفرنسي الغادر على بنزرت ولا مراميه البعيدة، ولكن هذا الاعتداء فتح أعيننا من جديد على حقائق ضخمة كاد أن يغطيها تمويه الاستعمار. فقاعدة بنزرت ليست لها أهمية في الدفاع عن أوروبا الغربية، وإذ كانت هذه الأخيرة عرضة لهجوم أوروبا الشرقية كما يزعمون ولكن هذه القاعدة لها أهمية بالغة في الحروب الصغيرة، كالحرب الاستعمارية التي تخوضها فرنسا بالجزائر منذ سبع سنوات ومن الصعب عندما نرى هذا التشبث الأحق بقاعدة بنزرت أن تصدق أن الحكومة الفرنسية عازمة على إنهاء حرب الجزائر وإيجاد حل سلمي للقضية الجزائرية على أساس الاعتراف للجزائر باستقلالها وسيادتها"¹.

سجلت الثورة الجزائرية موقفها الجلي من أزمة بنزرت، وبينت تضامنها التام حكومة شعبا مع الشعب والدولة التونسية في المطالبة بحقوقها في استرجاع سيادتها على كامل التراب التونسي وجلاء القوات الفرنسية عن بنزرت.

وفي بريقة أرسلها رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية فرحات عباس للرئيس الحبيب بورقيبة عبر له فيها عن التنديد بما قامت به فرنسا اتجاه التونسيين الذين أرادوا طرد الفرنسيين من بنزرت مما جاء فيها: "أمام الاعتداء الفظيع المسلط على الشعب التونسي في بنزرت نؤكد لكم تضامننا الكامل ونندد مرة أخرى بهذه الجريمة الاستعمارية الجديدة، أننا واثقون من أن الشعب التونسي الشقيق سيخرج منتصرا من هذه المحنة الجديدة."

أصدرت وزارة الأخبار الجزائرية بلاغا يقر: "أن العدوان الموجه ضد الشعب التونسي في بنزرت يعد عدوانا ضد كل الشعوب التي تكافح من أجل تحريرها كاملا من الاستعمار ومخلفاته. عن الشعب الجزائري وحكومته ما انفكا يؤيدان واليوم أكثر من أي وقت مضى الكفاح الذي

¹ - المجاهد: العدد 101، (01-07-1961)، ص 01.

يقوده الشعب التونسي من أجل تحرير بنزرت من الاحتلال الأجنبي، إن تضامن الشعب الجزائري وحكومته مع الشعب التونسي فيما يتعلق بقضية الجلاء عن بنزرت قد عبرت عنه الثورة الجزائرية باستمرار وقد فكرنا دائما في هذا التضامن على أساس أنه يمكن أن يصل إلى حد المساهمة الملموسة...¹.

وفي جويلية 1961 جرت محادثات طويلة بين الحكومة التونسية والحكومة الجزائرية بسطت خلالها الحكومة الجزائرية موقفها من مشكل الصحراء وهو الموقف الذي عبر عنه في مذكرة سلمت إلى الحكومة التونسية، وفي هذه المحادثات أثرت قضية جلاء القوات الفرنسية عن بنزرت وصرح الوفد التونسي أن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية مستعدة لتقديم مساهمتها بالرجال والعتاد في الكفاح الذي يقوده الشعب التونسي الشقيق من اجل تحرير بنزرت².

عن موقف الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية الذي يعبر بوضوح عن مشاعر الشعب الجزائري الذي يعتبر أن معركة من أجل جلاء فرنسا عن قاعدة بنزرت امتدادا للمعركة التي يقودها الشعب الجزائري من اجل تحرير كامل ترابه الوطني، إن الحكومة الجزائرية تستنكر العدوان الفرنسي على الشعب التونسي وتعبر من جديد عن مساندتها للكفاح من اجل استرجاع بنزرت³.

ويتبين من خلال بلاغ وزارة الأخبار الجزائرية أن الحكومة الجزائرية قد تفتنت لما يمكن أن يضمّر في ثنايا أزمة بنزرت خاصة بعد سلسلة اللقاءات التي جمعت بين الرئيس بورقيبة الرئيس الفرنسي ديغول والتي منها لقاء (مبوي) في 27 فيفري 1961 الذي دام خمس ساعات، مما أدى بشكوك الحكومة الجزائرية من طرح مشكلة الصحراء بين الطرفين لإيجاد حل بعيدا عن مطلب الوحدة الترابية الذي تتمسك به القيادة الثورة الجزائرية⁴.

¹ - المجاهد: العدد 101، (01-07-1961)، ص 01.

² - مجلة الواحات، المرجع السابق، ص ص، 11 - 28.

³ - المجاهد: العدد 101، المصدر السابق، ص 10.

⁴ - عبد الله مقلاتي: العلاقات الجزائرية المغربية إبان الثورة التحريرية الجزائرية (1954-1962)، رسالة دكتوراه في التاريخ المعاصر، جامعة منتوري بقسنطينة، السنة الجامعية 2007/2008، النسخة الالكترونية، ص ص 487-486.

وقد صرح محمد يزيد وزير الأخبار في الحكومة المؤقتة الجزائرية بعد ظهر يوم السبت 22 جويلية بالتصريح التالي: " إن العدوان الذي يجري الآن بجهة بنزرت ليس موجه إلى تونس وحدها بل إلى المغرب العربي كله، هذه العملية تعد امتدادا للحرب التي يواصلها الاستعماريون بالجزائر من غرة نوفمبر 1954، إن الشعب الجزائر وحكومته المؤقتة يقفان إلى جانب الشعب التونسي وحكومته ومقاومتها للعدوان الفرنسي وكفاحهما من أجل جلاء عن بنزرت إننا مستعدون للمساهمة في هذه المعركة بالرجال والعتاد الحربي وتحث على اتصال بالحكومة التونسية لتجد الوسائل التي نستطيع أن نؤازرها بما إخواننا التونسيين والحكومة التونسية طبعاً أن تقرر الصفة التي تعينها بما في المعركة الطاحنة ضد العدوان الفرنسي في جهة بنزرت.."¹.

وواصل قوله بالعودة لتوحيد الصف المغاربي لمواجهة مناورات فرنسا ولعبها على وتيرة التفرد بكل بلد على حدى بأن: " المهم في هذه التسويات الحاسمة بالنسبة لتونس والمغرب العربي هو تحقيق جبهة موحدة ضد العدوان العسكري والمناورات الاستعمارية إلزامية إلى بث الشقاق بيننا عن وحدتنا ينبغي أن تتجسد بعمل مشترك ومنسق وستجبر هذه الوحدة المعززة بطاقة شعبنا الجبارة العدو على التراجع... كما نتمنى أن يضطر التضامن الشمال الإفريقي الذي هو بصدد الظهور للعيان بخصوص بنزرت الاستعمار بين التروي ويضع حدا لمحاولاتهم الفاشلة لبث الشقاق بين شعبنا إننا متأكدون من أننا سنحرز على انتصار مشترك على الاستعمار الذي يحتضر كما يدل على ذلك عدوانه الجنوبي ضد تونس، أن الدم المغربي الذي يسيل في بنزرت كما يسيل في الجزائر يمثل أساساً مقدساً لتشييد صرح المغرب العربي في كنف تشارك سياسي واقتصادي أخوي."².

إن هذه التصريحات توحى بالمبادئ التي كانت تضبط السياسة الخارجية للثورة الجزائرية والتي تضمنها بيان أول نوفمبر 1954 ضمن أهدافه الخارجية للثورة وأرضية مؤتمر الصومام.

¹ - المجاهد: العدد 101، المصدر السابق، ص 10.

² - المصدر نفسه، ص 10.

زيادة على موقف الحكومة المؤقتة سجلت دورها المنظمات الجزائرية الخاصة بالعمال الطلبة والشباب والنساء الجزائريات¹ موقفها التضامني مع تونس في موقفها المطالب بتحرير بنزرت، وذلك من خلال البلاغ الذي صدر عنها وتضمن: "... يشير الاعتداء المنسق الذي يقوم به الاستعمار ضد تونس استنكار كافة الشعوب المحبة للحرية، إن هذا الاعتداء يعبر يشكل فظيع على أن فرنسا بالرغم من الظواهر لم تعدل عن أفكارها ومبادئها الاستعمارية، وإنها لا تتردد عن دروس الحرية وسيادة الشعوب من أجل المحافظة على استعمارها، إن تصميم الشعب التونسي الشقيق الذي يكافح لبسط سيادته على بنزرت المحتلة من طرف القوات الأجنبية أجابت عنه فرنسا بواسطة القوة وذلك بقنبلة وتقتيل المدنيين، إن المنظمات الوطنية الجزائرية التي تكافح منذ سبع سنوات لتحرير الجزائر تؤكد للشعب والحكومة التونسية تضامنها الأخوي ومساندتها الحازمة للكفاح الذي يقودانه لإجلاء القوات الفرنسية المعتدية من قاعدة بنزرت، وتعلن المنظمات الجزائرية عن عزمها في المساهمة في هذا الكفاح الذي هو كفاحها، ولا تحمل أية فرصة أو تتقهقر أمام أية تضحية من أجل التحرير كامل لشعوب إفريقيا الشمالية وتحقيق المغرب العربي الموحد"².

¹ - المنظمات الجزائرية: هي الاتحاد العام للعمال الجزائريين، الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، اتحاد النساء الجزائريات والشباب الجزائري.

² - المجاهد: العدد 101، المصدر السابق، ص 10.

3- دور البلدان المغاربية في دعم الثورة الجزائرية:

لقد كان من البديهي عند اندلاع الثورة الجزائرية في 1954، أن نجد جموع الشعوب العربية الإسلامية تتسارع وتتهافت لاحتضانها وبقلوب ملؤها للإيمان والثقة¹، وبحكم الموقع الجغرافي الغربي والمتصل لدول المغرب العربي، فقد نشطت الجماهير المغربية في تفعيل المساندة كمشاركة المتطوعين في المعارك جيش التحرير الوطني والمشاركة في عملية إنزال الأسلحة على السواحل المغربية، وكذلك الضغط على الحكومات لاتخاذ مواقف تجاه ثورة الجزائر، فإن التفاعل المغرب العربي كان أمرا طبيعيا تفرضه النضال المشترك والمصير الواحد في مكافحة استعمار واحد².

3-1 المغرب الأقصى:

رغم الخلافات الحدودية التي ارتبطت الطموح الملكي للتوسع إلا أن هذا لا ينفي أن المغرب ظل يساند القضية الجزائرية سياسيا وعسكريا ودبلوماسيا.

أقامت قيادة الثورة بالمغرب الأقصى مكتبا للدعاية والإعلام منذ أفريل 1956، ينشط بالرباط وطنجة وتطوان تحت إشراف "بعثة جبهة التحرير الوطني" بالمغرب وكان هذا المكتب يتكلف في البداية بطبع صحف الثورة وتوزيعها ثم أصبح يقوم بالدعاية الإعلامية والسياسية للثورة

¹- بسام العسلي: المجاهدون الجزائريون، الطبعة الثانية، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1986، ص 19.

²- لعرج جبران: المغرب الأقصى والثورة الجزائرية (1954-1962)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجيلالي اليااس، سيدي بلعباس، قسم التاريخ، 2009-2010، ص 49.

ويشرف على توزيع النشريات والصحف والتصريحات، ويقوم بإعداد التعاليق التي تسجل بالإذاعة، ويتصل بالصحف المحلية المغربية، والدولية، التي كانت تنشر أخبار وبيانات الثورة الجزائرية اعتمادا على تلك النشرات اليومية التي يعدها مكتب الدعاية والإعلام وعمل بهذا المكتب كل من مدني حواس وعلي مرحوم وزهير احدادن¹.

امتدت تأثيرات الثورة الجزائرية بعمقها الشعبي إلى كامل الشمال الإفريقي وكان لها بارز على تطور الأحداث بالمنطقة عمقت من قوة التضامن الشعبي، وأتاحت إمكانية التحام الكفاح المسلح ضد الاستعمار المشترك، فقد نسقت جبهة التحرير الوطني العمل العسكري مع المقاومة المغربية واستفادت من تعاونها في دعم القدورات العسكرية للمنطقة الغربية الجزائرية التي كانت تشكو من قلة السلاح.

أمام المواقف الصعبة التي واجهتها الحركة الوطنية المغاربية وتزايد الاهتمامات القطرية الضاغطة للحكومة المغربية فإن القضية الجزائرية سيلقي اهتماما سياسيا ومساندة شعبية، وستفرض تأثيراتها المباشرة على المغرب حكومة وشعبا وعلى طبيعة العلاقات الفرنسية التي ستواجه تأزما بسبب المشكل الجزائري وستعمل جبهة التحرير الوطني للاستفادة قدر الإمكان من الاستقلال المغربي لتفعيل نشاطاتها ودعم الكفاح التحرري انطلاقا المغربية متباينة في مساندة الثورة الجزائرية يمكن أن نميز فيها ثلاثة قوى ظهرت خلال الفترة من 1956 إلى 1958 هي:

- حركة المقاومة التي أكدت دعمها للثورة الجزائرية وضرورة استكمال السيادة المغربية.
- الحكومة المغربية ومثل فيها حزب الاستقلال الأغلبية بالإضافة إلى تيارات سياسية وعناصر موالية للقصر.
- نفوذ القصر ممثلا في الملك محمد الخامس وولي عهد الحسن فقد عبر عن دعمه المادي والمعنوي للجزائر كلما سمحت الظروف².

¹- ينظر مجموعة باحثين: الإعلام ومهامه أثناء الثورة، (أشغال ملتقى نظم بالجزائر العاصمة أيام 24-25 سبتمبر 1996)، سلسلة الملتقيات، منشورات م.و.د.ب.ح.و.ث. 54، الجزائر، 1998، ص ص 378-457.

²- عبد الله منقلاتي: دور المغربي العربي وإفريقيا في دعم الثورة الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص ص 128-129.

بحكم الحوار الجغرافي الجهود التنسيق السياسي شكل المغرب موقعا استراتيجيا ذلك أن طول الواجهة الحدودية ووضعية الكفاح المغربي سمحت للثوار الجزائريين بالمنطقة الخامسة من اعتماد قواعد خلفية لها بالحدود المغربية¹ وكسب التضامن الشعبي.

إن سياسية التعاون التي انتهجتها فرنسا مع الملك محمد الخامس كانت تهدف إلى تقييد المغرب وقطع مساعداته للثورة الجزائرية وأكدت ذلك بإبقائها للقوات العسكرية بالمغرب للضغط على النظام المغربي، لكن استمرار ثورة الجزائر وتركها وحيدة تواجه الاستعمار الفرنسي ليس بالإمكان الاحتراز منه بحكم الرابط والمصالح المشتركة للمنطقة وامتداد نفوذ الثورة الجزائرية داخل المغرب وحجم التجاوب الشعبي معها، وهذا ما جعل النظام المغربي يصطدم مع بداية الاستقلال بالموقف الفرنسي المتشدد بخصوص الجزائر والمطالب الجزائرية لدعم الثورة الجزائرية².

وتأكدت هذه الحقائق باقتناع شعوب المغرب العربي بأن الكفاح المشتت ضد عدو مشترك ليس مآله غير الفشل وبدا لبعض قادة حزب الاستقلال أن الاستقلال المغربي المتواصل إليه لا يزال ناقصا وأن المعركة لا تزال مستمرة، وأثبتت هذه المواقف التأثير الشعبي والسياسي على الحكومة المغربية لإبداء تضامنها مع القضية الجزائرية³.

انتهجت جبهة التحرير الوطني سياسة التقارب والتحالف مع المغرب للحصول على تسهيلات ودعم السلطات المغربية، فقد نددت الحكومة المغربية بسياسة القمع والاضطهاد الفرنسية بالجزائر ودعت إلى وضع حد لإراقة الدماء وإلى حل القضية الجزائرية سلميا⁴، كما ندد محمد الخامس بتواصل الاضطهاد الذي يتعرض له الجزائريون وأكد أن مشكلة الجزائر تقف عائقا أمام سياسة التعاون المغربية الفرنسية قائلا: "إني أجد نفسي مضطرا إلى أن أقول لكم بأن كل ما نحاوله من مفاهمة مع فرنسا سوف يكون ضعيفا ولا أساس له ما دام الوضع الراهن بالجزائر، وطالب بإيجاد حل سلمي للمشكل الجزائري يحقن الدماء ويحد من اضطهاد الشعب

¹ - أنظر إلى الملحق رقم 07 من الرسالة.

² - محمد قطاري: (الثورة الجزائرية وقواعدها الخلفية بالجبهة الغربية والعلاقات الجزائرية المغربية إبان ثورة التحرير الوطني)، الذاكرة، مجلة يصدرها

المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، العدد 3، (صيف 1995)، ص 127.

³ - المقاومة الجزائرية: العدد 04 (24 ديسمبر 1956)، ص 1.

⁴ - مصدر نفسه، العدد 10 (25 مارس 1957)، ص 3.

الجزائري، وأوضح أن الاحتراز والحياد الذي تطرحه فرنسا على المغرب لا يمكن تحقيقه لأن الشعب المغربي لا يمكنه السكوت عما يطال الشعب الجزائري¹.

وإثر التعرف على مدى استعدادات الحكومة الفرنسية للتفاوض تم الاتصال بمسؤولي جبهة التحرير الوطني المجتمعين بمدريد، وكانوا بدورهم يودون إطلاع مسؤولي البلدين تونس والمغرب بعروض المباحثات الفرنسية وبحث سبل التنسيق معهما في إطار الشمال الإفريقي، فقبلوا بدعوة محمد الخامس لزيارة المغرب قبل التوجه إلى عقد ندوة تونس المقررة في 23 أكتوبر 1956، واستقبل مسؤول وجبهة التحرير الوطني رسمياً من طرف محمد الخامس وأجرى معهم مشاورات قبلاً موعد الانتقال إلى تونس، وقد أثارت مواقف التأييد الرسمية هذه الإدارة الفرنسية بالجزائر وأظهرت حكومة غي موليه تحفظاتها من المقابلات التي قوبل بها الجزائريون بالرباط²، إلا أن مبدأ الاتصالات المواقف عليه من طرف الحكومة الفرنسية جعل الملك محمد الخامس يعتقد أن جهود الوساطة التي سيباشر رفقة الرئيس بورقيبة والقادة الجزائريين في تونس أمر يستحق التشجيع ويحدد مستقبل العلاقات بين فرنسا والشمال الإفريقي، وهذا ما تأكد منه الأمير الحسن وبورقيبة في باريس، وهذه الجهود كلها تعرضت لعرقلة خطيرة بعملية القرصنة الفرنسية للطائرة المغربية المقلدة للزعماء الجزائريين يوم 22 أكتوبر 1956، مما ترتب عنها عواقب حادة ليس على الجزائريين فحسب بل على كامل الشمال الإفريقي إذ أثارت ردود استنكار المغرب ملكاً وشعباً فضلاً عن أنها وضعت حداً لمساعي الحلول السلمية للمشكل الجزائري، فقد أثارت حادثة اختطاف زعماء جبهة التحرير الوطني بهذه الطريقة البوليسية استياء عميقاً في المغرب وأعلن الملك محمد الخامس من تونس أن عملية في الاختطاف هي تهجم مباشر على المغرب وخرقاً لجميع المواثيق الملزمة مع فرنسا وطالب بإطلاق سراح المختطفين وإعادة تم دون شرط، وفور عودته إلى المغرب قام باستدعاء السفير المغربي بباريس وقطع العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا، وهدد برفع القضية رسمياً إلى محكمة العدل الدولية في حالة عدم إذعان فرنسا لإطلاق سراح المختطفين.

¹ - مصدر نفسه، العدد 05 (12 جانفي 1957)، ص16.

² - Le Monde du (27 octobre 1956), p7.

لم يقتصر الموقف المغربي على الدعم السياسي والعسكري فحسب بل اهتمت الحكومة المغربية ببذل الجهود الدبلوماسية من أجل التعريف بالقضية الجزائرية في المحافل الدولية، وارتبطت بداية الجهود الدبلوماسية المغربية للتعريف بالقضية الجزائرية منذ استقلال المغرب وتركز وفوده الدبلوماسي في المحافل الدولية والإقليمية فقد أعرب الموقف المغربي عن اهتمامه بالقضية الجزائرية وانشغاله بمسألة استمرار الحرب التي تهدد الشمال الإفريقي، وانتقد السياسة الفرنسية المسلطة على الشعب الجزائري والدعاية الفرنسية التي تنكر وجود الشخصية الجزائرية، واهتمت الدبلوماسية المغربية بالدفاع عن القضية الجزائرية داخل الأمم، والعمل على كسب التأييد الدولي لصالحها والضغط على فرنسا للحد من سياستها الاضطهادية، وإيجاد حلول سلمية للمشاكل الجزائرية وتضمن الحفاظ على علاقات الصداقة الفرنسية الشمال إفريقية¹.

نظرا لأهمية المغرب وقربه من الدول الأوروبية فقد اهتمت جبهة التحرير الوطني بتفعيل نشاطها السياسي والدبلوماسي بالتنسيق مع الحكومة المغربي وكذا مع البعثات الدبلوماسية العربية والأجنبية المتواجدة بالمغرب حيث كانت تعقد الندوات الصحفية والاجتماعات التنسيقية لعرض تطور القضية الجزائرية².

أدى تمسك الدول الغربية بتأييد الموقف الفرنسي واعتبار الجزائر مشكلة داخلية تهم فرنسا لوحدها، أدعى إلى اعتماد الدبلوماسية المغربية على منظمة الأمم المتحدة لطرح القضية الجزائرية وتدويلها من أجل الاعتراف بوجود الهوية الجزائرية واستقلالها عن الكيان الفرنسي، إذ أكد المغرب في أول جلسة يحضرها بالأمم المتحدة على لسان وزير الخارجية أحمد بلافريج على ضرورة تدويل المشكل الجزائري والاعتراف بوجود الكيان الجزائري ودعا "لإيجاد تسوية سلمية للمأساة الجزائرية المؤلمة" واعتبرت جبهة التحرير الوطني حينها "أن المغرب سيكون أحسن مدافع عن قضية الجزائر المكافحة من أجل استقلالها³، ويدل الجهود الدبلوماسي المغربي خلال دورات الأمم المتحدة على التأييد المستمر للقضية الجزائرية فقد تبنت اللجنة السياسية لهيئة الأمم المتحد في ديسمبر 1957

¹ - المقاومة الجزائرية: العدد 4 (24 ديسمبر 1956)، ص 11.

² - إسماعيل ديش، السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954-1962، المرجع السابق، ص 106.

³ - المقاومة الجزائرية: العدد 3 (3 ديسمبر 1956)، ص 3.

مشروع توصية لتبني مبدأ الوساطة المغربية التونسية كحل للمشكل الجزائري وألقى الملك محمد الخامس خلال هذه الدورة خطاباً مؤثراً على مناقشات القضية الجزائرية أكد فيه حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره ودعا طرفي النزاع لإجراء مفاوضات تضع حلاً للمشكل الجزائري وطالب ممثل المغرب للأمم المتحدة أحمد العراقي خلال هذه الدورة بتنفيذ الإطار القانوني الذي تدعيه فرنسا بخصوص الجزائر موضحاً "أن القضية الجزائرية لا تتطلب مجرد إصلاحات بل هو مشكل سياسي لن يحله إلا الاعتراف بالشعب الجزائري بحق تقرير مصيره بنفسه"¹ وقد أثر هذا الموقف المغربي على الحكومة الفرنسية ففي الوقت الذي كان فيه مندوب فرنسا يطلب من المغرب وتونس التزام الحياد وتجنب تدويل المشكل الجزائري كان الملك محمد الخامس يشرح مبدأ استقلال الجزائر التام ويكلف السفراء المغاربة بالدفاع عن هذه الفكرة والعمل على نشرها"².

مما يسجل للمغرب منذ سنة 1960 أن تحركه الدبلوماسي لنصرة القضية الجزائرية عرف أشد مراحل التفاعل والتنسيق من خلال الاتصالات التي قام بها الملك محمد الخامس لنصرة المواقف الجزائرية وكسب المساندة الدولية لتأييد القضية الجزائرية، وانتدب ولي العهد الأمير الحسن لتمثيل المغرب خلال الدورة الخامسة عشر للأمم المتحدة في أكتوبر 1960 وأكد الأمير الحسن خلالها موقف بلاده الدائم على حق الشعب الجزائري في الاستقلال وضرورة تدخل الأمم المتحدة لإيقاف الحرب بالجزائر وحدد اعتراف المغرب في "أن الحكومة المؤقتة هي الناطق الوحيد باسم الشعب الجزائري" وأنها المفاوض الرسمي للوصول إلى تسوية سلمية³ ورغم اعتراف الحكومة الفرنسية بالحكومة الجزائرية المؤقتة كمفاوض وحيد إلا أنها تعمدت عرقلة المفاوضات وإثارة قضية الصحراء ومسألة التقسيم وهذا ما جعل المغرب يتدخل خلال دورة الأمم المتحدة في ديسمبر 1961 ليطلب بالإسراع في المفاوضات بين الجزائر وفرنسا وتنفيذ قرارات الأمم المتحدة للوصول إلى الاستقلال التام للشعب الجزائري والتأكيد على وحدته الترابية.

¹ - المجاهد: العدد 14 (15 ديسمبر 1957)، ص 6.

² - المصدر نفسه، العدد 17 (1 فيفري 1958)، ص 4.

³ - المصدر نفسه، العدد 80 (ديسمبر 1960)، ص 9.

إن الجهود الدبلوماسية والمواقف المؤيدة لمطالب الشعب الجزائري في الاستقلال اتسمت بنفس الفعالية والتوجه في مساعي المغرب لدعم القضية الجزائرية على المستوى الإفريقي إذ كان هذا المجال الإقليمي يحظى باهتمام مغربي خاص وتؤكد من خلاله الدور الهام الذي لعبه المغرب في جعل حكومات الدول الإفريقية وشعوبها تضاعف ومؤازرتها للقضية الجزائرية وتضامنها مع كفاح الشعب الجزائري منذ سنة 1958، وقد اقترنت مناسبة انعقاد مؤتمر أكر في 16 أبريل 1956 بتنظيم المغرب يوما تضامنيا مع الشعب الجزائري ألقى فيه الملك محمد الخامس خطابا أكد على اهتمام بلاده بتوسع دائرة التضامن مع الجزائر لتشمل شعوب القارة الإفريقية وأكد ممثل المغرب بمؤتمر أكر تأييد بلاده لقضية الشعب الجزائري وضرورة تكاتف وبذل الجهود لتأييد مطالب جبهة التحرير الوطني¹ واستمر الدعم الدبلوماسي المغربي للحكومة الجزائرية المؤقتة على المستوى الإفريقي في إطار مؤتمرات الدول الإفريقية، إذ بادرت الحكومة المغربية والدبلوماسية المصرية إلى الدعوة لعقد مؤتمر بمنروfia في أوت 1959 شاركت فيه الحكومة الجزائرية المؤقتة وأوصي المؤتمر بالاعتراف بحق تقرير مصير الشعب الجزائري ومواصلة التنسيق الدبلوماسية لنصرة القضية الجزائرية بالأمم المتحدة²، وخلال المؤتمر الثاني للدول الإفريقية المستقلة (بأديس أبابا) في جوان 1960 حظيت القضية الجزائرية بتأييد الدول الإفريقية وأكد ممثل المغرب أحمد طيبي في خطابه أن واجب إفريقيا يتمثل في عدم الانخداع بمؤامرات الاستعمار، ومساعدة الجزائر في الميدان الدبلوماسي وفي كل الميادين الأخرى لتمكينها من مواصلة الحرب...³ إلا أن جهود الدول الإفريقية المناصرة للقضية الجزائرية واجهتها بعض المواقف السلبية للدول المستقلة حديثا نتيجة تأثيرات دبلوماسية الدولة المستعمرة (فرنسا) على توجهاتها.

وإذا حاولنا تتبع موقف المغرب في دعم القضية الجزائرية على مستوى البلدان العربية وداخل جامعة الدول العربية فإننا نسجل العودة القوية للتوجه القومي في سياسة الحكومة المغربية منذ سنة 1959، وكان لمزاوجة السياسة المغربية بين التوجه الإفريقي والتوجه العربي دعامة قوية لمواقف الحكومة الجزائرية المؤقتة، إذ أكد المغرب وقوفه مع الدول العربية لمساندة الثورة الجزائرية

¹ -EL Moujahid, N°23,(5Mai 1958), T1, p p 444 - 445.

³ - Ibid, N° 4817Aout 1957) T2, p400.

³ -المجاهد: العدد98 (19جوان 1961)، ص2.

وتأييد قضية الشعب الجزائري في إطار جامعة الدول العربية فكان انعقاد الدورة الثانية والثلاثون لجامعة الدول العربية بالمغرب في سبتمبر 1959 حدثا هاما لدى شعوب المغرب العربي وتحميها وثيقا للبعد القومي في السياسة المغربية، وأكدت الدول العربية خلال الدورة مواصلة تأييدها للقضية الجزائرية والاستمرار في تنسيق الجهود الدبلوماسية لكسب تأييد الرأي العام الدولي لها، وشكلت عودة العلاقات المصرية-المغربية والزيارات الرسمية التي بادر بها محمد الخامس لعدد من الدول العربية في بداية سنة 1956 تأكيدا أكبر على البعد القومي لقضايا المغرب العربي، كما ساهم المغرب بانتظام في عقد المجالس والندوات العربية، وفي تحقيق الحد المطلوب من التضامن المادي والمعنوي مع القضية الجزائرية¹.

وتعدد بذلك مواقف ومستويات الدعم الدبلوماسي المغربي للقضية الجزائرية خلال المرحلة الأخيرة من الكفاح الجزائري لتؤكد مساندة نضال الشعب الجزائري، تأييد حكومته المؤقتة في الوصول إلى مفاوضات عادلة تضمن حق الشعب الجزائري في الاستقلال التام.

3-2 تونس:

حظيت القضية الجزائرية بمكانة هامة لدى التونسيين من حيث الاهتمام السياسي الدبلوماسي وحجم التضامن الشعبي، واعتمدت الثورة الجزائرية منذ انطلاقتها على الواجهة التونسية كمنطلق للتزويد بالأسلحة وتركيز القواعد الخلفية، والنشاطات السياسية والإعلامية.

نظرا لأهمية الإعلام في التعريف بالقضية الجزائرية انتهجت جبهة التحرير الوطني إستراتيجية واسعة في التجنيد والدعاية والتعريف بالثورة الجزائرية، واتخذت من دائرة المغرب العربي مركزا إعلاميا لأهمية المنطقة من جهة ولقربها من الجزائر المكافحة، فنقلت إليها صحفها المقاومة ثم المجاهد ليدخل مرحلتها العلنية انطلاقا من المغرب واستقرارا بتونس، ونظمت عدة برامج إذاعية لمواجهة الدعاية الفرنسية المسلطة على الرأي العام المحلي والدولي، فأنشأت أربع إذاعات بدول المغرب

¹ المصدر السابق، العدد 60 (25 جانفي 1960)، ص 2.

العربي تسمع صوت الثورة عبر أوضاعها للشعب الجزائري، وللجالية الجزائرية وشعوب المغرب العربي وللعالم كله¹.

إن فكرة التعاون بين أقطار المغرب العربي والتضامن بين شعوبه ما فتئت تحتل مكانا بارزا من اهتمامات الحركة الوطنية في كل من تونس والمغرب وليبيا والجزائر نتيجة الضرورة التي طرحتها المجاهدة المشتركة ضد استعمار واحد. وقد تمكنت لجنة تحرير المغرب العربي من تفعيل هذا التضامن ووضع خطط منسقة هدفت إلى التحرير الشامل لأقطار المغرب العربي.

واستطاعت جبهة التحرير الوطني إقامة علاقات تنسيق وتعاون مع السلطات التونسية، واتخذت الإجراءات الكفيلة للحفاظ على هذه العلاقات سواء المدنية أم العسكرية، ففي حين كلف الرائد قاسي بالإشراف على بعثة جبهة التحرير الوطني بتونس، كان أوعمران وابن عودة ينسقان النشاط العسكري بين وحدات جيش التحرير للحدود الشرقية والحرس التونسي، وهذا العمل التشاوري والتنسيقي حافظ على طبيعة التضامن بين الجزائريين والتونسيين، وسهل مهمة تمرير شحنات هائلة من الأسلحة بعكس الأسلوب القديم في التهريب.

وتواصلت مهمة تمرير الأسلحة بالتنسيق مع المسؤولين التونسيين طوال سنة 1957 وبعدها أدخلت تعديلات على خطوط المواصلات التي أصبحت مسموحة لمرور الثوار الجزائريين وتعرض هذا التنسيق لبعض الصعوبات بحسب الظروف وطبيعة العلاقات بين الطرفين.

كانت تونس البوابة الشرقية للثورة الجزائرية في دخول الأسلحة والمؤونة الحربية إليها، وقد أكد العديد من المجاهدين أن الحكومة التونسية- الجزائرية كانت من أهم معابر المجاهدين ونقل الأسلحة القادمة من ليبيا ومصر الشقيقتين، حيث ارتكز الدعم المادي بالنسبة للحكومة التونسية على فتح حدودها للثورة الجزائرية إلى جانب مراكز تجميع الأسلحة². لكن الملفت انتباه هو أن مجاهدي المناطق الشرقية أكدوا من جهتهم أن الحكومة التونسية كانت تأخذ ما يعادل 10% من

¹- عبد الله منقلاتي، دور المغرب العربي وإفريقيا في دعم الثورة الجزائرية، ج2، المرجع السابق، ص 82.

²- الملحق رقم 08 من الرسالة.

الأسلحة الجزائرية المهربة عبر حدودها، وقد يكون سبب ذلك راجع إلى الثقافة التي كانت عليها تونس آنذاك.

حظيت القضية الجزائرية بمكانة هامة لدى التونسيين من حيث الاهتمام السياسي وحجم التضامن الشعبي، وذلك بحكم الجوار وتوطد الصلات السياسية والاجتماعية بين القطرين ولهذا اعتمدت الثورة الجزائرية منذ انطلاقتها على الواجهة التونسية كمنطلق للتزويد بالأسلحة وتركيز الواعد الخليفة، والنشاطات الإعلامية والسياسية. وفي هذا الصدد سنحاول النظر في مظاهر التنسيق بين جبهة التحرير الوطني والحكومة التونسية بخصوص تأييد الثورة الجزائرية، وإبراز مواقف النظام التونسي من دعم الكفاح السياسي والتعبوي للقضية الجزائرية بالتعرض لخلفيات الموقف التونسي وأبعاده ومدى فعاليته في دعم القضية الجزائرية وتطور العلاقات بينهما.

لم يكن بوسع تونس عشية استقلالها أن تعلن دعمها للثورة الجزائرية، أو تبدي تأييدها لأهداف جبهة التحرير الوطني في كفاحها، خاصة وأن النفوذ العسكري والاقتصادي الفرنسي بقي سيد الموقف ولم يتحقق استقلال تونس التام، لذا راحت تونس تباشر مفاوضات التعاون النهائية من جهة لتعزيز الاستقلال، وتقدم دعمها لنشاط الثوار الجزائريين بصورة خفية، وتناور من خلال بذل الجهود السلمية لإيجاد حلول للقضية الجزائرية من جهة أخرى.

لقد تدعم نشاط جبهة التحرير الوطني بتونس منذ شهر ماي 1956، وذلك بإنشاء النظام السياسي والعسكري للثورة الجزائرية تحت مسؤولية عبد الحى الأوراسي وجماعة الداخل¹ وبعدها بإشراف محساس، وقدمت الحكومة التونسية تسهيلات معتبرة للثورة الجزائرية وأصبح لهذه الأخيرة نفوذها الخاص في تونس منذ سنة 1956².

¹ - أرسل عبان رمضان كلا من حامد روابجيه وآيت أحسن لتمثيل جبهة التحرير الوطني بما عوض عبد الحى الأوراسي لكن هذا الأخير لم يتقبل الأمر بسهولة وأدت الخلافات بينه وبين بحاجة الداخل إلى تدخل السلطات التونسية التي طالبت من مسؤولي الوفد الخارجي تنحية عبد الحى فأرسل ابن بلة على محساس كممثل لجبهة وجيش التحرير الوطني بتونس، ينظر إلى عبدا لله منقلاتي، دور المغرب العربي وإفريقيا في دعم الثورة الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص 73.

² - Mohamed Guentari: Organisation Politico-Administrative et militaire de la révolution algérienne de 1954 à 1962, OPU.A légère, 1994, T I p715.

كان موقف الحكومة التونسية التضامن مع الجزائر تعبيرا عن رغبة الشعب التونسي فقد اعتبر ورهانا سياسيا لتحقيق الانتصار السياسي على المعارضة اليوسفية وذلك بكسب الجزائريين إلى جانبه، وتنظيم نشاطهم بشكل يحقق الاستقرار والأمن في تونس لذا بادرت حكومة بورقيبة بكسب الجزائريين إلى صفها والحصول على اعتراف جبهة التحرير الوطني بنظامها، وتحقيق الاستقرار والنظام في تونس بشكل يؤهل الرئيس بورقيبة لإقامة علاقات التعاون مع فرنسا، وفي إطارها يسهل معالجة مشاكل الشمال الإفريقي، عبر أن المشكل الجزائري وقف عائقا أمام سياسة التعاون التي أملت الحكومة التونسية إقامتها مع فرنسا، وتعرضت المفاوضات التونسية- الفرنسية حول اتفاقية التعاون إلى الانقطاع المستمر نتيجة تصلب الموقف الفرنسي، وإصراره على بقاء القوات الفرنسية في تونس وضرورة إيقاف مساعدة الثوار الجزائريين، والتزام موقف الحياد بخصوص المشكل الجزائري¹.

لقد أكد بورقيبة في أول عهده بالسلطة التنفيذية تأييده العلني للثورة الجزائرية واستعداده للاستجابة لمطالبها بشكل سري، وقد تضمنت مطالب جبهة التحرير الوطني عشرين بندا تقريبا، كان الكثير منها يشكل في تلك المرحلة الحاسمة مشكلات حقيقية لتونس ومنها: إنشاء منظمة مدينة وعسكرية لجبهة التحرير الوطني في تونس تنشط بشكل سري، وتقديم مساعدات عملية لمجاهدي جيش التحرير الوطني، والتدخل لدى السلطات الفرنسية لإطلاق سراح الموقوفين الجزائريين في تونس².

لقد كان مسطرا لندوة تونس أن تدرس مسألة دعم الثورة الجزائرية ووحدة المغرب العربي، لكن اختطاف الزعماء حال دون ذلك، وأفسح المجال لسياسة بديلة تبنتها لجنة التنسيق والتنفيذ في تونس، وتهدف إلى حشد الدعم الرسمي والاستفادة من الأهمية اللوجستية لتونس.

قد تحملت تونس الكثير من أجل إرساء علاقة تعاون مع جبهة التحرير الوطني، فقد عاشت في نهاية 1956 أزمة عصفت بقيادة الجبهة، فرغم أن قادة الوفد الخارجي اعتقلوا إلا أن الصراع استمر بين الداخل والخارج، وتشير كثير من الشهادات المعتمدة أن ابن بلة ومحساس

¹- أحمد توفيق المدني، حياة كفاح مذكرات، ج3، المصدر السابق، ص 154.

²- Mohammed Lbgaoui : Vérité sur la révolution Algérienne, Op, cit, pp105,106.

وقادة أوراس النمامشة والقاعدة الشرقية حضروا لعقد اجتماع تصحيحي على هامش ندوة تونس المغاربية، وأنه وصلهم من ابن بلة خطاب مسجل يعدد فيه المزالق التي وقع فيها المؤتمرون، ويدعوا إلى تصحيح كثير من بنوده بما في ذلك مسألة التراجع عن الإستراتيجية المغاربية والمرجعية القومية، وقد تدخلت السلطات التونسية لتحجز الخطاب المسجل¹.

إن استمرار مساندة الحكومة التونسية للثورة الجزائرية واعتبارها مشروع الوساطة حلا سياسيا حاسما لمعالجة المشكل الجزائري سبب فتور العلاقات التونسية-الفرنسية، وأكدت تونس فشل أسلوب التعاون المنتهج مع فرنسا، إذ شكلت مسألة الجزائر حجر عثرة أمام تواصل سياسة التعاون التي كانت تونس في أمس الحاجة إليها لتصنيع البلاد، وهذا ما جعل الرئيس بورقيبة يعيد النظر في سياسة بلاده الخارجية، فقد أكد أنه " لا سبيل إلى تعاون صحيح نزيه دائم بيننا بين فرنسا ما دامت الجزائر تحت الاستعمار الفرنسي... لا يمكن أن تكون (ضماننا) مرتاحة للتعاون مع دولة تستعمل وسائل جهنمية لقمع حركة استقلالية ترمي التحرر والانطلاق"، وأمام الضغوط الفرنسية المتوالية أعلن الرئيس بورقيبة موقف بلاده الصريح في رفض شكل التعاون المشروط الذي تطرحه فرنسا، وأكد ذلك قائلا: "إنني أصرح بصفتي رئيس حكومة لأننا لسنا بحاجة إلى تلك القروض إذا أريد بها استعمالها وسيلة ضغط علينا"، كما مارست القوات الفرنسية بالجزائر ضغوطا على الحكومة التونسية بحجة تتبع الثوار الجزائريين وقطع المساندة التي يتلقونها من تونس، وشهدت القرى والمدن التونسية القريبة من الحدود حملة متزايدة من الاعتداءات والمطاردات، أثارت تدمير السكان الذين تعرضوا للاعتداء وهدمت منازلهم وأتلفت مزارعهم وطالبت الحكومة التونسية بوضع حد لهذه الأعمال المخالفة للاتفاقيات المبرمة بين تونس وفرنسا ولللقانون الدولي، وأكدت وجوب احترام سيادة الأراضي التونسية وجلاء القوات الفرنسية عن تونس، ولم تسبب هذه الاعتداءات قطع التضامن التونسي، بقدر ما زادت تآججا، ولجأت السلطات الفرنسية للمطالبة بإقامة منطقة حدودية محايدة تفصل الجزائر عن تونس تحرسها القوات الأهمية أو قوات مشتركة تونسية فرنسية كإجراء وحيد لكف اعتداءاتها²، وأمام فشل أسلوبها العسكري اهتدت إذن إلى

¹ - محمد عباس: ثوار ... عظماء، مطبعة دحلب، الجزائر، 1992، ص ص 95 - 96.

² - المجاهد، العدد 17 (01 فيفري 1958)، ص 2.

مناورة حراسة الحدود بهدف الحد من نشاط الثوار المتزايد وقطع الإمدادات والاتصالات بين تونس والجزائر، وهذا ما أكده رئيس الحكومة الفرنسية جميع الوسائل اللازمة لإنهاء الإعانة التي تمنحها تونس للجزائريين يجب أن يفهم السيد بورقيبة بأنه يعرض الصداقة التونسية الفرنسية إلى الخطر، وقد أوضحت الحكومة التونسية استنكارها للاعتداءات التي تسلطها القوات الفرنسية على التونسيين والجزائريين واتخذت إجراءات أحادية للحد منها، ورفضت أي شكل من أشكال التدخل في تونس، وعدم قبولها بإقامة قوات مشتركة لحراسة الحدود أو أن تقوم القوات الأممية بهذه المهمة التي ستكون في غير صالح الجزائريين¹.

ويتضح لنا إذن أن التضامن التونسي مع الثورة الجزائرية أعطى دعما سياسيا مهما لكفاح الشعب الجزائري، مما جعل السياسة الفرنسية تفشل في عزل الجزائر عن الدعم والتأييد التونسي، ولكن ضغوطها واعتداءاتها على تونس لم تؤدي إلا إلى تأكيد خطورة القضية الجزائرية وضرورة وضع حد لحرب الجزائر، وأدى ذلك إلى تعزيز موافق جبهة التحرير الوطني وانعكس إيجابا على تدويل القضية الجزائرية.

إن النظام التونسي كان يريد إنجاح لسياسة المراحل كحل للقضية الجزائرية يحقق لتونس مكاسب على حساب استقلال الجزائر، وانتقل بورقيبة لتوجه النصح إلى ممارسة الضغوط على الثورة الجزائرية للقبول باستقلال جزئي ينهي الحرب التي أثقلت كاهل تونس، وقطعت السلطات التونسية الإرادة الطيبة التي كانت تعامل بها الجزائريين فمنعت وصول الأسلحة وضايقت جيش التحرير الوطني بالحدود وجاءت حادثة أسر هذا الأخير لطيار فرنسي طالبت الحكومة الفرنسية بتسليمه ليثار الخلاف بين الحكومة التونسية والحكومة الجزائرية المؤقتة في جوان 1961²، ولجأت الحكومة الجزائرية المؤقتة إلى حل الخلاف سليما مهادنة الحكومة التونسية وأمرت بتسليم الطيار الفرنسي لكن هيئة الأركان العامة تلكأت في الاستجابة لهذا الطلب، واحتجت بتقديم استقالته مشهورة بسياسة الحكومة الجزائرية اللينة اتجاه تونس وانتقدت الرئيس بورقيبة بأنه يحاول إبراز الموالين له من الحكومة الجزائرية كقياديين للثورة وأنه يضع مطالبة الترابية بالجنوب هدفا لسياسته إذ أكدت

¹ - عمار قليل: ملحة الجزائر الجديدة، ج2، منشورات قسنطينة، 1991، ص77.

² - محمد حربي، جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، المرجع السابق، ص ص 224-225.

في بيان استقالتها أن بورقيبة لم يمتنع يوما عن الضغط على السكان الفقراء (السوف) كي يطالبوا بالهوية التونسية بشأن المطالب الترابية للصحراء وخلال معركة الجلاء التي خاضتها تونس لاسترجاع بنزرت ففي الوقت الذي هوجمت فيه بنزرت قام الجيش التونسي باحتلال منطقة سوف الجنوبية، واعتبرها أرضا تونسية وردت الحكومة الجزائرية بإعلان تضامنها مع الشعب التونسي في معركة بنزرت عارضة استعدادها لوضع ما عسى أن تحتاج إليه تونس لمجابهة العدوان الفرنسي، وضحت بذلك بقطع الفرنسيين لمفاوضات (لوزان) مع الوفد الجزائري¹، وفي الوقت نفسه عبرت الحكومة الجزائرية عن استيائها من الموقف التونسي باحتلال المناطق الجنوبية وإغلاقها للحدود وعقدت اجتماعا طارئا لتدارك الموقف واختارت خيار المهادنة بدل أن يقوم جيش التحرير الوطني بفتح الحدود بقوة²، لكن هذه الخلافات الظرفية لم تكن تحجب في الحقيقة مبررات تضامن الشعب التونسي وتأييد الحكومة التونسية لاستقلال الجزائر ومساندة مطالب الحكومة الجزائرية المؤقتة في الوصول للاستقلال، فأحيت تونس مهرجان التضامن المؤيدة لمطالب الحكومة الجزائرية المؤقتة وفي الحفاظ على الوحدة الترابية وإطلاق سراح المساجين السياسيين، ولم يمنع ذلك النظام التونسي من المطالبة بالإسراع في إنهاء المفاوضات وطرح المطالب الترابية لتونس، وهي ضغوط أدت إلى استياء الحكومة الجزائرية مع بداية سنة 1962، وأشيع آنذاك أن الحكومة الجزائرية المؤقتة تنوي نقل مقرها من تونس³، لكن وبعد عودة طاقمها من أشغاله بالمغرب تراجع النظام التونسي عن موقفه، وعقدت اجتماعات بين الطرفين تطرقت إلى علاقاتهما وإلى تطورات الجزائرية⁴، وأكدت الحكومة التونسية دعمها للوفد الجزائري المفاوض من أجل الوصول إلى اتفاق نهائي في مفاوضات (إيفيان)، واستمر التأييد والتضامن التونسي للقضية الجزائرية بعد أن أدرك بورقيبة قرب انتصارها، وفشله في تحقيق مطامحه وتمكنت الدبلوماسية الجزائرية وهي تخوض معركة المفاوضات الحاسمة من تليين موافق النظام التونسي وتجاوز ضغوطه بالاعتماد على تضامن الشعب التونسي لمؤيد لقضية استقلال للجزائر التام.

¹ - المجاهد: العدد 101 (31 جوان 1961)، ص 10.

² - فحجي الديب، عبد الناصر والثورة الجزائرية، المصدر السابق، ص 508.

³ - المصدر نفسه، 508.

⁴ - المجاهد: العدد 115 (19 فيفري 1962)، ص 2.

لعل ما لاقاه الطلبة الجزائريون بتونس من مساندة ودعم نشاطاتهم يعتبر ميدانا هاما يبرز صورا من التضامن الطلاي التونسي تجاههم، أما ميدان الكفاح النضالي للعمال الجزائريين فوجد أشكالا مختلفة من الدعم والمساندة النقابية بتونس وعبر الاتحاد العام التونسي للشغل عن اهتمامه بدعم نشاطات العمال الجزائريين ومؤازرة القضية الجزائرية، وكان التعاون والتنسيق وثيقا بين نقابتي الاتحاد العام التونسي للصناعة والتجارة. وتأكدت صلات النقابتين منذ احتضان تونس ودعمها لنشاطات النقابة الجزائرية للصناعة والتجارة¹. وعمل اتحاد الشباب الجزائري منذ تأسيسه سنة 1960 بتونس على ربط صلاته بمختلف المنظمات والهيئات الشبانية، كذا الاتحاد التونسي للشبيبة الذي ساهم في تسهيل نشاطاته بتونس وتأكيد دعمه ومؤازرته له على المستوى الإقليمي والدولي².

وكان للمرأة التونسية مساهمات تضامنية مع القضية الجزائرية من خلال تأييدها للنساء الجزائريات ونضال الاتحاد العام للنساء الجزائريات، وخاصة الاهتمام بالوضعية الاجتماعية للاجئين الجزائريين بتونس، وقد وجه الاتحاد النساء التونسي في سنة 1956 نداءا لنساء العالم يلفت انتباههم للقضية الجزائرية ولآلام الشعب الجزائري ودعتهم للعمل بكل الوسائل لإنهاء الحرب ومؤازرة اللاجئين الجزائريين³، وأشرف الاتحاد النسائي التونسي على استقبال المساعدات الإنسانية الدولية وتوزيعها على اللاجئين الجزائريين، وأكد باستمرار دعمه لنضال الاتحاد العام للنساء الجزائريات منذ إنشائه سنة 1958 وتأييده للقضية الجزائرية وقد رفع خلال مؤتمره الثالث في 16 أوت 1960 لائحة بخصوص الجزائر أكد فيها تضامنه المطلق وتأييده لكفاح الشعب الجزائري وناشد الرأي العام الدولي لوضع حد لمأساة الحرب الجزائرية واعتبرت النساء التونسيات أن حل القضية الجزائرية لن يتم إلا بتحقيق الاعتراف بحرية واستقلالها⁴.

قدمت الدبلوماسية التونسية مساندتها الفعالة للثورة الجزائرية واهتمت بحل القضية الجزائرية وإيجاد تسوية سلمية لحرب الجزائر سواء في إطار التعاون مع فرنسا أو الضغط عليها بكل الوسائل

¹- المصدر السابق، العدد 02 (سبتمبر 1956)، ص 9.

²- El Moudjahid, N°88(21 Décembre 1961), T3, p 646.

³- المقاومة الجزائرية: العدد 16، (03 جوان 1957)، ص 2.

⁴-المجاهد: العدد 75 (22 أوت 1960)، ص 2.

الممكنة بهدف الاستجابة لمطالب الشعب الجزائري وإنهاء حرب الجزائر المرتبطة في تونس أشد الارتباط ومن أجل الحفاظ على الأمن بمنطقة الشمال الإفريقي واعتبرت تونس أن مصير الشعب الجزائري سيكون كمصير كفاح التونسيين وأن ما يعترض المشكلة الجزائرية هو الإطار القانوني الذي تصر فرنسا على عدم إعادة النظر فيه.

اهتمت تونس منذ استقلالها بمسألة تدويل القضية الجزائرية والسعي لإيجاد الحلول الدبلوماسية لها داخل الأمم المتحدة فكانت تونس من أبرز المدافعين عن قضية الجزائرية بهذا المحفل الأممي، وأوضح الرئيس بورقيبة في أول حضور لتونس بهيئة الأمم المتحدة اهتمام بلاده المشكل الجزائري ودعا فرنسا للاعتراف بحق الشعب الجزائري الطبيعي في السيادة وطالب الأمم المتحدة ضرورة تدويل القضية الجزائرية قائلا: "لقد تأكد أن تساعد هيئة الأمم فرنسا على تجديد صيغة علاقاتها بالشعب الجزائري ويعبر عن إرادة الشعب الجزائري التي لا تتزعزع في أن تعترف بحقه الطبيعي في الاستقلال"¹.

ولقيت القضية الجزائرية جهودا مكثفة لتدويلها خلال دورة ديسمبر 1957 بالأمم المتحدة بفضل فكرة الوساطة التي عرضتها تونس والمغرب، والجهود المبذولة للدبلوماسية التونسية في تنسيق المواقف مع الأقطار الآفرو-آسيوية ومواجهة للموقف الفرنسي المتشدد رد ممثل تونس المنجي سليم على افتراءات وزير الخارجية الفرنسي كريستيان بينو في خطاب مطول كان له تأثيره على أعضاء الجمعية العامة، شدد فيه على تأكيد هوية الجزائر المستقلة عن الإطار الفرنسي، وذكر أن حوادث الجزائر ليست مجرد تهدة للأوضاع بل هي حرب شرسة تطال الشعب الجزائري، ودعا المنجي سليم إلى تأييد مشروع الوساطة التونسية المغربية للإسراع بإيجاد حلول سلمية للقضية الجزائرية غير أن نص هذا المشروع الأممي ووجه بمعارضة فرنسية شديدة².

وتضاعفت مساعي تونس الدبلوماسية للتنديد بسياسة الاضطهاد والتقتيل الممارسة ضد الشعب الجزائري ودعت الرأي العام العالمي والمنظمات الدولية إلى تأييد القضية الجزائرية، وطالب ممثل تونس خلال الدورة الثالثة عشر للأمم المتحدة بضرورة الاعتراف بوجود طرفين متحاربين،

¹- المقاومة الجزائرية، العدد 03 (03 ديسمبر 1956)، ص ص 2-6.

²- المجاهد: العدد 14 (15 ديسمبر 1957)، ص 2.

والسماح لممثل جبهة التحرير الوطني مناقشات القضية الجزائرية خلال الدورة المقبلة للأمم المتحدة، وعلى هامش انعقاد هذه الدورة أقام المنجي سليم حفلا على شرف الوفد الجزائري حضره وفدا المغرب وليبيا، وعدد من الدبلوماسيين والصحفيين وتم التأكيد خلاله على الدعوة لنصرة القضية الجزائرية والاعتراف بحق الشعب الجزائري في الاستقلال¹.

وبدأت مناقشات القضية الجزائرية كطرف ملاحظ، وافتتح ممثل تونس جلسة المناقشة بخطاب أكد فيه خطورة الوضع الحالي في الجزائر، وضرورة الوصول إلى حل سلمي لتجسيد اعتراف فرنسا بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، لكن فرنسا مارست ضغوطات على الدول الموالية لها لإفشال مشروع قرار أممي يجسد ضمانات حق تقرير المصير للشعب الجزائري²، مما أثار ردودا تونسية لشجب مناورات الدبلوماسية الفرنسية والتأكيد على ضرورة تحقيق ضمانات مناسبة وفعالة لإجراء المفاوضات، خاصة بعد فشل محادثات (مولان) ومناقشة القضية الجزائرية في دورة الأمم المتحدة خلال أكتوبر 1960، إذ سجلت الدبلوماسية التونسية تحركات فعالة لتأييد مطالب الحكومة الجزائرية المؤقتة، وتأسف ممثل تونس على فشل مفاوضات، وأكد "أن الحل الوحيد يتمثل في إجراء استفتاء جدي تحت إشراف الأمم المتحدة وأن بلاده ستستمر في دعم الحكومة الجزائرية المؤقتة³، وقد حققت هذه الدورة قرارا حاسما في كسب التأييد للاعتراف بحق الشعب الجزائري في الاستقلال.

3-3 ليبيا:

تجمع الجزائر وليبيا علاقات ممتدة في الزمن، فهما بلدين متجاورين جغرافيا ومتضامنين على مر العصور، وهما يشتركان في التاريخ والجنس والدين واللغة... الخ، وكل هذا أسهم في تفعيل حركة التضامن بين الشعبين والبلدين الشقيقين في العصور الحديثة والمعاصرة. وخاصة حركة التحرر الوطني خلال القرن العشرين. واحتلت ليبيا مكانة مهمة في إستراتيجية الثورة التحريرية كونها تمثل معبرا مهما لمرور الأسلحة، وحليفا سياسيا مساندا للقضية الجزائرية، وقد فرض نظامها السياسي

¹- المصدر السابق، العدد 56 (30 نوفمبر 1959)، ص 2.

²- المصدر نفسه، العدد 56 (15 ديسمبر 1959)، ص ص 6-7.

³- المصدر نفسه، العدد 80 (17 أكتوبر 1960)، ص 9.

الملكي الفيدرالي على قادة الثورة التكيف مع خصوصيات البلاد، وقد وطدوا مع بعض المسؤولين علاقات خفية، وكان لابد من الوصول إلى ترسيم هذه العلاقات في عام 1956، والتحالف مع الملك إدريس ومع الحكومة والسلطات الفيدرالية.

كانت ليبيا أثناء الثورة التحريرية بمثابة الرئة التي تتنفس بها الجزائر آنذاك، فمند اندلاع ثورتها التحريرية كانت الدفعات الأولى من الذخيرة الحربية المتوجهة إلى الجبهة الشرقية من الجزائر التي كانت تعتبر المنفذ الوحيد الذي تدخل منه الأسلحة لتوزع على الجهات الأخرى داخل الوطن، وقد نشطت قواعدها الخلفية في عملية الإمداد والتموين، فإذا كانت الجبهة المغربية قد تكلفت بتسليح وتموين المناطق الغربية للوطن فإن الجبهة الشرقية ممثلة في تونس وليبيا قامت بدور متكامل في وصل خطوط إمدادات الأسلحة إلى مناطق الولايات الشرقية والصحراء، وتحملت ليبيا العبء الأكبر منذ اندلاع الثورة التحريرية في تزويد بالأسلحة والذخيرة، كما قدمت أشكالا أخرى من الدعم العسكري وهذا ما سنحاول إبرازها من خلال هذا العرض، وقد أقيمت المهمة على كاهل الإخوة الليبيين الضالعين في الأمر والمختصين في تهريب الأسلحة من قاعدة العظم البريطانية ومعسكرات الجيش البريطاني المنتشرة في مختلف أنحاء برقة التي تعرضت للرقابة الشديدة من طرف الانكليز، وبالتالي انتقل نشاط التهريب إلى طرابلس¹.

مثلت مسألة التزود بالأسلحة والذخيرة هاجسا كبيرا بالنسبة للشوار الجزائريين عيشة اندلاع الثورة التحريرية، فعلى الرغم من التزام القيادة المصرية بإمداد الجزائريين بالأسلحة فإن الأسواق الأوروبية لم تكن في المتناول، ولهذا توجهت أنظار الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني المكلف بالتسليح إلى صحراء ليبيا، حيث تنشط تجارة الأسلحة الخفيفة وتوفر مخازن الأسلحة البريطانية بصحراء برقة، واتفق ابن بلة والمسؤولين المصريين على تكليف بعض العناصر الليبية المتخصصة في تهريب الأسلحة لتوفير كمية من الأسلحة الخفيفة لمختلف أنحاء برقة وطرابلس².

¹ - مريم صغير: مواقف الدول العربية من القضية الجزائرية 1954 - 1962، ط 2، دار الحكمة للنشر، الجزائر 2012، ص 110، وأنظر إلى

تفاصيل حوار مع المجاهد علي كافي، "مجلة الوحدة، العدد 488، من 1 - 6 نوفمبر 1990، ص 15.

² - فتحي الديب: عبدا لناصر والثورة الجزائرية، المصدر السابق، ص 52 - 53.

لم تبخل الحكومة الليبية على دعم الجزائريين بأي شيء تملكه، بل أبدت كل الاستعداد لتنفيذ طلبات الجزائريين الخاصة بتهريب الأسلحة، واعتبرت ذلك تحقيقاً لرغبة الشعب الليبي في مشاركته في الجهاد مع أخيه الشعب الجزائري، وبحلول أول ماي 1956، ألتقى الوفد الجزائري بنظيره الليبي بحضور السيد مصطفى بن حليم رئيس الحكومة وقائد الجيش الليبي وقائد الطيران والمسؤول المباشر على المطارات الليبية في الجنوب، ونظراً لأهمية اللقاء فقد تم في بيت السيد رئيس الحكومة الليبي، حتى تتم الأمور في السرية التامة، خاصة وأن اللقاء في مجمله كان حول قضية تهريب السلاح وكيفية إدخاله إلى الأراضي الجزائرية، وأهم ما ميز هذا اللقاء هو النتيجة الإيجابية التي خرجها الوفدان، بحيث طرح ممثل الوفد الجزائري الأستاذ أحمد توفيق المدني إشغالات الجبهة والمتمثلة فيما يلي¹:

- توفير الأجواء اللازمة والحرية الكاملة لتمرير السلاح الجزائري بين منطقة (السلوم) المصرية ومدينة طرابلس الليبية.
- إمكانية البحث عن وسائل حكومية ليبية تسمح بشراء الأسلحة باسمها للجزائريين الذين بدورهم يتسلمونها في العاصمة طرابلس الغرب، ثم يتم تهريبها إلى الجزائر.

وكانت هناك ثلاث واجهات لعبور الأسلحة هي كالاتي:

على الرغم من الرقابة التي تفرضها القوات الفرنسية على الحدود ظلت هذه المنطقة مركزاً رئيسياً للتهريب، وذلك باستخدام قوافل الإبل التي تمرر الأسلحة على مخازن سرية بالقرب من مدينين التونسية وتأتي فرق جيش التحرير الوطني لإدخال إلى الجزائر وتدعم نشاط الجزائريين بتونس مع إنشاء شبكة للتهريب عبر الجنوب التونسي أشرف على تنظيمها عبد الرشيد يوس ولقيت دعماً كبيراً من أنصار صالح بن يوسف.

خلال النصف الثاني من سنة 1956 نظمت شبكة بحرية لنقل السلاح من جزيرة ثروة (ليبيا) إلى جرجيس (تونس)، وذلك بإشراف خمس جزائريين مكونين في الملاحه، ولكن هذه

¹ - المصدر السابق ، ص 141.

الشبكة توقف نشاطها بعد حادثة (آتوس)، وعلى الرغم مما قدمته الحكومة التونسية إغراءات لمواصلة النقل البحري فقد رفض المسؤولون كانت تراقب بإحكام السواحل التونسية.

ترسل قوافل الإبل من طرابلس إلى غدامس لإدخال الأسلحة إلى الصحراء الجزائرية، وبالرغم من أن هذا الطريق شاق جدا ويتعرض لكماثن الفرنسيين إلا أنه أرسلت عبره دفعات عدة، وهذا ما أكده المجاهد **محمود كروود** بقوله أن **إبراهيم بكدة** أحد أعيان (إيليزي) اتصل بقيادة الجبهة بليبيا ونسق معها عمليات تهريب بمعاونة من الليبيين، "أرسلت الدفعة الأولى في أوائل 1956 إلى منطقة (إيليري) أما الدفعة الثانية فوصلت أواخر 1956 .

وأكد الملك **إدريس السنوسي** أثناء لقائه مع المسؤولين الجزائريين في جوان 1956 دعم ليبيا للكفاح الجزائري وصادق على ما قرره الحكومة الليبية بشأن مرور الأسلحة موضحا أنه أعطى أوامره لقائد جيش الحدود للسماح لدخول السلاح دون أي اعتراض¹ .

ومما سبق إيضاحه يتبين لنا أن الأراضي الليبية اعتبرت أثناء الثورة التحريرية بمثابة المنفذ الرئيسي لممرور الأسلحة إلى الجزائر، وقد لقي نشاط الجزائريين في تهريب الأسلحة كل الدعم والمؤازرة الليبية حيث قدمت ليبيا حكومة شعبا خدمات معتبرة لتسهيل مرور الأسلحة² .

إن تعبئة الحكومة الليبية للشعب الليبي في دعم شقيقه الشعب الجزائري فتحت المجال واسعا أمام لجنة التبرعات لمواصلة النضال لصالح الثورة الجزائرية، وكانت المراسلات المستمرة بين أعضاء اللجنة وبعض قادة جبهة التحرير منها الرسالة التي بعثها السيد **حسين آيت أحمد** إلى أحد أعضاء لجنة جمع التبرعات البارزين وهو السيد **المشيرقي** يشكره فيها على الكتاب الذي أرسله إليه وكذلك الرسالة التي بعثها له في أول نوفمبر³ .

فقد حافظت جبهة التحرير الوطني على علاقاتها الوطيدة مع الملك **إدريس السنوسي** الذي ذهب في تأييد الثورة الجزائرية إلى أبعد الحدود، وإذا كانت الحكومة الوزارية في النظام الليبي

¹ -A.N.A :Carton N°4 -8.

² - أنظر إلى الملحق رقم 09 من الرسالة.

³ - فتحي الذيب، المصدر السابق، ص 312.

مخولة بصلاحيات واسعة في التشريع والسلطة من طرف الملك فإن هذا الأخير باعباره السلطة العليا في البلاد كان يتدخل باستمرار لصالح الثورة الجزائرية، ويوصي الحكومة و المسؤولين في الإدارة والجيش بتسهيل أمور الجزائريين والوقوف إلى جانبهم، وكان المسؤولون الجزائريون يلجؤون إليه بقصره كلما واجهتهم مشاكل مع الحكومة الليبية أو اقتضى الأمر أخذ استشارته في أمر ما، كما وطدوا علاقاتهم بوزير القصر ومدير التشرifications الملكية البصري شلحي الذي كان يتدخل بدوره لدى الملك لتلبية مطالب الجزائريين، وقد عرف بإخلاصه الجزائرية¹.

لقد قدمت الحكومة الليبية تسهيلات معتبرة لتأمين مرور الأسلحة الجزائرية وأكدت موقفها المساندة لجبهة التحرير الوطني وتنديدها الشديد بالسياسة الفرنسية المنتهجة بالجزائر، فإثر عملية القرصنة الجوية التي طالت زعماء جبهة التحرير الوطني الخمسة قامت مظاهرات شعبية ضخمة للاحتجاج على هذه العملية، وكادت الجموع الشعبية أن تجتاح مقر السفارتين الفرنسية والبريطانية كما أثارت هذه الحادثة حفيظة واستنكار السلطات الليبية، مما جعلها تتدخل لتوضح موقفها المساندة للقضية الجزائرية، إذ اجتمع مجلس الوزراء الليبي يوم 23 أكتوبر 1956 وقرر إبلاغ الحكومة الفرنسية استياء البالغ، واحتجاج ليبيا الرسمي على هذا العمل المنافي للقوانين الدولية وطالب بوجوب إطلاق سراح الزعماء الخمسة².

بذلت الحكومة الليبية جهودا معتبرة في دعم القضية الجزائرية سياسيا من خلال تأييدها المباشر لقضية استقلال الشعب الجزائري ودعمها لكفاح الجزائر التحرري، فلقد توسع النشاط السياسي لجبهة التحرير الوطني ليبيا منذ جوان 1957، وهو تاريخ إنشاء مكتب بعثة جبهة التحرير الوطني بليبيا كهيئة سياسية تنهض بالشؤون والمصالح المختلفة للثورة الجزائرية كالإعلام والدعاية والشؤون الاجتماعية والثقافية، وبخاصة التنسيق السياسي مع السلطات الليبية وتمثيل الثورة والسهر على مهمة التسليح والتموين، ويؤكد المسؤولون عن البعثة الجزائرية بليبيا أن السلطات الليبية قدمت خدمات هامة لتسهيل نشاطهم السياسي وتفعيل مختلف المصالح العاملة

¹ - ANA :Carton N°4,Dossier N°4, - 14 (rapport sur contact avec les autorités libyennes).

- تقرير كتبه مسؤول قاعدة ليبيا بشير القاضي حول اتصالاته بالسلطات الليبية مؤرخ في 1958/09/05 مرسل إلى جبهة التحرير الوطني بالقاهرة.

² - فتحي الذيب، المصدر السابق، ص 279.

بليبيا فلقد تحصلوا على مكاتب ومحلات خاصة لمزاولة نشاطهم¹، وافتتحت إذاعة طرابلس وبنغازي لتبليغ صوت الجزائر، وقدم للهلال الأحمر الجزائري الطابق الأرضي من بناية فحمة تتوسط العاصمة طرابلس، ثم استجاب رئيس الحكومة لوضع كامل البناية تحت تصرف البعثة حيث أصبحت المقر الرئيسي لها، وفي شهر أوت 1958 أعيد تنظيم الملح المختلفة للبعثة فتم فتح مكتب الشؤون الخارجية للقيام بالنشاط السياسي والدبلوماسي وتأطير مختلف المصالح المدنية وأشرف عليه بشير القاضي، وقد النشاط والتعبوي بدور هام في تعبئة الدعم السياسي الحكومي والشعبية للقضية الجزائرية².

وقد حدد ممثل ليبيا بالأمم المتحدة موقف بلاده الصريح من القضية الجزائرية، انتقد سيد الجري وزير خارجية ليبيا في ديسمبر 1957 السياسة الاضطهادية الفرنسية بالجزائر، وأكد أن بلاده تصر على اعتبار جبهة التحرير الجزائرية ممثلا شرعيا للشعب الجزائري وأن الجزائر كيانا مستقلا عن الشخصية الفرنسية³، واستمرت الحكومة الليبية في العمل على كسب التأييد والمؤازرة للقضية الجزائرية، فقد كانت الحكومة الفرنسية تدرك أهمية الدعم والمساندة التي يلقاها الجزائريون بليبيا، خاصة وأن السلطات الليبية سمحت بفتح مركز لجيش التحرير الوطني بمنطقة (فزان)، شن في شهر سبتمبر 1957 اعتداءات على قافلة فرنسية للإمداد فقامت القوات الفرنسية بتهديد الحكومة الليبية والاعتداء على سكان قرية (ايسين) الليبية، ولم يكن الاعتداء على قرية (ايسين) هو الاعتداء الفرنسي الوحيد، إذ تعرضت مناطق الحدود الجزائرية الليبية باستمرار لاعتداءات القوات الفرنسية، ولعل أخطر ما تعرضت له نفس القرية سنة 1958، وأدت هذه الاعتداءات إلى تعكير العلاقات الليبية الفرنسية وأكدت من جديد تجند الشعب الليبي للمطالبة بإلغاء الاتفاقية الليبية الفرنسية ومضاعفة الدعم والمساندة للكفاح الجزائري⁴.

أكدت ليبيا موقفها الثابت في نصره القضية الجزائرية، وإثر الخلاف الذي نشب بين جبهة التحرير الوطني والحكومة التونسية تسلمت الحكومة الليبية مذكرة لجنة التنسيق والتنفيذ

¹- الصديق محمد الصالح، الشعب الليبي الشقيق في جهاد الجزائر، المرجع السابق، ص 128.

² ANA : Carton N°4, Dossier N°4 - 1 (rapport fonctionnement base).

³- المجاهد: العدد 14، (15 سبتمبر 1957)، ص 7.

⁴- الصديق محمد الصالح، الشعب الليبي الشقيق في جهاد الجزائر، المرجع السابق، ص ص 85 - 86.

وبخصوص هذه القضية، فأشعر بشير القاضي رئيس الوزراء الليبي بحيثيات القضية لمعرفة موقفه، ويذكر أنه حاول خلال الاجتماع إفهام رئيس الوزراء أن رفضه لمشروع الاتفاق القاضي بتمرير البترول عبر التراب الليبي وتنازله عما قد تجنيه ليبيا من هذا المشروع يكون قدم خدمة كبيرة للجزائر، وأكد له رئيس الوزراء من جهته: "بأن ليبيا من الملك إلى آخر رجل من الشعب الليبي قد صدموا بإبرام هذا الاتفاق الذي لا يهدف إلا إلى تأخير وقف الحرب في الجزائر"¹.

يؤكد لنا هذا التأييد الليبي المبكر أن القضية الجزائرية فرضت نفسها على السياسة الخارجية للحكومة الليبية، وذلك على الرغم مما تميزت به هذه السياسة من الازدواجية وعدم الوضوح في التوجه، فمعلوم أن ليبيا لم تنظم إلى الأحلاف الغربية لكنها كانت وطيدة الارتباط بها نتيجة وجود قواعد أجنبية بأراضيها، ومن ناحية أخرى فرغم وقوعها تحت طائلة الضغوط الغربية كان تتخذ مواقف معادية للإمبريالية وتتضامن مع القضايا العربية والإفريقية وتقيم علاقات مع الدول الاشتراكية، وهذا التوجه المزدوج والمصادم أحيانا لم يكن يقف حائلا أمام إعراب ليبيا عن مساندتها للقضية الجزائرية نظرا لما توليه الأوساط الحاكمة بليبيا من أهمية وأسبقية لهذه القضية بالذات، فركزت الجهود لدعمها سياسيا ودبلوماسيا، وفي هذا الاتجاه كان لها دور دبلوماسي فعال سواء على مستوى علاقاتها الثنائية أو على مستوى المحافل والمنظمات الدولية².

تميز عقد الخمسينات بعقد المؤتمرات الدولية التي تمس قضايا الاستقلال والحرية، انتهز الهادي المشيرقي باسم اللجنة الفرصة للتعريف بالقضية الجزائرية، وطلب النجدة الفعلية التي تمكن الوطنين من مواصلة الكفاح المسلح، حيث استغل فرصة اجتماع الوفود الإسلامية والأجنبية بتونس بمناسبة احتفالها بعيد الاستقلال بعد أن تحصلت الأخيرة على استقلالها في 22-03-1956، وحثها على اتخاذ موقف موحد نحو القضية الجزائرية.

وأثناء مناقشات القضية الجزائرية أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ديسمبر 1957 أكدت ليبيا وقوفها إلى جانب القضية الجزائرية، ورد مندوبها سيد الجربي على مزاعم فرنسا مفندا

¹ - ANA :Carton N°4 -5 (rapport en sujet de l'interview avec le 1^{er} ministre lycéen).

- تقرير كتبه بشير القاضي حول فحوى مقابلته للوزير الأول الليبي بتاريخ 1958/07/27 وأرسله إلى دباغين بالقاهرة.

² - مجموعة مؤلفين: تاريخ الأقطار العربية، ج2، المرجع السابق، ص262.

ادعاءاتها التي تقول بأن الجزائر مشكلة فرنسية داخلية، وأوضح الجربي في خطابه المؤثر ما يتعرض له الشعب الجزائري من قمع وإرهاب بقوله: "إن الحرب التي تشنها الحكومة الفرنسية في الجزائر أنموذج للحرب الاستعمارية نظرا لما خلفته من دماء من آلام وتشريد للمدنيين العزل". وأوضح أن حرب الجزائر انعكست سلبا على الأقطار المجاورة وهي "تتفاقم كل يوم وتهدد السلام في المناطق المجاورة لها"، وندد بالاعتداءات الفرنسية على الحدود المغربية والتونسية والتي طالت ليبيا كذلك، وأوضح في ختام تدخله وقف بلاده بقوله: "إننا نرى بكل بساطة أنه يجب على فرنسا أن تتخلص من ثلاث اعتبارات ليست لها أية صلة بالواقع، وهذه الاعتبارات هي:

- الجزائر جزء لا يتجزأ من التراب الفرنسي.
- جبهة التحرير الوطني الجزائري لا تمثل الجزائر.
- المعمرون الفرنسيون الذين هم ليسوا كلهم من أصل فرنسي لا يمكن لهم أن يعيشوا مطمئنين في الجزائر المستقلة¹.

وحظيت القضية الجزائرية في هذا المحفل الدولي بتأييد دبلوماسي لبي مستمر أكد دعم ليبيا بكل الوسائل الممكنة لمبدأ استقلال الجزائر، وتمثل ذلك جليا من خلال تطابق المطالب الليبية مع أهداف الحكومة الجزائرية المؤقتة في ضرورة التوصل إلى مفاوضات عادلة تضمن وزير الخارجية الليبية خلال الدورة الخامسة عشر للأمم المتحدة المجتمع الدولي للاعتراف باستقلال الجزائر ووحدتها الترابية².

أكدت ليبيا مساندة نشاط الهيئات السياسية الدبلوماسية للثورة الجزائرية في العديد من البلدان التي كانت تربطها بها علاقات الصداقة والتعاون، ويمكننا أن نذكر في هذا المجال مؤازرة الحكومة الليبية لجبهة التحرير الوطني في إرساء ممثلها الدبلوماسيين بتركيا، وإيطاليا، وسويسرا على سبيل المثال، إذ قدمت ليبيا كل الدعم والمساندة لقبول الحكومة السويسرية بانضمام الحكومة الجزائرية المؤقتة إلى اتفاقية (جنيف) الدولية التي تحدد سلوك المتحاربين، وكان ذلك نصرا دبلوماسيا كبيرا للجزائر تحقق في جوان 1960 بفضل قبول الحكومة الليبية بالتوسط لتقديم ملف الترشيح

¹ - ينظر خطاب سيد الجربي أمام الدورة الثانية عشر للأمم المتحدة ب المجهاد: العدد 14 (15 ديسمبر 1957)، ص 7.

² - El Moudjahid, N°82(25Juin 1961),T3, P514.515.

باسمها، ويذكر محمد بجاوي أنه تقدم رفقة لمفاوض الليبي منصور الكهية بالطلب إلى الحكومة السويسرية وأرفقه برسالة الوزير الأول الليبي التي حول بها ملف الانضمام إلى الحكومة السويسرية، " فكان عسيرا أن الحكومة السويسرية تأبى أن تسلم رسالة دبلوماسية واردة من حكومة هي حكومة جلاله الملك إدريس التي تربطها بها علاقات ودية.

كما نسقت الدبلوماسية الليبية تعاونها مع الحكومة الجزائرية، وأكدت حضورها الدائم خلال المؤتمرات والندوات الإفريقية ومؤازرتها لقضية الكفاح الجزائري، والتزمت بتنفيذ القرارات المتخذة في أكرا ومنروفا وتونس، وقد أكد مندوب ليبيا خلال مؤتمر منروفا في أوت 1959 على ضرورة اعتراف الدول والشعوب الإفريقية بحق الشعب الجزائر بكل الوسائل المادية والمعنوية¹.

ولقد تواصل الدعم الليبي للقضية الجزائرية وثورة أول نوفمبر، حيث شهدت الأراضي الليبية عدة اجتماعات ومؤتمرات مصيرية بالنسبة للشعب الجزائري وثورته المباركة، كان من أبرزها الدورة الثالثة للمجلس الوطني للثورة الجزائرية.

¹ - El Moudjahid, N°23(05 Mai 1958), Tl, P 444.

الفصل الثالث:

أثر الثورة الجزائرية على البلدان الإفريقية.

أولاً: تأثير النضال الجزائري على البلدان الإفريقية قبل 1954.

ثانياً: تأثير الثورة الجزائرية على البلدان الإفريقية بعد 1954.

سنتطرق في هذا الفصل إلى التعرض إلى أثر الثورة الجزائرية على بلدان إفريقيا من خلال التعرف على الأوضاع السياسية العامة لإفريقيا فبعد التعريف على الروابط الحضارية بين الجزائر وإفريقيا ثم الإشارة إلى علاقة احتلال الجزائر باحتلال إفريقيا ثم تعرض إلى الأوضاع السياسية العامة لإفريقيا، تطرق إلى الجزائر وفكرة توحيد إفريقيا، سنركز في هذا الفصل على أهمية الثورة الجزائرية ودورها في تحرير بعض الدول الإفريقية من الاستعمار الأوروبي بكافة أشكاله وأنواعه وإيقاظ الأفارقة من سبات النوم الغفلة وتحريضهم على الكفاح والمقاومة، تبيان الدور الذي قامت به الثورة الجزائرية في تحرير بعض الشعوب الإفريقية.

أولاً: تأثير النضال على البلدان الإفريقية قبل 1954:

إفريقيا من قارات العالم القديم التي يعتقد البعض أنها قد تكون الوطن الأول للإنسان لكن مع ذلك فقد ظلت معرفة العالم الخارجي بها أو على الأقل بما في داخلها ضعيفا حتى القرن التاسع عشر حين نشطت حركة الكشوف الجغرافية، فتاريخ إفريقيا الحديث في جملته يتصل بعلاقة الأوربيين بالذات بهذه القارة تلك العلاقة التي بدأت بمحاولات الكشف عن خبايا القارة ثم انتهت إلى استعمار الأوربيين القارة¹.

1- الروابط الحضارية بين الجزائر وإفريقيا :

شهدت القارة مولد أقدم الحضارات في العالم، ارتفع فيها صرح الحضارة المصرية القديمة بعدها حضارة نباتا ومروي في السودان، من أقدم العصور وقبل أن تبدأ المناطق الأخرى في العالم أولى مراحل تحضرها رغم أن موقعا وخاصة الجزء الشمالي منها، كانت على أهمية كبيرة نتيجة لجورها ومواجهتها لقارتي آسيا وإفريقيا إلا أن ظروف جغرافية أخرى، غير الموقع جعلت العالم يجهلها²، فأطلق الكتاب الأوربيين على إفريقيا القارة السمراء وذلك لأنها حتى أوائل القرن 16 لم تكن معلومة للعالم الخارجي ما عدا بعض شواطئها والأسباب التي دفعتهم لإطلاق هذا التعريف عديد نذكر منها:

أ- لأن سكان إفريقيا كانوا أقواما سود البشرة.

ب- لأن إفريقيا ارتبطت بالتخلف والبعث عن الحضارة.

ج- لأنها لم تكن معلومة للأوربيين قبل القرن السادس عشر³.

لكن هذه الأسباب إذا أخضعناها للتأمل والبحث التاريخي نجد أنها تطابق الواقع والحقائق التاريخية، أما الإدعاء الأول أن إفريقيا يسكنها أقوام سود البشرة فقط فهذا غير صحيح لأن المؤرخ

¹ - شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديث المعاصر، المرجع السابق، ص 03.

² - جلال يحيى: تاريخ إفريقيا الحديث المعاصر، المرجع السابق، ص 03.

³ - فيصل محمد موسى: موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة، 1997، ص 36.

الإغريقي هيرودوت الذي زار إفريقيا سنة 457 ق م حيث أطلق وصف (بلاد البيضان) على الشريط الساحلي الأمامي لشمال إفريقيا، بينما وصف (بلاد السودان) على الأقاليم الذين قطنوا خلفهم الكلمة (إثيوبيا) معناها - ذوي الوجوه السمراء - أما الأقاليم الذي سكنوا في ساحل إفريقيا الشرقي وهي البلاد الصومال الحالية فلم يكن لون بشرتهم أسود وإنما كانوا لا يزالون سمرا يميل لونها للبياض، أما للإدعاء الثاني بأن اسم إفريقيا ارتبط بالتخلف فهذا أيضا غير مطابق للحقائق التاريخية لأن أقدم الحضارات التي شهدتها العالم قد نشأت في إفريقيا بل إن هناك آراء تجري دراستها الآن بأن إفريقيا هي موطن الإنسان الأول، وأهم هذه الحضارات التي لا زالت آثارها تحير الباحثين هي الحضارة الفرعونية التي يرجع تاريخها إلى 4500 سنة ق م، وكذلك الحضارة النوبية أو الكوشية والحضارة الفينيقية وحضارات غرب إفريقيا، وقد امتد أثر هذه الحضارات إلى اتحاد عديدة من العالم فالحضارة الهلينية الإغريقية تأثرت في مظاهرها بالحضارة الفرعونية مثل عبارة الإله (سرابيس) وبعض الباحثين يرى أن هناك علاقة بين الحضارة الفرعونية وحضارتي (الأزتيك و الملباس) في مناطق أمريكا الوسطى والمكسيك وبين الحضارة النوبية في مناطق أمريكا الوسطى والمكسيك.

أما الأدباء الثالث بأن إفريقيا لم تكن معلومة للأوروبيين قبل ذلك فهذا أيضا إدعاء غير موقف لأن إفريقيا كانت معلومة للعالم الخارجي منذ قديم الزمان، فقدماء المصريين والعرب كانت لهم معرفة بأجزاء عديدة من القارة الإفريقية فالنقوش تشير إلى أنه كانت هناك علاقات بين مصر وبلاد النوبة التي تقع في الجنوب من عصر الدولة القديمة في مصر 300 ق م¹.

تتمتع قارة إفريقيا بموقع استراتيجي مهم، فهي قلب العالم القديم لا يفصلها عن القارة الأوروبية سوى البحر المتوسط الذي يضيق كثيرا عند مضيق جبل طارق، وعن قارة آسيا البحر الأحمر الذي يضيق عن مضيق باب المندب، في الوقت الذي يرتبط شمالها الشرقي بآسيا عن طريق شبه جزيرة سيناء وقناة السويس.

¹ - فيصل محمد موسى: موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 37.

إن سعة مساحة القارة أدت إلى تنوع مظاهر السطح فيها، وتنوع مناخها خاصة وأنها تمتد حيث العروض المدارية الشمالية والجنوبية، وقد أدى ذلك إلى تنوع مواردها الاقتصادية وبخاصة الزراعية التي تعتمد على المطر أو على الرعي من الأنهار الكثيرة، فتزرع بها الحبوب الغذائية والقطن والتبغ الكاكاو والبقول السوداني وزيت النخيل والبن والشاي وغيرها الكثير من المحاصيل الزراعية¹.

فقد كان لإفريقيا تاريخها الثري من قبل أن تغزوها أوروبا وغيرها سجله الفتح والاستعمار الأوروبي، أن عصر السيطرة الأوربية قصير بل هو لا يقع إلا بالهامش التاريخي الإنساني أما قبل ذلك بكثير في عهد تطور الإنسان نفسه، كانت إفريقيا تسهم في تشكيل التاريخ، وبينما كانت مراكز الحضارة الأوربية تزدهر وتضمحل ثم تنتشر من أخرى كانت هناك إمبراطوريات تقوم وتحكم وتقاوم و تنهزم في إفريقيا أيضا.

لقد أسقط التطور العام كثير من المقولات خطأ والأوهام الشائعة التي طالما امتلأت بها كتابات مغرضة، وهنا يجب الإشارة إلى رفض الكثيرين تبني مقولة "أن الرجل الإفريقي الأسود ليس تاريخ أو حضارة قبل تقدم الاستعمار الأوربي، وأن اللغات الإفريقية المنطوقة والمكتوبة ليس لها إسهام ثقافي أو دور.

إن إفريقيا لها تاريخها الخاص بها الذي أثبت الرحالة والغزاة وبالتجارة الحتمية من أقطار بلغ فيها التسجيل التاريخي عدة الموضوعات تكرر تنقلها وإفريقيا لها أحوال من تطوير سياسي واقتصادي وجغرافي وثقافي وديني².

وما يقال عن موارد القارة الزراعية يقال عن ثروتها المعدنية فالنفط يشكل موردا أساسيا للبعض من الدول الإفريقية أمثال ليبيا ونيجيريا والجزائر، وتم بعد ذلك مصر والسودان وفيها كميات من الذهب والماس، وهما من أندر المعادن الثمينة، وكميات كبيرة من النحاس والكروم والكوبالت و المنغنيز والفوسفات والصفير والفحم وغيرها وليست هناك قارة حياها الله تعالى بهذا الكم من الموارد الطبيعية كالقارة الإفريقية.

¹ - جعفر عباس حميدي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 11.

² - محمود السيد، تاريخ إفريقيا القديم والحديث، المرجع السابق، ص 05 ، 06.

تعرضت القارة الإفريقية في تاريخها الطويل إلى غزو القوى المجاورة، وخاصة تلك التي اندفعت من القارة الأوروبية بهدف استغلال مواردها البشرية والطبيعية، وكان الاستعمار الحديث الذي بدأ مطلع القرن السادس عشر من أسوأ ما تعرضت له القارة من استنزاف الأمر الذي دفع إلى ظهور المقاومة الإفريقية لتحرر من تلك السيطرة الاستعمارية¹.

كان طبيعياً أن يدافع الإفريقي عن حقوقه الطبيعية، وحقه في التمتع بحريته الكاملة دون تدخل أجنبي وحقه في أن يتمتع بحياته الخاصة كما أرادها هو وحقه في أن يستغل خيراتها، لذلك قام الأوربيين حين أخذوا يسيطون سلطاتهم على السواحل والموانئ الإفريقية وحين أخذوا يتوغلون للدخل وحين امتدت أبصارهم وأيديهم للأفارقة أنفسهم الخيرات بلادهم فحفل التاريخ إفريقيا الحديث، ثم المعاصر بحركات المقاومة للتدخل الأجنبي.

وقد اختلفت السياسات التي اتبعتها الدول الاستعمارية في إدارة مستعمراتها في موقفها من الوطنيين فبعضها حكم مستعمراته حكماً مطلقاً وحاول القضايا تماماً على الشخصية الخاصة المستعمرة وللوطنيين مدعياً أنه يحكم شعوباً لا حضارة لها ولا قدرة لها على المساهمة في أي نشاط، بينما توسع البعض الآخر سياسته أكثر مرونة فاستعان بالعناصر الوطنية لتنفيذه مخططاته ووجد أنه يستطيع بذلك تحقيق أهدافه كاملة يسير وبتكاليف أقل².

هنا وقد جر الأوربيين الأفارقة معهم في معارك الحربين العظيمة الأولى والثانية التي خاضها الأوربيين في صراعهم بعضهم ضد البعض الآخر، فكان الأفارقة يحاربون في صف هذه أو تلك مع الدول الأوروبية أثناء محنتهم أو أنهم كانوا لينفرون المشاركة في هذه الحرب دون إرادتهم ومهما يكن الدافع وراء إشراك الأفارقة في هذين الحربين وتحملهم التضحيات الجسام في هذه الميادين فإن النتيجة الحتمية كانت يقظة الوعي القومي الإفريقي، واشتداد حركات المقاومة للاستعمار الأوربي والتصدي للاتجاه الدول الأوروبية للحنث بوعودها التي قدمتها بسخاء أثناء الحرب في محاولة لاكتساب الأفارقة لتقديم المزيد من التضحيات في ميادين القتال وخلفها لكن

¹ - جعفر عباس حميدي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 11.

² - شوقي عطا الله الجمل و عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 3، 4.

الأوروبيين حاولوا بعد أن خرجوا من هذه الضيقة الكبرى أن يتحللوا من وعودهم على أن التيار التحرري كان أقوى وانتهى الأمر بإجبار المستعمر أن يحمل عصاه ويرحل.

وتشير إلى أن الوعي الأفريقي أسفر عن محاولة للتقارب مع حركة النضال في القارة الآسيوية، فقط كانت شعوب القارتين تعاني من نفس المشكلة فأسندت حركة التضامن (الآسيوية الإفريقية)، والاجتماعات المتعددة لقادة وزعماء الدول في القارتين، وكذلك الجهود الأفارقة سواء المقيمين خارج القارة أو المناضلين بها إلى قيام منظمة الوحدة الإفريقية عام 1963، ساعد على ذلك ما حظي به عدد غير قليل من الأفارقة من ثقافة وعلم وما ساهمت به التجارب المتعددة والمتراصة التي مرت بها شعوب القارة الإفريقية من صقل للشخصية الإفريقية في مختلف اتحاد القارة¹.

لقد كانت الصحراء الإفريقية مرتبطة ارتباطا عضويا بدول الشمال أو بدول المغرب وقد أكد ذلك علماء الآثار على أن وجود علاقات تجارية بين الشمال وغرب إفريقيا عبر الصحراء ليس بالشيء الجديد وتقول بعض المصادر أن الفينيقيين كانت لهم علاقات مع شمال إفريقيا جنوب الصحراء ويدلل على ذلك بما عرف بتجارة المقايضة التي كانت تتم عبر الصحراء وخاصة بعد أن ذُكر أن الذهب كان جزءاً مهماً في هذه التجارة وهو من أهم صادرات غرب إفريقيا في مقابل الملح كما أكد ذلك الجغرافيون في كتاباتهم **كابن حوقل** الذي زار منطقة أودغست وكومي صالح ونهر النيجر وكذلك **عبيد الله البكري** صاحب المغرب من ذكر بلاد إفريقيا والمغرب الذي زار منطقة وسط غرب إفريقيا حتى نهر السنغال و**الأدرسي** صاحب كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الأفاق) وغيرهم من الجغرافيين الذين أكدوا تلك الروابط التجارية والفكرية بين الإقليمين والتي تعود إلى القرن الثامن الميلادي (8م) إذ كانت هناك تجارة مزدهرة لاسيما بين إمبراطورية غانا ودول المغرب وكان للمرابطين دور كبير في نشر الإسلام بالممالك الإفريقية كمملكة مالي²، ومنذ ذلك الوقت لم تكن دول ما وراء الصحراء في مغزل عند دول الشمال فكان المستعمر - فرنسا - هو الذي يساعد على تكوين الترابط بين الشمال والجنوب وساعد المستعمرين على حمل لواء

¹ - شوقي عطا الله الجمل و عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديث المعاصر، المرجع السابق، ص 4.

² - المرجع نفسه، ص 5.

الكفاح والتحرير والتخلص من الهيمنة والاستبداد. ولقد تمكنت أيضا من أحداث مجادلات وانقسامات داخل الأحزاب والمنظمات الإفريقية لاسيما الحزب الديمقراطي لغينيا P.D.G الذي كان يقوده أحمد سكوتوري¹.

2- تغلغل الاستعمار الفرنسي في إفريقيا عبر صحراء الجزائر (1881-1912):

بعد أن فازت فرنسا بنصيب الأمة وأتم لهم بسط نفوذها على الجزائر في عام 1830، ثم تليت فرنسا في عام 1881 أن استهدفت في هذه المرة بسط نفوذها على تونس، أما بسط النفوذ الفرنسي على مراكش فقد تم في عام 1912، بعد أن تخلصت فرنسا من معارضة أغلب الدول الأوروبية بهذا الاتجاه، كان للفرنسيين أيضا النصيب الأكبر من استعمار أجزاء كبير من إفريقيا²، فقد أتاح لهم اتجاه نشاط الانجليز إلى شرق القارة وجنوبها الفرصة لتثبيت أقدامهم في عدة مناطق³.

شهدت فرنسا في الفترة ما بين 1830 - 1871 ظاهرة عدم الاستقرار السياسي والحروب خاصة حرب السبعين مع بروسيا وكلها عوامل استغلت فرنسا من التوجه الاستعماري في إفريقيا، بحيث لم يكن لفرنسا حتى عام 1880 في غرب القارة الإفريقية سوى السيطرة على مصب نهر السنغال.

ويبدو أن هزيمة فرنسا في حرب السبعين وحضارتها الألزاس واللورين قد دفعت ميدان الاستعمار لتعويض هذه الخسارة لتوجيه الرأي العام الفرنسي نحو الخارج والحصول على تأييد

¹- أحمد سكوتوري: ولد في 1922 في فارنا (غينيا) ويقول أنه حفيد ساموري ذلك المجاهد الذي قاوم الغزو الفرنسي في عام 1941 أصبح عاملا في مصلحة البريد وانخرط في صفوف التنظيم النقابي حتى صار عام 1945 لسكرتير العالم لاتحاد عمال البريد أحد يؤدي دورا هاما في شؤون غينيا، وصار سكرتيرا عاما لجنح غينيا في الاتحاد العالم لتضامن العمال عام 1948 أصبح من نشطاء حزب الديمقراطي الغيني الذي أسس تنظيمه بين سنتي 1947 - 1954 أصبح أحمد سيكوتوري السكرتير العام للحزب الديمقراطي الغيني، رئيسا للمجلس التنفيذي رئيسا للوزارة، أصبح رئيس حكومة لجمهورية غينيا.

²- انظر إلى الملحق رقم 10 من الرسالة.

³- محمد علي القوزي: في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص ص 24 - 25.

التجار الرأسماليين الفرنسيين، وساعدها على ذلك انعقاد مؤتمر برلين الذي أباح الدول الأوروبية اقتسام القارة الإفريقية¹.

كانت فرنسا أكثر الدول الأوروبية نشاطا في غرب إفريقيا، وكانت بداية هذا النشاط الفرنسي رحلات وصلت إلى السنغال يقصد تأسيس محطات تجارية في هذه المنطقة وترتب على ذلك تكوين ما عرف بإفريقيا الغربية الفرنسية (Afrique occidentale française) من سبع مستعمرات (السنغال وموريتانيا والسودان الفرنسي وغينيا الفرنسية وساحل العاج، فرنسا العليا، وداهو في النيجر).

أمتد نفوذ الفرنسيين على الضفة اليمن لنهر الكونغو نتيجة لجهود بعض المكتشفين والرواد الفرنسيين في مقر منهج الكابتن دي برازا (De Braza) وقد امتد نفوذ الفرنسيين في هذه المنطقة شمالا حتى وصل لمنطقة نفوذهم في شمال إفريقيا بعد استيلائهم على الصحراء ويكون ما أطلق عليه اسم إفريقيا الاستوائية الفرنسية (Afrique équationnel française) من المستعمرات (تشاد إفريقيا الوسطى والكاميرون والكونغو الفرنسية وغابون)².

قد استطاعت فرنسا أن تنبت أقدامها في نقاط ساحلية في (السنغال) وغينيا (الفرنسية)، (الساحل العاج) و(داهومي) وأن تتخذ من هذه النقط وسيلة لتوغل للداخل فمد الفرنسيون نفوذهم صوب الشرق وسيطروا على (النيجر) و(تشاد)، وهكذا أمكنهم ربط مستعمراتهم في شمال القارة في غربها، وقد قدرت المساحة التي وضعت فرنسا يدها عليها في غرب القارة بسدس المساحة الإجمالية للقارة³.

سعت فرنسا مد نفوذها شرقا، فأرسلت في عام 1898، ثلاث حملات إحداهما من الجزائر والثانية من الكونغو الفرنسي والثالثة من السنغال، وتقدمت الحملات الثلاث شرطا واستولت في ماي 1899 على مدينة زندر (Zinder) الواقعة في شمال كانو واستمرت في تقدمها شرق

¹ - جعفر عباس حميدي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 90 ، 91.

² - شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 280 - 281.

³ - محمد علي القوزي، في تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 25.

واصطدمت بقوات رابح الزبير الذي استطاع أن يوقع الهزيمة بالفرنسيين في أكثر من معركة دامية، لكن الإمدادات العسكرية الفرنسية من السنغال مكنت الفرنسيين من إيقاع الهزيمة بقوات رابح بالقرب من بحرية تشاد وأعقب ذلك استيلاء الفرنسيين كل (باجرمي ووادي)، وفي الوقت نفسه مدت فرنسا نفوذها إلى المناطق الواقعة شمال السنغال، وأرسلت قوة بقيادة الكولونيل جورو (Gouraud) غرب موريتانيا بين عامي 1908-1909 واستولت إلى الواحات الواقعة شرق موريتانيا¹.

استمرت فرنسا في سيطرتها الاستعمارية حتى النصف الثاني من القرن العشرين²، وكانت أول مستعمرة حصلت على استقلال هي غينيا³.

3- أوضاع السياسة العامة لإفريقيا قبل اندلاع الثورة الجزائرية:

مدت الدولة الأوروبية نفوذها الاستعماري إلى مختلف أنحاء القارة الإفريقية وحيث نشبت الحرب العالمية الأولى عام 1914 كانت كل القارة الإفريقية باستثناء إثيوبيا وليبيريا، التي كان سكانها سيكونون في جزء منهم من الزوج الذين أعيد ترحيلهم من الولايات المتحدة وإثيوبيا، التي كانت بريطانيا العظمى وفرنسا وإيطاليا قد قسمت فيها النفوذ الاقتصادي، في سنة 1902 وكانت سيطرة الأوروبيين المباشرة أو غيرت من النشاط الاقتصادي، والبنين الاجتماعي والعقائد الفكرية، ولكن الأحوال كانت مختلفة تماما في مناطق البحر المتوسط، والبحر الأحمر والمغرب، وحيث كان تفوق الإسلام واضحا عنها في جنوب إفريقيا التي كانت تتسم بوجود سكان أوروبيين عنها كذلك في إفريقيا السوداء⁴.

منذ بداية الغزو والاستعمار الأوربي وقفت الشعوب الإفريقية بكل طاقاتها ضد الغزاة، لكن هذه الوقفة اتسمت في بدايتها بالطابع القبلي غير المنظم وكان قادتها رؤوسا والقبائل والزعماء

¹ - جعفر عباس حميدي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 91.

² - انظر إلى الملحق رقم 11 من الرسالة.

³ - المرجع نفسه، ص 63.

⁴ - جلال يحيى، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 188. أنظر إلى المرجع شوقي عطا لله الجمل وعبد الله الرزاق إبراهيم،

تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 335.

المخليون وأهدافها محددة في الدفاع عن أرض القبيلة ومصالحها، وغالبا ما كانت هذه المقاومة على شكل هبات لمقاومة لفترة طويلة بسبب الشراسة والوحشية، التي قوبلت بها من قبل الدولة الاستعمارية الذي كبد الشعوب الإفريقية الكثير من التضحيات على مذبح الحرية لكنها في نفس الوقت كبدت المستعمرين في خسائر ملحوظة في الأرواح والمعدات¹.

وامتازت الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية بإزدياد الوعي القومي في الدول الإفريقية ساعد على ذلك:

1. معاناة الأفارقة نتيجة السياسة الاستغلالية للشركات والحكومات الاستعمارية².

2. العامل الذاتي المتعلق بقدرة الإنسان الإفريقي على تجاوز الواقع الذي يعيشه والاعتزاز بالنفس والتمسك بالقيم والعادات والتقاليد الإفريقية، بالرغم من محاولة الدول الاستعمارية طمس الصفحات المشرفة والضارية في تاريخ إفريقيا ونشر الدعاية حول همجية الشعوب الإفريقية وافتقارها إلى الأصول الحضارية، والزعم بأن هدف الدول الاستعمارية هو العمل على تمدين إفريقيا، وقد ظهر زيف هذه الادعاءات عندما استطاعت القلة المثقفة من الأفارقة إحياء التراث الحضاري الإفريقي بما فيه من آداب وفنون وعادات وتقاليد إفريقية حضارية عريقة.

■ البعثات التبشيرية:

بالرغم من السلبيات الكثيرة التي رافقت نشاط هذه البعثات واختصار أهدافها على تعليم الأفارقة تعليميا يكفي لأن يجعل منهم خدما للدول الاستعمارية وكتيبة في البيوت التجارية الاستغلالية، إلا أنها مع ذلك أسهمت بدون قصد في حث الوعي الثقافي بين الأفارقة حيث تعلمت فئت منهم اللغات الأوربية المختلفة أمثال الإنجليزية والفرنسية والبرتغالية وغيرها، وعن طريق هذه اللغات أطلعوا على الفكر الإنساني والحضارة الأوروبية، واستطاع عدد من خريجي المدارس التبشيرية إكمال دراستهم في الجامعات الأوروبية فتعرفوا على أفكار الحرية والعدالة والمساواة ومبادئ الثورة الفرنسية والفكر التقدمي الحر الذي ظهر في أوروبا خلال القرنين الثامن

¹ - جعفر عباس حميدي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 122.

² - شوقي عطا الله الجمل، وعبد الله عبد الرزاق، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 336.

عشر، والتاسع عشر، وما تضمنته من دعوة إلى الديمقراطية وحق تقرير المصير وحقوقي الإنسان وعندما عادوا إلى أوطانهم أصبحوا عماد الحركة الوطنية فيها.

■ الاختلاط مع الأوربيين والأسويين:

شهدت القارة الإفريقية أفواجا من المستوطنين الأوربيين رغم المساوي الكثيرة التي صحبت الاستيطان الأوربي، إلا أن قسما قليلا من البيض قد اختلطوا مع الأفارقة وأقاموا علاقات صداقة وتزواج، وعن طريق هؤلاء تعرف الأفارقة على بعض مظاهر الحياة الأوربية وأنظمة الحكم السياسية.

وكان الاختلاط الأفارقة والأسويين وبخاصة العرب والهنود واسعا، وقد نقل العرب الكثير من المظاهر الحضارية العربية والأفكار السياسية الثورية التي تأثر بها الأفارقة وأدى الهنود الدور نفسه ولا بد من الإشارة إلى الدور الذي أداه الزعيم الهندي المهاتما غاندي¹ (1879-1948) الذي مكث فترة طويلة في جنوب إفريقيا بين عامي (1893-1915) دافع فيها عن الهنود العاملين ووصف أحوالهم الموازية، وشاهد التمييز العنصري الذي يمارسه البيض²، وقد أمن الزعماء الأفارقة سياسة اللاعنف التي آمن بها غاندي.

■ تطورات الحرب العالمية الأولى:

أوجدت ظروف الحرب العالمية ومتغيراتها أجواء مناسبة لتطوير الحركة الوطنية، فإسهام الأفارقة كمجند في الحرب وفي مختلف الجبهات الحربية أدى إلى الاحتكاك مع المجندين من الشعوب الأخرى التي تعاني من الاضطهاد والاستعماري أيضا، وأدرك الجميع أنهم يقفون في سبيل المصالح الاستعمارية وليس المصالح الوطنية، كما أن التقاء الأفكار والثقافات المتنوعة في ساحات ساعد في الإطلاع على أفكار الحرية والديمقراطية وتقرير المصير وشهدت سنوات الحرب أحداثا كبيرة لها

¹ - المهاتما غاندي (1869-1948): كان السياسي البارز و الزعيم الروحي للهند خلال حركة الاستقلال الهند و كان رائد (لسياتياغراها)

وهي مقاومة الاستبداد من خلال العصيان المدني الشامل، أو اللاعنف الكامل، التي أدت إلى استقلال الهند و أهتم الكثير من حركات الحقوق المدنية و الحرية في جميع أنحاء العالم.

² - جعفر عباس حميدي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 122 - 123.

تأثيرها على الشعوب المستعمرة في طليعتها قيام ثورة أكتوبر 1917 الاشتراكية في روسيا وما صاحبها من فضح الاتفاقيات السرية البريطانية والفرنسية لإعادة توزيع السيطرة الاستعمارية، ومن طرحه الرئيس الأمريكي ودور ويلسون¹ في مثلها المقدم إلى الكونغرس المؤلف في أربعة عشر مادة أهمها المادة الثانية عشر الداعية إلى إعطاء الشعوب حقها في تقرير مصيرها².

من خلال تطور الحركات الوطنية الإفريقية يمكن تحديد السمات العامة التالية:

أ- إن نمو الحركات الوطنية يختلف في الكم والكيف بين منطقة وأخرى وحتى ضمن المنطقة الواحدة نجده متقدما في أجزاء ومتأخرا في أجزاء أخرى ويرجع الاختلاف أحيانا إلى طبيعة التنظيم الاجتماعي في داخل كل منطقة، أحيانا أخرى إلى التطورات العالمية الاقتصادية والسياسية، أو إلى طبيعة نشوء وتركيب الحركة الوطنية وخاصة زعاماتها فقد نجد أحيانا انفصال بينهم وبين قاعدة الشعبية، أو أن الاستعمار يصيب الحركة الوطنية معتادة أو إجراءات قمعية، أو يقدم حلا وسطا يرضي أجزاء مهمة من تجربة الوطنية ويخلق بهذا حالة من التفكك أو التراخي في تيار الحركة الوطنية.

ب- إن الحركات الوطنية تمثل في الحالات الغالبية جبهة أو تجمعاً وطنياً أو مؤتمراً وأن اتخذ اسم حزب، وتظم فئات عديدة وطبقات اجتماعية وقربها وجمع بينهما هدف وطني كبير هو المطالبة بالاستقلال وبالإصلاح السياسي والدستوري، ودائماً ما يلجأ الاستعمار إلى الحلول النصفية أو أجابه بعض المطالب بهدف إيجاد حالة من التفكك بين أطراف الحركة الوطنية، كما أن الاستعمار يستعمل أسلحته التقليدية من رشوة وإثارة طائفية وقبلية وحزبية وإغراء بمناصب إدارية، وأخيراً اللجوء إلى استخدام القوة لقمع الانتفاضة والثورة.

¹ - توماس وودر ويلسون (1856-1924): الرئيس الثامن و العشرون للولايات المتحدة الأمريكية في الفترة الممتدة من 04 مارس 1913 إلى 04 مارس 1921، الرئيس ويلسون يعتبر الشخصيات المثقفة و المتعلمة بين رؤساء أمريكا، و كان زعيم الحرة التقدمية ، ومن أكبر أنصار الديمقراطية في العالم، وهو الرئيس الأمريكي الوحيد الذي تحصل على شهادة الدكتوراه و أخذها في التاريخ و العلوم السياسية من جامعة (جونس هوبكينز) وترأس جامعة يرينستون من سنة 1902 إلى سنة 1924، الرئيس ويلسون هو صاحب فكرة تأسيس عصية الأمم و صاحب مبادئ الأربعة عشر التي من ضمنها حق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها وهو المبدأ الذي قدمه في مؤتمر الصلح في فرنسا سنة 1919 بعد الحرب العالمية الأولى، كما تحصل على جائزة نوبل للسلام سنة 1919.

² - جعفر عباس حميدي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 123 - 124.

ج- حددت الحركات الوطنية في المستعمرات البريطانية جميعا أهدافها الأساسية في الحصول على استقلال وإقامة حكومات إفريقية مسؤولة أمام برلمان منتخبا من قبل شعوب المستعمرات، ومع بقاء ارتباطها مع بريطانيا في نطاق الكومنولث البريطاني.

أما الحركات الوطنية في المستعمرات الفرنسية التي سعت فرنسا إلى فرض اللغة والثقافة الفرنسية عليها بهدف تغيير صورتها الوطنية، فإن النخبة المتفرنسة روجت إلى الاتحاد الفرنسي الفيدرالي، ولكن تطور الأوضاع الدولية واشتداد الحركات الوطنية يجاوز مواقف هذه النخبة، ودفع الوطنيون الأفارقة إلى المطالبة بالاستقلال التام¹.

استفادت الحركات الوطنية الإفريقية في أعقب الحرب العالمية الأولى من نفوذ الزعامات القبلية التي لا تمتلك الفكر السياسي المنظم، ثم من ظهور اتحادات وروابط ومنظمات الشباب التي ظهرت في الفترة ما بين الحربين العالميتين قد ساعد على عاملين:

1- أن التعلم رغم محدوديته تدحرج عددا لا بأس به من الأفارقة عرف جزءا منه البطالة المقنعة بسبب سيطرة الأوروبيين على المراكز الإدارية والوظائف الحكومية والثاني الوضع الاقتصادي المتدهور الذي زادت الأزمة الاقتصادية العالمية (1929-1933) سواء، وتمكن القول أن الحركة الوطنية خلال هذه الفترة قد دخلت مرحلة جديدة أعلى من سابقتها في التطور، سواء من ناحية التنظيم أو من ناحية الفلسفة السياسية.

مثلت الحرب العالمية الثانية مرحلة جديدة في تطور الحركة الوطنية نتيجة لانتشار الدعايات لتمجيد الطرق الديمقراطية في الحياة والحكم واشتداد الدعوة لمحاربة النازية والفاشية، وتعلق شعوب المستعمرات بمبادئ ميثاق الأطلنطي والأمم المتحدة وما صاحب الحرب من صعوبات اقتصادية وتنظيمات خاصة بالتموين والأسعار، وما قادت إليه الحرب من توسع في الدعاية، والإذاعة والأنشطة الثقافية ومن زيادة في طرق المواصلات واستغلال للموارد والأيدي العاملة، وظهور صناعات جديدة استلزمها ظروف الحرب، كل هذه الأمور أحدثت تطورا عميقا في البنى

¹- المرجع السابق، ص 124. أنظر إلى شوقي عطا الله الجمل، وعبد الله عبد الرزاق، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 336 - 337.

الاجتماعية والاقتصادية، وأسهمت في ظهور الطبقة الوسطى كطبقة فعالة في المجالين السياسي والاقتصادي وقيادتها للحركة الوطنية بعد انهيار الهيكل الاجتماعي القديم، وقد أدى هذا إلى فسح المجال أمام جميع الفئات الاجتماعية للنشاط السياسي، فظهرت المنظمات السياسية على شكل مؤتمرات أجيهاً أصبحت عضويتها مفتوحة لكن المواطنين بحيث ضمن رؤساء القبائل والزعماء والشباب من عمال فلاحين بصورة متساوية، وحددت أهدافها بالحصول على الاستقلال والتنمية الاجتماعية والاقتصادية وظهرت الوحدة الوطنية واضحة بحيث سدت الطرق أمام الاستعمار للتآمر ضد الحركة الوطنية وقيادتها الشعبية¹.

في كل الحالات تقريباً قاد الحركات الوطنية في العهد الاستعماري الصفوة الجديدة المتعلمة تعليماً غربياً، والتي كانت لذلك أحسن استعداداً لفهم الثقافة السياسية الأوروبية وبالتالي للرد بطريقة فعالة على الأنظمة الاستعماري، بأسلوبها هي وقد تعاونوا أحياناً إيجابياً مع أعضاء الصفوة (التقليدية) بالرغم مما كان يحدث من احتكاكات في علاقتهم وقد ظهرت ملامح مثل هذا التعاون في ساحل الذهب في جنوب نيجيريا، والمغرب وبين الجيكويو في كينيا².

وكانت الأحزاب السياسية ومنظمات الشباب تستخدم كقوات للتعبير عن تطلمات ومطالب الوطنيين الإفريقيين وعن مظالم محددة، وكانت للأحزاب السياسية فائدة في الأماكن القليلة التي وجدت فيها سلطة تشريعية على النمط الاستعماري، وقد أدى إدخال التعديلات الدستورية، رغم أنها أقل أهمية في نيجيريا، ساحل الذهب والواقعتين في إفريقيا الغربية البريطانية، إلى تمهيد الطريق لظهور الأحزاب السياسية لقيامها وبنشاط فعال فقبل هذه التغييرات الدستورية كان من السهل إحباط ما يقوم به المجلس الوطني لإفريقيا الغربية البريطانية من محاولات، أما بعد ذلك قد استطاع الحزب الوطني الديمقراطي في نيجيريا مثلاً، أن يكون له تأثيراً أكثر انتظاماً على كل من السلطات الاستعمارية والسكان المحليين على السواء كذلك قامت الأحزاب السياسية بدورها هام في السنغال حيث كان المجلس العام الذي أصبح سنة 1920 المجلس الاستعمار هو المحال لذلك.

¹- جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص 125.

²- محمد علي الفوزي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 96.

وقد قامت منظمات الشباب الآثنية وجمعيات الخريجين وغيرها بدور عظيم في جميع المستعمرات بصرف النظر عن أوضاعها الدستورية، فقد كانت تعد قوى سياسية واجتماعية لا يمكن التغاضي عنها لاسيما في المناطق التي لم يكن النشاط السياسي ممكنا فيها بسبب الطبيعة القمعية للحكم الاستعماري قد ضمت منظمات، مؤتمر شباب ساحل الذهب الذي أنشئ في سنة 1929، وحركة شباب لاغوس (نيجيريا فيما بعد)، ورابطة (هاري توجو) هي كينيا وكانت بعض الحركات الإقليمية الطابع بينما كان بعضها ممتدا عبر الإقليم، وقد ضمن نجم شمال إفريقيا بزعامة مصالي الحاج والمؤتمر القومي لإفريقيا الغربية البريطانية ومؤتمر جنوب إفريقيا واتحاد طلاب غرب إفريقيا والذي كان يضم أعضاء من مختلف أجزاء إفريقيا الغربية البريطانية¹.

قد تنوعت الأسلحة التي استخدمت خلال فترة ما بين الحربين في مهاجمة النظام الاستعماري، فقد قلت إلى أدنى حد التمردات والانتفاضات التي كثرت في الفترة السابقة، وبدلا من ذلك بدأ الوطنيون في استخدام الصحف والكتب والنشرات والعرائض وهجرات الاحتجاج والإضراب والمقاطعة وصناديق الاقتراع والمواظع والمساجد، وقد أصبحت الصحف بشكل خاص جهازا حيويا لنشر آراء هذه التنظيمات السياسية والاجتماعية وكانت النخبة التي كان عددها بتزايد بسيط هي الجمهور وهي السوق التي تزعم عددا متزايدا من الصحف والدوريات خلال هذه الفترة.

وفرت الصحف الوسيلة للنشر عن النشاط الوطني والمناهض للاستعمار عبر الحدود، ولذلك كانت تشكل مصدرا مستمرا لقلق المسؤولين الإداريين الاستعماريين، وقد جعل انتشار المذيع فيما بعد التدابير القهرية التي ابتعتها الحكام الاستعماريون لإبعاد مستعمراتهم من التأثيرات الخارجية أكثر صعوبة وأقل فعالية².

ونشير إلى أن الحرب الإيطالية الإثيوبية التي بدأت في سنة 1935 والاحتلال الإيطالي الذي أعقبها لإثيوبيا، وباعتبارها حدثا دوليا رئيسيا زاد من شعور التباعد بين الشعوب الخاضعة للاستعمار المتعلمين منهم بالذات وبين النظم الاستعمارية، وقد أوضحت النبرة التي يستخدمها

¹ - محمد علي الفوزي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 96.

² - المرجع نفسه، ص 97.

الفاشية والنازية يشكل عام الطبقة العنصرية للاستعمار الأوروبي في إفريقيا، وقد أصيب أولئك الذين علقوا الآمال على عصبة الأمم بخيبة أمل موسعة، ويفسر الرؤية في الحفاظ على الكرامة المهذورة لإفريقيا، عودة الأفكار القومية الإفريقية مثل الزنوجة إلى الظهور في ذلك الوقت، وهكذا كان المنظمات الدولية القدر نفسه من الأهمية في الدفاع عنه استقلال إثيوبيا تلك الدولة التي كانت رمزا لأمل إفريقيا المتعلم في إمكان الحصول على الاستقلال¹.

كانت الصحف والدوريات سواء المحلية منها أو المعنية تسخر بالطبع كأداة لنشر الأحاسيس الوطنية المناهضة للاستعمار ولأوروبا، ومن أجل الحد من هذا التطور اتخذت تدابير إدارية وتشريعية عديدة ضد وسائل الإعلام الكبرى عن الخدمات الإذاعية التي كانت تنتشر ببطء، وقد بذلت جهود من أجل توزيع الكتابات والصحف والدوريات بل وأجهزة الراديو أو الحد منها حتى لو كان مصدرها بلاد المسؤولين الاستعماريين أنفسهم، وفي كل الحالات تقريبا أخضعت الصحافة المحلية لسيطرة دقيقة عن طريق الرقابة والقوانين الخاصة بالتحريض على الفتنة، وقد اتخذت جميع هذه التدابير يقصد تسهيل مهمة الإدارات الاستعمارية.

في فترة ما بين الحربين، كانت هناك علاقة جدلية بين الاستعمار والنزعة الوطنية الإفريقية ولم تحرز الحركة الوطنية الإفريقية المعادية للاستعمار نجاحات كبيرة في تلك الفترة ولكنها أثارت القلق بين المسؤولين للاستعماريين، وتدل على ذلك جميع تدابير القمع التي اتخذت في تلك الفترة وإن فعلهم تجاه التحديات التي أثارها أمامهم هذا الكفاح تعني أنهم كانوا يرغبوا في عزل إفريقيا عن التيارات العامة للتطور في العالم، ولا يتصف هذا الأمر بعدم الواقعية والتناقض الذاتي فحسب، بل هذه المحاولة كانت بمثابة العامل الحافز الذي عجل بالكفاح الوطني الإفريقي وبمعادة الاستعمار ليتخذ أشكالا أعمق وأوسع نطاقا سرعان ما أدت مقرونة بآثار الحرب العالمية الثانية إلى التحرك نحو الإطاحة بالنظام الاستعماري².

¹- المرجع السابق، ص ص 97.

²- المرجع نفسه، ص 98.

3-1 المنظمات السياسية والحركة الوطني في غرب شرق إفريقيا البريطانية:

كان أكثر التنظيمات شيوعا هو النقابات وحركات الشباب، ولا مراد في أن فترة ما بين الحربين قد شهدت تشكيل عدد متزايد من الأندية والرابطات الأثنية والاجتماعية والأدبية ورابطات الخريجين في كثير من بلدان غرب إفريقيا.

وكان زعماء كل هذه الأندية والرابطات إما من الصفوة المتعلمة في مدارس الإرساليات، إما من المحامين والأطباء ورجال الأعمال الثبات، ورغم أن هؤلاء الزعماء كانوا يسعون إلى انتزاع مقاليد الزعامة السياسية من الزعماء الوطنيين المحافظين القدامى، وكانت مطالبهم مقصورة على تحسين المراقب التعليمية وزيادة عددها ونشر التعليم الجامعي، ورفع الأجور والمرتبات، والتمثيل العادل في المجالس التشريعية والتنفيذية، وإخفاء التمييز العنصري والحق في الوصول إلى أعلى المناصب في الوظائف وقد كانت هذه هي مطالب مؤتمر الشباب في ساحل الذهب، وكانت مطالب حركة الشباب النيجيري مماثلة لذلك، وشاركت الحركات الشبابية في الانتخابات المحلية، وتلجأ إلى الاضطرابات إلى جانب الحملات الصحفية وتقديم العرائض، وهكذا اشتركت في المظاهرات والإضرابات في غامبيا 1929 بيد أن حركات الشباب لم تحقق الكثير، فانتصاراتها الانتخابية في الثلاثينات لم تزحزح الزعامة المحافظة كما تعذر تنفيذ برامجها الاقتصادية التفصيلية في ظل النظام الإداري الشبيه بنظام مستعمرات التاج¹.

كانت النقابات العمالية أداة أخرى من أدوات التعبير عن المشاعر المناهضة للاستعمار رفضت المظالم الوطنية، وعلى الرغم من أن كثيرا من نقابات العمال قد شكلت في إفريقيا الجنوبية ووسط إفريقيا.

فقد ظل البريطانيون يعارضون قيام النقابات في غامبيا حتى عام 1932 وفي سيراليون ونيجيريا حتى عام 1939، في ساحل الذهب حتى عام 1941، ولكن على الرغم من عدم

¹ - محمد علي الفوزي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص ص 218 - 219.

السماح بقيام النقابات فقد تأسس بعض في تلك الفترة، ومن تلك النقابات نقابة عمال السكك الحديدية في سيراليون، رقابة الميكانيكيين النيجير، استخدمت تلك النقابات وسائل منها الإضرابات حركات المقاطعة وتعطل العمل¹.

كانت الرابطة والأحزاب والحركات المحلية أو إقليمية في تنظيمها وتطلعاتها، لكن الفرق بين الحركات محلية أو إقليمية في تنظيمها وتطلعاتها، ولكن الفرق بين الحركات السياسية في فترة ما بين الحربين وبين الحركات السياسية قبل هذه الفترة هو تشكيل حركة مشتركة بين عدة أقاليم في إفريقيا الغربية البريطانية، وتكوين حركات دولية في عواصم الدول الاستعمارية، أما الحركة المشتركة بين عدة أقاليم فهي مؤتمر الوطني لإفريقيا الغربية البريطانية في غرب إفريقيا، أما الثانية فهي اتحاد طلبة غرب إفريقيا الذي تأسس في لندن.

على الرغم من الاعتراض على (الحكم الأجنبي) فإنه لم يرد مطلقاً ذكر لقطع العلاقات مع الدولة الاستعمارية ومع أن الحكم الأجنبي كان يعتبر شيئاً ولكن كانت هناك أسباب وجيهة الانصياع له، وكانت المطالبة بمزيد من الفرص أفضل من الاستغناء عن الحكم الأجنبي كلية، وكان الفكرة السائدة كانت تعتبر أن الإفريقي يمكن أن يبقى حراً في ظل العلم البريطاني.

إذ الذي حققه المؤتمر الوطني لإفريقيا البريطانية، وأهم إنجازاته هو وضع دساتير جديدة لنيجيريا في 1923 وسيراليون في 1924 ولساحل الذهب في 1925، أقرت بمبدأ التمثيل الانتخابي، كذلك نجحت حركة المؤتمر الوطني في إذكاء الشعور بالوحدة وبالمصير السياسي المشترك بين الزعامات السياسية في إفريقيا الغربية البريطانية، وفما عدا ذلك لم تنجح الحركة في تحقيق الاستقلال الاقتصادي ولا في توحيد المستعمرات البريطانية الأربع، ولا في إحداث أي تحسن آخر في النظام الاستعماري أو إضعافه².

¹ - محمد علي الفوزي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص ص 219 - 220.

² - المرجع نفسه، ص ص 221 - 222.

أ- التنظيمات في السياسة والحركة الوطنية غرب إفريقيا غانا (الساحل الذهب)

نموذجا:

تعد غانا (الساحل الذهب) من الدول الرئيسية في غرب إفريقيا ذات أهمية كبيرة لعاملين الأول موقعها ومواردها الطبيعية وخاصة الذهب والثاني كونها مركزا لحضارة زاهية أدت دورا مهما في التطورات السياسية الاقتصادية في المنطقة قبل وصول الأوروبيين وكان البرتغاليون الذين وصلوا إلى هذه المنطقة قد وجد نظاما على شيء كبير من الاستقرار، فقد كانت مملكة الأشانتي (Ashanti) تتكون من عدد كبير من الدويلات الصغيرة التي تتمتع بشيء من الاستقلال وتدين بالولاء لملك الأشانتي وكانت هذه تتبع أسس معينة في اختيار الملك ولما نظامها الاقتصادي والحربي¹.

وبعد البرتغاليين جاء الهولنديون والبريطانيون والفرنسيون وقد سعت بريطانيا للسيطرة على هذه المنطقة فاصطدمت بمملكة الأشانتي القوية التي تتخذ من مدينة كوماسي (Kumasi) عاصمة لها ودخلت في علاقات حربية معها طوال القرن التاسع عشر قريبا، أرسلت سنة 1890 إلى ملك الأشانتي تطلب منه قبول الحماية البريطانية وقبول مثل بريطاني له بعض الحقوق والامتيازات التي يتفق عليها ولما رفض الملك هذا الطلب أرسلت بريطانيا حملة سنة 1899 بقيادة فرانس سكوت (France Scott) احتلت العاصمة (كوماس) واعتقلت ملك الأشانتي وعددا كبيرا من زعمائها وابعدوا إلى جزيرة سيشل في المحيط الهندي.

واجه البريطانيون منذ بداية مقاومة شعبية واسعة اضطرت القوات البريطانية إلى الاستعانة بقوات إضافية إلى مستعمراتها المجاورة وفي عام 1902 فرض بريطانيا حمايتها على ساحل الذهب، اعتمد البريطانيون على الحكم غير المباشر عن طريق الزعماء المحليين، انصرفت جهود البريطانيين إلى الاستغلال الاقتصادي².

¹ - محمود السيد، تاريخ إفريقيا القديم والحديث، المرجع السابق، ص 163. أنظر إلى المرجع جعفر عباس حميدي، تاريخ إفريقيا الحديث

والمعاصر، المرجع السابق، ص 125 - 126.

² - المرجع نفسه، ص 126.

ظهرت المعارضة للإجراءات البريطانية، منذ بداية الحماية البريطانية، وكانت جمعية حقوق المواطنين الإفريقيين، التي ضمت رؤساء وزعماء قبليين ومتعلمين وبخاصة المحامين أول جمعية منظمة تظهر في ساحل الذهب خلال الحرب العالمية الأولى، وضمت الأفارقة في غرب تحت السيطرة البريطانية - غانا ونيجيريا وسيراليون - وهدفها حماية حقوق المواطنين بالوسائل الدستورية والقانونية عن طريق المحاكم لمنع الحكومة البريطانية من إصدار قانون يقضي باعتبار أراضي القبائل المشاعة ملكا للتاج البريطاني وتشملها وصاية الحاكم البريطاني، أرسلت الجمعية الوفود إلى لندن لعرض مطالبها على الحكومة البريطانية ونجحت في الحصول على موافقة وزير المستعمرات البريطاني بوقف إصدار هذا القانون.

وخلال المراحل الأخيرة من حياة الجمعية السامية فكر البعض من زعمائها في إنشاء منظمة سياسية جديدة يكون الثقل الأساسي في قيادتها لطلائع الطبقة الوسطى والمتعلمة الجديدة، وفي عام 1920 تم تأسيس (مؤتمر غرب إفريقيا الوطني) بزعامة كيللي هايفورد وضم في عضويته ممثلين عن المستعمرات البريطانية في غرب القارة - نيجيريا، الكاميرون، سيراليون، ساحل الذهب - لاعتقاد مؤسسة أن القضية الوطنية للمستعمرات الأربع واحدة والأداة الاستعمارية واحدة المصير مشترك، وعقد المؤتمر دورته الأولى في أكرا عاصمة ساحل الذهب عام 1920، وحدد أهدافه التالية¹:

- 1- إقرار مبدأ الحكم الذاتي للإفريقيين، ومنح الأفارقة حق التصويت العام، للانتخاب أعضاء المجالس التشريعية.
- 2- الفصل بين السلطات الثلاث - التنفيذية والتشريعية والقضائية - والتأكيد على استقلال القضاء وإنشاء محكمة للتقاضي في غرب إفريقيا.
- 3- تطبيق نظام اللامركزية الإدارية في أقاليم غرب إفريقيا، وإنشاء حكومات محلية لمراعاة التقاليد الخاصة بكل منطقة.
- 4- التنمية الاجتماعية والاهتمام بالصحة والتعليم وإنشاء المدارس مع التأكيد على إنشاء جامعة.

¹- جعفر عباس حميدي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 127.

لم تستجب الحكومة البريطانية لهذه المطالب لكنه أصدرت في عام 1927 قانون الحكم المحلي الذي منح الرؤساء وبعض الحقوق في ممارسة بعض السلطات بإشراف الحاكم العام، وقد انتهى نشاط مؤتمر غرب إفريقيا الوطني بوفاة زعيمه **هايفورد**.

وخطت بريطانيا خطوة أخرى عام 1939 بإصدار (القانون المالي والإداري الأهالي)، الذي فرض الحكومة ممارسة الأمور الرسمية لإقامة إدارة مالية أهلية، وفي نفس الوقت اندلعت الحرب العالمية الثانية التي زادت من أهمية ساحل الذهب فتحمل الشعب جزء كبيراً من تكاليف الحرب.

وإزاء التضحيات التي قدمها أهالي ساحل العاج أصدرت الحكومة البريطانية تعديلاً دستورياً عام 1944 لإدارة الشؤون المحلية، قسمت بموجبه البلاد إلى 63 ولاية، ونص أيضاً على رئاسة المجلس التشريعي برئاسة الحاكم العام وعضوية 140 عضواً من بينهم 18 عضواً منتخباً، وكذلك إقامة مجلس تنفيذي يضم 11 عضواً بينهم ثلاث من الأفارقة، وقد شجع ذلك على تأليف عدد من المنظمات السياسية أهمها (حزب الميثاق الموحد لساحل الذهب) الذي ألفه الدكتور **جوزيف بنكوا** (Joseph Banquah)¹ عام 1947، وضم رجال الأعمال وذوي المهن الحرف وكبار الموظفين والمتعلمين، وأعلن بإيمانه بالتطور الدستوري السلمي للوصول إلى استسلام الشعب لأمر بلاده واستقلاله وكان قادة الحزب منشغلين بأعمالها الحرة ووظائفهم لهذا دعوا **كوامي نيكروما** (Kwame Nkrumah)².

¹ - جوزيف دنكو (1895 - 1965): أحد زعماء الوطنيين الغانيين، درس القانون أسس جريدة التايمز الغرب إفريقيا، أسس حزب سياسي غاني (حزب الميثاق الموحد لساحل الذهب) أسند لنيكروما منصب الأمين العام، سجن عدة مرات توفي 1965، أنظر إلى مرجع **منصف بكاي**: الحركة الوطنية واسترجاع السيادة بشرق إفريقيا، ط1، دار السبيل والتوزيع، 2009، ص ص 57 - 58.

² - **كوامي نيكروما**: شخصية إفريقية زعيم الحركة الوطنية في غرب إفريقيا ولد بغانا 1909، درس بالولايات المتحدة الأمريكية، انتقل إلى لندن في نهاية 1944، ليدرس القانون والاقتصاد كما انضم إلى اتحاد الطلبة لغرب إفريقيا أصبح عضواً بارزاً في حركة الجامعة الإفريقية وعرف بكافية السياسي في إطار الحركة الوطنية يعرف إفريقيا، أسس حزب راديكاليا سنة 1949 تبني سياسة المقاومة السلمية سجن سنة 1950، فاز حزبه في الانتخابات التشريعية سنة 1951، الأمر الذي أدى بالسلطات الاستعمارية إلى إطلاق سراحه، وتعيينه وزيراً أولاً وبعد حصول غانا على استقلالها أصبح رئيساً لها إلى غاية 1966، كان مؤمناً بفكرة توحيد أساليب النضال السياسي ضد الإمبريالية في كل غرب إفريقيا بما في ذلك المستعمرات الفرنسية وليس اقتضاده على المستعمرات الواقعة تحت السيطرة الاستعمارية البريطانية. أنظر إلى مرجع **منصف بكاي**، الحركة الوطنية، استرجاع السيادة في شرق إفريقيا، المرجع السابق، ص ص 65 - 66.

تمثل عودة نيكروما مرحلة مهمة في تاريخ الحركة الوطنية الغانية، وفي مسيرة حزب الميثاق الموحد فقام بتطور وسائل وأساليب عمل حزب وتحويله من تجمع سياسي تقليدي إلى منظمة شعبية ذات تنظيمات منتشرة في أرجاء البلاد، واهتم الحزب بالتنظيم والثقافة عن طريق إصدار النشرات والصحف ، والتي أحدثت نتائج مختلف نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية وكانت مشكلة فلاحي الكاكاو أول مشكلة يتصدى الحزب لمعالجتها فقد انتفض الجنود من أبناء الفلاحين في أثر عام 1948 ضد الأوامر الرسمية، ونظر إليهم الأهالي، وتوسعت هذه الانتفاضة فشملت المدن الكبرى وحدثت مصادمات مع الشرطة قتل فيها أكثر من مائة مواطن إفريقي.

أرسلت الحكومة البريطانية لجنة للتحقيق في أسباب الانتفاضة ووضعت اللجنة تقريرا جمع في كتاب أبيض تناول بالتفصيل أحداث الانتفاضة وارجع أسبابها إلى عدم تفهم الحكومة في غانا التطورات والتغيرات التي طرأت على العالم بعد الحرب العالمية الثانية وخيبة أمل الأفارقة من الإجراءات الحكومية الدستورية وتدهور الأوضاع الاقتصادية بصورة عامة.

أبرزت الانتفاضة قدرة نيكروما في قيادة الشعبية وحصل على تعاطف جماهيري واسع، فأدركت بريطانيا خطورته وسعت إلى شق وحدة حزب (الميثاق الموحد) عن طريق التعاون مع ما سمته العناصر المعتدلة فقام هؤلاء بإعفاء نيكروما من منصب السكرتير، وحل منظمات الشباب في الحزب الأمر الذي حول الحزب إلى مجرد تجمع للأثرياء وأصحاب المصالح وكبار الموظفين السابقين ومات موتا سريعا¹.

التفت منظمات الشباب والعناصر اليسارية حول نيكروما وشجعوه على تأليف حزب جديد فألف حزب الميثاق الشعبي عام 1949 وضمت قياداته الكثير من العمال وصغار التجار والفلاحين وحدد الحزب أهدافه بما يلي:

- 1- العمل بالوسائل الدستورية والطرق الديمقراطية لتحقيق مبدأ الحكم الذاتي.
- 2- النضال لإقامة حكومة ديمقراطية ورفع الظلم، وإنهاء الاضطهاد.

¹ -جعفر عباس حميدي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 128 - 129.

3- العمل على تحقيق الوحدة الوطنية وخلق ساحل الذهب الجديد الذي يعيش فيه جميع الناس بحرية وأمان.

4- تشجيع وإنماء حركة النقابات العمالية ورعاية مصالح العمال، وحل مشاكل الفلاحين وبخاصة مشكلة الأرض.

وزاد استبداد المطالبة بالإصلاح الدستوري، ولمعالجة الأوضاع المتردية وضعت الحكومة البريطانية صيغة دستورية جديدة النظام الحكم في غانا في أوامر عام 1949، نصت على تأليف مجلسين أحدهما تنفيذي يضم 12 وزيرا، والآخر تشريعي يختار أعضاؤه بالانتخاب المباشر إلا أن هذه الصيغة لا تلق التأييد من قبل حزب الميثاق الشعبي الذي قاد حركة التهيج والضغط ضد بريطانيا وأكد نيكروما الحاكم البريطاني بأن حزبه سيبدأ بإتباع سياسة (العمل الإيجابي) (Positive Action) وهي فلسفة غاندي في عدم العنف وعدم التعاون حتى ترسخ الحكومة، وتصاعدت هذه الحركة في شهر جويلية 1950 فأعلنت الحكومة البريطانية حالة الطوارئ، استخدمت القوة العسكرية والغازات المسيلة للدموع لتفريق المظاهرات، وشنّت حملة واسعة من الاعتقالات وكان في الطليعة نيكروما الذي حكم عليه بالسجن لمدة سنة واحدة¹.

قررت الحكومة إجراء انتخابات للمجلس التشريعي واستعداد لهذه الانتخابات ظهرت منظمات سياسية جديدة منها (حزب الوطني الديمقراطي) و(حزب الميثاق الموحد السابق)، بالإضافة إلى (حزب الميثاق الشعبي)، الذي كان يحظى بالتأييد الشعبي الواسع، ودعا زعميه نيكروما من سجنه أنصاره إلى خوض المعركة الانتخابية، قد فاز حزب نيكروما بـ 34 مقعدا من مجموع مقاعد المجلس التشريعي فاضطرت الحكومة إلى إطلاق سراح نيكروما في 12 فبراير 1951 وانتخب في 5 مارس رئيس المجلس التنفيذي رئيس الوزراء من قبل المجلس التشريعي بأغلبية 45 صوتا.

سعى نيكروما للوصول ببلاده إلى الحكم الذاتي واستمر منصبه لأجواء التغييرات الدستورية وطلب من المجالس الإقليمية في 16 أكتوبر 1952 تقديم ملاحظاتها حول مستقبل البلاد

¹ - جعفر عباس حميدي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 130.

الدستوري في موعد أقصاه أبريل 1953، وبعد دراسة هذه الملاحظات رفع نيكروما مقترحاته إلى الحكومة البريطانية والتي تضمنت:

1- دراسة مسألة استقلال ساحل الذهب من قبل البرلمان البريطاني، ونقل شؤونها من وزارة المستعمرات إلى وزارة شؤون الكومنولث.

2- تكون مسؤولية إدارة الشؤون الخارجية بين الحاكم العام خلال فترة الانتقال على أن يسمح لساحل الذهب تعيين معتمدين دبلوماسيين في الدول الأخرى التي لها مصالح معها.

3- زيادة عدد مقاعد المجلس التشريعي من 84 مقعدا إلى 105 مقعدا ويمثل العضو 45 ألف نسمة من السكان.

وفي المجال الاقتصادي سعى نيكروما إلى إنعاش الاقتصاد فزاد إنتاج الكاكاو والذهب وأصبحت غانا سادس دولة في العالم عام 1952، وتطوير طرف المواصلات وخاصة سكك الحديد ومنجم دخول الرأسمال الأجنبي في كل فروع الصناعة عدا المنافع العامة وقد نجح نيكروما في سياسته و أنعتت بريطانيا لتعديل الدستور وإجراء انتخابات جديدة.

وقبل إجراء الانتخابات الجديدة تجمعت قوى المعارضة من جديد بحجة معارضة ما سمته (الديكتاتور الأسود) وظهرت أحزاب جديدة منها (حزب شعب الشمال) و(حزب مؤتمر غانا) و(حزب مؤتمر كولاند) و(الجمعية الإسلامية) و(حركة التحرير الوطنية)، وبدأت المعارضة تتحرك لإسقاط نيكروما الأمر الذي دفعه إلى التضييق على نشاطها، واتخذ المجلس التشريعي قرارا في 12 أوت 1954 ينص على أن يقوم تأليف الأحزاب على قاعدة وطنية وليست على أسس عشائرية أو دينية، وقد أدى ذلك إلى اللجوء إلى العنف فقد استغلت المعارضة انخفاض أسعار الكاكاو للتحريض ضد الحكومة، وهو ما حدث في شهري يناير وماي 1955 في (كوماسي) عاصمة الأشانتي، وقتل من جرائه ثلاث أشخاص وجرح آخرون، ولكن نيكروما استطاع السيطرة على الأوضاع الداخلية¹.

¹ - جعفر عباس حميدي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 132، 131.

جرت الانتخابات في شهر يناير 1956 في ظل تنافس حاد بين الأحزاب السياسية وحصل حزب نيكروما على 72 مقعدا من مقاعد المجلس التشريعي البالغة 105 مقعدا، وشكل نيكروما الوزارة من جديد وأعلن أن مهمته هي الحصول على استقلال، فأعلنت بريطانيا استعدادها لتلقي طلب إعلان الاستقلال في نطاق الكومنولث إذا أجازته المجلس التشريعي بأغلبية معقولة وهو ما حصل فعلا، وأعلن استقلال ساحل الذهب في 06 مارس 1957 باسم غانا وهو اسم المملكة القديمة التي ظهرت منذ عام 300 م وسبق الحديث عنها، وبعد يومين - أي في 8 مارس - أصبحت الدولة الجديدة عضوا في هيئة الأمم المتحدة.

وبعد استقلال غانا حدثت تطور سياسة ودستورية، وتحول المجلس التشريعية إلى المجلس الوطني وحزب الميثاق الشعبي إلى حزب الشعب وسار نيكروما سياسة الحزب الواحد مؤمنا بأن هذه السياسة توحد الشعب وتجمع قواه، وبدلا من وجود أحزاب مختلفة تعمل على تفرقة الشعب وتفسح المجال لعودة الهيمنة الأغلبية على مقدراته، وقام في عام 1960 بإتباع سياسة اقتصادية اشتراكية استندت إلى تأمين عددا من شركات التعدين البريطانية وإصدار قوانين لتشجيع الفلاحين على إقامة مزارع تعاونية ووضع خطة التنمية ولتحرير الاقتصادي والاجتماعي.

وفي السياسة الخارجية أتبع نيكروما سياسة مساندة لحركات، التحرر الإفريقية والعالمية ومعادية للاستعمار، وأكد على أهمية التعاون بين الأفارقة لتحرير أنفسهم ودعا إلى عقد مؤتمر إفريقي في أكرا في 07 أبريل 1960 لمناقشة الحالة السياسية في إفريقيا وتأييد حركات التحرر وفيها وإدانة السياسة العنصرية، والسعي الوحدة الإفريقية، ووسعت غانا علاقاتها مع دول العالم.

وخاصة المعسكر الاشتراكي ودول عدم الانحياز، وتبادل التمثيل الدبلوماسي مع الاتحاد السوفياتي السابق عام 1959 ودفعت معه في العالم التالي اتفاقية التعاون الاقتصادي والثقافي الأمر الذي أدى إلى اتهامه بالشيوعية والتحريض عليه من قبل الدوائر الاستعمارية¹.

¹ - المرجع السابق، ص ص 131 - 132.

ب- التنظيمات السياسية والحركة الوطنية شرق إفريقيا:

■ مصر والسودان:

خضعت مصر والسودان معا للسيطرة البريطانية منذ أواخر القرن التاسع عشر، بينما هما يتبعان الدولة العثمانية منذ القرن السادس عشر.

ومنذ عام 1914 تحولت مصر إلى محمية بريطانية فظلت مصر تابعة من الناحية الدولية أو الشرعية إلى الدولة العثمانية كما لم يتغير نظام الحكم في مصر بعد الاحتلال فضل الخديوي ومجلس السلطة السياسية الرسمية الحاكمة في ظل الاحتلال، كما ظل ممثل إنجلترا كبقية ممثلي الدول الأجنبية يحمل لقب قنصل مضافا إليه لقب المعتمد البريطاني، وكان هذا الوضع يتيح للدول العثمانية من حين لآخر وعلى قدر ما تستطيع معاكسة بريطانيا بصفتها الدولة صاحبة الحق الشرعية في السيادة على مصر¹.

ظل الوضع في مصر هكذا حتى قيام الحرب العالمية الأولى حيث أن بريطانيا وهي تدخل هذه الحرب كان لا بد لها من تدعيم سلطتها في مصر بشكل فعال فاتخذت أيضا بعض التدابير وأهمها عزل الخديوي عباس الذي كان يبعث البريطانيين ويميل إلى مساندة التيار الوطني في مصر وتعيين الأمير حسين كامل سلطانا على مصر وفي 1914/12/18 أعلنت بريطانيا حمايتها على مصر منزوعة بحجة تأمين موقعها العسكري في منطقة الشرق الأوسط وخاصة في تركيا.

وقد كان من نتائج الحرب العالمية الأولى ودعوات ولسن في مؤتمر الصلح سنة 1918 إلى حق تقرير المصير، إن تفجرت في مصر ثورة 1919 التي قادها سعد زغلول رفاقه من المثقفين المصريين الذين تقدموا بمذكرة للسلطان البريطانية مطالبين تمثيلهم المطالبة (بحقوق الأمة) بوفد ليعكس رأى المصريين، وبسبب عرقلة السلطات البريطانية لمساعي الوفد نشأت الثورة ثم تكونت

¹ - محمود السيد، تاريخ إفريقيا القلم والحديث، المرجع السابق، ص 124. أنظر إلى المرجع فيصل محمد موسى، موجز في إفريقيا الحديث

المعاصر، المرجع السابق، ص 266.

التيارات السياسية والأحزاب المطالبة برفع الحماية وحق تقرير المصير للشعب المصري أهم هذه التيارات حزب الوفد برئاسة **سعد زغلول** حزب الدستوريين برئاسة **عدلي** وحزب الأمة برئاسة **أحمد لطفي السيد**¹.

في عام 1922 تولى حزب الوفد الحكم واختلف الوفد مع الملك **فؤاد** والانجليز ليعود الحكم إلى يد المعتدلين من أصحاب المصالح ملاك الأرض، ولكن هؤلاء لم ينالوا ثقة الشعب، ثم اتحد المعتدلون والوفد وطالبوا بانتخابات عامة، وبعد مضي بضعة سنين اتفق خلالها الوفد مع الإنجليز على عقد المعاهدة المصرية الإنجليزية عام 1936 التي نصت على انسحاب الجيش البريطاني إلى نطاق ضيق على جانبي قناة السويس².

في سنة 1936 وافقت الدولتان مصر وبريطانيا على إجراءات تجديدات على اتفاقية 1899 بشأن السودان والدفاع عن مصر وقد أعادت طرد الاتفاقية وضع السودان إلى ما كان عليه سنة 1899، وأرسلت قوات مصرية إلى السودان وكذلك بعض الإداريين وذلك بغرض تدعيم الوجود المصري في السودان بعد أن تأكد للإدارة المصرية أن الإنجليز قد تمكنوا من وضع سياسة تعليمية مسيحية في السودان وإدارية تهدف في المدى البعيد إلى فصل السودان عن مصر، وتبع هذه الإجراءات زيارة **علي ماهر** إلى السودان سنة 1940 والتي رافقه فيها وفد من الزراعيين والاقتصاديين للنظر فيما يمكن عمله في السودان يهدف تطويره وبعد عودة **علي ماهر** إلى مصر صرح بمستوى الوعي الوطني والثقافي لدى السودانيين وفهمهم إلى طبيعة العلاقة مع مصر³.

شهدت الفترة ما بين سنة 1940-1948 تطورا كبيرا في الوعي السياسي المصري حيث خشي المصريون من تكرار مسرحية الحرب العالمية الأولى لذلك كان الصراع على أشده بين الأحزاب المؤيدة للقصر والمعارضة له من جهة وبين القصر والإدارة البريطانية من جهة أخرى.

¹ - فيصل محمد موسى، موجز في إفريقيا الحديث المعاصر، المرجع السابق، ص 269 - 270.

² - محمود السيد، تاريخ إفريقيا القلم والحديث، المرجع السابق، ص 124.

³ - فيصل محمد موسى، المرجع السابق، ص 270 - 271.

في عام 1945 بدأت السلطة في مصر للعمل على تكوين جامعة الدول العربية ومواجهة مشكلة فلسطين ولكن لم يكن الاتجاه السياسي لمواجهة مشكلة فلسطين صحيحا وإنما ظهرت حكومة الوفد والقصر بمظهر غير مشرف في معالجة مشكلة فلسطين مما أضربها ضررا بليغا بعد أن تحولت حملة فلسطين من مواجهة عسكرية إلى اتجاه سياسي الأمر الذي ترقب عليه قيام حركة في الجيش المصري لتطهير البلاد من الفساد¹. وكانت حرب سنة 1948 اختبارا حقيقيا للقصر حيث أن وضع بريطانيا قد تهدد بشكل مباشر فلم يكن له حيلة إلا أن تشارك مصر في هذه الحرب المقدمة بفلسطين وكان ما كان من أمر الأسلحة الفاسدة التي لعبت دورا في حرب (الفالوجا) التي أشترك فيها جمال عبد الناصر، وظهرت قدرته لقيادته، انتهى الصراع بين القصر والأحزاب إلى تفجير ثورة سنة 1952 والتي وضعت حدا للنظام الملكي وإعلان الجمهورية في مصر في يناير سنة 1952 على ضوء المبادئ الاشتراكية².

أما في السودان لقد واجه الاستعمار البريطاني منذ قدومه إلى السودان مقاومة عنيفة أهمها ثورة الخلدوني في الجزيرة سنة 1908 بقيادة الأمير عبد القادر و دحوب وهو استمرار بنفوذ المهديّة وقد تم إعدامه كما قام السلطان علي دينار بثورته التي استمرت منذ سنة 1900 حتى سنة 1916 وعند قيام الحرب العالمية الأولى أعلن السلطان وقوفه مع تركيا وقد أدى ذلك إلى تجريد حملات عسكرية ضد انتهت بمفتاحه في معركة (برنجية) هي مشارف الناشر.

وفي سنة 1919 وبعد قيام الثورة المصرية وتكوين الوفد المصرية للمطالبة برفع الحماية عن مصر واستقلال مصر وعلى ضوء مبادئ ولسن في حق الشعوب في تقريرها تكون وفد من زعماء السودانية والزعماء السودانيين وسمي هذا الوفد (بوفد الولاء) وكان هذا الوفد يضم علي الميرغني³ زعيم الختمية، وعبد الرحمن المهدي¹ زعيم الأنصار وغيرهم في سنة 1924 تبلورت

¹ - محمود السيد، تاريخ إفريقيا القديم والحديث، المرجع السابق، ص 125.

² - فيصل محمد موسي، موجز في إفريقيا الحديث المعاصر، المرجع السابق، ص 271، ارجع إلى تفاصيل الثورة المصرية في الفصل الأول.

³ - علي الميرغني (1880-1968): زعيم ديني وسياسي سوداني الراحل للأسرة الميرغنية المعروفة في مصر والسودان وإرتريا والتي عرفت بقيادة الطريقة الختمية الصوفية استقرت أسرته في كسلا و سواكن وقد ناصبت المهديّة العداء و تحالفت مع الحكومة المصرية و استقطبت عددا من سكان الشرق الطريقة الختمية.

الجمعيات السرية في جمعيات علنية أهمها جمعية اتحاد قبائل السودان وجمعية اللواء الأبيض وقد قدر للجمعية الثانية أن تلعب دورا هاما في أحداث أوت 1924 وتشمل حركتها كل أجزاء السودان، وذلك عندما اغتيل لي استاك (Lee Stark) حاكم عام السودان البريطاني في أحد شوارع القاهرة، فقررت الحكومة البريطانية إجلاء الحاميات المصرية كعقوبة المصريين وفي الفترة ما بين 1924-1936 انفرد البريطانيون بحكم السودان تقريبا وكان موضوع السودان طوال المفاوضات المصرية البريطانية موضوعا رئيسيا².

في سنة 1936 تم توقيع الاتفاقية الثنائية بين مصر وبريطانيا والتي أعادت وضع السودان إلى عهد سنة 1899 وفي هذا الوقت كان الوعي السياسي في السودان قد نضج وتكون نادي الخرجين في (أم درمان) سنة 1938 والذي حظي بتأييد الزعماء الدينيين ورعايتهم، وقاد هذا النادي النشاط الثقافي في الفترة ما بين سنة 1938-1945 وكان يرأسه إسماعيل الأزهري وضم العديد من القيادات السياسية التي أصبح لها شأن في مستقبل الأيام، وقد رفع المؤتمر العام للخارجين سنة 1942 مذكرة هامة طالبوا فيها ولأول مرة بحق تقرير مصير للسودانيين أسوة بالشعوب الأخرى.

فكان رد فعل الحاكم العام حاسما وهو أن المؤتمر هيئة ثقافية اجتماعية ليس له الصفة السياسية حتى يخاطب الإدارة البريطانية، تم على إثر ذلك حل النادي وإغلاق فروعها في كل السودان والتشكيل بقيادته الوطنية، وكان ذلك دافعا للسودانيين لتكوين أحداث سياسية تعبر عن وجهة نظرهم، فكان تكوين الأحزاب، أول حزب تكون هو (حزب الأمة).

¹- عبد الرحمن المهدي (1885-1959): ولد بأم درمان بعد وفاة الإمام محمد أحمد المهدي، خلال الحرب العالمية الأولى بزغ نجم عبد الرحمن المهدي كزعيم سياسي ورجل مال، بعد نهاية الحرب كان ضمن الوفد الذي سافر إلى بريطانيا لقيادة على الميرغني عام 1919، فكان أصغر أعضاء الوفد سنا، وقد التزم في خطته لنيل للاستقلال عبر الوسائل السلمية، ذلك التصرف قبول بالنقد من الكثيرين الذين كانوا يجندون مواجهة الاستعمار بالقوة، و اتهموه بالعمالة للإنجليزية، لعب دورا بارزا في حركة مؤتمر الخريجين، أسس صحيفة "حضارة السودان" في عام 1919 وصحفية "النيل" في عام 1935 و حزب الأمة، وقد عارض الدعوة إلى الاتحاد مع مصر و الدخول تحت التاج المصري، ظل يعمل بقوة في سبيل استقلال وتم إعلان الاستقلال في 19 ديسمبر 1956، تم الجلاء في 01 يناير 1956.

²- فيصل محمد موسى، موجز في إفريقيا الحديث المعاصر، المرجع السابق، ص 272 - 273.

في يناير 1945 وهو يجمع بين الصفة الدينية والصفة السياسية وترأسه عبد الرحمن المهدي لـ(حزب الأشقاء) بعد فترة وجيزة الذي انقسم إلى حزبين هما (الوطني الاتحادي)، و(الشعب الديمقراطي) فيما بعد وكان يرأس (الحزب الوطني الاتحادي) إسماعيل الأزهري بينما يرمي علي الميزغني (حزب الشعب الديمقراطي)، وكان شعار حزب الأمة هو السودان للسودانيين والمطالبة بالاستقلال من بريطانيا مباشرة، وبينما كان شعار (حزب الأشقاء) وحدة واد النيل والحصول على الاستقلال بالاتفاق مع مصر، وكان الغاية لجميع الأحزاب هي حصول علي استقلال.

وقد مرت الانتخابات التي خاضها الأحزاب السودانية حيث فاز الحزب الوطني الاتحادي بأغلبية المقاعد بينما حصل حزب الأمة على أكثرية الأصوات وتشكلت حكومة السودانية الأولى برئاسة إسماعيل الأزهري في أول يناير 1954، لمدة عامين، وفي فترة حكم إسماعيل الأزهري وقعت أحداث أول مارس سنة 1954، عندما زار محمد نجيب¹ رئيس الجمهورية المصرية السودان، وهذه الإجراءات ناتجة عن عدم توافر الإجراءات الأمنية لحماية نجيب والتي قصد منها البريطانيون، إيقاع الفتنة بين السودان ومصر وكان يريدون أن يحدث فوضى واضطراب ينتج منها حالة من الإخلال بالأمن يلغي بموجبها الحكم الذاتي وتعيد السلطة البريطانية حالة الأحكام العرفية مرة أخرى.

كانت حوادث أول مارس معلما في تطور السودانين نحو الاستقلال فمنذ ذلك الوقت حدث حكومة الأزهري في المطالبة باستقلال السودان والذي تمت الموافقة عليها من الدولتين الحاكمين مصر وبريطانيا في أو يناير سنة 1956².

¹ - محمد نجيب(1901-1984): سياسي عسكري مصري، ولد بالسودان ، حصل على الليسانس في الحقوق في عام 1927، وكان أول ضابط في الجيش المصري يتحصل عليها، أول رئيس لجمهورية مصر لعد إنهاء الملكية و إعلان الجمهورية في 18 يونيو 1953، كما يعد قائد لثورة 23 يوليو 1952 التي انتهت لعزل الملك فاروق ورحيله عن مصر خلال فترة من 08 مارس 1954 إلى 18 أبريل 1954، و تولى أيضا منصب القائد العام للقوات المسلحة المصرية ثم وزير الحربية عام 1952 وأعلن مبادئ الثورة الستة، وحدد الملكية الزراعية لكنه كان على خلاف مع الضباط مجلس قيادة الثورة بسبب رغبته في إرجاع الجيش لثكناته و عودة الحياة النيابية المدنية و نتيجة لذلك قدم استقالته في فبراير، ثم عاد مرة ثانية ، لكن في 14 نوفمبر 1954 أجبره مجلس قيادة الثورة على الاستقالة و وضعت تحت الإقامة الجبرية.

² - فيصل محمد موسى، موجز في إفريقيا الحديث المعاصر، المرجع السابق، ص 274 - 277.

■ كينيا:

تأخر نمو الحركة الوطنية في إفريقيا الشرقية لعل ذلك يرجع إلى أحكام السيطرة الاستعمارية من ناحية واستمرار الحياة القبلية والرؤساء وفي إدارة شؤونهم المحلية من ناحية أخرى بهذا فإن ظهور المنظمات السياسية والأحزاب جاء متأخرا ومختلفا اختلافا عميقا في الشكل والمضمون عن ميلادها في إفريقيا البريطانية.

اتفقت بريطانيا وألمانيا في عام 1886 على تقسيم هذه المناطق (كينيا، تنجانيا) إلى منطقتي تعود بريطانيا في الشمال ألمانية في الجنوب، وتكونت شركة شرق إفريقيا البريطانية الإمبراطورية في سبتمبر 1888 وحصلت على امتيازات العمل من السلطان برغش بن سعيد، سلطان زنجبار لاستغلال هذه المنطقة، وقد سلمت الشركة هذه المنطقة إلى الحكومة البريطانية 15 جويلية 1895 وأعلن قيام محمية شرق إفريقيا البريطانية التي أطلق عليها عام 1920 اسم كينيا¹.

ونتيجة للتطورات التي شهدتها كينيا خلال الحرب العالمية الأولى تمت الحركة الوطنية وظهرت المنظمات السياسية التي ارتبط نشؤها بالأرض وأحوال الفلاحين، كما ارتبطت هذه المنظمات بقبائل الكيكويو وذلك لسببين هما:

- 1- إن قبائل الكيكويو تعد أكبر مجموعة قبلية في كينيا حيث بلغ تعدادها في عام 1958 بأكثر من مليون ونصف مليون نسمة من مجموع سكان كينيا البالغ 5.9 مليون نسمة.
- 2- انتشرت الثقافة والتعليم بين قبائل الكيكويو أكثر من غيرها بسبب نشاط الجمعيات والروابط المختلفة في هذا المجال، ومنها جمعية مدارس الكيكويو المستقلة، وجمعية الكيكويو التربوية والتعليم إضافة إلى ما قامت به المؤسسات التبشيرية والكنائس من إنشاء المدارس وتهيأت مستلزماتها².

¹ - جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص 133 - 134.

² - المرجع السابق، ص 134 ، 135. أنظر المرجع محمد فيصل موسي، المرجع السابق، ص 245 - 246.

ظهرت أول منظمة سياسية في كينيا حين كون هنري توكو في جويلية 1921 (جمعية شرف إفريقيا أو (جمعية شباب كيكويو) وعضويتها مفتوحة أمام جميع أفراد الكيكويو وسعت إلى الحفاظ على حقوق الأفارقة في أراضيهم، وقد أثار نشاطها السلطات الاستعمارية التي سارعت إلى إغلاقها في مارس 1922 ومصادرة ممتلكاتها، ونفي رئيسها توكو من أراضي الكيكويو وقد خرجت مظاهرات احتجاجية على ذلك وحدثت مصادمات بين المتظاهرين ورجال الشرطة التي قامت بإطلاق النار، وفرضت الحكومة حالة الطوارئ، أرسلت بريطانيا لجنة لتحقيق في أسباب الاضطراب فشكل الأفارقة جمعية الكيكويو المركزية في نفس العام لعرض وجهة النظر الإفريقية والدفاع عن حقوق الأفارقة في الأرض ومقاومة المستوطنين البيض والتفرقة العنصرية قد حصلت هذه الجمعية على تأييد واسع خشيت منه السلطة الاستعمارية فهدد حاكم كينيا البريطاني الأهالي الذين يساندون الجمعية بالعقاب، كاعتقال زعمائها وقد ألغيت هذه الجمعية في أوائل الحرب العالمية الثانية بحجة اتصالها بالايطاليين أعداء الحلفاء.

شارك الكينيون بإحياء الحرب العالمية الثانية ووجدوا للقتال في صفوف الحلفاء في إفريقيا وآسيا، كما أسهموا في الجهود الحربية للحلفاء على طريق زيادة الإنتاج الزراعي والصناعي عندما استغلت بريطانيا ظروف هذه الحرب للاستفادة من الأيدي العاملة الكثيرة والرخيصة وقد تأثر الكينيون بظروف الحرب وانتشار الأفكار الديمقراطية المطالبة بحقوقهم السياسية وخاصة وأن الحرب أوجدت فئة من الأجزاء الزراعيين والعمال الصناعيين الأمر الذي أحدث تفسير عميقا في بنية المجتمع وكذلك ظهور نخبة مثقفة ساحطة على السيطرة الاستعمارية فتشكل في عام 1944، (اتحاد كينيا الإفريقي) (Union African Kenya) والمناطق والفئات والانحدار الطبقي والاجتماعي يجمعهم هدف واحد هو الحصول على الاستقلال وبرز من زعامة جومو كيناتا (Jomo Kenyatta)¹ (الرمح الملتهب) الذي أصبح رئيسا للإتحاد عام 1947، وقد امتد نشاط الإتحاد ليشمل مختلف مناطق كينيا، وحدد منهاجه بالسعي لها:

¹ - جومو كيناتا: زعيم الحركة الوطنية بكينيا سكرتيرا عاما بجمعية الكيكويو المركزية وإمكانية القيادة نحو استقلال كينيا، كان كيناتا يكتب المقالات في صحيفة (Mwawithana) التابعة للجمعية المركزية هاجم الكولون ولسياسته الاستعمارية البريطانية في إفريقيا بشكل عام وكيليا بشكل خاص، قد أسفرت الانتخابات التي نظمتها الحكومة البريطانية بكينيا سنة 1961 المهتد لاستقلال البلاد عن فوز الإتحاد الوطني الإفريقي بكينيا

- 1- تطبيق الحكم الذاتي بما يضمن للأفارقة إدارة شؤونهم، وتوسيع المجلسين التنفيذي والتشريعي ومشاركة الكينيين في هذين المجلسين بصورة فعالة.
- 2- الإصلاح الاقتصادي بإيقاف الملك البيض الأراضي، والاهتمام بتطوير وسائل الزراعة والري وتحسين أوضاع الأجراء من العمال والفلاحين والمساواة في الأجور بين البيض والأفارقة.
- 3- الإصلاح الاجتماعي وخاصة في مجالي الصحة والتعليم والضمان الاجتماعي مع التأكيد على توسيع التعليم ونشره في مناطق كينيا المختلفة¹.

وبذلك أصبح أمل الأمة الكينية بأسرها لنيل استقلالها لإثبات الذاتية الإفريقية وتحطيم التمييز العنصري مع احتفاظه بعادات وتقاليد قبيلته جعل شخصية كيناتا جاذبية للجماهير والمتعلمين على السواء، ولاشك في أن شخصية جومو كيناتا هي التي كانت طاغية على المسرح السياسي في الخمسينيات من هذا القرن في كينيا بالرغم من أنه قضى معظم حياته في السجن ويعتمد بعض الباحثين الغربيين أن تطور الحوادث إلى ما تطورت إليه في كينيا كانت تتبدل تبديلا جذريا إذا ما عين حاكم كينيا جومو كيناتا في المجلس التشريعي ممثلا للإفريقيين، لكن الحاكم آنذاك في سنة 1947 لم يرى هذا الرأي وهذا دعا كيناتا أن يتجه الشعب ويشترك في (حركة الماوماو) مما جعله ذو مكانة في نظر مواطنيه، وهذا الفرض مبين على أساس خاطئ فهم يهملون قوة الحركة من جانبه السعي وينظرون إلى الزعيم فقط، والصحيح هو أن نجاح مثل هذه الحركات لا يتم إلا بتجاوب من الجماهير والزعيم، فإذا لم يبرز كيناتا لقيادتها لوجدت قائدا آخر طالما أن القوة الأصلية منبعثة من الجماهير².

قد دفع بالسلطات الاستعماري البريطانية إلى إطلاق سراح الزعيم جومو كيناتا في جانفي سنة 1962 في ديسمبر 1964، أصبح جومو كيناتا أول رئيس جمهورية كينيا المستقلة. أنظر المرجع منصف بكاي، الحركة الوطنية واسترجاع السيادة، المرجع السابق، ص 111 - 118. أنظر محمد فيصل موسى، المرجع السابق، ص 246.

¹ - جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص 136.

² - محمد فيصل موسى، المرجع السابق، ص 247.

حصل الاتحاد على التأييد الشعبي الواسع بحيث بلغ عدد أعضائه في عام 1950 أكثر من مائة ألف عضوا وامتدت فروعها وشعبه إلى مختلف مناطق كينيا، ازدادت أعمال المقاومة والكفاح المسلح ضد الاستعمار والاستيطان، فأثار البريطانيون لأول مرة كلمة ماوماو (Maumau)¹ لدليل على العنف والكفاح المسلح، وبدأت الصحافة البريطانية وأعضاء مجلس العموم يرددون هذه الكلمة التي أصبحت تدخل الرعب في النفوس.

قد حاولت بريطانيا إلصاق التهم ضد (الماوماو) بهدف إضعافها وعزلها بحجة قيامها بأعمال إرهابية وحشية بعيدة عن التمدن والرقى والحياة الديمقراطية السلمية، في وقت استخدمت فيه بريطانيا كل الوسائل القسرية والاستفزازية بما فيها مصادرة أراضي الأهالي بالقسر وتشريد المزارعين الذين اضطروا إلى الهجرة للمدن القريبة فلم يجدوا العمل وعاشوا حياة التشرد والخوف والكراهية وسدت بوجوههم سبل الحياة التي اسودت في عيونهم فلجأوا إلى الانتفاضة لمقاومة كل أوروبي.

أسرعت الحكومة في سبتمبر 1952 إلى إصدار التشريعات لتقييد الحريات العامة واعتقال كل شخص يشتبه به فتم اعتقال **جومو كيناتا** وعشرين من قادة اتحاد كينيا الإفريقية 21 أكتوبر 1952 والحكم عليهم بالسجن بمدن مختلفة، فأصدرت اللجنة المركزية للاتحاد بيانا في 28 أكتوبر طالبت فيه:

- 1- الإفراج عن المعتقلين، وإطلاق الحريات الديمقراطية والسماح باستمرار نشاط اتحاد كينيا الإفريقي وحرية إقامة الأحزاب والجمعيات والنقابات العمالية وحرية الصحافة.
- 2- إلغاء التمييز والتفرقة العنصرية وإشراك أهالي البلاد في إدارة المؤسسات الحكومية وفي القوات المسلحة والمساواة أمام القانون.

¹ - **الماوماو**: هي كلمة تعني تصريف أو مخرج لتوتر سيكولوجي عاطفي نتج عن الاضطراب والفشل الذي ساد حياة الإفريقيين وما شهدوه من عدم المساواة والظلم، والتسلط الأجنبي فهي اشتعال مفاجئ عن الغيظ والسخط الذي تراكم بشدة وكثافة في نفوس الكيكويو وعموم شعب كينيا نتيجة للضغط وللإستغلال وحبية الأمل واليأس الذي تعرض من قبل شعب يدعي أنه ذو حضارة أرقى، لعل ذلك دفع إلى قيام تنظيم سري تزعمه كينياتا لمقاومة احتكار السلطة والمال والأرض والسياسة العنصرية من قبل الأوروبيين فهي حركة شعب مظلوم انتهت كل تقاليد ومؤسساته وضافت الدنيا في وجهه. أنظر إلى مرجع **جعفر عباس حميدي**، المرجع السابق، ص 136.

3- الإصلاح الاجتماعي عن طريق الاهتمام بالمؤسسات الصحية والتوسع في إنشاء المدارس وإصلاح التعليم.

لم تؤد الإجراءات القمعية إلى القضاء على المقاومة الوطنية فقد عينت الحكومة الجنرال جورج ارستين قائد القوات البريطانية وأعلنت حالة الطوارئ لكنها اضطرت في النهاية إلى إجراء بعض الإصلاحات الدستورية عام 1954 لزيادة تمثيل الأفرقة في المجلس التشريعي¹.

3-2 التنظيمات السياسية والحركة الوطنية في إفريقيا الفرنسية:

تختلف التطورات السياسية التي مرت بها المستعمرات الفرنسية عن التطورات التي مرت بها المستعمرات البريطانية، فقد سبق أن ذكرنا أن نظام الحكم الفرنسي قد استند إلى الحكم المباشر وسياسة الاستيعاب الرامية إلى طمس الهوية الوطنية والقومية الإفريقية، الأمر الذي أثر على نمو الحركات الوطنية ووضع العراقيل أمامها، ولكن التطورات التي شهدتها العالم في فترة ما بين الحربين العالميتين وبرزت بعض الاتجاهات الاستقلالية في بعض مناطق القارة السوداء خاصة شمال إفريقيا قد أثر بشكل واضح على الحركات الوطنية في المستعمرات الفرنسية، وزاد من ذلك الأفكار الداعية إلى الديمقراطية والتحرر حق تقرير المصير التي انتشرت خلال الحرب العالمية الثانية، وسقوط الجمهورية الفرنسية الثالثة ودعوة حكومة فرنسا الحرة أثناء نضالها ضد الاحتلال النازي إلى حرية الشعوب واستقلالها وقيام الجمهورية الفرنسية الخامسة وإجراءاتها الجديدة في التعامل مع الشعوب الإفريقية كلها عوامل أسهمت في نمو الحركات الوطنية في المستعمرات الفرنسية².

يبدو من واقع الدلائل المتوافرة أن تلك الفترة أتسمت بضعف نسبي في النشاط السياسي نتيجة لموقف فرنسا الأكثر تشدداً تجاه الأنشطة والمنظمات السياسية الإفريقية، ونتيجة لعدم وجود صحافة إفريقية نشطة في إفريقيا الغربية الفرنسية بالمقارنة مع الصحف الإفريقية في سيراليون وساحل الذهب ونيجيريا، رغم النشاط السياسي في إفريقيا الفرنسية، شأنه شأن مثيله في إفريقيا البريطانية كانت له مظاهر محلية وأخرى دولية، فقد كان قدر كبير من النشاط السياسي الإفريقي

¹ - جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص ص 136-137.

² - المرجع نفسه، ص 138.

في المناطق الفرنسية يجري في باريس به فترة من 1924-1936 بيد أن معظم تلك الجماعات السياسية كانت راديكالية ومنحازة إلى الأحزاب السياسية ونقابات العمال الفرنسية، وتأثير نشاطها المعادي للاستعمار على السلطات الفرنسية كان محدود¹.

سيطرت النخبة المتفرنسة واحتكت بالتيارات والأفكار السياسية الفرنسية الليبرالية والاشتراكية الشيوعية، واشترك البعض منها في الأحزاب السياسية الفرنسية وبعد العودة إلى أوطانهم قاموا بإنشاء فروع لتلك الأحزاب، أو إنشاء أحزاب متأثرة بالإيديولوجيات التي سادت فرنسا، والحصول على حق التمثيل في الجمعية الوطنية الفرنسية، والإسهام في صياغة دستور الجمهورية الفرنسية الرابعة، فسارع أبناء المستعمرات إلى تنظيم أنفسهم في منظمات سياسية أحزاب أو مؤتمرات أو جهات اتسمت ما يلي:

1- كانت المنظمات السياسية ذات طابع اتحادي وليست خاصة بأقاليم من الأقاليم وإنما تمثل جميع ضده الأقاليم وإنما تمثل جميع هذه الأقاليم وفروعها منتشرة فيها، لأنها أنشأت في إطار الاتحاد بين فرنسا ومستعمراتها في إفريقيا الغربية وإفريقيا الاستوائية.

2- كانت قيادة المنظمات السياسية في البداية للنخبة المتفرنسة لذا اقتضت أهدافها على الحصول على التمثيل في المنظمات البرلمانية الفرنسية، والمشاركة في الوزارات الفرنسية والإدارات الفرنسية في المستعمرات ولم ترفع شعار الاستقلال التام والانفصال عن فرنسا وإنما رفعت شعار التطور داخل الاتحاد الفرنسي.

3- لجأت الزعامات الشعبية المتطلعة إلى الاستقلال إلى المنظمات النقابية واتحادات العمال والشباب التي ضمت الفئات المسجونة من الأفارقة واستطاعت من خلال هذا العمل الشعبي إلى الوصول إلى قيادة الحركة الداعية إلى الاستقلال، ويمكن الإشارة هنا إلى دور أحمد سيكوتوري في غينيا.

4- أنشأت في المستعمرات الفرنسية فروع للأحزاب الفرنسية ذات الاتجاهات المختلفة وكانت مواقف هذه الفروع منسجمة مع مواقف قياداتها في فرنسا، ولكن اصطدام

¹ - محمد علي القوزي، في تاريخ إفريقيا الحديث المعاصر، المرجع السابق، ص 222 - 223.

المصالح الوطنية الإفريقية مع المصالح الفرنسية، أدى في النهاية إلى استقلال هذه الفروع وظهورها كأحزاب وطنية إفريقية.

5-الصفة الغالبة في تكوين المنظمات السياسية في إفريقيا الفرنسية هي أنها مؤتمرات أو جبهات رغم إطلاق أسماء أحزاب عليها، وتضم مختلف الفئات الاجتماعية والاتجاهات الفكرية والسياسية¹.

كان صدور دستور الجمهورية الفرنسية الرابعة عام 1946، وانعقاد مؤتمر (باماكو) في نفس العام البداية الأولية لنشؤ المنظمات السياسية الاتحادية فقد حضر مؤتمر باماكو 1900 شخصية إفريقية تمثل كافة الشرائح الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية وقد أقر المجتمعون إقامة (جبهة التجمع الديمقراطي الإفريقي)، وهدفها تنسيق جهود الأفارقة وتأمين المساواة والحصول على الحريات العامة في إطار الاتحاد الفيدرالي مع فرنسا، ومثلت الجبهة جميع الأقاليم الإفريقية في إفريقيا الغربية الاستوائية (توغو والكاميرون)، بحيث تستطيع أن تقول أنها مثلت عموم الرأي العام في إفريقيا الفرنسية.

أثرت التطورات التي مرت بها الحركات الوطنية الإفريقية وظهور النزعات الإقليمية على نشاط جبهة التجمع الديمقراطية وأحدثت الانشقاقات في صفوفها رغم محاولات الزعيم الإفريقي أحمد سيكوتوري في غينيا للمحافظة على وحدة الجبهة ودعوته إلى عقد اجتماعها في عام 1955، إلا أن جهوده لم تثمر إلا قليلا في إعادة الوحدة إلى صفوف الجبهة لعل نشاط **ليو بولد سنغور**²، في السنغال وتشكيله حزبا إقليميا هو (الكتلة الديمقراطية السنغالية) قد أصر بوحدة النشاط الإفريقي، رغم محاولات التراجع في مؤتمر دكار في عام 1957 والعودة إلى النشاط الموحد³، فقد أقر مؤتمر دكار (الميثاق الإفريقي) الذي يهدف إلى إقامة حزب اتحادي في إفريقيا السوداء هو (حزب التكتل الديمقراطي) الذي مثل بعض المنظمات الإفريقية الإقليمية، وكانت وجهة نظره تختلف اختلافا

¹- جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص 138 .

²- **ليو بولد سدار سنغور**: ولد سنة 1906 بجوال في السنغال، تخرج من ثانوية لويس الكبير بفرنسا، وبعدها زعيما للحركة الوطنية في السنغال وهو أول رئيس للبلاد ومن دعاة الوحدة الإفريقية وعين عضوا في الأكاديمية الفرنسية سنة 1984. أنظر إلى **منصف بكاي**، الحركة الوطنية واسترجاع السيادة بشرق إفريقيا، المرجع السابق، ص 96.

³- جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص 138 - 139.

واضحاً عن جبهة التجمع الإفريقي، فدعوته سلمية وتأكيداً على الحصول على المزيد من الاستقلال الداخلي للأقاليم الإفريقية في نطاق رابطة الجماعة الفرنسية.

3-3 التنظيمات السياسية والحركة الوطنية في غرب إفريقيا:

■ السنغال:

كانت السنغال و داهومي أهم المستعمرات الفرنسية في غرب إفريقيا التي شهدت شيئاً من النشاط السياسي الإفريقي في فترة ما بين الحربين، وكما هو معروف فإن الدوائر الأربعة في السنغال كانت تنتخب من يمثلها في مجلس النواب الفرنسي منذ القرن التاسع عشر، كان بليز دياني أول سياسي سنغالي تنشئ تنظيمًا سياسيًا، وهو الحزب الاشتراكي الجمهوري عام 1914، ينضم مختلف الجماعات الأثنية في (داكار وسان لوي)، في وقت كان السنغاليون فيه ينزحون إلى المناطق الحضرية، في تلك الفترة أيضاً كان نفوذ الرؤساء التقليدية في انحسار وأصبح المرابطون (شيوخ الطرق) يشكلون قوة سياسية اجتماعية جديدة في المناطق الريفية، كما تزايد الاستياء بين صفوف الكتبة ومعلمي المدارس السنغاليين بالمزيد من الفرص العلم ويتحسن المرتبات وزيادة إمكانيات التعليم، وقد سميت فيما بعد (حزب الشباب السنغاليين) وكانت تصدر صحيفة اسمها (الديمقراطية).

استطاع بليز دياني أن يفوز في 1914 بتأييد كبار المرابطين (شيوخ الطرق) وتبنته سياسياً حركة السنغاليين الشباب، وكذلك بعض الفرنسيين ذوي الأفكار الليبرالية، ولم يلجأ بليز دياني إلى استشارة الانتماء العنصري، بل كان يتحدث عن التمثيل السياسي للسنغاليين وعن اليقظة السياسية للإفريقيين وعن الحفاظ عن حق الإفريقيين في الدوائر الأربعة في المواطنة بينما كان خصومه يتجاهلون هذه القضية إلى حد كبير ويعتبرون دياني مرشحاً لا مستقبل له.

لم يكن بليز دياني يطالب بالاستقلال عن فرنسا بل كان يدعو إلى المساواة والكرامة إلى السيطرة الإفريقيين على شؤون الإدارة والمؤسسات البلدية¹، وكان العمل السياسي في (داهومي)

¹ - محمد علي الفوزي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع سابق، ص 223 - 224.

يقتصر إلى حد كبير على الصراعات داخل الجماعات الدينية، وعلى التفاعل بين تلك الصراعات وبين النزاعات بين الرؤساء والتناحر على الخلافة، غير أن المثقفين الإفريقيين بحكم تعلمهم ونشأتهم الاجتماعية، لم يكونوا يشاركون في الصراعات السياسية بين الرؤساء، ولعل أنشط سياسي (داهومي) في تلك الفترة هو **لويس هونكانرين** الذي جمع بين الصراعات السياسية بين الرؤساء وبين التحريض على محاربة الاستعمار وكان **هونكارين** قد تلقى تعليمه في السنغال، وعمل فترة في (داهومي) ثم عاد إلى السنغال في 1913.

قد كتب في الصحف الفرنسية والسنغالية عدة مقالات تنتقد سوء الإدارة الاستعمارية (داهومي) وساعد **بليز دياني** أثناء حملته الانتخابية في السنغال عام 1914، وساعده **دياني** على الحصول على وظيفة في باريس، ولكنه بدأ يشترك في نشاط الجماعات الراديكالية هناك، ومن أعيد إلى (داهومي) في 1921، وقد أصدر أثناء وجوده في باريس صحيفة أسماها (Messenger Dahoméon) كانت تندد بفضائح الاستعمار في داهومي.

وبعد أن عاد **هونكانرين** إلى داهومي بعث حياة جديدة في الفرع المحلي لقضية حقوق الإنسان، وفي فرع (اللجنة الفرنسية الإسلامية)، وكان زملاؤه في تلك الفروع المحلية يساعدون على نقل الصحف الراديكالية والشيوعية من فرنسا والولايات المتحدة إلى المثقفين الداهوميين وعلى إرسال العرائض والتظلمات من الإدارة المحلية إلى باريس¹.

■ غينيا:

أصبحت غينيا جزءا من إفريقيا الغربية الفرنسية من سنة 1911، وطبقت عليها السياسة الفرنسية الساعية إلى الاستيعاب وفرنسة الشعوب الإفريقية، كما تعرضت للاستغلال الاقتصادي حيث استغلت معادن البلاد، وخاصة الحديد من قبل الشركات الفرنسية، وعانى الشعب من الجهل والمرض العقيد، واستخدم الأهالي في أعمال السخرة لشق الطرق وزراعة الحقول وبقي الوعي الوطني فيها محدودا شأنها شأن بقية المستعمرات الفرنسية في إفريقيا الغربية، لم يبدأ النشاط

¹ - المرجع نفسه، ص ص 224-225.

السياسي فيها إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وصدر دستور الجمهورية الرابعة عام 1946، فأُسست جبهة التجمع الديمقراطي الإفريقي، كان أحمد سيكوتوري أحد المؤسسين لها¹.

ارتبط النضال الوطني في غينيا شخصية أحمد سيكوتوري الذي شكل فرعاً للجبهة في غينيا سمي (حزب الديمقراطي الغيني) عام 1947، وبعد تأسيس الحزب الديمقراطي الغيني وجد سيكوتوري نشاطه لتعبئة الرأي العام وجر الشعب إلى صفوف الحزب، وعمل على توحيد نشاط كافة فئات الشعب وتوجيهها نحو الهدف رئيس هو الحصول على الاستقلال، كان زعماء الحزب يطوفون في البلاد وينتقلون من مكان لآخر مع الشعب ويشاركونه في أفراحه وأجزائه وبهذه الطريقة نجح الحزب في نشر خلاياه في كل مناطق غينيا، وكسب الطلبة والعمال إلى جانبه، فأصبح حزب الجماهير الشعبية، وعبر عن تطلعاتها ورفع مظالمها ضد الإدارة المحلية والرؤساء لقد وضع الحزب الديمقراطي الغيني أسس تنظيمه بين سنتي 1947-1954 وحدد أهدافه بـ:

- 1- حكومة يختاره الشعب ولأجل الشعب.
- 2- المساواة التامة بين الذكور والإناث.
- 3- إنهاء الاستعمار وإنهاء كاملاً عاجلاً.
- 4- وحدة شعوب غينيا إفريقية².

وأسهم الحزب بنشاط في انتخاب الجمعية الإقليمية (المجلس التشريعي)، كان يتم اختيار المرشحين للانتخابات بطريقة ديمقراطية، ويعتبر كل عضو يفوز في الانتخابات ممثلاً للشعب وليس لدائره الانتخابية وعليه أن يقوم الشعب حساباً عن انتدابه وما حققه وكان يؤكد دائماً على أهمية التأييد الشعبي، الثقة الشعبية، وقد تأثر الحزب في تنظيمه وبناء خلاياه، بالأحزاب الشيوعية حتى أنهم بالشيوعية، في الوقت الذي كان يدعو فيه إلى الاشتراكية الإفريقية، ويؤكد حرصه على مصالح الفئات كلها، ولا يرى وجود نظام للطبقات أو تعارض في المصالح على الضد من الأحزاب الشيوعية، وكان الحزب يؤكد على أهمية القاعدة الشعبية الواسعة ولهذا سعى إلى تشريعاته في المدن

¹ - جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص 141.

² - المرجع نفسه، ص 142.

والقرى والاحتفاظ بعلاقات وثيقة مع الشعب، وبعد التطورات الدستورية التي شهدتها المستعمرات الفرنسية، وخاصة بعد صدور القانون الإطاري¹ (Loi Cadre) عام 1956 الذي سمح بإنشاء مجالس تنفيذية (وزارة) ومجالس تشريعية، خاض الحزب الانتخابات التي جرت في مارس 1957 بفعالية وهمة عالية فتمكن من الفوز الساحق فيها حيث حصل على 56 مقعدا من أصل 60 مقعدا، وأصبح أحمد سيكوتوري السكرتير العام للحزب الديمقراطي الغيني، رئيسا للمجلس التنفيذي (رئيسا للوزارة) وقد مكنه هذا المنصب من السير بالبلاد وإلى الاستقلال التام.

شرع سيكوتوري وبعد استلامه رئاسة الوزارة بإدخال الإصلاحات الضرورية، وفي المقدمة منها الإصلاح الإداري فدعت الحكومة إلى عقد مؤتمر للإداريين في سنة 1957 لبحث مشكلات غينيا وقد خرجت الحكومة من هذا المؤتمر مقتنعة بأن السبيل الوحيد لتطوير البلاد هو أن تضع ثقتها في الشعب وأن كل مبدأ انتخاب الموظفين من القوى فصاعدا محل التعيين، فأصدرت الحكومة في 27 ديسمبر 1957 قانون تم بمقتضاه إعادة التنظيم الإداري للبلاد، فقسمت غينيا إلى 25 قسما لكل منها شخصية القانونية والمعنوية وكان المسؤول عن المنطقة موظف يرشحه رئيس البلاد، على أن يكون ممثلا للحكومة في الإقليم و مسؤولا أمام وزير الداخلية عن القانون والنظام في منطقته، وألغت الحكومة في 31 ديسمبر وظيفة الرؤساء الذين اتهموا بأنهم عملاء الدولة المستعمرة، وممثلين للحركة الرجعية، قد مكن هذا حزب غينيا الديمقراطي من أن تكون له سيطرة كاملة على الجهاز الإداري من مستوى القريب فصاعدا.

وبعد التطورات التي مرت بها فرنسا وسقوط الجمهورية الرابعة ومجيء الجنرال شارل ديغول لرئاسة فرنسا، وإصدار دستور الجمهورية الخامسة عام 1958 الذي تضمن إجراء استفتاء في المستعمرات الفرنسية والذي يقبل الدستور عضوا في الجماعة الفرنسية، والذي يرفض الاستقلال يحصل على الاستقلال فورا، وقيام ديغول بجولة في المستعمرات لحثها للتصويت للدستور الجديد، وزار غينيا وأدرك على الفور مدى الشعبية التي يتمتع بها سيكوتوري وحزبه الديمقراطي الغيني الذي

¹ - القانون الإطاري: هو دستور أصدرته فرنسا في سنة 1956 المهدف منه منح الحكم الذاتي لدول إفريقيا تحت سلطة الحاكم العام الفرنسي، وكان هذا القانون يرمي إلى تجزئة البلدان الإفريقية وربطها بفرنسا اقتصاديا سياسيا لعزلها عما يجري في المغرب العربي. أنظر إلى المرجع محمد بلعباس: الوجيز في تاريخ الجزائر، دار المعاصرة، للنشر للتوزيع، 2009، ص 205.

يسعى للاستقلال، وقد ألقى سيكوتوري خطابا بحضور ديغول قال فيه: "إن غينيا تفضل الفقر في ظل الحرية على الغنى في العبودية".

أجري الاستفتاء على الدستور في غينيا يوم 28 سبتمبر 1958 وكانت النتيجة التصويت ضد الدستور بنسبة 79% وفي 02 أكتوبر أعلن المجلس التشريعي لغينيا، تعبيرا عن إرادة الشعب التي ظهرت في الاستفتاء استقلال غينيا، وتشكلت أول حكومة لجمهورية غينيا برئاسة سيكوتوري السكرتير العام للحزب الديمقراطي الغيني، وقد أثار الاستقلال حفيظة فرنسا التي سارعت إلى سحب الموظفين والخبراء الفرنسيين، ورفض تقديم أية مساعدة للدولة الجديدة المستقلة، فاضطرت الحياة الاقتصادية وارتفعت الأسعار واختفت الموارد الأساسية من الأسواق، إلا أن الحكومة سارعت إلى اتخاذ الإجراءات اللازمة للسيطرة على الوضع الاقتصادي، وتمكنت بفصل المؤازرة الشعبية من إعادة الاستقرار تدريجيا¹.

3-4 التنظيمات السياسية والحركة الوطنية في جنوب إفريقيا ووسطها:

كان هناك دائما اختلافات عميقة تميز بين الحياة السياسية الإفريقية في بلدان شديدة التباين مثل أنغولا وبتشوانا لاند (بوتسوانا الآن) والكونغو البلجيكي (زائير الآن) وروسيا الشمالية (زامبيا الآن)، و باسوتولاند (ليسوتو الآن)، ونياسالاند (مالاوي الآن) و موزمبيق وسوازيلاند، وروديسيا الجنوبية (زيمبابوي)، جنوب غربي إفريقيا (ناميبيا الآن)، واتحاد جنوب إفريقيا (جمهورية جنوب إفريقيا الآن)، وهذه الاختلافات، التي لن تزل واضحة وكانت كبيرة في الفترة بين عام 1919 – 1935، كان من أسباب هذه الاختلافات انتماء هذه البلدان إلى إمبراطوريات استعمارية مختلفة

¹ - جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص ص 142 - 143.

وصفها السياسي، إذا كان بعض حكامها مستعمرات، وبعض الآخر محميات، ومع ذلك فإن ظهور الحركات الجديدة المناهضة للاستعمار في جنوب إفريقيا ووسطها يكشف عن سمات نوعية متميزة المقارنة مع شرق إفريقيا وغربها¹.

■ جنوب إفريقيا²:

تعتبر الحركة التحرر في جنوب إفريقيا من بين الحركات التحريرية في القارة الإفريقية التي ظلت تناهض ضد السياسة الاستعمارية بأشكالها المختلفة لإنكارها جميع الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية للسكان الأصليين، كثير ما أكد الوطنيون الإفريقيون وجود طريق غير إنساني الحياة تتميز به جنوب إفريقيا، المتمثلة في العلاقات المتداخلة بين البيض والسود على مدار عدد من القرون فأخطار العنصرية واضطهاد السود في جنوب إفريقيا، ليس بالأمر الجديد إذ يرجع هذا الاضطهاد إلى قرون عديدة.

كما أن مصطلح التمييز العنصري ينتمي إلى أدب ما بعد الحرب العالمية الثانية، إلا أن ما تحمله هاتان الكلمتان من معاني وأفكار يعود إلى زمن بعيد لا إلى عام 1910 عندما ظهر (اتحاد جنوب إفريقيا) ولا إلى عام 1948 عندما تولى البيض حكم هذه الدولة، فالتمييز العنصر بجنوب إفريقيا يرجع إلى أول مواجهة بين البيض والسود في رأس الرجاء الصالح³.

لقد برزت شخصيات خلدت أسماءها في التاريخ، وكل لها الأثر الفعال في النضال التحرري بإفريقيا ومن أبرز هذه الشخصيات **نلسون مانديلا**⁴، الذي يمثل رمزا للمقاومة وأخذ الزعماء

¹ - محمد علي القوزي، المرجع السابق، ص 230.

² - جنوب إفريقيا: أصل التسمية أزانيا (Azania) بألفة قبائل البانتو وهو الاسم الذي أطلقتته عدة منظمات للسود على البلاد، وأطلق عليها اسم جنوب إفريقيا البريطانية، بعد انعقاد مؤتمر فينيا إلى غاية 1910 وسميت (اتحاد جنوب إفريقيا) بين 1910 و1961 (جمهورية جنوب إفريقيا).

³ - هشام مزوجي: نلسون مانديلا: كفاحه ضد التمييز العنصري في جنوب إفريقيا 1918-2013، مذكرة مكمل لنيل شهادة الماستر في التاريخ المعاصر جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قطب شمة قسم التاريخ، السنة الجامعية 2014-2015، النسخة الالكترونية، ص 10.

⁴ - نلسون مانديلا 1918-2013: في قرية صغيرة تسمى (مغيتزر) عاصمة إقليم ترانسكاي (Transkei) كان يعتبر المهاتما غاندي المصدر الأكبر لإلهامه في حياته وفلسفته حول نبد العنف والمقاومة السلمية ومواجهة المصاعب والصعب، تعلم اللغة الإنجليزية و الكوسا (Xhosa) والتاريخ والجغرافيا، فأحب التاريخ الإفريقي تحصل على شهادة الليسانس في المحاماة من جامعة ويتو وترسند في مدينة (جوهانسبورغ) وعمل في منجم

الأكثر التزاما في كفاحه ضد نظام الفصل العنصري (Apartheid) الذي يقوم على فكرة سمو الجنس الأبيض على الأجناس الأخرى وسيطرة الأقلية البيضاء على الأغلبية السوداء.

يعتبر الاستعمار البرتغالي هو أو من حل في جنوب إفريقيا وذلك بعد أن قام برئاسة برتلمو مودياز باكتشاف رأس رجاء الصالح، وكان ذلك يمثل أول اتصال الأوروبي بجنوب إفريقيا وبعد عشرة سنوات وصلها أيضا فاسكوادي غاما¹ إلا أن البرتغاليين لم يبدلوا في نهاية الأمر أية محاولة لاستعمار المنطقة وفي القرن السابع عشر احتاج الهولنديون والانجليز الذي كانوا يتنافسون على استعمار مناطق الشرق الأقصى إلى محطات لتموين سفنهم، فقرر الشركة الهولندية الشرقية أن تجعل من نقطة في رأس الرجاء والصالح إحدى محطات التموين سفنها.

وما هي إلا سنوات قليلة حتى بدأ يلتحق بالمستوطنين الهولنديين مستوطنون أوروبيون أغلبيتهم من الفرنسيين، وسرعان ما بدأ تظهر في لغة المستوطنين لفظة البوير (Boer) وهي تعني باللغة الهولندية المزارعين وسرعان ما توسع استعمالها ومعناها حتى أصبحت تشير إلى مستوطنين الأوروبيين هناك².

خلال الحروب النابليونية، اشترت إنجلترا مستعمرة (الكاب) من هولندا التي أصبحت رسميا من الممتلكات البريطانية بموجب مؤتمر غينيا 1915، وقد أخذ الإنجليز يتزايدون في الكاب تم تسخير الأفارقة السود للعمل في مزارع المعمرين الجدد ولقد لجأ هؤلاء إلى جلب أرقاء آخرين من مناطق أسيوية وقد نتجت علاقة بين البيض والهنود مما نتج عن ذلك جنس الملونين وكان ينظر إليهم نفس نظره السود³.

الذهب كحارس ليلي لكن سرعان ما طرد من عمله، افتتح "ولتر بيسولو" مكتب للمحاماة ومن هناك بدأ عمله السياسي انظم إلى المؤتمر الوطني الإفريقي وسجن ونفي العديد من المرات، وفاز بالانتخابات أبريل 1994 وأصبح زعيم المؤتمر الوطني الإفريقي ورئيس للبلاد. أنظر المرجع نفسه، ص ص 16 - 29.

¹ - فاسكوادي غاما (1469-1524): ولد في البرتغال يعد من أنجح مستكشفين البرتغال في عصر الاستكشاف الأوروبي وهو أول من سافر من أوروبا إلى الهند بحرا.

² - جمال عبد الهادي، محمد سعود، ووفاء محمد رفعت جمعت: إفريقيا يراد لها أن تموت جوعا، دار الوفاء، جامعة أم القرى، ص ص 85-86.

³ - أنور عبد الغني العقاد: الوجيز في إقليمية القارة الإفريقية، دار المريخ، الرياض، 1982، ص 311.

ونظرا لكون القوة البريطانية هي القوة الصاعدة خلال القرن التاسع عشر وهي سيدة البحار فقد اتسعت شهيتها لعدم الاكتفاء بمنطقة الكاب في جنوب إفريقيا لابتلاع البلاد بكاملها خاصة بعد أن تم اكتشاف مناجم الذهب في منطقة (واترستاند) 1880 ومناجم الماس في كمبلي 1870 وأسأل اكتشاف هذين المعدنين الثمينين لعب الأوروبيين المستوطنين والانجليز وبقي النزاع بين الانجليز والبربر يقوى ويشتد حتى أدى إلى اشتعال حرب ضروس بين الطرفين استمرت من 1896 إلى 1909، انتهت بانهزام البربر هزيمة ساحقة وفرضت بريطانيا عليهم سيادتها¹.

وفي نهاية الصراع الذي كان قائما بين الانجليز والبربر توصل كلا الطرفين إلى تسوية تاريخية حيث قبل البربر الارتباط بالتاج البريطاني وفي الوقت نفسه قبل البريطانيون الحفاظ على الهوية البربرية فأبقت على لغتهم والاحتفاظ باستقلال كنائسهم، وأقيم نظام سياسي دستوري برلماني يقتصر على البيض فقط في 1910 شكلت دولة الأوانج الحرة وترانسفال ومستعمرتا (الكاب والنااتال) البريطانيات دولة متحدة باسم (اتحاد جنوب إفريقيا)².

حينما تسلم مالان مقاليد السلطة في (اتحاد جنوب إفريقيا) بدأ في تطبيق قوانين نظام الفصل العنصري التي تجعل من حق إجلاء الإفريقيين ونقلهم من منطقة إلى أخرى حسب رغبتها كما تحرم عليهم السكن في بعض الجهات وتفرض عليهم ألا ينتقلوا فيها إلا برخصة، تحرم عليهم كل الحقوق السياسية والنقابية تفرض تدابير قمعية وحشية على كل نشاط لهم في هذه الميادين.

لقد كانت حكومة مالان العنصرية تظن بأن هذه القوانين ستقضي نهائيا على الروح الوطنية الإفريقية ولكن نتيجة كانت عكس ذلك فقط أدت هذه القوانين العنصرية إلى ظهور شخصيات مختلفة كرسوا حياتهم من أجل القضاء على النظام العنصري ومن بينهم نيلسون مانديلا الذي زادته هذه الآلام والحن من قوة تصميمه على الكفاح.

وهناك عدة عوامل أثرت في شخصية نيلسون مانديلا حتى جعلته يتبنى فكرة مقاومة التمييز العنصري في جنوب إفريقيا فالعامل الأول يعود إلى عامل النشأة حيث كان أبوه يعلمه تاريخ

¹ - المجاهد، العدد، 65، ص 09.

² - جلال يحيى، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص ص 278 - 281.

أجداده وأسلافه وأمه تتغنى بأساطير (الكوسا) إضافة إلى تعرفه على تاريخ جنوب إفريقيا من خلال اجتماعات زعماء القبائل ومعايشته التمييز العنصري عن طريق التجربة أثناء تواجده في الجامعة أو في مدينة جوهانسبورغ إضافة إلى العامل الثقافي من خلال إيمانه بإسهامات القارة الإفريقية في بناء الصرح الحضاري العالمي قبل تواجد الاستعمار حيث كانت هناك ممالك قوية كمملكة الزولو وملكها شاكا وإمبراطورية المونوبابا في الموزامبيق¹.

وهذا ما جعله يتأثر بالفكر الوحدوي لشعوب القارة الإفريقية ومقاومتها السياسية الاستعمارية أما العامل السياسي فيعود إلى تأثيره بشخصيتين كلاهما امتهنت المحاماة أنطوني لميدي وغاندي المهاتما الذي جاء بأفكار التحرر من الاستعمار بالطريق السلمية وهذا ما جعله يتبنى العمل السلمي في بداية الأمر إلا أن الحكومة سلطت عليهم كل أنواع التعذيب والتقتيل وهذا ما جعله يتبنى العمل المسلح اقتداء بالثورات العالمية كالثورة الجزائرية والثورة الفيتنامية.

منذ بداية عمل نيلسون مانديلا في مهنة المحاماة بمدينة جوهانسبورغ اصطدم بقوانين عنصرية ومختلفة حيث أصدرت السلطات العنصرية أوامرها لمانديلا وشريكه أوليفرتامبو الذي أدخله إلى عالم السياسة بإبعادهما إلى المنطقة التي تعين فيها السود، بحيث يستحيل على زبائنهم الاتصال بهم خلال ساعات العمل المسموح بها، وعلى الرغم من هذه القوانين حاول نيلسون مانديلا تحدث الحكومة العنصرية بدفاعه على آلاف السود الذي وقعوا ضحايا لهذه القوانين منذ انضمامه إلى المؤتمر الوطني الإفريقي².

¹ - هشام مزوجي، نيلسون مانديلا: كفاحه ضد التمييز العنصري في جنوب إفريقيا 1918-2013، المرجع السابق، ص 13 - 14.

² - المؤتمر الوطني الإفريقي (African National Congress): تأسس في 08 جانفي 1912 ظهر لأول مرة من أجل مقاومة قانون منع السود من امتلاك الأراضي، وكان يدعي آنذاك بالمؤتمر الوطني لجنوب إفريقيا، إلى أنه سرعان ما تحول إلى صوت رائد في الصراع ضد هيمنة البيض، في عام 1923 تغير اسمه ليصبح المؤتمر الوطني الإفريقي، ومع إصدار دستور الحرية عام 1955، أثر المؤتمر التزامه برفض العنصرية بالطرق السلمية إلا أنه رغم القمع المتزايد من قبل الحكومة العنصرية أسس هذا المؤتمر جناحا عسكريا معلنا بدء الكفاح المسلح، ثم حضر المؤتمر الوطني عام 1960 إلا أنه استمر في كفاحه التحرري من المنفى من موقع قيادته في (لوساكا) بزامبيا، وبعد رفع الحظر عنه عام 1990 واجه المؤتمر نقله = بصعوبة من حركة تحرير إلى حزب سياسيا، وفي انتخابات أبريل 1994 فاز المؤتمر الوطني بـ 62% من مقاعد البرلمان وأصبح زعيمه نيلسون مانديلا رئيس للبلاد. أنظر إلى المرجع نفسه، ص 29.

انتصر البيض العنصريين في الحزب الوطني بزعامة **دانيال مالان** لبسط نفوذهم وسيطرتهم على البلاد وكانت تلك السنة تمثل مرحلة جديدة لحزب المؤتمر الوطني الإفريقي بإصدار القادة قرارهم على تجنب الالتجاء إلى العنف لمحاربة التمييز العنصري، وترسخ لديهم ضرورة الإيمان بوسيلة المظاهرات السلمية، وقد عملت حكومة **مالان** خلال هذه الفترة على تطبيق مختلف القوانين العنصرية، الأمر الذي أدى إلى التصادم بين الأسلوب الجديد لرابطة الشباب التابعة لحزب المؤتمر الوطني، وإجراءات القمع التي تقوم بها حكومة **مالان** العنصرية.

عند انضمام **نيلسون مانديلا** إلى المؤتمر الوطني الإفريقي كان الطبيب **ألفريد زوما** (Xuma Alfred) رئيسا المؤتمر المعروف باحترامه للبيض وقوانينهم العنصرية، ففي عام 1942 قام شباب أعضاء المؤتمر بمحاولة إخراج الحزب من جهوده فأسسوا رابطة الشباب التي قادها مناضلون يتمتعون بقوميتهم الإفريقية، أمثال **أنطوي لمبدي**¹، الذي ترأس رابطة الشباب المؤتمر **أوليفر تامبو**² و**نيلسون مانديلا**، وكان هدفهم الضغط على قادة المؤتمر الوطني الإفريقي من أجل القيام بعمل جماعي من النوع الذي لقي نجاحا كبيرا في الكسندرا أثناء مقاطعات الحافلات.

في أبريل 1944 انطلقت لجنة الشباب رسميا من مركزها الاجتماعي في جوهانسبورغ لبدء نشاطهم السياسي حيث تم إصدار بيان سياسي من طرف **أنطوني لميدي** و**نيلسون مانديلا** ثم عرضه لأول مرة على جمهور وبين البيان مدى الاختلاف القائم بين الرجل الأبيض والرجل

¹- **أنطولي لميدي**: درس بكلية أدمز لتدريب المعلمين استطاع أن يدرس في المدارس العليا في هيلبورن للحصول على طريق للمراسلة على درجة الليسانس في الآداب وكذلك في الفلسفة والقانون الهولندي، انتقل إلى جوهانسبورغ في 1943 أبرم عقدا للعمل مع شركة للقانون، مات وعمره 33 سنة وحلمه في الحرية لم يتحقق بعد. أنظر المرجع **هشام مزوجي**، نلسون مانديلا: كفاحه ضد التمييز العنصري في جنوب إفريقيا 1918-2013، المرجع السابق، ص 30.

²- **أوليفر تامبو**: ولد في 1917 تلقى تعليمه في لودوي على أيدي البعثات التبشيرية، درس في مدرسة سانت بيتر الثانوية التحق بجامعة (فورت هير) وتخرج منها في 1941، حاز على شهادة البكالوريوس في العلوم عمل في 1943 مدرس في مدرسة سانت بيتر الثانوية، درس القانون في 1948، ثم عمل في المحاماة متعاوناً مع **مانديلا**، أصبح رئيساً للمؤتمر الوطني الإفريقي بعد الحكم المؤبد على **نيلسون مانديلا** في السجن، المرجع نفسه، ص 30.

الأسود، وأنكر أي إدعاء بأن الرجل الأبيض والرجل الأسود، وأنكر أي إدعاء بأن الرجل الأبيض كان يساعد في مصير الإفريقيين، وإنما كان وراء تفرقتهم وزرع العداوة بين قبائلهم¹.

أكد نيلسون مانديلا بأن هذه المرة الأولى التي طرحت فيها فكرة القومية الإفريقية بشكل واضح وأقر بأن المؤتمر الوطني الإفريقي، وعد بدعم لجنة الشباب الجديدة كونها كانت مولد للطاقة الذي يعمل على غرس الروح الوطني في نفوس الإفريقيين.

على الرغم من الجمود الذي كان يعاني من أعضاء حزب المؤتمر الوطني الإفريقي فإن لجنة الشباب قدمت خطة مقنعة للعمل النضالي أو ما يسمى (برنامج العمل) الذي يهدف إلى تحقيق الحرية الوطنية للتخلص من سيطرة الأقلية البيضاء عن طريق القيام بإضرابات سلمية ومقاطعة مؤسسات الحكومة أو العصيان المدني ضد جميع التشريعات التي تهدف إلى قهر إخضاع السود².

سرعان ما تداعت آمال نيلسون مانديلا وأصدقائه بعالم أكثر اعتدالا بعد الحرب العالمية الثانية ولم يكن السبب نظام الأبارتيديل حكومة الحزب الموحد بزعامة جان سموتز (Jan Smuts)، ففي عام 1946، أقدم سموتز على خطوتين دفعتا كل من الأفارقة والهنود نحو المزيد من الميل للقتال جنبا إلى جنب، الخطوة الأولى: كانت ضد إضراب قامت به نقابة عمال المناجم الحديثة العهد، والتي كانت محركها الرئيسي غور راديببي صديق نيلسون مانديلا، حيث قاد إضراب 70000 من عمال المناجم من عمال المناجم السود في أوت 1946 مطالبا بزيادة الأجور وتحسين أوضاع الطعام، إلا أن شركات التعدين أصرت العمال على العودة للعمل في المناجم بالهراوات، فقتل تسعة وجرح المئات وبعد عشر أيام وجهت إلى 50 من القادة تهمة التحريض على الإضراب، تأثر نيلسون مانديلا بشجاعة وتضامن المضربين مع بعضهم البعض وقد قال نيلسون مانديلا في إضراب نقابة العمال قتل الناس لمجرد أنهم يعارضون ما يعدونه ظلما وأن إطلاق الرصاص على مواطنين مسالمين عزل هما نوع من أنواع النازية³.

¹ -Peter Limb: Nelson Mandela, Greenwood press, London, 2008, p p 35 - 40.

² -ريتشارد جيسون: حركات التحرير الإفريقية، ترجمة صبري محمد حسن، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص 83.

³ -الشرق الأوسط: العدد 12806، (20-12-2013)، ص 01.

في عام 1950، أصدرت الحكومة العنصرية قانونا عرف (بحضر العمل الشيوعي) واعتبرت الحزب الشيوعي غير قانوني، وبهذا الشكل أصبح الشيوعيين متساويين مع السود والهنود والملونين حيث كان الحضر الشيوعي تهديدا حقيقيا لحرية التعبير، إلا أنه سرعان ما اتفق أعضاء الحزب الشيوعي مع المؤتمر الوطني الإفريقي والكونغرس الهندي، من أجل تنظيم (ميثاق الدفاع) عن حرية الحديث الذي جلب 10000 شخص إلى ساحق سوق (Makersquare) في جوهانسبورغ تم اقتراح إضراب ليون 01 ماي احتجاجا على قانون حضر الشيوعية.

بعد أن توفي أنطوني لميدي خلفه على رئاسة رابطة الشباب بيترمدا (Peter Mada) وأصبح نيلسون مانديلا أمين سر لرابطة الشباب ومسؤولا عن التنظيم السياسي وتأسيس الفروع التابعة لها في مختلف المناطق، في عام 1950 انتخب نيلسون مانديلا رئيسا لرابطة الشباب خلفا (لبيرمدا) في الترانسفال.

حاول أعضاء رابطة الشباب التأثير على رئيس ألفريد روما للتحرك الجماعي بين السود البيض والهنود الشيوعي إلا أنه رفض هذا الأمر وفي انتخابات تعيين رئاسة المؤتمر ثم التصويت بالأغلبية على موروكا وتم اختيار لجنة تنفيذية للمؤتمر تتمثل في أعضاء رابطة الشباب من بينهم نيلسون مانديلا وأوليفر تامبو وولتر سيسولو وأصبح هؤلاء يتطلعون للتحرك الجماعي بين السود والهنود والبيض الشيوعيين.

في جانفي 1951 عقدت منظمة المؤتمر الوطني الإفريقي برئاسة السيد موروكا مؤتمرها السنوي الخامس والثلاثين، حيث حضره عشرة آلاف متطوع من مختلف المناطق في جنوب إفريقيا، عقد الاجتماع لمدة ثلاث أيام، وتم الاتفاق على استناد برنامج مشترك من أجل المقاومة السلبية أو العصيان المدني الذي يهدف إلى التحدي المعتمد للحكومة العنصرية، حيث طلب أعضاء المؤتمر الوطني الإفريقي من الحكومة إلغاء ستة قوانين جائرة، وهي تلك التي تعرض على جوازات المرور وتحدد رأس المال وقانون التمثيل المنفصل للناخبين¹.

¹ - هشام، نزوح، نلسون مانديلا: كفاحه ضد التمييز العنصري في جنوب إفريقيا 1918-2013، المرجع السابق، ص 33 - 34.

انظم نيلسون مانديلا إلى لجنة متكونة من أربعة أشخاص وقام بإرسال رسالة إلى رئيس الوزراء الدكتور مالان يطالب فيها بإلغاء القوانين الستة الجائرة إلا أنهم قبلوا بالرفض، وتم الإعلان عن بداية حملة (صوفيا تاون) في 26 جويلية 1952، وقبل أربعة أيام من بداية الحملة انطلق نيلسون مانديلا إلى دور بأن يكون المتحدث الرئيس لجمهورية قوامه 101.0000 شخص وكان أكبر جمهور خاطبه في حياته، وقال في خطابه "بأن قومه يصنعون التاريخ، وهذا سيكون أقوى عمل تقوم به الجماهير المضطهدة، والآن إذا وحدت الأعراف جهودها تستطيع القول بأن الوحدة بين الشعب الغير الأوروبي في هذا البلد أصبحت حقيقة"، وكانوا يربطون أذرعهم بألوان المؤتمر الوطني الإفريقي الأسود رمز الشعب والأخضر رمز الأرض والأصفر رمز النصب إلى أن رجال الشرطة سرعان ما تدخلت قامت باعتقال المتطوعين.

في خمسة الأشهر التالية من حملة التحدي أودع 800 شخص السجن في جميع أرجاء البلاد لسيرهم داخل الضواحي المخصصة للبيض أو مداخل السكك الحديدية أو العريان المخصصة للبيض أو لخروجهم أثناء منع التجول، وكان التنظيم لحملة يعتبر أحد إنجازات نيلسون مانديلا فقبل وأثناء الحملة كان يسافر عبر الترانسفال و الناتال و الكيب لجمال الأنصار¹.

تعلم نيلسون مانديلا درسا قاسيا واقتنع بأنه لا بديل لهم من المقاومة المسلحة، وفي عام 1953 تلقى سيسولو دعوة باعتباره أحد نشطاء المؤتمر الوطني الإفريقي لحضور مهرجان للشباب الشيوعي في رومانيا واقنعه نيلسون مانديلا بأن عليه أن يقوم بزيارة للصين سرا ليناقش إن كان بإمكان الصين تزويدهم بالسلاح إلا أن الصينيون اقنعوا سيسولو بأن طريق الكفاح المسلح طريق خطر لأنه لو هزموا فلن تقوم لهم قائمة وقدم سيسولو مقتنعا بالنصيحة إلا أن نيلسون مانديلا لا يزال متحفظا بقناعته للعمل المسلح².

¹ -Peter Limb, op.cit, p 14.

² - هشام مزوجي، نلسون مانديلا: كفاحه ضد التمييز العنصري في جنوب إفريقيا 1918-2013، المرجع السابق، ص 37.

4- الجزائر وفكرة توحيد إفريقيا:

بقدر ما عانى الأفارقة من مرارة الاستعمارية بقدر ما كانت انتفاضتهم عنيفة وقوية، وقد أدرك الأفارقة في أثناء معركتهم مع الاستعمار أن سلاح التفرقة هو أقوى سلاح يطبقهم عدوهم وأن الوحدة أقوى صخرة تتحطم عليها قوة المستعمر وأطماعه، وقد توالى انتفاضات الشعوب الإفريقية، واستمرت حركات التحرر الإفريقي من تحرير الشعوب الإفريقية كلها تقريبا، وكان تحقيق

حلم الوحدة الذي راود الشعوب والحكومات الإفريقية زما طويلا متمثلا في إعلان ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية خطوة هامة في تاريخ كفاح الأفارقة في سبيل الحرية والتخلص من الاستعمار وآثاره التي تركها على أرض القارة بل وعلى شعوبها حتى بعد أن أجبر على أن يحمل عصاه ويرحل عن الأرض الإفريقية¹.

4-1- محاولات توحيد القارة الإفريقية في المنظر الاستعماري:

اعتمدت سياسية الدولة الاستعمارية على تفتيت القارة الإفريقية، وتقسيمها بين الدول الأوروبية المتنافسة، وتشجيع الروح القبلية، وإثارة الفرقة الدينية والطائفية، إلا أن الضرورات الاستعمارية، اقتضت في بعض الأحيان أن تسعى هذه الدول إلى توحيد مستعمراتها بهدف خدمة إستراتيجيتها الاستعمارية، تقليل عدد الموظفين والإداريين العاملين وعدد القوات الاستعمارية، أو لزيادة النهب الاستعماري عن طريق توحيد الإجراءات الاقتصادية، وتسهيل عمل الشركات الاستغلالية، فاضطرت الدولتان الاستعماريتان الكبيرتان في القارة الإفريقية، وهما بريطانيا وفرنسا، إلى اتحاد إجراءات إدارية متقاربة، فرضت الدولتان لغتهما الاستعمارية بدلا من اللغات المحلية وسارتا في سياسة مالية وتجارية موحدة أدت إلى إلغاء الحواجز الجمركية والرسوم المالية، ووصلت بهذه المستعمرات إلى مرحلة الاتحاد الفيدرالي².

وزاد اتساع المستعمرات الفرنسية وشمولها لمناطق متفرقة في القارة الإفريقية فكر الفرنسيون في تجميع هذه المستعمرات في وحدات اتحادية (فيدرالية) حتى تسهيل عملية الإدارة والحكم فيها، فظهرت إفريقيا الغربية الفرنسية، وإفريقيا الاستوائية الفرنسية كوحدين اتحاديين في حين ضمت فرنسا الجزائر إليها وربطتها بالإدارة الفرنسية المباشرة بحجة أنها جزء من فرنسا.

وأصبحت مدغشقر (ملاغاسي فيما بعد) وحدة إدارية واحدة، أما تونس ومراكش فقد طبق عليهما نظام الحماية وأصبحت من الدول الشريكة، وتضم كل وحدة اتحادية عددا من المناطق تخضع كل منها لحاكم يخضع بدوره للحاكم العام للاتحاد الذي يمثل الجمهورية الفرنسية،

¹- شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ص 431 - 432.

²- جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص 148.

ويكون مسؤولاً أمام وزير المستعمرات الفرنسية، أما التشريع المستعمرات فهو من اختصاص رئيس الجمهورية الفرنسية.

لم تشهد الفترة بين الحربين العالميتين تطوراً في أساليب الحكم الفرنسي رغم تطور الحركات الوطني في مستعمراتها، ولكن نشوب الحرب العالمية الثانية واشتداد الحركات الوطنية نتيجة انتشار أفكار الحرية والديمقراطية والمبادئ التي تضمنتها ميثاق الأطلنطي¹ وانحياز فرنسا السريع وتشكيل حكومة فرنسا الحرة في المنفى كلها أوجدت موقفاً ثورياً في العلاقات الفرنسية الإفريقية، فقد ظهر زعماء أفاقة كثيرون تجاوزوا مع التطورات الجديدة وطالبوا بمزيد من السلطات المحلية والحكم الذاتي على أساس الارتباط والمشاركة مع فرنسا وبعد أن تغيرت ظروف الحرب العالمية الثانية.

واستطاعت حكومة فرنسا الحرة بالتعاون مع الحلفاء من هزيمة حكومة فيشي موالية للألمان دعت إلى عقد مؤتمر في برازافيل عاصمة الكونغو الفرنسية في فبراير 1944، ولم يحضر أي إفريقي بل حضره حكام المستعمرات الفرنسية، ورجال الإدارة وبعض أعضاء البرلمان وممثلي اتحاد الشركات التجارية استبعد مؤتمر برازافيل منع المستعمرات الفرنسية أي نوع من الاستقلال، لكنه أكد على مشاركة الأفاقة في إدارة شؤون بلادهم، وعلى ضرورة تمثيل المستعمرات في الجمعية الوطنية الفرنسية وفي المجالس المنتخبة، وركز المؤتمر على علاج المشكلات الاجتماعية والتعليم والعمل والضمان الاجتماعي والتطوير الاقتصادي للنهوض باقتصاديات المستعمرات.

وقد انعكس ذلك في دستور 1946 الذي نص على أن الجمهورية الفرنسية وحدة لا تقبل التجزئة وتسري قوانينها على جميع الممتلكات التابعة ما لم ينص على غير ذلك، ونص الدستور على تكوين الاتحاد الفرنسي من الأطراف التالية:

1- الجمهورية الفرنسية: وهي المترابول (فرنسا الأوروبية ومديريات الجزائري وما وراء البحار).

¹ -ميثاق الأطلنطي: هو الميثاق الذي أصدره الرئيس الأمريكي روزفلت ورئيس الوزراء البريطاني تشرشل في 2 أوت 1941 ونص على مبدأ عدم السماح لأي دولة بالتوسع أثناء الحرب ولا تحدث تغيرات في الحدود تغير موافقة الشعوب المعنية وكل شعب حر في اختيار نوع الحكومة التي يرض عنها، وأن يعيش سلام بعيداً عن الخوف والحاجة والعدوان، ووجب إيجاد خطط لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية بعد الحرب بتحقيق مستوى أعلى للعمال والضمان الاجتماعي.

- 2- أقاليم ما وراء البحار: وهي المستعمرات الإفريقية.
 3- الدول الشريكة: وهي مراكش وتونس ودول الهند الصينية.
 4- الأقاليم الشريكة: وهي مناطق الوصاية الفرنسية في الكاميرون وتوغو¹.

حدث تطور جزئي في علاقة فرنسا مع مستعمراتها الإفريقية عام 1956، بصدور قانون عرف باسم (القانون الإطاري) الذي منح الحكومة الفرنسية حتى إصدار لوائح قانونية تهدف إلى إصلاح وتغيير العلاقات الفرنسية الإفريقية دون الرجوع للبرلمان، وأعطى هذا القانون حق الاقتراع العام الرجال والنساء البالغين من العمر 21 عاما فأكثر، وتكوين مجالس تنفيذية (بمثابة وزارة) ومجالس تشريعية ذات أغلبية منتجة لها حق التشريع لكل ما يخص الشؤون الداخلية ومسائلة أعضاء المجلس التنفيذي، وإنشاء مجالس محلية وريفية وإعادة تنظيم سلك الخدمة المدنية بما يضمن مساهمة الأفرقة في إدارة شؤونهم².

وإزاء تطور الأوضاع الدولية ونمو الحركات الوطنية الإفريقية أصدر الجنرال ديغول الذي أصبح رئيسا للجمهورية الفرنسية الخامسة دستور عام 1958 الذي نص على أن تكون فرنسا مع الجمهوريات الإفريقية التي تقبل هذا الدستور (رابطة الجماعة الفرنسية) وهي اتحاد فيدرالي بين جماعات مستقلة، وتتكون حكومة الجماعة الفرنسية من رئيس الجمهورية الفرنسية و مندوب من كل جمهورية من جمهوريات الجماعة وسكرتير عام، ومستشار فني، وهذه الحكومة المسؤولة عن السياسة الخارجية والدفاع والاقتصاد والتعليم العالي، وفيما عدا ذلك لكل حكومة من حكومات الجماعة سلطتها الكاملة، واستقلالها الداخلي.

وتقدم فرنسا لها المعونات الفنية والإدارية، ولكن جمهورية الحق في الانفصال عن الجماعة في المستقبل، وقد عرض الدستور للاستفتاء ومن يقبل بنا يبقى عضوا في الجماعة، والذي يرفضه يحصل على الاستقلال فورا، وقد وافقت جميع المستعمرات على الدستور ما عدا مستعمرة غينيا التي حصلت على استقلالها، ولم يستمر هذا النظام سوى سنتين، ففي عام 1960 اضطر فرنسا

¹ - جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص 119

² - المرجع نفسه، ص 120.

للاعتراف بالاستقلال لدول الجماعة الفرنسية وعقدت مع كل منها معاهدة تحدد نوع العلاقة بين البلدين.

واتبعت بريطانيا سياسية مشابهة في مستعمراتها في جنوب القارة وشرقها ووسطها ففي جنوب القارة تمكنت بريطانيا، من توحيد (الكيب، الناتال، الأورنج الحر، التوسغال) في دولة اتحاد جنوب إفريقيا 1910 قد سعى هذا الاتحاد بعد خسارة ألمانيا للحرب العالمية إلى ضم جنوب غرب إفريقيا (نامبيا) إليه وفي شرق القارة سعت بريطانيا إلى إقامة اتحاد يضم (تنجانيا، أوغندا، كينيا، زنجبار)، ونظمت في عام 1926 مؤتمر لحكما شرق إفريقيا، وقد شكل المؤتمر هيئة استشارية لها سكرتارية دائمة تقوم بتنفيذ القرارات التي تتخذ وقد اتخذ حكام شرق إفريقيا عدة خطوات توحيدية مثل إنشاء السوق المشتركة إلغاء الحواجز الجمركية وتوحيد التفرقة الجمركية، وإصدار عملة لشرق إفريقيا، وتشكيل محكمة استئناف موحدة وقد أثبتت هذه الإجراءات التوحيدية فعاليتها أثناء الحرب العالمية الثانية الأمر الذي دفع حكام شرق إفريقيا إلى تطوير العمل المشترك وإقامة هيئات وأجهزة مشتركة تشرف على جميع الأمور، بإقامة جهاز تنفيذه عام 1945 تطورا إلى اللجنة العليا لشرق إفريقيا عام 1948 وفي وسط القارة وبعد سيطرة بريطانيا على (وديسيا الشمالية (زامبيا) وروديسيا الجنوبية (زمبابوي) ونياسالاندا (مالاوي)) سعت إلى تشكيل اتحاد بين هذه الأقاليم الثلاث لتحقيق التكامل الاقتصادي، وشكلت بريطانيا عام 1937 لجنة خبراء لمعرفة مدى إمكان تحقيق فكرة الاتحاد، على أن يكون له حاكم عام مسؤول عن إدارة شؤونه وتكون لكل إقليم حكومته المحلية، ويشكل برلمان اتحادي يختص بالنظر في الشؤون الخارجية والدفاع والجمارك والصادرات والعملة والتعليم العالي والطرق والمواصلات، وما عداها تترك للحكومات المحلية وأطلق على الاتحاد اسم (اتحاد وسط إفريقيا) وقد انتهى هذا الاتحاد باستقلال الأقاليم المنظمة إليه¹.

4-2- محاولات توحيد القارة الإفريقية بالمنظور الإفريقي:

¹ - جعفر عباس حميدي، المرجع السابق، ص 121 - 149.

قد يكون من الغريب أن فكرة تجمع الأفارقة لمواجهة مشكلاتهم والمطالبة بالمساواة مع البيض وبتحسين أوضاعهم في المستعمرات جاءت من المثقفين الزنوج في خارج القارة.

فقد عند المؤتمر الأول لما أطلق عليه المؤتمر "الجامعة الإفريقية" في لندن في عام 1900 وحضره عدد محدود من الأفارقة وطالب المجتمعون بالمساواة بين العناصر المختلفة في المستعمرات ولتحسين أوضاع الوطنيين فيها.

وعقد المؤتمر الثاني للجامعة الإفريقية في لندن أيضا في أغسطس عام 1918 وحضر عدد أكبر من الأفارقة وطالب المجتمعون بالحكم الذاتي للمستعمرات وملكية الأفارقة لأراضيهم وهاجم المجتمعون السياسات التي تتبعها الدول الاستعمارية في مستعمراتها.

أما المؤتمر الثالث للجامعة الإفريقية فقد عقد في لندن في عام 1923 وبرز دور الدكتور ديورو ادوارد ديبوا في مجال تجميع جهود الأفارقة للمطالبة بحقوقهم.

وفي المؤتمر الرابع الذي عقد في نيويورك عام 1927 ظهرت فكر التحالف بين الشعوب الملونة في العالم والخروج من إطار (الزنجية) إلى طلب تعاون الزنوج والمصريين والهنود والصينيين في حركة عامة لتحررهم جميعا من الاستعمار والتفرقة العنصرية على حد تعبير الدكتور ديبوا.

وقد حاول الدكتور ديبوا أن يعقد مؤتمر الجامعة الإفريقية التي في تونس تعبير عن دور شمال إفريقيا في حركة التحرر الإفريقية لكن فرنسا في ذلك وقت حالت دون ذلك.

وفي عام 1945 عقد المؤتمر الخامس لحركة الجامعة الإفريقية في ماستير، وقد سيطر المثقفون القادمون من المستعمرات في إفريقيا على هذا المؤتمر مما أتاح فرصة لمناقشة العديد من المشاكل السياسية الاقتصادية والاجتماعية لشعوب المستعمرات الإفريقية.

قد ظهرت في هذا المؤتمر بالإضافة لجهود الدكتور ديبوا جهود كوامي نكروما (ساحل الذهب) جومو كيناتا (كينيا)¹ وزيكوي (نيجيريا) سامرا هافر (جنوب إفريقيا) وجونسون (سيراليون) واختير نيكروما وسيكوتوري سكرتيرين المؤتمر، وظهر عديد من ممثلي العمال والشباب

¹ شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 433 - 434.

إلى جانب المثقفين ولذا ظهرت في المؤتمر الدعوة إلى التنظيمات الوطنية التي تجمع المثقفين والعمال والفلاحين في جبهة واحدة وظهر نداء (يا شعوب المستعمرات اتحدوا) وكانت هذه هي بداية رحلة فكرة الجامعة الإفريقية التي بدأت خارج القارة ثم انتقلت الفكرة لتعرض نفسها على أرض القارة.

أ- مؤتمر غانا (أكرا) 1958:

ارتفع صوت إفريقيا بعد هذا المؤتمر في المجال الدولي الذي أضاء لها الطريق، وأخذت نسبة العضوية ترتفع مع توالي عهد الاستقلال في إفريقيا، في المنظمة الدولية ليفتح مجالاً تغير فيه الشخصية الإفريقية عن ذاتها لقد شق مؤتمر غانا للقارة طريقاً بين السياسة العالمية وهيئة الأمم وبرزت بعده شخصية القارة الإفريقية في المجال الدولي بروزاً ملحوظاً.

ب- مؤتمر أديس أبابا 1960:

وفي المؤتمر الثاني الدول المستقلة الذي انعقد في أديس أبابا في 13 يونيو واستمر حتى 26 يونيو 1960 تحقق هدف مؤتمر (أكرا)، وبين العامين اللذين مضيا بين المؤتمرات، حدثت ثمة أحداث (أحداث الجزائر في ماي 1958)¹، كان لها تأثيرها على مركزا العلاقات الدولية الإفريقية بما أتاحت الفرصة للمزيد من نمو الشخصية الإفريقية وبمكناها من التعبير عن ذاتها.

فقد أصبح واضحاً أنه نتيجة لما حدث من تعديل في الدستور الفرنسي في 03 يونيو كان متوقعا أن تحرر معظم المناطق الفرنسية الإفريقية وبسرعة وقتال استقلالها ومن ثم كان الجو متهيئاً لأن تمضي الشخصية الإفريقية في مزيد من التعبير عن ذاتها ولقد عقد المؤتمر إبان هذه التغيرات فالتقى فيه وفود من حكومات 13 دولة إفريقية وهي: الجزائر، الكاميرون، إثيوبيا، غانا، غينيا، ليبيا، ليبيريا، المغرب، نيجيريا، الصومال، السودان، تونس، ح ع م)².

¹ - أحداث الجزائر في ماي عام 1958 أدت إلى سقوط الجمهورية الرابعة وقيام الجمهورية الخامسة في فرنسا بنتائج كبرى التغييرات الدستورية في

فرنسا إلى إيجاد حوافز التعبير الأساسي في تركيب الاستعمار الإفريقي بعد أن تولى ديفول السلطة.

² - محمد علي الفوزي، المرجع السابق، ص 314 - 317.

ج- مؤتمر ليوبولدفيل:

انعقد في ليوبولدفيل من 25 - 31 أوت عام 1961 وقد حضر زعماء من جميع الدول المستقلة الممثلين في مؤتمر أديس أبابا (غانا، المغرب، ح ع م، السودان، ليبيا، مصر، إثيوبيا، ليبيريا، نيجيريا ثم الصومال) ثم توجو ومالي والكونغو برازافيل والكونغو ليوبولدفيل.

د- مؤتمر أقطاب إفريقيا في الدار البيضاء (4 - 7 يناير 1961):

عقد بالدار البيضاء في الفترة من 4 - 7 يناير 1961 ومؤتمر حضره جلالة الملك محمد الخامس ملك المغرب، والرئيس جمال عبد الناصر، رئيس جمهورية العربية المتحدة، وكوامي نكروما رئيس جمهورية غانا، وأحمد سيكوتوري رئيس جمهورية غينيا، وموديوكتيا¹ رئيس جمهورية مالي، وفرحات عباس رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، السيد عبد القادر علام² وزير الشؤون الخارجية الليبية ممثلاً الملك إدريس الأول³ ملك ليبيا.

¹ - موديوكتيا(1915-1977): رجل المهام الصعبة أول رئيس لجمهورية مالي الذي حكم بلاده ما بين 1960 إلى 1968 ولد في مدينة بامكو، وفي الوقت الذي سيطرت فيه فرنسا على غرب إفريقيا مع ازدياد البطش الفرنسي بالأهالي، ومع معاناة كينيا ومواطنوه من تعسف وتفرقة في ظل الممارسات الاستعمارية، اتجه للعمل السياسي في محاولة لتخلص بلاده من الاستعمار، في عام 1937 نجح في تأسيس جمعية لتوعية الناس لحقوقهم، وفي 1946 شارك في تأسيس حزب الاتحاد السوداني، وطالب من خلاله بضرورة حصول بلاده على الاستقلال، وفي عام 1948 أصبح أميناً عاماً للحزب عند استقلال البلاد تولى الرئاسة واستمر حتى سنة 1968، وكان إلى جانب أحمد سيكوتوري كوامي نكروما من القادة الغرب في إفريقيا، وحاولوا تطبيق "اشتراكية إفريقي" وتحالفوا مع من جمال عبد الناصر. تمت الإطاحة به في انقلاب عسكري قاده الجنرال موسى تراوري في نوفمبر 1968، واعتقل وسجن في كيدال شمالي للبلاد و ظل في سجنه حتى فبراير 1969 ثم نقل إلى سجن في بامكو توفي في سجنه في نفس السنة. (www.elbadil.com/(2015/16))

² - عبد القادر علام العبيدي: سياسي ليبي تولى عدة مناصب وزارية منها الدفاع و الخارجية، تولى منصب وزير الزراعة أيام حكومة إمارة برقة (ماري-ديسمبر 1951) أي حتى استقلال ليبيا، تولى منصب وزارت الدفاع في عهد حكومة مصطفى بن حليم (أكتوبر 1956- ماي 1957)، ثم المواصلات في عهد المجيد كعبار (ماي 1957- 1958)، ثم الاقتصاد في الأيام الأخيرة لنفس الحكومة (سبتمبر - أكتوبر 1960)، وتولى وزارة الخارجية في بداية عهد محمد عثمان الصيد (أكتوبر 1960 -ماي 1961).

³ - إدريس الأول(1890-1983): كان أول و آخر ملك على ليبيا بعد ما استقلت سنة 1951 تولى حكم يوم 01 سبتمبر 1969، سافر إدريس من تركيا على اليونان ومن هناك إلى مصر بعد ما سمح له جمال عبد الناصر باللجنة السياسي سنة 1974 تحاكم غيابيا في ليبيا في محكمة الشعب بتهمة الفساد وحكم عليه بالإعدام و مات طبيعى و دفن في البقيع المدنية المنورة.

أعلن المجتمعون تشكيل لجان لتحقيق التعاون بين الدول الإفريقية في الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية ودعوا لتشكيل قيادة إفريقية مشتركة تضم رؤساء أركان حرب الدول الإفريقية المستقلة للدفاع المشترك عن إفريقية في حالة الاعتداء على أي جزء من القارة.

ه- مؤتمر الشعوب الإفريقية الثالث في القاهرة (25 - 30 مارس 1961):

كان هذا المؤتمر هو الثالث من مؤتمرات الشعوب الإفريقية بعد مؤتمر (أكرا) 1958 (تونس) 1960 إلا أنه في الحقيقة يعد خطوة واسعة في طريق معالجة الشعوب الإفريقية للمشاكل التي تواجهها.

وقد اختير السيد **فؤاد جلال**¹ رئيسا للمؤتمر، والسيد **عبد الله دياللو** سكرتيرا له، وقد اتخذ عدة قرارات من بينها إنشاء صندوق لتحرير إفريقيا تدعمه الدول الإفريقية المستقلة، وقرارا بإنشاء بنك إفريقي لاستثمار، وقرار بإنشاء وكالة أنباء إفريقية واستنكر المؤتمر الاستعمار بصورته الجديدة في إفريقيا، وطالب المؤتمر الدول الإفريقية بإعادة تنظيم التعليم ليخدم التاريخ الإفريقي الحقيقي وينمي الروح القومي والثقافية الوطنية.

و- مؤتمر قمة الإفريقي في أديس أبابا (22 - 25 ماي 1963) بإعلان

ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية:

أسفر المؤتمر عن إعلان ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية وقد حضر المؤتمر 30 رئيسا إفريقيا لمناقشة مشاكل القارة الإفريقية ودورها في الأحداث العالمية، ولدعم التعاون بين دول القارة والعمل على تحرير بقية الأجزاء التي لا تزال واقعة تحت حكم الاستعمار².

ثانيا: أثر الثورة الجزائرية على استقلال الدول الإفريقية:

¹-محمد فؤاد جلال: من مواليد عام 1908 تخرج من مدرسة المعلمين عام 1929، تولى وزارة الإرشاد القومي (الإعلام) من 1952 إلى 1953، انتخب رئيسا لمؤتمر الخريجين العرب عام 1955، انتخب عضو بمجلس عام 1958.

²- شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 435-437.

وبحكم موقع الاستراتيجي فقد التقت الثورة التحررية مبكرا بالحركات التحررية في إفريقيا التي أدركت مدى الدعم خاصة السياسي للتخلص من الاستعمار وبعد مؤتمر الصومام وضعت إستراتيجية عامة للاتصال بحركات التحرر في إفريقيا و هذا من خلال القادة الأفارقة المتواجدين في أوروبا أو غيرها، ومن خلال البعثات الدبلوماسية الجزائرية بعد استقلال بعض الدول كتونس والمغرب الأقصى سنة 1956 وغانا وغينيا 1957-1958.

1- دور الدبلوماسية الجزائرية في دعم حركات التحرر في إفريقيا:

حتى وإن كان نشاط دبلوماسية الثورة متأخر في القارة الإفريقية بسبب خضوع جل بلدانها للاستعمار مع بداية الثورة، فإنها أولت اهتماما بالغاً له بعد ذلك، حيث ما فتئت تفضح وحشية الاستعمار تجاه الشعب الجزائري، وتحرض الإفريقيين من ريقته، معتبرة ثورة الجزائر هي ثورة إفريقية، كما جاء على لسان جبهة التحرير الوطني بأن: "كفاح الجزائر هو كفاح إفريقيا و انتصارها هو انتصار إفريقيا جمعاء، و أن معركة الجزائر في سبيل تحرير إفريقيا لتفرض على كل الأفارقة واجبات كبرى في تعزيز كفاحها ومساندة ثورتها المجيدة"¹ وكان هدف جبهة التحرير الوطني هو تفعيل الدور الإفريقي ضمن حركة التضامن الافرو آسيوي من أجل دعم الثورة الجزائرية، ومن جهة أخرى محاولة جر الدول الإفريقية للثورة على النظم الاستعمارية خصوصا فرنسا لأجل تشتت جهود الجيش الفرنسي بالتالي إيجاد متنفس للثورة.

قد بذلت دبلوماسية الثورة جهودا لا بأس بها من أجل جر الدول الإفريقية إلى المعركة إلى جانبها و هذا ما أشار إليه الرئيس الغاني كوام نكروما في عام 1958 بقوله: "إن الاستعمار ما يزال متشبثا بسيطرته المباشرة في بعض المناطق بإفريقيا و أن أكبر مثال لهذا التشبث الاستعمار الأعمى يتمثل في القضية الجزائرية، حيث يكافح الشعب الجزائري كفاحا بطوليا جبارا ضد أقوى جيش استعماري عرفه التاريخ...". ، وقد لعب كفاح الجزائر دورا هاما في تحرير القارة الإفريقية بأجمعها... وإن حركة التحرر الإفريقي لم تأخذ شكلها العملي إلا بمشاركة الايجابية في ثورة الجزائر وبالعمل على إشعال نار الثورة ضد الاستعمار والبرتغالي في أنغولا وموزنيق وضد الحكم العنصري

¹ - أحمد بن فليس: السياسة الدولية للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، رسالة ماجستير، فرع العلوم السياسية، جامعة الجزائر، 1985، ص130.

في إفريقيا الجنوبية. وكانت نتائج هذه الجهود لدى دبلوماسية الثورة المدعومة بالعمليات العسكرية لجيش التحرير ضد القوات الفرنسية، اندلاع العديد من الثورات ضد الأنظمة الاستعمارية، بالموازاة مع اضطراب العديد من الدول الاستعمارية لمنح الدول الإفريقية استقلالها تحت الضغط حركات التحرير الإفريقية، هذا ما أكدته صحيفة المجاهد، بأن جبهة التحرير الوطني هي انتصار الحركات الوطني في كل المستعمرات الإفريقية سواء التابعة لفرنسا أو بلجيكا أو بريطانيا، و اندلاع في الكاميرون ضد أحمد أهيدجو الذي فرضته السلطات الاستعمارية الفرنسية على الشعب الكاميروني، حيث اضطرت الدول الاستعمارية تحت ضغط هذه الثورات لمنح الاستقلال لهذه الدول، وذلك ما فعله ملك بلجيكا مع الكونغو، وبريطانيا مع مستعمراتها غانا¹.

رغم المحاولات الفرنسية لاحتواء حركات التحرير الإفريقية عن طريق بعض المشاريع مثل (قانون الإطار) الذي يمنح الاستقلال الذاتي للأقاليم الإفريقية، فإن دبلوماسية الثورة فندت ذلك بأنها خدعة فرنسية للإبقاء على نفوذها في القارة والحيلولة دون توحيد الحركات التحررية في وجهها، ومع سقوط الجمهورية الرابعة بفعل تأثير العمليات العسكرية لجيش التحرير الوطني ووصول الجنرال ديغول إلى السلطة، قد تم تبني مشروع آخر للحفاظ على النفوذ الفرنسي في إفريقيا، وكان الهدف منه هو عزل الثورة الجزائرية عن العمق الإفريقي إلا أنه لم يفلح، لأن جهد دبلوماسية الثورة كان منصبا على إيقاف حركات التحرر و دفعها للتخلص من الاستعمار بكل أشكاله إضافة إلى تأثير العمليات العسكرية لجيش التحرير التي نالت من سمعة فرنسا العسكرية لدى الشعوب إفريقيا، وبفعل هذا التضامن الثوري الإفريقي الجزائري أجبرت فرنسا على الاعتراف باستقلال عدد كبير من الدول الإفريقية حتى تتمكن من محاصرة، وخنق الثورة الجزائرية، إلى سنة 1960 كان قد وقع رئيس وزراء فرنسا على استقلال اثني عشر دولة إفريقية، وقبيل انتصار الثورة الجزائرية كادت تكون المستعمرات الفرنسية قد استقلت نهائيا².

مع بداية حركة استقلال الدول الإفريقية، بدأت هذه الدول تعقد ندوات لبحث المشاكل التي خلفها الاستعمار مثل مشاكل الحدود وكيفية دعم الحركات التحرر و البحث عن أساليب

¹ - أحمد بن فليس: السياسة الدولية للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، المرجع السابق، ص 131-132.

² - عبد القادر رزيق المخادمي: منظمة الوحدة الإفريقية التحدي الأمل، موفم للنشر، الجزائر، 2000، ص 78.

التعاون والتضامن بين الدول الإفريقية المستقلة، قد أدى ذلك إلى ظهور عدة مجموعات إفريقية كان أولها تيار حركة الوحدة الشاملة للزعماء الإفريقيين، و أبرزهم الرئيس الغيني كوامي مكروما، وهدفهم تحرير إفريقيا من الاستعمار و تشكيل وحدة سياسية واحد تضم مجموع الدول الإفريقية، وقد أكد هذا الزعيم غداة الاستقلال غانا بالقول: "أنه لا معنى على الإطلاق لاستقلال غانا إلا إذا ارتبط بتحرير إفريقيا الشامل و في شهر نوفمبر ثم الإعلان لم يتم إنشاء مؤسسات لتنفيذه، في شهر ديسمبر 1958 انعقد المؤتمر الأول للشعوب الإفريقية وحضره مندوبون عن الأحزاب والحركات السياسية والنقابية لثماني وعشرين بلد إفريقيا كان معظمها تحت حكم الاستعمار، واعتبرت هذه الوفود أن وحدة الدول الإفريقية المستقلة هدفها نهائيا يجب أن يسعى عليه الجميع، وقبل هذا و في سنة 1958 قام قادة سياسيون من كينيا وأغندا و تنغانيا و زنجبار ونياسالاند (تانزانيا) بخلق حركة الجامعة الإفريقية من أجل حرية إفريقيا الشرقية و الوسطى في تنزانيا، وهدفها هو طرد الاستعمار و تهيئة الطريق لاتحاد إفريقيا الوسطى و الصومال ووصولاً إلى روديسيا (زيمبابوي حالياً). و لكن هذه الحركة اصطدمت بمندوبي العمل الجامعي التابعين نيجيريا الذين كانوا يرفضون إقامة وحدة سياسية في مرحلة الأولى وكانوا يجندون الترابط الاقتصادي بدءاً بالمصارف، وقد لعب هذا الطرف دور المعرقل للجامعة خصوصا في مؤتمر الشعوب الإفريقية الذي انعقد في جانفي 1960¹.

أما التيار الثاني ظهرت مجلس الوفاق الوطني (Conseil l'entente) الذي دعا إليه رئيس ساحل العاج هوفريت بوانيبه² وجاء كرد فعل على مشروع فيدرالية مالي شهد مجلس الوفاق تقدما بعد انضمام السنغال إليه، وأدى إلى عقد ندوة (ايجان) من 25 إلى 27 أكتوبر 1960

¹ - سليم العايب: الدبلوماسية الجزائرية في إطار منظمة الإتحاد الإفريقي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر - باتنة - 2010-2011، النسخة الإلكترونية، ص ص 71-72.

² - هوفريت بوانيبه: ولد سنة 1904 و ينتمي للمجموعات الأثينية المعروفة ب آكان أو قبيلة ياولي بالذات، كان ابن أخت زعيم قبيلة يماساكورو، وعينه هذا الأخير زعيما على منطقة آكوني (ساحل العاج)، كان أحد من أكبر مزارعي البن سنة 1939، أصبح زعيما للحركة الوطنية بساحل العاج بعد الحرب الإمبريالية الثانية أول رئيس للبلاد غداة الاستقلال. أنظر إلى المرجع منصف بكاي، الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 96.

شاركت فيها إحدى عشر دولة إفريقية¹، وكانت القضية الجزائرية من أهم انشغالاتها، وفي نهاية الندوة تبلور موقفها و تمثل في عدم تدويل القضية الجزائرية وضرورة تسويتها بواسطة المفاوضات بين الجزائر و فرنسا، كانت هذه الندوة كمقدمة لتشكيل مجموعة برازيل التي ضمت مجموعة الدول الناطقة بالفرنسية (التوغو، ومالي وغينيا) بعد عقد ندوة من 15 إلى 19 ديسمبر 1960 وتطرت للقضية الجزائرية، اعتبرت القضية فرنسية داخلية وليس من صلاحيات الأمم المتحدة التدخل فيها، استطاعت هذه الدول تدعيم العلاقات الاقتصادية فيما بينها و أنشأت المنظمة الإفريقية للتعاون الاقتصادي، وعقدت ندوة أخرى في مدينة (ياوندي) من 26 إلى 28 مارس 1961 وركزت على الجوانب الاقتصادية، وما يلاحظ على هذه المجموعة أنها كانت تدعم الروابط الاقتصادية بين الدول الإفريقية مع الحفاظ على علاقاتها مع فرنسا، بما فيها بقاء القواعد العسكرية الفرنسية في بعض الدول الإفريقية، وردا على هذه المجموعة الموالية لفرنسا².

ظهرت مجموعة دار البيضاء أثناء انعقاد مؤتمر دار البيضاء خلال الفترة من 03 إلى 07 جانفي 1961، وتتكون من (المغرب وغانا ومالي و الجمهورية العربية المتحدة "مصر و سوريا" والحكومة المؤقتة الجزائرية و كانت أهم المشاكل التي عالجتها الندوة تتعلق (بالجزائر الكونغو فلسطين وموريتانيا)، وتميزت هذه المجموعة بعنائها الشديد للاستعمار، وكان قرار المؤتمر بخصوص قضية الجزائر هو مساعدة الشعب الجزائرية الحكومة الجزائرية المؤقتة بكل الوسائل، استنكار السياسة الفرنسية في الجزائر المدعومة من طرف الحلف الأطلسي، وعارض أي استفتاء تنظمه فرنسا لوحدها، كما عارض أيضا فكرة تقسم الجزائر و أكد المؤتمر عزمهم على نصره الحركات التحررية للتخلص من السيطرة الأجنبية في القارة الإفريقية³.

أما مجموعة برازيل فبعد دعوة الرئيس السنغالي سانغور لعقد ندوة منروكيا ومشاركة معظم دول المجموعة فيها و التي كانت القضية الجزائرية هي القضية المركزية فيها قد أدت إلى بروز مواقف أكثر ايجابية تجاه القضية الجزائرية بحيث اختتمت الندوة بصدور لائحة تطالب بضرورة

¹ - إحدى عشر دولة إفريقية: الكاميرون، السنغال، جمهورية إفريقيا الوسطى، تشاد، الكونغو، برازيل، الكونغو كينشاسا، داهومي (بنين)، ساحل العاج، الغابون، فولتا العليا (بوركنافاسو).

² - سليم العايب: الدبلوماسية الجزائرية في إطار منظمة الإتحاد الإفريقي، المرجع السابق، ص 72.

³ - المرجع نفسه، ص 73.

إجراء مفاوضات بين الحكومة الجزائرية المؤقتة و فرنسا من أجل تحقيق الاستقلال المطالبة بالتوقف عن تجاربها النووية في القارة الإفريقية¹.

وإذ كانت القضية الجزائرية هي التي أدت إلى ظهور مجموعة الدار البيضاء و مجموعة منروفا المتناقضتين فإن هذه الأخيرة وبعد تبنيها موقفا أكثر ايجابية تجاه القضية الجزائرية أصبح موقفها قريبا من وجهة نظر مجموعة الدار البيضاء ، لذلك جاءت فكرة تنظيم ندوة (لاغوس) لأجل تحقيق التصالح بين الأقطاب الإفريقية، ومن ثم وجهت الدعوة لمحور الدار البيضاء بحضور ندوة (لاغوس) من 25 إلى 30 جانفي 1962، لكن الشيء الذي حال دون توحيد هذه الأقطاب من جديد هو مشكل مشاركة الحكومة الجزائرية المؤقتة بحيث اعترضت بعض الدول في مجموعة منروفا التي لها علاقات طيبة مع فرنسا على مشاركة الحكومة الجزائرية المؤقتة وأدى ذلك إلى مقاطعة محور الدار البيضاء، وتبعها في ذلك كل من ليبيا السودان، تونس، وانعقدت ندوة (لاغوس) بحضور عدد من الدول الإفريقية²، و ثم فيها دراسة المشروع المقدم من طرف ليبيريا والمتعلق بميثاق المنظمة الإفريقية إلى جانب قضيتي استقلال الجزائر و انغولا، وحاول مرة أخرى اجتماع وزراء الخارجية الأفارقة من 23 إلى 25 أكتوبر 1962 احتواء هذا للانقسام بين الأقطاب الإفريقية لكن النتيجة كانت عكسية حيث ظهرت من جديد خلافات حادة بين الوزراء حول موريتانيا و الكونغو³.

إذا كانت القضية الجزائرية هي العامل الأساسي الذي حال دون توحيد الأقطاب الإفريقية فإنه بعد المفاوضات إيفيان و استقلال الجزائر، أصبحت أحد العوامل المشجعة للوحدة و التضامن الإفريقي لأنها بعد الاستقلال مباشر وجدت أمنها مهددا بسبب المطالبات الترابية لجيرانها التي تعود إلى ما قبل الاستقلال، و لذلك أصبحت تجذب قيام إطار التعاون بين الدول الإفريقية لتجاوز هذه التحديات، هذا ما شجع بعض الدول لبذل الجهد لتحقيق التقارب بين الأقطاب الإفريقية كغينيا و مالي، وفي هذا السياق صرح الرئيس الغيني أحمد سيكوتوري قائلا: " ليست هناك

3- Slimane Cheikh: l' Algérie porte de l' Afrique, casbah, éditions, Alger, 1999, pp140,144.

² - الدول الإفريقية: هي الكونغو برازفيل، الكونغو كينشاسا، الكاميرون، ساحل العاج، داهومي، الغابون، فولتا العليا، ليبيريا، مدغشقر، موريتانيا النيجر، جمهورية إفريقيا الوسطى، السنغال، سيراليون.

2- Slimane CHikh, op,cit, pp144-145.

إفريقيتان، إفريقيا دار البيضاء و إفريقيا منروفا ، بل هناك إفريقيا واحدة ووحيدة تحررت منذ عهد قريب يشكل جزئي من السيطرة الاستعمارية"¹.

كما ذكرنا سابقا إن الجزائر كانت تمثل الحركة التحررية النموذج الأمثل في التحرير إفريقيا ولذلك أصبحت من الدول الأساسية والفعالة و المتمسكة بمبادئ وحدة الإفريقية بعد الاستقلال، وأصبحت ساستها الخارجية تقوم على محاربة الاستعمار في القارة الإفريقية باعتبارها جزء من كفاح الشعب الجزائري، وكما جاء في الميثاق الوطني الجبهة التحرير الوطني الحزب الحاكم آنذاك بأن " الجزائر بلد إفريقيا تدرج سياسته الخارجية في نطاق التضامن الأفريقي من اجل التحرر السياسي للقارة ونهوضها الاقتصادي والاجتماعي، وهكذا يكون التحرر الكامل لإفريقيا جزءا من الكفاح الشعب الجزائري في سبيل استقلاله له كرامته، ويعنى هذا بالنسبة إلينا التزاما إيجابيا إلى جانب الشعوب الإفريقية المكافحة للاستعمار والتميز العنصري..." ولهذا فإن الجزائر بذلت جهودا لا بأس بها لدعم حركات التحرر ماديا ودبلوماسيا سواء من خلال الإطار الجماعي عبر أجهزة منظمة الوحدة الإفريقية كلجنة التنسيق لتحرير إفريقيا، وصندوق المساعدات المالي لحركات التحرر أو من خلال العلاقات الثنائية مع الحركات التحررية في المستعمرات البرتغالية (غينيا، بيساو، موزنيق، أنغولا، وجزر ساوتومي، وجزر رأس الأخضر) أو في المستعمرات الإسبانية (الصحراء الغربية وجزر الكناري) وكذا في المستعمرات البريطانية (السيشل أو الأنظمة العنصرية الموالية لها، سواء في روديسيا الجنوبية "زيمبابوي") أو جنوب إفريقيا التي أسندت لها مهمة الوصاية على (ناميبيا)، وهكذا استطاعت الجزائر أن تلعب دورا كبيرا في مساندة الحركة التحرر الإفريقية إضعاف نظام التمييز العنصري"².

¹ - العايب سليم، الدبلوماسية الجزائرية في إطار منظمة الإتحاد الإفريقي، المرجع السابق، ص ص 74، 75.

² - المرجع السابق، ص ص، 76- 77.

2- الثورة الجزائرية ودورها في يقظة الشعوب الإفريقية:

لم تكد فرنسا تنتهي من حربها الاستعمارية بالهند الصينية، إثر هزيمة (ديان بيان فو) حتى أخذ ساستها يكررون يوميا بأن خسارة الهند الصينية لا نجر عليهم إلا التراجع في مستعمراتهم الآسيوية، و أما المستعمرات الإفريقية التي تكون أضخم قسط من الإمبراطورية الفرنسية فإنها باقية على حالها، ولن تتأثر أبدا بما يجري في آسيا من التقهقر، في المواقع الإستراتيجية و السياسية، إلا أن الفرنسيين الذين اشتهروا عند الجميع ببعدهم عن الواقع، كانوا بلا شك يجهلون ما تحضره لهم الجزائر من ويلات أخرى لا تقل هولاً عما جنته فرنسا في حرب الهند الصينية. و هكذا فإن الذي يبحث عن أسباب انحلال الإمبراطورية الفرنسية، بعد الحرب العالمية الثانية، لا بد أن ينتهي إلى هذه النتيجة وهي انه إذا كانت حرب الهند الصينية هي مفتاح خروج فرنسا من القارة الآسيوية، فإن حرب الجزائر هي مفتاح اندحارها في القارة الإفريقية¹.

ولقد حاول الفرنسيون اثر اندلاع ثورتنا في نوفمبر 1954 إن يقابلوها بشيء من الاستخفاف والاحتقار، وزعموا أنها مغامرة بسيطة أقدم عليها ثلة من قطاع الطرق والفارين من السجون. ولما شاهدوا تفاقم هذه الثورة و اتساع رقعتها، اتجهوا بتأويلاتهم إلى الحالة الاجتماعية والاقتصادية التي كانت عليها الجزائر، محاولة إقناع الخارج، خاصة الرأي العام في مستعمراتهم الإفريقية الأخرى، بأن الثورة الجزائرية ليست لها أسباب سياسية، و بأنها خالية من الفكرة الوطنية. وهذا ما يبرهن لنا على أن أكثر ما تخشاه فرنسا، هو تسرب العدوى الثورية، إلى مواطن أخرى من القارة الإفريقية.

وكانت فرنسا في نفس الوقت عاجزة على مواجهة المجاهدين الجزائريين بصدور أبنائها، فراحت تنظم الخطوط الجوية السريعة، لتحمل الجنود السود وتزج بهم في معركة قائمة بين الاستعمار الفرنسي والشعب الجزائري محاولة بذلك، وفي هذا الصدد لم يتردد الضباط الفرنسيون في تهيئة الظروف التي تغذي هذه لعداوة بين الجنود السود والسكان الجزائريين، فكانت مجازر عنابة والبليدة وبسكرة وتلمسان، إلا أن هذه الحالة لم تدم طويلا، وذلك بفضل إصرار الجزائريين على

¹ - المجاهد: العدد 11، (فاتح نوفمبر 1957)، ص 11.

إفهام الجنود السود في حقيقة الثورة الجزائرية. وفيما ترمي إليه من تحرير المستعمرات الإفريقية بأكملها إلى أن تصبح القارة الإفريقية للأفارقة وحدهم، و فعلا فإن الجزائريين توصلوا إلى نتيجة نسبية، حيث أن المسلمين من الزنوج رفضوا مقاتلة إخوانهم الجزائريين بل، التحق البعض منهم بقوات جيش التحرير، ولازم فريق آخر منهم الثكنات إلى أن أرجعتهم فرنسا على منازلهم في إفريقيا السوداء وعلى كل حال، فإن الجنود الذين ما زالوا تحت القيادة الفرنسية لم يعودوا يتمتعون بالثقة العمياء التي اعتاد الضباط الفرنسيون أن يمنحوها، فلم يعودوا يكلفونهم بمهاجمة وحدات جيش التحرير الوطني لأنهم يعلمون أن السود لن يستعملوا أسلحتهم ضد الجنود الجزائريين وإنهم لن يترددوا في تسليم تلك الأسلحة إلى وحدات جيش التحرير الوطني.¹

هذا فيما يتعلق بما يجري داخل الحدود الجزائرية بيننا بين الطائفة من جنود إفريقيا السوداء وأما في الخارج، فإنه من البديهي أن فرنسا تحاول أن تهم العالم بأن الفكرة الاستعمارية، لم تعد هي الأساس الأول لسياستها في القارة الإفريقية وإن ما يتهمها به الجزائريون ليس إلا باطلا يكذبه الواقع، و هذا الواقع الذي تتظاهر به فرنسا، يتلخص في إعطاء بعض الزعماء الأفارقة مناصب عالية في الحكومة، و مثال ذلك، (رئاسة مجلس الجمهورية).

هذا من ناحية، و من الناحية أخرى رأى الفرنسيون إن ترددهم في إعطاء الجزائريين ولو نصيبا من الحقوق السياسية، هو الذي دفعهم إلى تنظيم هذه الثورة الهائلة فسارعوا حينئذ، إلى إعطاء المستعمرات الإفريقية نوعا من الحكم الذاتي، أطلقوا عليه القانون (الإطاري) و بمقتضى هذا القانون يمكن للأفارقة أن تكون لهم مجالس تشريعية جهوية، و مجالس حكومية يرأسها الوالي الفرنسي. و قد لاحظ المراقبون السياسيون أن فرنسيين هذه المرة لم تجرؤ على تدليس الانتخابات العامة كما جرت العادة لذلك في الجزائر قبل الثورة، و في المستعمرات الإفريقية أيضا، و السبب في هذه الأمانة الخارقة للعادة، يرجع بالطبع إلى أن فرنسا كانت تخشى أن تثير غضب الشعوب السوداء فتفتح في وجهها حربا ثانية، بينما هي ما تزال تواصل حربها بالجزائر.²

1 - المصدر السابق، ص 11.

2 - المصدر نفسه، ص 11.

فعلا فقد شارك الأفارقة في الانتخابات و صوتوا على المرشحين منهم تحت لواء حزبين رئيسيين وهما حزب التجمع الديمقراطي الإفريقي، وحزب الاتفاقية الإفريقية، ومما لا شك فيه إن فرنسا راحت تتغنى بهذه النتيجة في العالم أجمع على أساس أنها حجة قاطعة تبرهن على صدق نية فرنسا و عزمها على تسيير الشعوب المتخلفة إلى ما تستحقه من نضج سياسي ورفاهية اجتماعية واقتصادية.

لكن فرح فرنسا لم يدم طويلا كما إن ثقتها في تجربة (القانون الإطاري)، لم تصمد أمام الواقع المتجدد الذي يتطور بسرعة تفوق بكثير تطور أفكار الساسة الفرنسيين.

هكذا فإن فرنسا بعد أن سجلت إخفاقها في استعمال الجنود السود ضد المجاهدين الجزائريين اضطرت إلى الاعتراف بخيبة أخرى لا تقل مرارة عن الثانية. لقد كانت فرنسا تعتقد أن (القانون الإطاري) سوف يريحها من مطالبة شعوب إفريقيا ومدغشقر بالاستقلال التام، كما أنها تعتقد أنها سوف تجد في زعماء الأفارقة أحسن محامين على سياستها (التحريرية) في المستعمرات الإفريقية و لكن أهواءها لم توافق مرة أخرى ما يخبئه لها الواقع المؤلم كما أن الحسابات التي أقامتها لم تصادف نوايا الأفارقة وعزمهم الصارم على التحرر من الاستعمار الفرنسي تحمرا تاما فكانت الصدمة خطيرة جدا حتى على أولئك الذين كانوا يساندون سياسة (قانون الإطاري).

وما يمكن قوله أن فرنسا خرجت من المؤتمر الذي عقده حزب (التجمع الديمقراطي الإفريقي) في مدينة باماكو السنيغال، معتقدة وأشد الاعتقاد بأن المناورات التي قامت بها طيلة ثلاث سنوات للتفريق بين الجزائر و الشعوب الإفريقية المستعمرة الأخرى لم تأت إلا بعكس ما كانت ترمي إليه، كما أنها نعتقد بأن (القانون الإطاري) لم يخلصها من المطلب الأساسي وهو الاستقلال التام الذي لا يعقل أن يتنازل عليه أي شعب الدنيا ومن هذا المؤتمر تأكدت فرنسا، إن حرب الجزائر لا بد أن تجر عليها انفكك إمبراطوريتها، وأن تقضى على ما تبقى لها من حرب الهند الصينية¹.

واندهشت الأوساط الاستعمارية الفرنسية التي كانت تظن أن (قانون الإطاري) سيكون بمثابة المخدر الذي ينوم الأفارقة ويجعل الحكومة الفرنسية في راحة تامة من هذه الناحية حتى تتمكن من

¹ المصدر السابق، ص 11.

مواصلة قمعها و حربها بالجزائر بكل هدوء. وبلغ ضغط الأفارقة على أحزابهم درجة جعلت هؤلاء يصرحون أن (القانون الإطاري) فات أوانه و انه يجب القيام بشيء جديد واعترف المسؤولون الفرنسيون أنفسهم بأن (القانون الإطاري) يشتمل على بعض الأخطاء¹.

ذلك أن المسؤولين الفرنسيين تيقنوا أن محاولتهم الرامية إلى تقسيم الأفارقة و ابتلاعهم على انفراد قد فشلت. وبالفعل فقد اجتمع 63 نائبا من نواب الأحزاب السياسية في إفريقيا الغربية والاستوائية في باريس من 15 إلى 18 فيفري 1958 ووقفوا بالإجماع على لائحة تطالب بإنهاء الحرب في الجزائر. ومن بين من حضروا هذا الاجتماع هو **فواي ديواني** رئيس التجمع الديمقراطي الإفريقي ووزير الصحة في حكومة **غايار**. وقد خط هذا الاجتماع طريق الوحدة الإفريقية. ولئن لم يتخذ قرارا نهائيا بشأن التوحيد فقد اتفقت كلمة الجميع على ضرورته كما قال **سانغور** نفسه: "أن وحدة العمل لم تعد كافية بل يجب أن نحقق وحدة نظامية حتى نتمكن من تحقيق البرنامج المشترك".

مهما يكن من شيء فإن ضغط سكان إفريقيا السوداء و إفريقيا الغربية بلغ درجة من العمق والقوة جعلت حتى الذين اشتهروا يتعاونهم مع الاستعمار الفرنسي يتكلمون لغة أخرى فهذا **موييد وكيئا** وزير الدولة في حكومة **غايار** ونائب **باماكو** يصرح أمام وزير ما وراء البحار قائلا: "إن فرنسا تتردد والوقت يمضي والأحداث تمر بسرعة بينما تجمد بمضي الدهنيات الفرنسية على قولها القديمة. ولهذا أكدوا أن فرنسا إذا سدت في وجهنا طريق المجموعة الإفريقية الفرنسية، فإن إفريقيا ستضطر إلى أن تسلك الطريق الوحيد الذي بقي مفتوحا أمامها وهو الطريق الاستقلال الكامل"².

هذا ما يخيف **ميتران** و**منداس فرانس** ويجعلهما يتشبثان ببرنامج المجموعة الفرنسية-الإفريقية التي يظنون أنها ستوقف زحف إفريقيا السوداء نحو التحرر. إنهم يعرضون مزايا هذه المجموعة حتى لا تنتقل الثورة المندلعة في الكامرون إلى إفريقيا الغربية و الاستوائية و إلى مدغشقر .

¹ - المجاهد: العدد 22 ، (15 أبريل 1958)، ص 8.

² - المصدر نفسه، ص 08.

لكن سكان هذه الأقطار لا يمكن أن يقفوا إلى الأبد وقفه المتفرج على ما يجري بالجزائر وعلى ما يجري بالكاميرون الذي يؤكد زعماءه كل يوم أنهم يريدون الاستقلال الكامل. وفي أقصى الجنوب من القارة الإفريقية بدأت طلائع الانتفاض تبدو في مدغشقر حيث ظهرت المطالبة بالاستقلال قوية إلى درجة أجبرت رجال الدين المسحيين بمدغشقر على أن يؤيدوا استقلال الملغاش. ومن بين المطالب التي قدمها سكان مدغشقر العفو على النواب الذين القي عليهم القبض في سنة 1947 وجردوا من الحصانة البرغالية وحكم عليهم بالإعدام، و قد رفض المجلس الوطني الفرنسي في الأيام الماضية الاستجابة لهذا المطلب، فكان ذلك عاملا جديدا من عوامل تغذية السخط في مدغشقر، على السياسة الفرنسية العمياء.

وهكذا تجد فرنسا نفسها مرة أخرى في لحظة من لحظات الاختيار التاريخية أنها مجبرة على إن تختار بين سياسة رشيدة تفهم بها مطالب إفريقيا السوداء تفهما حقيقيا وتعترف باستقلال الجزائر. وبين أن تنقل سياستها بالجزائر إلى الأقطار السوداء فتفتح على نفسها واجهة حربية ضخمة تأتي على تبقى لها من سمعة و تاريخ وتقوض إلى الأبد مستقبلها ومستقبل الغرب في القارة الإفريقية بأجمعها¹.

إن الثورة الجزائرية لعبت دورا أساسيا في القضاء على الاستعمار، و ذلك لعدة عوامل:

- أن التجربة الاستعمارية في الجزائر تعتبر أصدق صورة لما يمكن أن يقوم به أفضع نظام استعماري، فقد تعرضت الجزائر لجميع أنواع الاضطهاد والقمع التي خبرتها الشعوب الإفريقية و الآسيوية، لان قربها من التراب الفرنسي ووجود ما يقرب من أوروبي فوق أرضها، ومحاولات فرنسا طيلة قرن وربع القرن لمحو شخصيتها وفتح كيانها، أن كل ذلك جعل من نموذجا لأبشع ما يمكن أن يصل إليه استعمار بلغ الدرجة القصوى من استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، ومن استعباد شعب كامل لفائدة أقلية أجنبية².

¹ - المصدر السابق، ص 08.

² - المصدر نفسه، العدد 31، (01 نوفمبر 1958)، ص 24.

- الدور الذي لعبته الجزائر وخصوصا بعد استقلال تونس و المغرب وبعض مستعمراتها في إفريقيا، وأهمية الجزائر الإستراتيجية وثروات صحراءها، وإمكاناتها الضخمة، وكل ذلك يجعل من الجزائر هي العمود الفقري للاستعمار.

- تجنيد فرنسا لجميع إمكانياتها البشرية والاقتصادية، ولتحالفها مع الغرب في حرب الجزائر لمحاولة القضاء على الثورة الجزائرية، فحشد قوات تعد مليون جندي، وتجهيزها بأحدث العتاد والأسلحة الحلف الأطلسي الذي أعد لمقاومة (الخطر الشيوعي) إن ذلك كله معناه إن فرنسا لا ترمي من وراء محافظتها على أنها ترمي من وراء ذلك إلى المحافظة على مستعمراتها بإفريقيا السوداء.

- إدراك الدول الاستعمارية الغربية لهذه الحقيقة جعلها تتضامن مع فرنسا ذلك التضامن الإجرامي وتبذل لها الإعانات المالية و العسكرية و الدبلوماسية والسياسية، لأنها تعرف بدورها أن استقلال الجزائر الكامل لا بد أن يؤدي إلى انهيار سريع يصيب جميع المستعمرات التي ما يزال الغرب يحافظ عليها في العالم، وخصوصا في القارة الإفريقية كما أن كتلة الدول الاستعمارية تعرف جيدا أن انتصار الثورة الجزائرية سيعزز عقيدة جميع الشعوب المتطلعة إلى الحرية، وسيغذي آمالها في التحرر، وسيجسم بصفة بينه واضحة تنفيذ مبادئ (باندونغ)¹.

وهكذا صارت الجزائر التي كان الغرب يعتبرها دعامة لاستعمارها في إفريقيا، صارت هي الهوة التي توشك أن تبتلع الاستعمار الفرنسي ومعه كل أطماع الغرب الاستعماري وآماله، ولذلك ما فتئت حرب الجزائر منذ أربع سنوات تهيمن على السياسة الفرنسية في الداخل والخارج، و تثير أمامها الدول الغربية ومختلف المصاعب الدبلوماسية و حتى العسكرية، بسبب حرب الجزائر يرهبون في كل لحظة أن يعم لهيب الثورة كامل المستعمرات الإفريقية.

وعمد الاستعمار الفرنسي على هلع ذلك إلى اتخاذ إجراءات مضحكة يأملون من ورائها إيقاف التيار التحريري في إفريقيا الذي عززته حرب التحرير الجزائرية ، فأعلنوا (القانون الإطاري) الذي أرادوا ترويض به الأقطار الإفريقية السوداء، لكن بطولية الشعب الجزائري، و تفاصيل الكفاح الثوري قد شجعت إخواننا الأفارقة رجالا ونساء وجعلتهم ينتهون إلى الفخاخ المنصوبة ويتجنبون

¹ - المصدر السابق ، ص 24.

الوقوع في الشرك ويلحون على المطالبة بالاستقلال، بل أن بعض الأحزاب الإفريقية القائمة على أساس شعبي متين، لا تخفي ضرورة القيام بالكفاح المسلح لانتزاع الاستقلال، كما تدل على ذلك ثورة الكاميرون و الطوغو.

وهكذا أخلت حرب الجزائر بالتوازن الاستعماري في إفريقيا السوداء، حتى أن الحكومة الفرنسية اضطرت إلى أن تراجع سياستها في كل قطر من أقطار إفريقيا السوداء على ضوء حرب التحرير الجزائرية وهاهو الاستعمار الفرنسي الآن يقيم تحت حكم **شال ديغول** وآخر محاولاته للمحافظة على المستعمرات الإفريقية الفرق بين محاولة الجنرال **ديغول** الأخيرة وبين محاولات الفرنسية السابقة هي أن **ديغول** أراد أن يقيم تجربته الاستعمارية على أساس يراعى بعض الشيء التطور الطبيعي للشعوب، ولذلك اعترف في دستوره الجديد بضرورة تزويد الأقطار الإفريقية بدول ذاتية داخل مجموعة تحتل فيها مكانة ممتازة ومعنى ذلك بعبارة أخرى أن تجربة **ديغول** تحاول أن تكيف الاستعمار الفرنسي حسبما تقتضيه ظروف العصر الحاضر، ولهذا نجد الرجعيين الذين وضعوا ثقتهم في **ديغول** يتأملون أن لا يخدعهم، إن أولئك الرجعيين الذين لم يتعضوا بهزائم فرنسا، لأنه سلم في مستعمراتها و الواقع أن الجنرال **ديغول** يحاول أن ينقذ ما تبقى من المصالح الاستعمارية داخل دستور أقيم حصصا لفائدة فرنسا على حساب بقية الأقطار الإفريقية، مهما يكن فإن حرب الجزائر كانت هي السبب المباشر في إدخال هذا الاضطراب على النظام الاستعماري بأقطار إفريقيا السوداء و لذلك فإن الشعب الجزائري المتطلع إلى السلم يدرك أن الطريق الذي ما يزال أمامه شاق و طويل¹، وهو في وعيه هذا يزداد كل يوم تعلقه بمبادئه و ثباته على هدفه و تصميمه على مواصلة كفاحه بفضل أحرز عليه من انتصارات إيجابية و ما حققه كفاحه البطولي المظفر من نتائج لا في الجزائر فحسب، و لكن في كامل القارة الإفريقية و في معركة التحرير العالمية الكبرى.

فعندما أعلن الشعب الجزائري ثورته منذ أربع سنوات مطالبا بالاستقلال ظهر للعالم الغربي ولبعض الأفارقة أن هذا المطلب غير واقعي. وهاهو الآن ذلك الاستقلال بعد أربع سنوات من كفاحنا يصير هو أقل ما تطالب به جميع الشعوب الإفريقية تتردد كلها مع الجزائر هتافا واحدا نريد الاستقلال.

¹ - المصدر السابق، ص 24.

3- المحاولات الفرنسية للحفاظ على المستعمرات الإفريقية:

أصبحت الثورة الجزائرية بقوة وعنفها الشعبي و نجاح دبلوماسيتها، وبعزم رجالها وتفانيهم في خدمة بلادهم، تقض مضاجع الاستعماريين، وتهمين علة مخططاتهم، وأدت بهم إلى البحث عن السبل الكفيلة بالاحتفاظ على قدر يسير و مهم من إمبراطوريتهم الاستعمارية، ولذلك حاولوا تنفيذ سياسة فرنسية إفريقية جديدة للاحتفاظ بقدر من ماء الوجه، و تجنب فرنسا مطالب وطنية ملحة. إن قانون (الإطاري) "الذي تم التصويت عليه تحت ضغط حرب الجزائر، يمثل بداية لارتقاء الضغط على بلدان الإفريقية"¹.

قانون الإطاري هو عبارة عن استقلال ذاتي إداري، مع بقاء حاكم عام يتلقى الأوامر من باريس. صوت عليه البرلمان الفرنسي لتشكيل تجزئة إقليمية لإفريقيا السوداء، وقطع مسيرة هذه الشعوب نحو الوحدة و الاستقلال².

لقد لمس الجنرال **ديغول** هبوب رياح التحرر، فلم يجد من سبيل سو الاحتفاظ بمصالح فرنسا، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه بأقل خسائر و أقل التكاليف، فهو عندما نجح في استفتاء سنة 1958، إنما أراد أن يخفف العبء على بلده. لقد استخلص **ديغول** العبرة من التاريخ الذي كان يسير نحو الإمام، وهو لم يفعل سوى أن نظم المستعمرات مع الاحتفاظ بالأجهزة السابقة كتابع للوطن الأم. وعن طريق التصويت في استفتاء 28 سبتمبر 1958، أراد الجنرال **ديغول**، من وراء ذلك، كسب البلدان الإفريقية إلى جانب فرنسا عن طريق مخادعة سياسية جديدة في تنظيم جديد لسلطة الدولة، وهو شكل خفي لنوع من التبعية للاستعمار، أما الجزائر فهي كل شيء بالنسبة للفرنسيين، ولذلك كان عليهم الاحتفاظ بها مهما كانت الخسائر في جهات أخرى.

¹- عبد القادر خليف (الثورة الجزائرية و بعدها الإفريقي)، الملتقى المغاربي يومي 11 و 12 جوان 2003 الأبعاد الحضارية للثورة الجزائرية، جامعة الجيلالي البابس سيدي بلعباس، تحت إشراف: محمد مجاود، ص 127.

²- المرجع نفسه، ص 127.

واعترف الجنرال ديغول في مذكراته بالصعوبات والخسائر التي كانت تتلقاها فرنسا، فيقول: "كنت ألاحظ في جميع مستعمراتنا القديمة الحقائق النفسانية والسياسية (حرب الجزائر)، وأدرك مدى الثورات التي قد نشبت فيها إذا رفضنا قبول ما يتصف بالإنصاف، وما لا يمكن تفاديه، وما يحق لنا أن نتوقعه على النقيض من ذلك من تعاون مثمر قد تفتح آفاقه بيننا، الأمر الذي جعلني أزداد يقينا، فيما يتعلق بالجزائر، بإدراكي للقضية طريقة حلها. ومهما يكن من أمر، فكان يترتب علي إنقاذ من المهام و الخسائر التي تزيد عبئها باستمرار، في حين أن الفوائد التي كانت تجنيها أضحى مجرد مظاهر فارغة"¹.

فالجنرال ديغول لم يكن هدفه خدمة الشعوب الإفريقية المستعمرة، بل إنه جاء إلى الحكم من أجل إنقاذ بلده من الورطة التي وقعت فيها، و هي حرب الجزائر، لذلك سعى إلى حل المشكل بأقل ما يمكن، من ذلك محاولته ربط البلدان الإفريقية بفرنسا بطرق أخرى مقنعة، ولكنها في واقع الأمر واحدة.

ومهما يكن، فقد استطاع الاستعمار أن يكسب بعض رجالات القارة المثقفين، من أمثال هفوت توانييه، زعيم حركة التجمع الديمقراطي الإفريقي في مستعمرات إفريقيا الغربية الفرنسية، الذين تمتعوا بامتيازات حولتها لهم المناصب التي منحت لهم. واتخذوا موقف الانتظار واللامبالاة حيناً والتواطؤ والوقوف إلى جانب السياسة الاستعمارية حيناً آخر.

لقد ظن هؤلاء أن نظور إفريقيا لن يكون إلا في ظل العلم الفرنسي، وذلك تأثراً بالتوجه الاستعماري ومسايرة له. وهم بذلك إنما يساندون سياسة البطش والإرهاب في المستعمرات ضد شعوبهم. ولقد خاب ظنهم إذ لن تتغير نظرة المستعمر إلى شعوبهم، التي كانت على سكة مخالفة لسكة مثل تلك الزعامات الهشة المستسلمة.

إن المشاركة في التصويت من قبل المواطن الإفريقي و بخاصة الإدلاء بـ"نعم"، هو اعتراف ضمني بتبعيته لعائلة واحدة وجنسية واحدة، وهو بذلك يعمل على مسخ الشخصية الإفريقية،

¹- شال ديغول: مذكرات الأمل 1958-1962، ترجمة سمحي فوق العادة، منشورات عويدات بيروت 1971، ص 80.

"وعلى كل إفريقي يصوت بمناسبة الاستفتاء، سيساعد على شد وثاق شعبه وبلده بأحابيل الاستعمار الفرنسي"¹.

4- فشل السياسة الاستعمارية الفرنسية في إفريقيا:

لقد فشلت السياسة الفرنسية في إقناع كل الأفارقة للأخذ بوجهة نظرها، باستثناء بعض الزعامات التي لن تلبث أن تتفطن لأخطائها أمام السيل الجارف لموجة التحرر. أما غينيا فقد استفادت من الدروس الاستعمارية أحسن استفادة، و كان أحمد سيكوتوري أفضل زعيم إفريقي اختار طريق الحرية مع ما فيها من أشواك، بدل طريق الذل و العبودية المفروضة بسراب من الوعود الكاذبة، وقد قال قولته المشهورة: "إننا نفضل الحرية مع الجوع على الرفاهية في ظل العبودية".

بقيت غينيا بزعامة أحمد سيكوتوري، و فيه لصالح تحرير المستعمرات، وأصبحت مقصدا للأفارقة الأحرار، و التجأ إليها عدد من الرجال الوطنيين الذين سيصبحون زعماء بلدانهم في غينيا (بيساو وجز الرأس الأخضر و الموزمبيق و أنغولا). هؤلاء المثقفون عملوا على التنسيق مع الحركات المعادية للاستعمار في المستعمرات البرتغالية المرتبطين بأحزاب برتغالية معادية لدكتاتورية سلنزار².

كانت مطالب الشعوب الإفريقية تستسهلهم من حركة الثورة الجزائرية و تتأثر بها إلى حد كبير، لأن الاستعمار الفرنسي نزل بكلكله على الجزائر، وعندما تحركت الثورة هنا تزعزع الجسم كله، وانعكس ذلك بالإيجاب على المستعمرات الإفريقية عامة . لقد "أصبح من البديهي...التسليم بأن الدول التي تمتعت باستقلالها من سنة 1958 لم تكن لتحصل عليه لو لم يتلق الاستعمار الضربات الموجعة في أرض الجزائر"³.

¹- فرانز فانون، من أجل إفريقيا، المرجع السابق، ص 136.

²- عبد القادر خلفي (الثورة الجزائرية و بعدها الإفريقي)، المرجع السابق، ص 129.

³- المرجع نفسه، ص 130

ثم طرحت فرنسا بمشكل الصحراء الجزائرية، التي اعتبرتها بحرا إفريقيا تشترك فيه كل البلدان المجاورة، و لكن الثورة استطاعت أن تحل المسألة مع هذه البلدان الإفريقية، و طرحت القضية على مستوى التجمعات الإفريقية التي كانت قراراتها لصالح الثورة الجزائرية. ولذلك توحدت كلمة إفريقيا وفشلت السياسة الفرنسية التي كانت تنهج سياسة فرق تسد، وصرح الزعيم الإفريقي كوامي نيكروما ذات يوم بقوله: "إن الصحراء التي كانت من قبل تفصلنا هي اليوم توحدنا".

أما الدول الاستعمارية فقد هالتها هذه الأحداث، كاستقلال غينيا و غانا وتواصل انتصارات الثورة الجزائرية و توحد كلمة القارة الإفريقية. وكان نجاح الأفارقة في إدارة شؤونهم في كل من أكرا كوناكري يدحض نظرية فرنسا القائلة بأن هذه الشعوب لا تستطيع حكم نفسها بنفسها، و بذلك تشجعت بقية الشعوب المضطهدة لانتهاج الطريق نفسه، لأن كل تراجع للسيطرة الاستعمارية في أي مكان يعزز تضامن بين الشعوب. "وفي ظل الكفاح الوطني ضد الظلم، نكتشف الشعوب المستعمرة بصفة ملموسة، تضامن الموجود بين أعضاء الكتلة الاستعمارية و تأكدت من ضرورة وجود التكافل بين حركات التحرر"¹.

5- الثورة الجزائرية مصدر إلهام نلسون مانديلا :

في بداية عام 1962 بعد أول تفجير للأعمال التخريبية، قرر أعضاء اللجنة التنفيذية في المؤتمر الوطني الإفريقي وجوب السعي من اجل الحصول على مساعدة من بقية دول إفريقيا لتقديم المال و التدريب العسكري، وطلبوا من نلسون مانديلا أن يجري اتصالات و أن يتحدث في لقاء قمة إفريقيا في أثيوبيا، ليشرح مطالب المؤتمر الوطني الإفريقي و يطلب الدعم و المساندة².

ولقد كان الوقت غير مناسب للسفر عبر القارة، فالدول المستقلة حديثا كانت تخرج إلى الوجود بتواتر سريع وقد كانت الدول الامبريالية تعرض عليهم المساعدة لإبقائها في الفلك الغربي، فيما كان الاتحاد السوفياتي و الصين يتنافسان لإغرائها بالاتجاه نحو القسم الشرقي.

¹ - فرانز فانون، من أجل إفريقيا، المرجع السابق، ص 150.

² - هشام مزوجي، نلسون مانديلا: كفاحه ضد التمييز العنصري في جنوب إفريقيا 1918-2013، المرجع السابق، ص 58.

في 10 جانفي 1962 خرج نلسون مانديلا من حدود جنوب إفريقيا باتجاه (يونسوانا) التي كانت في ذلك الوقت ما تزال محمية بريطانية، و قد كان الناشطين السياسيين في (يونسوانا) سعداء بياوتهم لمانديلا و من (بوتسوانا) أكمل مانديلا رحلته عبر طائرة مستأجرة أقلته إلى (تنزانيا).

وتابع مانديلا طيرانه على تونس حيث عرض عليه الرئيس الحبيب بورقيبة التدريب و 5000 جنيه إسترليني ثمن الأسلحة، ثم انطلق إلى المغرب، مركز حركات التحرر الإفريقية بما فيها الموزامبيقية و الانغولية و الجزائرية¹.

ولما وصل إلى الحدود الجزائرية استقبل من قبل الدكتور مصطفى شوقي رئيس البعثة الجزائرية في المغرب، الذي شرح له بحكمة أن المحاربين الفدائيين يحتاجون إلى قاعدة عسكرية قوية خارج البلاد، ومكاتب في الخارج لتعبئة الدعم الدبلوماسي الدولي وأن الجزائر مستعدة لتدريب الإفريقيين بعد أن يتم تحقيق الاستقلال².

وفي وجدة بقرب من الحدود الجزائرية المغربية، راقب مانديلا الفدائيين يقومون بغرض احتفالا بعودة قائدهم أحمد بن بلة الذي أطلق سراحه من أحد سجون الفرنسية، شرح أحمد بن بلة بخطاب قصير أن حرية الجزائريين لا معنى لها طالما أن إفريقيا مازالت بين برائن الامبريالية، دهش مانديلا باحتشاد الجماهير الجزائرية وتأثر بالعرض العسكري للجيش الجزائري الذي زاد في وسط المعركة مع فرنسا³.

¹ - صحيفة النصر: الثورة الجزائرية كانت مصدر إلهام بالنسبة إلى الراحل مانديلا، العدد 14259، الجزائر 2013، ص 05 (جاع).

² - صحيفة الأحرار: الثورة الجزائرية كانت التي تعلم فيها مانديلا النضال و الكفاح، العدد 4823، 2013، ص 02 (م/سعيد).

³ - انظر إلى الملحق رقم 12 من الرسالة.

الفصل الرابع:

الدعم الإفريقي والتعجيل بالاستقلال.

أولاً: الدعم الإفريقي للثورة الجزائرية.

ثانياً: دور الثورة الجزائرية في تعجيل باستقلال البلدان المغاربية.

ثالثاً: دور الثورة الجزائرية في استقلال وميلاد الجمهوريات الإفريقية.

حظيت الثورة الجزائرية بفضل المساندة التي وجدتها في دور العالم الثالث بمكانة مميزة في إفريقيا، وقد كان صدها وتأثيرها بالغاً على تراجع الاستعمار الغربي في إفريقيا خاصة الاستعمار الفرنسي، وبالموازاة مع ذلك لقيت تضامناً وتعاطفاً بين الشعوب الإفريقية والدول المستقلة، وهو تضامن شمل مختلف المجالات السياسية والعسكرية المادية والمعنوية، وكان له ابلغ الأثر على دعم الثورة الجزائرية، وهذا ما سنحاول استيضاحه في هذا الفصل، وذلك من توضيح أبعاد العلاقات الجزائرية والإفريقية وأشكال الدعم المقدمة للثورة الجزائرية¹.

¹- عمر بوضرية: النشاط الدبلوماسي للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية سبتمبر 1958-جانفي 1960، المرجع السابق ص ص 129-130.

أولاً: الدعم الإفريقي للثورة الجزائرية:

أما عن التأييد الإفريقي للثورة الجزائرية فقد كان محدوداً وتضمن تظاهرات وندوات ونشاطات دبلوماسية خاصة من طرف بعض الدول الإسلامية.

1- موقف بعض الدول الإفريقية من الثورة الجزائرية:

لقد وجدت حركات الاستقلال والتحرر الإفريقية في الثورة الجزائرية نموذجاً ليس فقط في إخراج استعمار تقليدي بل كذلك نموذجاً لمواجهة استعمار استيطاني خاصة في أنغولا، الموزمبيق، زمبابوي (روديسيا سابقاً) أين تواجد المستوطنون بكثافة وبهدف البقاء الدائم . كانت كذلك دافعا قويا لبقية حركات الاستقلال لعدم المساومة مع المستعمر مثل ما حدث في غينيا¹، الكونغو (ثم الزاير والكونغو حالياً)، غانا ومالي. كما كان الجزائرية أول دولة إفريقية ترفض عملياً وتحارب هذا المشروع. وثمة لا يمكن إبعاد تأثير الثورة الجزائرية تخوف الدول الاستعمارية من امتدادها لبقية المستعمرات وبالتالي الإسراع في التفاوض لاستقلال 16 دولة إفريقية² في سنة 1960 وحدها.

لعبت مصر بقيادة الرئيس عبد الناصر، الدور الأساسي في التعبئة والتحسيس بقضايا التحرر العربي في إفريقيا. لقد كانت القاهرة مركزاً أساسياً يتردد عليه دورياً القادة الأفارقة ومركزاً لحركات التحرر الإفريقية. كما كان للتواجد الدبلوماسي المصري على مستوى الدول الإفريقية المستقلة دور فعال في كسب التأييد الإفريقي للقضايا العربية.

لقد ساهمت كذلك كتابات ونشاطات ثوار متعاطفين بقوة مع إفريقيا مثل فرانس فانون في دفع الدول الإفريقية لاتخاذ موقف إيجابي تجاه الثورة الجزائرية. رغم ذلك يجب التذكير أن بعض الدول الإفريقية التي كانت تحت الاستعمار الفرنسي بسبب ارتباطها القوي بالمستعمر سابقاً نتيجة حصولها على استقلال مشروط كان لها موقف سلبي تجاه الثورة الجزائرية. البعض منها مثل السنغال اتخذت مواقف موالية إلى فرنسا بما فيها مشاركة عناصر من جيشها في المعارك الفرنسية ضد جيش التحرير

¹ - إسماعيل الدبش، السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954-1962، المرجع السابق، ص ص 163-164.

² - أنظر إلى الملحق رقم 13 من الرسالة.

الوطني. يجب التذكير أيضا أن الموقف السلبي للحكومة السنغالية تجاه الثورة الجزائرية لا يعكس موقف الشعب السنغالي. هذا الأخير الذي كانت له مواقف إيجابية جدا وانتقادات شديدة للموقف الرسمي. وحتى داخل الجيش السنغالي كان هناك عدم الرضا على سلوك الحكومة لدرجة أن البعض من الذين كانوا بالجزائر تمردوا على قيادتهم والتحقوا بجيش التحرير الوطني الجزائري. البعض منهم استشهدوا رفقة أفارقة آخرين بجانب إخوانهم الجزائريين¹.

وفي نفس الوقت كان لبعض الدول الإفريقية مواقف جد إيجابية ومتشددة ضد الاستعمار الفرنسي ومساندة بدون تحفظ للقضية الجزائرية دوليا ولحرب التحرير الجزائرية داخليا مثل:

أ- غينيا:

كانت غينيا من بين بعض الدول الإفريقية المستقلة القلائل التي كانت لها مواقف متشددة ضد الاستعمار الفرنسي ومساندة مطلقة لحرب التحرير الجزائرية. وعوامل عدة كانت وراء هذا الموقف الغيني أهمها:

1. الانتماء الديني المشترك الجزائري والغيني وتأثير الشعب الغيني على الحكومة.
2. المعاناة القاسية من طرف استعمار واحد (فرنسا).
3. كانت غينيا ضحية ليس فقط للاستعمار الفرنسي التقليدي بل واجهت خطورة التدمير والتخريب العملي للمنشآت الاقتصادية القاعدية ووسائل الاتصال من طرف فرنسا حتى بعد الاستقلال الغيني 1958. حدث ذلك في وقت كان الشعب الجزائري يواجه اخطر مرحلة من مراحل الممارسات اللانسانية للاستعمار الفرنسي ضد قوى الاستقلال والتحرر. شكلت هذه الأحداث والمعاناة المشتركة عاملا تضامنيا قويا بين الشعبين الجزائري والغيني.
4. كان لدى غينيا قيادة وطنية برئاسة أحمد سيكوتوري الذي عرف بمواقفه الثابتة ضد الاستعمار وهيمنة القوى الرأسمالية، يعتبر سيكوتوري أحد القادة البارزين والقياديين المناوئين للاستعمار والمطالبين باستقلال وتحرير الشعوب دون قيد أو شرط ومناصر لكل الوسائل التي تضمن

¹ - المجاهد: العدد 81 (01 نوفمبر 1960)، ص 14.

ذلك بما فيها العمل المسلح¹: "إننا نريد أن نؤكد بكل قوة تضامننا المطلق مع الشعب الجزائري وممثليه الحقيقيين لأن الجزائر أرض إفريقية والحرب العاشمة على شعبها تمس مجموع الشعوب الإفريقية الواعية للعواقب الوخيمة التي يجرها استبعاد شعب بواسطة قوة وقوانين دولة أجنبية... فنحن مصممون تصميمًا راسخًا على تقديم مساعدتنا غير المشروطة للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية من أجل استقرار السلم في الجزائر حسب الشروط والضمانات التي حددتها الجزائر... ونحن نعلن بصفة راسخة أن موقف الحكومة الفرنسية نحو الرغبات الشرعية للشعب الجزائري سيحدد بشكل أقوى وأوضح موقف الشعب الغيني وحكومة الفرنسية...".

ولم يتوقف الرئيس أحمد سيكوتوري، في تأييده المطلق لثورة الجزائر على العلاقات الشائبة بين بلدين الجزائر وغينيا، بل حمل كل دولة أو حكومة مسؤولية إجرامية في حالة التردد أو التحفظ من مساندة الثورة الجزائرية: "إن كل حكومة لا تهتم بقضية الشعب الجزائري في استقلاله إنما تشارك الاستعمار في جرائمه، وإن أية حكومة يجب تعلن أنها غير مسؤولة على تأييد الاستعمار ومناصرة الظلم والعدوان"².

ب- الكونغو:

تميزت العلاقات الجزائرية والكونغولية (الكونغو حتى 1971 زائر حتى 1997، الكونغو حاليا) أثناء حرب التحرير الجزائرية بالنضال المشترك الذي تزامنت فيه، في نهاية الخمسينات، معركتا الشعبين الجزائري والكونغولي ضد الاستعمار، وبالرفض المطلق لأي مهادنة أو تفاوض مشروط مع الاستعمار من أجل استقلال البلدين.

¹ - المصدر السابق، العدد 97 (08 أوت 1960)، ص 12.

² - المصدر نفسه، العدد 108 (13 نوفمبر 1961)، ص 11.

تزعم هذه القناعة والتوجه السيد باتريس لومومبا¹. هذا الأخير الذي أصبح على رأس الحكومة الكونغولية بعد الاستقلال رغم وجود أعداء من الداخل (عملاء الاستعمار البلجيكي) التي شكلت عليه حصارا سياسيا واقتصاديا وعسكريا وفي النهاية تصفية جسديا (1961) بتنفيذ عناصر من الداخل.

أثناء إدارته للحكومة الكونغولية اتخذت السيد لومومبا مواقف جد هادفة وقوية بجانب حرب التحرير الجزائرية والإفريقية بصفة عامة ولو على حساب وجوده على رأس الحكومة الكونغولية. ذلك ما تضمنه مثلا تأكيدات السيد لومبا إلى السيد فرحات عباس رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة، أثناء لقائه بهذا الأخيرة (13 أوت 1960): "... إن المشكل الجزائري بالنسبة لنا هو مشكل القارة الإفريقية بأكملها، إن إفريقيا لا تحمل أي حقد للرجل الأبيض و إنما تطالب بحقها في الكرامة والحرية مثل جميع بلدان العالم. إنه لا وجود لجزائر فرنسية في نظرنا إنما هناك جزائر وكفى، وهذه الجزائر توجد في القارة الإفريقية. على الغرب اليوم أن يختار: إما أن يقبل بتحرير إفريقيا بأكملها يعيش معها في ظل الصداقة، وإما يرفض صداقة إفريقيا.."².

ج- غانا:

غانا بقيادة كوام نكرومة، من بين الإفريقية المستقلة القليلة التي اتخذت مواقف تعكس توجه دولة تقدمية مناهضة لكل أنواع الاستعمار وغير متحفظة تجاه أية وسيلة تؤدي إلى الاستقلال

¹ باتريس لومومبا (1925-1961): مناضل كونغولي ذو توجه اشتراكي، قاوم الاستعمار البلجيكي، وأسس الحركة الوطنية عام 1958، وكانت أقوى الحركات السياسية في الكونغو، وحظي بشعبية واسعة حينما قاد مظاهرات ومواجهات ضد الاستعمار البلجيكي أدت إلى اعتقاله لستة أشهر، أفرج عنه لاحقا بعد نجاح المفاوضات التي كانت تجري في بروكسل لبحث مستقبل الكونغو و نقل من السجن إلى بروكسل بالطائرة وتم الاتفاق على استقلال الكونغو و إنهاء ثمانين من الاستعمار البلجيكي، أجريت انتخابات في ماي 1960، تنافس فيها أكثر من مائة حزب، وحققت الحركة الوطنية بقيادته انتصارا نسبيا، وحاولت بلجيكا التي كانت تدير البلاد إخفاء النتائج و إسناد الحكم إلى حليفها جوزيف إيو، ولكن الضغط الشعبي أجبرها على تكليف لومومبا بتشكيل حكومة، وشكلت أول حكومة كونغولية منتخبة في 23 جوان 1960، وقام الملك بلجيكا بودوان بتسليمه الحكم رسميا، ولم تنعم الكونغو بالاستقلال سوى أسبوعين، فقد دخلت في سلسلة من الأزمات، ووجدت حكومة لومومبا نفسها تواجه أزمات كبرى تترد عسكري للحيش، فقد اعتقل لومومبا 1961، ونقل ورفاقه إلى سجن بلجيكي وأعدمو يوم 17 يناير 1961 ورميا بالرصاص بعد ساعات بعد بضع ساعات على يد كتيبة إعدام يقودها ضابط بلجيكي، ثم التخلص نائيا من الجثث بعد أربعة أيام لتقطيعها إلى قطع صغيرة وإذابتها في حامض الكبريت. أنظر موسوعة الجزيرة فضاء من المعرفة الرقمية. WWW.aljazeera.net.

² - المجاهد: العدد 74 (08 أوت 1960)، ص 2.

والتحرر بما فيها العمل المسلح. أفرزت المعاناة الخاصة للشعب الغاني من الاستعمار والحركة الوطنية الغانية قيادة وحكومة مؤيدة، بدون تحفظ، وكل أهداف ومطالب حركات التحرر الوطنية في إفريقيا والعالم ككل مظاهرات وتجمعات دورية كانت تنظم بغانا تأييدا وتضامنا مع القضية الجزائرية.

الرئيس الغاني **كوام نكرومة** أكد دوريا انسجام مواقف حكومته مع الشعب الغاني مبرزاً قناعاته وتأكيداً من حتمية الانتصار الجزائري على فرنسا. في خطابه أمام الدورة الخامسة عشر للجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة أكتوبر 1960 كرر الرئيس **نكرومة** وأكد موقف بلاده والمتمثل في: "إن فرنسا لا تستطيع عسكرياً، والطريق الوحيد للخروج بفرنسا من هذا المأزق هو طريق التفاوض".¹

د- مالي:

مثل غينيا الانتماء الديني والمعاناة المشتركة من استعمار واحد فرنسا، الجوار الجغرافي (الحدود المالية الجزائرية كانت ممر هام لعبور الأسلحة عبر الجنوب الجزائري لتدعيم حرب التحرير الجزائرية)، مدعومة بالتوجه التحرري للحركة الوطنية المالية بقيادة **موديبو كاتيا** كلها عوامل أساسية في الدفع بموقف مالي تحالف مع حرب التحرير الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي رغم محاولة هذا الأخير مع بعض دول الساحل الإفريقي خاصة السنغال لخلق حزام محاصرة المد التحرري في الساحل الإفريقي ووطنين المناوئين للجزائر. وأكثرها كانت عوامل أساسية في الدفع بموقف مالي تحالفاً مع حرب التحرير الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي رغم محاولة هذا الأخير مع بعض دول الساحل الإفريقي خاصة السنغال لخلق حزام محاصرة المد التحرري في الساحل الإفريقي و الجزائر. أكثر من ذلك، أن موقف الحكومة المالية بقيادة **موديبو كاتيا**، المساند بدون تحفظ للثورة الجزائرية، كان السبب الأساسي لانسحاب مالي من الاتحاد مع السنغال. اتخذ هذا الأخير بقيادة **سنغور** مواقف معاكسة لحكومة مالي و موالية إلى فرنسا بما فيها. مشاركة فيالق من جيش السنغال ضمن الجيش الفرنسي لقمع جيش التحرير الجزائري. ممثل مالي في الأمم المتحدة بأيام معدودة 20 سبتمبر 1960 أكد: "إن موقفنا من القضية الجزائرية كان عاملاً مباشراً في انقسام مالي إننا نؤيد استقلال الجزائر هذا الموقف هو موقف

¹-المصدر السابق، العدد 78(03 أكتوبر 1960)، ص2.

جميع الدول الإفريقية... إن حرب الجزائر وحدها سببا كافيا لحمل الدول الإفريقية على قطع علاقاتها مع فرنسا، إذ أن فرنسا تقود في الجزائر حرب إبادة...¹.

بالنسبة إلى مالي هدف ونموذج الثورة الجزائرية لم يكن فقط لتحرير الجزائر بل لتحرير إفريقيا ككل لأن: "... تضحيات الوطنيين الجزائريين بعد تضحيات الوطنيين في فيتنام هي السبب في تطور الموجة التحريرية التي تعد جميع الدول الإفريقية مدينة باستقلال..."².

ومع بداية وضعها كدولة مستقلة عن الاتحاد مع السنغال أعلنت اعترافها 14 فيفري 1961 بالحكومة الجزائرية المؤقتة³. كما ساندت حكومة مالي كل مطالب الحكومة الجزائرية المؤقتة في مفاوضات إيفيان. ذلك ما أكده الرئيس موديبو كاتيا نفسه في رسالة موجهة إلى السيد فرحات عباس رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة⁴.

كانت مالي حكومة وشعبا، تنظم دوريا مظاهرات شعبية خاصة في المناسبات الوطنية للثورة الجزائرية منددة بالاستعمار الفرنسي مؤكدة تضامن المالي مع معركة تحرير الشعب الجزائري⁵.

يجب التذكير أنه مهما كان مستوى ضعف حجم المساندة للثورة الجزائرية من بعض الدول الإفريقية فإنها لا تخفي التأييد الإفريقي الجماهيري الواسع على مستوى البلدان الإفريقية سواء التي كانت مستقلة أو التي آنذاك مازالت تحت الاستعمار. جماهيريا كان للجميع تضامن.

2- الدعم السياسي والدبلوماسي:

كانت الثورة الجزائرية في حاجة ماسة إلى مناصرة الأفارقة لقضيتها، وقد حققت مكاسب معتبرة منذ أكرأ، ومع استقلال مجموعة الدول الإفريقية الفرنسية عام أصبحت الجزائر قضية محورية في اهتماماتها، وشيئا فشيئا.

¹ - في 20 جوان 1960 تأسست فيدرالية مالي مشكلة من السنغال و مالي مع السيد سنغور وموديبو كاتيا وزيرا أولا . لم تدم هذه الكنفدرالية أكثر من شهرين بحيث انفصلت مالي (20 أوت) عن السنغال.

² - مندوب مالي في الأمم المتحدة، أنظر المجاهد: العدد 78 (03 أكتوبر 1960)، ص 3.

³ - المصدر نفسه، العدد 90 (27 فيفري 1961)، ص 2. الملحق رقم 14 من الرسالة .

⁴ - المصدر نفسه، العدد 96 (20 ماي 1960)، ص 2.

⁵ - المصدر نفسه، العدد 108 (13 نوفمبر 1961)، ص 11.

2-1 دعم القضية الجزائرية في المحافل الإفريقية:

ضمنت الثورة الجزائرية تأييد الدول الإفريقية لقضيتها في الأمم المتحدة والمنابر الدولية، كما كانت مؤتمرات الشعوب والدول الإفريقية مناسبة لتأكيد الالتزام بدعم ومناصرة حركات التحرر وعلى رأسها القضية الجزائرية، واثراً فشل مفاوضات إيفيان الأولى في جوان بسبب قضية الصحراء كان الموقف الإفريقي المساند للجزائر حاسماً في تسريع المفاوضات وتراجع فرنسا عن سياسة فصل الصحراء، وقد أبدت الشعوب والدول الإفريقية أشكالاً من التضامن والمؤازرة في المجالات السياسية والدبلوماسية والتعبوية، ووقفت مواقف مشرفة من الثورة الجزائرية أشادت بها جبهة التحرير الوطني واعتبرتها دينا في جبين الجزائريين وحافزا لها على المضي في مساندة حركات التحرر وبناء الوحدة الإفريقية.

أ- المؤتمرات الإفريقية والقضية الجزائرية:

إن موجة حركات التحرر التي شهدتها إفريقيا السمراء تبلورت إثر انعقاد مؤتمر باندونغ في أبريل 1955¹، وظهرت كليا مع ظهور حركة عدم الانحياز في سبتمبر 1961 حيث شقت إفريقيا طريقها بين المعسكرين فقيام الثورة الجزائرية مبكرا بالمنطقة واتساع صداها خصوصا بعد فتح جبهة الكفاح المسلح في الصحراء في جويلية 1957 ساهم في تثوير القارة الإفريقية بأكملها ضد الاستعمار.

الجزائر كانت وستبقى قلعة للشوار والأحرار، والسند القوي لكل الشعوب المناضلة من أجل العدالة والحرية، ومواقفها الأصلية ترجمتها إلى إعطاء دعم وإسهام مباشر في تحرير القارة الإفريقية. إن إعطاء ثورة الجزائر وجبهة التحرير الجزائرية كان عظيما وقويا وفاعلا، وستظل كل الشعوب الإفريقية تذكر باعتزاز للجزائر دورها الرائد في تحريرها من الاستعمار، وتشمين جهودها في توحيد وضممان القارة وشعوبها والنهوض بالتنمية والاقتصاد فيها.

حين انطلقت جبهة التحرير الجزائرية، كانت معظم البلدان الإفريقية تحت الاستعمار. كان واضحا أن الاستعمار لن يتنازل عن مناطق كثيرة منها بسبب أهميتها الإستراتيجية والاقتصادية إلا

¹- المصدر السابق، ص 11.

بالعمل المسلح مثل أنغولا، جنوب إفريقيا وناميبيا. اعتبرت جبهة التحرير الوطني باستمرار بأن عملها التحرري جزء مكمل وله تأثير متبادل من أجل تحرير إفريقيا ككل... إن كفاح الجزائر هو كفاح إفريقيا وانتصارها انتصار لأفريقيا جمعاء وأن معركة الجزائر في سبيل تحرير إفريقيا لتفرض على كل الأفرقة واجبات كبرى في تعزيز كفاحها ومساندة ثورتها المجيدة.

أ-1 مؤتمر باندونغ 1955:

انعقد مؤتمر باندونغ في الفترة الممتدة ما بين 18 و24 أبريل 1955، وقد شاركت في المؤتمر تسع وعشرون دولة ودعت لحضور المؤتمر أربع دول كأعضاء ومراقبين وهي الجزائر، تونس، المغرب، وقبرص¹.

حضرت جبهة التحرير الوطني مؤتمر باندونغ في أبريل 1955 باندونيسيا ومثل الجزائر كل من أمحمد يزيد وحسين آيت احمد حيث اصدر المؤتمر قرار ينص على حق الشعب الجزائري والمغربي والتونسي في تقرير المصير والاستقلال، وتبعا للقضية الجزائرية في المحافل الدولية، تقدمت مجموعة من الدول الإفريقية والآسيوية في صيف 1955 بمذكرة إلى الأمين العام للأمم المتحدة طلبت فيها تسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة العاشرة للجمعية العامة.

واعتبر ذات المحاضر أن هذه المحطة أكبر منبر دولي حاولت الدبلوماسية الجزائرية طرح قضيتها فيه، وقد طرحت فيه القضية الجزائرية عام 1955 بطلب من وفود وممثلي مجموعة الدول الإفروآسيوية، وعلى رأسها الدول العربية منها السعودية وكان الهدف من هذا التحرك هو إدراج القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة العاشرة لهيئة الأمم المتحدة، وتقدمت الدول الإفرو-آسيوية الثلاثة عشر بطلب عقد جلسة طارئة خاصة بالأوضاع في الجزائر لكن الحلف الأطلسي الذي كانت دوله تقف إلى جانب فرنسا مما دفع بمجلس الأمن إلى رفض الطلب².

¹- مختار مرزاق: حركة عدم الانحياز في العلاقات الدولية، ط1، الدار العالمية للطباعة، ص 71.

²-المجاهد: العدد 11، (فاتح نوفمبر 1957) ص 11.

لتعود وفود الدول الافرو آسيوية بتقديم طلب آخر لإدراج القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة للهيئة الأومية وفي 16 جويلية 1957 انعقدت الدورة الـ12 وتقدمت مجموعة الدول الافرو-آسيوية مرة أخرى بطلب إدراج القضية الجزائرية في جدول الأعمال.

وأشار محدثنا انه ومع بدء الحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي شعرت الدول الآسيوية والإفريقية المستقلة بالحاجة إلى التضامن فيما بينها وتكوين كتلة مستقلة عن الكتلتين الرأسمالية والاشتراكية ، وظهرت مجموعة الدول الإفريقية الآسيوية وكانت هذه المجموعة تستهدف مقاومة ومناهضة التمييز العنصري والبحث عن السبل لتنمية اقتصادها ، وكان مؤتمر كولومبو الذي انعقد لبحث المسألة الاندونيسية مشكلة الهند الصينية المقدمة لعقد مؤتمر باندونغ في أندونيسيا الذي فتح أبواب آسيا وإفريقيا للنشاط الصيني وتعزيز العلاقات العربية-الصينية¹.

ولم تتوان جمهورية اندونيسيا تضيف المتدخل عن دعم الثورة الجزائرية، وفي عام 1955 اجتمعت 29 دولة من قارتي آسيا وإفريقيا لعقد مؤتمر في مدينة باندونغ باندونيسيا للبحث في سبل التضامن والتعاون بينهما ، وكان الوفد الصيني برئاسة رئيس مجلس الدولة **شوانلاي** الذي بذل جهودا مثمرة في دفع الدول المشاركة إلى الاتفاق على مبادئ باندونغ العشرة مبنية على أساس المبادئ الخمسة للتعایش السلمي ألا وهي الاحترام المتبادل لسيادة الدولة وكامل أرضيها، عدم الاعتداء على الآخر والتدخل في شؤونه الداخلية التساوي بين الدول وتحقيق المنفعة المتبادلة والتعایش السلمي وبذلك ساهم الوفد الصيني مساهمة تاريخية في تحقيق التضامن بين دول القارتين. وفي الجانب العربي قال المحاضر أن جامعة الدول العربية اعتبرت القضية الجزائرية قضيتها الأساسية والجوهرية ولها يعود الفضل في تدويل القضية الجزائرية ودعم الدبلوماسية الجزائرية في تحقيق الانتصارات السياسية المتتالية. واستنادا إلى ذات المتحدث فان وقع اتفاقية باندونغ كان كبيرا على الجزائر وحركة التحرر بصفة عامة بدليل النتائج المحققة كما قال اعتراف فرنسا بأن الصحراء الجزائرية جزء لا يتجزأ من الجزائر وقبولها بالانسحاب الكلي في حال استفتاء أغلب الجزائريين بذلك وإطلاق سراح الجزائريين المحبوسين داخل الوطن وخارجه ،مضيفا أن هذه الاتفاقية هي أهم مرحلة لصنع الاستقلال.

¹- المصدر السابق، ص 11.

وتطرق المحاضر إلى مختلف المراحل التاريخية لمقاومة الشعب الجزائري واقتناعه بضرورة تقرير المصير ووصول صوته إلى الأمم المتحدة وإقناع الرأي العام والعالمي بحرية الجزائر معرجا عن المرحلة التي اقتنعت فيها فرنسا بضرورة استقلال الجزائر وحتى إجبارها على ذلك، بفتح أبواب النقاش والتفاوض بين الطرفين حتى وإن كان الجانب الفرنسي في الكثير من الأحيان لا يحترمها مما استدعى التدخل على المستوى الدولي¹.

وثن المحاضر في الأخير الدور البارز والفعال لجمهورية اندونيسيا في إيصال القضية الجزائرية ودعمها المطلق للثورة الجزائرية وتدويل القضية ودعم الدبلوماسية الجزائرية في تحقيق الانتصارات السياسية المتتالية.

أ-2 مؤتمر القاهرة 1957:

أنقعد هذا المؤتمر ما بين 26 ديسمبر 1957 وفي 19 جانفي 1958، وهو المؤتمر الذي تساءلت فيه الصحف الأجنبية عن معنى شعاره "التضامن الإفريقي الآسيوي"، والسؤال المطروح: هل مؤتمر القاهرة هو باندونغ الثاني؟

وبما أن الجزائر شاركت كعضو مراقب في باندونغ فهي تشارك الآن في مؤتمر القاهرة بصفتها عضوا عاما، وفي هذا المؤتمر كان الانتقال من أقصى الشرق للقارة الآسيوية باندونغ إلى أقصى الشرق للقارة الإفريقية بالقاهرة، وعمل هذا المؤتمر على توحيد برامج العمل وتحقيق التقارب بين الشعوب التي لا تزال تواجه الاستعمار بصفة مباشرة أو غير مباشرة، وعلى هذا الأساس فإنه ليس من الغريب أن يضم هذا المؤتمر مندوبين عن البرلمانات والأحزاب السياسية والهيئات الاجتماعية، على غرار الممثلين الرسميين للحكومات، وقد لبت الدعوة لهذا المؤتمر 46 أمة لترسيم خططها للشعوب تحبط بها مشاريع المجموعة الأوروبية، وإنعاش اقتصاد دول القارتين، استنادا على دول افريقية وبعث سيطرتها من جديد على الصحراء وإفريقيا السوداء وحتى إفريقيا الشمالية².

¹- المصدر السابق، ص 11.

²- أنظر إلى الملحق رقم 15 من الرسالة.

كما تميز هذا المؤتمر بنوع من الصراحة والعطف والمحبة، وعبرت فيه الدول الآفرو-آسيوية عن رغبتها الحقيقية في التحرر من كل طرق الاستعمار، وقررت الدول في هذا المؤتمر بتضحيتها بأموالها ودمائها ضد الاستعمار الأوروبي، وفي ظل هذه الروح التحررية تصدرت القضية الجزائرية اهتمام المؤتمرين وتقرر فيه أن يكون أول عمل تحققه في هذا الميدان هو مساعدة الجزائر بالمال والأدوية والألبسة وكل ما يحتاجه الشعب الجزائري المقاوم ضد أعنف وأقوى أنواع الاستعمار الغربي، وتقرر يوم 30 مارس 1958 أن يكون يوماً للتضامن الإفريقي والآسيوي دعماً للقضية الجزائرية، والكفاح المسلح الذي يخوضه الشعب الجزائري¹.

وتوجه في هذا اليوم أنظار ثلثي العالم في كل من آسيا وإفريقيا إلى أرض الجزائر المجاهد، وقد ألقى ممثل الوفد الجزائري خطاباً في هذا المؤتمر تضمن ما يلي:

"إن الشعب الجزائري سيكافح حتى الموت في سبيل الحرية ولن يساوم عن تضحياته، وهذا الشعب المكافح قد زادته مودة ومساعدة حلفائه الطبيعيين، كما بين الوفد الجزائري في خطابه أن الملايين من الجزائريين معارضين للموت في حالة تتطلب الإسراع في تقديم المساعدة من طرف الدول الآفرو-آسيوية، لأن هذا الشعب زادت هجرته بسبب الفقر والمرض والإبادة من طرف الجيش الفرنسي، وأكثر من ذلك فإن شعباً بأكمله تعداده 42 مليون نسمة بجميع وسائله العسكرية والاقتصادية والصناعية، ضد الشعب البالغ عدده 12 مليون نسمة، والذي عذب واستغلت موارده واغتصبت أرضه مدة 127 عاماً، أما بالإضافة إلى ما كانت تتلقاه فرنسا من مساعدات مستمرة من الحلف الأطلسي"².

لقد انقسمت أعمال المؤتمر إلى خمسة أقسام، تناولت الميادين التالية: الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والتنظيمية، أن اللجنة التحضيرية للمؤتمر التي اجتمعت من قبل في القاهرة كانت قد طلبت من الدول الأعضاء إعداد تقارير وبحوث لتكون أساساً لهذه الميادين المختلفة وتختص كل دولة بجانب من الجوانب المقررة في المؤتمر، حيث تم تكليف الهند بتقرير عن الموقف السياسي العلمي، أما اليابان تكلفت بتقديم تقرير حول تحريم استعمال القنابل الذرية والهيدروجينية،

¹ - المجاهد، المصدر السابق، ص 06.

² - المصدر نفسه، العدد 13، 15 جانفي 1958، ص 02.

وكذلك أخذت سيلان على عاتقها بحث الناحية الاجتماعية وتشغل قضية المرأة والطفل. أما السودان فقد كلف بإعداد بحث حول التفرقة العنصرية، وكذلك سوريا والصين كلفتا بتقديم تقرير عن الحالة الاقتصادية العالمية والتبادل التجاري، وكلفت مصر بتقديم تقرير حول التبادل الثقافي بين شعوب الكتلة الآفرو-آسيوية وعن الاستعمار اتجاهاته الحديثة¹.

هكذا ستكون القضية الجزائرية من بين المواضيع التي تدرس بصفة متميز، ويقدم الجزائري في 20 عضوا يترأسهم الدكتور الأمين دباغين².

قد خرج بلائحة خاصة بالجزائر تقول أنه نظرا لشرعة الجزائر في استقلالها وسيادتها الوطنية ونظرا للحرب التي تقودها فرنسا في الجزائر لإبادة شعبها والتي أثار استنكار الفرنسيين أنفسهم مما سببته هذه الحرب من الخسائر بشرية ومادية هائلة، وتهجير الجزائريين من وطنهم إلى تونس والمغرب وتهديم المنازل والبقاء دون مأوى هذه الحالة التي تستدعي الإعانة المادية المستعجلة، ونظرا أن فرنسا ترفض أن تدخل في مفاوضات ورفضها للوساطة بالرغم من التوصيات الأمم المتحدة، فهذه الحرب تهدد السلم والأمن العالمي وأمن الشعوب الإفريقية وعلى أساس هذه المعطيات فإن مؤتمر التضامن الإفريقي الآسيوي يندد بالحرب الاستعمارية المدمرة ضد الشعب الجزائري، ويؤيد الكفاح التحرري الجزائري، كما يطالب المؤتمر بتسريح القادة الخمسة وجميع الوطنيين الجزائريين، ويحتم المؤتمر بالاعتراف الفوري باستقلال الجزائر وتفتح المفاوضات بين الحكومة الفرنسية وجبهة التحرير الوطني التي تمثل الشعب³.

كما استنكر المؤتمر تجنيد الأفارقة في الحرب وطلب المؤتمر من شعوب العالم خاصة شعوب إفريقيا وآسيا أن تنظم الحملات الصحفية والمظاهرات وجميع الإمكانات الأخرى لتجنيد الرأي العام، والتنديد بحرب الإبادة في الجزائر واحترام حقوق الإنسان، وقد أوصى المؤتمر بما يلي:

¹ - مريم صغير: البعد الإفريقي للقضية الجزائرية 1955-1962، ج1، المرجع السابق، ص ص 296 - 297.

² - محمد الأمين دباغين: الأمين العام لحزب الشعب الجزائري خلال الحرب العالمية الثانية، ثم نائبا من (1946-1951) عضو قيادي في جبهة التحرير الوطني من (1956-1959)، ووزير الشؤون الخارجية في الحكومة المؤقتة (1958-1959)، استقبال في 15/03/1959 بعد حادثة عميرة علاوة، فاعتزل السياسة إلى يومنا هذا. Mohamed Harbi: Le FLN mirage, Op Cit p394.

³ - مريم صغير: البعد الإفريقي للقضية الجزائرية 1955-1962، ج1، المرجع السابق، ص ص 299 - 300.

1- أن يكون يوم 30 من مارس 1958 يوم التضامن مع الجزائر في كامل آسيا وإفريقيا، وذلك بتنظيم المظاهرات وإقامة الاجتماعات والحفلات العامة وجمع الأموال.

2- تشكيل في جميع الأقطار لجان التحرير الجزائري ومد الشعب بالأموال والألبسة والأدوية والمواد الغذائية والمساعدات المادية.

3- على الشعوب مد اللاجئين الجزائريين في تونس والمغرب بمساعدات عاجلة، والدفاع عن استقلال الجزائر أمام الهيئات العالمية ويستعمل جميع الوسائل المناسبة لحمل الحكومة الفرنسية على لإنهاء الحرب في الجزائر¹.

كما سعى المؤتمر إلى ربط حلقات الكفاح في هذه الكتلة وتعطي أمثلة عنه الفيتنام ما استخلصته من عبرة في مقاومتها، تصريح الجزائر بما تلاقيه من اضطهاد وما يتطلبه كفاحها من مساعدات مادية ومعنوية².

وهنا يظهر أن هذا المؤتمر قد جمع بين شعوب حصلت على حريتها وأخرى ما تزال تقاسي ويلات الحروب الاستعمارية وبالتالي هذه تساعد تلك. كما أن هذا المؤتمر يبعث رسالة الشعوب الإفريقية الآسيوية إلى المسؤولين الأوروبيين بأن عهد التحكم قد انقضى وأن شعوبها لا لغيرها، وهذا التصريح جاء على إثر ما صرحته الحكومة الفرنسية لحفائها في مراقبة شعوب شمال إفريقيا³. وفي يوم 30 مارس 1958 قرر المؤتمر ما يلي:

1- تنظيم اجتماعات محلية في المدارس والجامعات والمساجد والكنائس والمعابد وذلك في جميع البلدان المشاركة، كما لا بد من خمس دقائق ضمن حدادا على شهداء الجزائر⁴.

2- التأييد المادي، وذلك بالوسائل التالية:

— تخصيص أيام لجمع التبرعات.

1 - المجاهد: العدد 16، ص 03.

2 - المصدر نفسه، ص 03.

3- مريم صغير، البعد الإفريقي للقضية الجزائرية 1955-1962، ج1، المرجع السابق، ص 303.

4- المرجع نفسه، ص 305.

- إصدار طابع بريدي تذكاري خاص بالمناسبة.
 - فرض ضريبة يوم الجزائر على جميع المعاملات والمدفوعات.
 - خصم نسبة عامة معينة من مرتبات موظفي الحكومة والمؤسسات.
 - جمع التبرعات من الهيئات والشركات التجارية وغيرها.
 - جمع الملابس والأدوية والأغذية والأسلحة.
- 3- التأييد السياسي: يجب على الحكومات الإفريقية والأسبوية أن تقوم عن طريق ممثليها الدبلوماسيين في هيئة الأمم المتحدة وغيرها من الهيئات الدولية بما يلي¹:
- أ- المطالبة من جميع الدوائر الدولية باستقلال الجزائر.
 - ب- اتخاذ إجراءات كاملة لإقناع فرنسا بوقف العدوان في الجزائر.
 - ج- امتناع الحكومات عن دعم فرنسا الذي تستغله حربها ضد الجزائر، كما أن السكرتارية العامة بالاشتراك مع جبهة التحرير الوطني أخذت على عاتقها ما يلي:
- إنشاء مكتب خاص بالجزائر في مقر السكرتارية تواصل فيه الجبهة نشاطها.
 - وضع جهاز السكرتارية تحت تصرف الجبهة.
 - تكوين لجنة جزائرية للإشراف على هذا اليوم في مصر.
 - إيفاد مندوبين عن جبهة إلى بلاد إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية لشرح القضية الجزائرية.
 - تنظيم إذاعات يومية موجهة لشعوب العالم شرح القضية الجزائرية وأهمية هذا اليوم (يوم الجزائر).
 - الثورة الجزائرية كحركة تحررية لم تغفل البعد الدولي لذلك ارتأت أن تدعم الجهود السياسي والعسكري بجهاز دبلوماسي يقيها كل أشكال التعتيم والتشويه و يمكنها من كل أنواع الدعم السياسي والقانوني وتعاطف الرأي العالمي ويمكن اعتبار مؤتمر

¹- مريم صغير، البعد الإفريقي للقضية الجزائرية 1955-1962، ج1، المرجع السابق، ص ص 306-307.

باندونغ 1955 بمثابة شهادة ميلاد لدبلوماسية الجبهة وبالفعل فقد سجلت الجبهة بحضورها للمؤتمر أول انتصار دولي لها حيث حضرت كملاحظ ضمن وفد مشترك يضم البلدان المغاربية الثلاث (تونس، الجزائر والمغرب) وكانت على اتصال مع 29 بلد أفرو آسيوي الهدف منه مساندة القضية الجزائرية إلى هيئة الأمم المتحدة، بالإضافة إلى هذا فقد لعبت المؤتمرات الإفريقية دور بارز و من أهم هذه المؤتمرات مؤتمر آكرا، ومنروfia، وهي مؤتمرات إفريقية كانت القضية الجزائرية محورها الأساسي¹.

أ-3 مؤتمر الشعوب الإفريقية آكرا 1958:

لقد اختيرت آكرا عاصمة "غانا" الحديثة الاستقلال عاصمة لمؤتمر الحكومة الإفريقية (مؤتمر الشعوب الإفريقية آكرا)².

❖ الجلسات الأولى ما بين 15 و 22 أبريل 1958:

انعقد بداية من 15 أبريل 1958 بحضور ثماني دول إفريقية مستقلة وكان ذلك بمناسبة إحياء الذكرى الأولى لاستقلال غانا وكان شعار المؤتمر "إفريقيا للأفارقة ويجب أن يتحكم فيها أبناءها" وكانت القضية الجزائرية محور المداولات في هذا المؤتمر الذي اعتبر نقطة انطلاق جديدة في تاريخ الحركات التحررية الإفريقية وأنه يعتبر النواة الأولى والأساس المتين لتدعيم روابط الصداقة والتعاون الفعال بين الشعوب الإفريقية حيث أن النتائج الملموسة التي أحرز عليها المؤتمر تعتبر تطورا إيجابيا في حياة الإفريقيين بصفة عامة و للجزائريين بصفة خاصة، وبالإضافة إلى ما تم ذكره من قرارات فيمكن إجمال النقاط التي تمت دراستها في المؤتمر:

1. الكفاح المسلح هو الوسيلة الوحيدة لنيل الاستقلال و تحطيم كل الأوضاع الاستعمارية

لإقامة أوضاع جديد يتم بنائها للشعب.

1 - المرجع السابق، ص 308.

2 - أنظر إلى الملحق رقم 16 من الرسالة.

2. التجارب الجزائرية في الكفاح والتجارب الكامبيون، كينيا إلى جانب الكفاح السياسي والنقابي في الأقطار الخاضعة لفرنسا وبريطانيا.

3. درست مظاهر الاضطهاد العنصري والاستغلال البشع في جنوب إفريقيا و أنغولا والكونغو البلجيكي وفي الأخيرة خلال دراسة هذه النقاط تم تقرير النقاط التالية¹:

- دعوة الحكومات الإفريقية إلى الاعتراف بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.
- توجيه نداء حار لمساعدة الجزائر ماديا ومعنويا .
- القيام بنشاط دبلوماسي فعال لصالح القضية الجزائرية.
- اعتبار 30 مارس من كل سنة مناسبة تقدم فيها كل الإمكانيات لتعزيز الكفاح.
- ضرورة تحرير القارة الإفريقية من الاستعمار والاستقلال وتوحيد أجزائها.
- خلق مجتمع عادل يتمتع بجميع الحقوق والحريات السياسية دون أي تمييز عنصري.
- معارضة سياسية المعسكران التجارب النووية والحروب العدوانية.
- تأييد السلام العالمي والتعايش السلمي بين كل الشعوب والدول مهما اختلفت اتجاهاتها السياسية ونظمها الاقتصادية والاجتماعية².

وقد كانت انتصارات المتتالية السابقة التي أحرزتها الشعوب الإفريقية، في كفاحها خلال السنوات القليلة السابقة للمؤتمر حافزا قويا لنجاح المؤتمر ففي 1950-1958 استقلت ليبيا والسودان، مراکش ، تونس ، غانا وغينيا وأصبح أكثر من ثلث مساحة القارة يتمتعون بالاستقلال والحرية وشكلت القضية الجزائرية النقطة الأساسية في هذا المؤتمر الذي عقدته الدول الإفريقية بمناسبة إحياء الذكرى الأولى لاستقلال غانا³.

وقد ضم المؤتمر ما يزيد عن 200 عضو يمثلون مختلف الأحزاب والاتحادات الطلابية والنقابات العالمية أنحاء القارة الإفريقية. كما شارك في هذه الندوة ثماني حكومات إفريقية مستقلة تمثل ثلث سكان إفريقيا واكتست هذه الجلسات أهمية بالغة بسبب الوزن السياسي للشخصيات التي

¹ - المجاهد: العدد 21، أبريل 1958، ص 03.

² - المصدر نفسه، ص 03.

³ - مريم صغر، المرجع السابق ص 312.

حضرتها هم :كوام نكرومة رئيس حكومة غانا وجمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة(مصر وسوريا)و الحبيب بورقيبة رئيس الجمهورية التونسية و توكمان رئيس حكومة ليبيريا وأحمد بلافريج¹ وزير خارجية المغرب الأقصى وعبد الله خليل² رئيس حكومة السودان.

لقد سطر هذا المؤتمر جملة من الأهداف لإنجاح هذا العرس الإفريقي الكبير وكان من ضمن الأهداف الأساسية لهذه الجلسات ما يلي:

- مساعدة البلدان الإفريقية التي لم تتحرر بدعمها بكل الوسائل الدبلوماسية والسياسية والمادية مثل الجزائر وكينيا والكاميرون.

- تحديد موقف موحد وصارم إزاء الدول الاستعمارية الغربية وإزاء الحياد وهذا يعني بالدرجة الأولى اتخاذ موقف موحد ضد الاستعمار الأجنبي³.

- وضع الخطط الشاملة لتحرير كل الأقطار الإفريقية بتوفير الوسائل اللازمة.

- التأييد المطلق للحركات الوطنية في إفريقيا.

- اعتبار يوم 15 أبريل يوم القارة الإفريقية يمجّد فيه كفاحها وتدرس فيه وسائل تحريرها وحقوقها⁴.

أهم القرارات الصادرة عن الجلسات:

¹- أحمد بلافريج (1908-1990): سياسي مغربي من زعماء الحركة الوطنية المغربية، عين وزير الخارجية في حكومة البكاي بن مبارك الثانية، وترأس ثالث حكومة في المغرب بعد استقلاله كما تولى وزارة الخارجية في نفس الحكومة، و الممثل الشخصي للحسن الثاني ووزير الخارجية في الحكومة الثامنة التي ترأسها مجلسها الملك.

²- عبد الله خليل(1892-1970):ولد في أم درمان، كان من أعضاء جمعية اللواء الأبيض منفذة ثورة 1924 التي كان المثقفون (الأفندية)في طليعتها، ثم تحول عيد الله خليل للفكرة الاستقلالية بعد فشل الثورة، وكان من أبرز المؤسسين لحزب الأمة كحزب يقود الشعار الاستقلالي وقد انتخب كأول سكرتير عام للحزب كان رئيس الوزراء في أول حكومة بعد استقلال و قد سلم السلطة لقيادة القوات المسلحة ممثلة في الفريق عبود في 17 نوفمبر 1958، وذلك بمباركة من السيد عبد الرحمن المهدي وقف رؤية معينة نكصت عنها قيادة الجيش ونشطت به وحزب الأمة على وجه الخصوص و بكل القوي السياسية السودانية عموما.

³-المجاهد:العدد21، أبريل 1958، ص 03.

⁴-مريم صغير، المرجع السابق، صص316-317.

- صوت المشاركون لصالح حق الشعب الجزائري في الاستقلال وتقرير مصيره.
- أجمع المؤتمر على بذل كل الجهود الممكنة من أجل مساندة القضية الجزائرية¹.
- إنشاء لجنة دائمة دورها زيارة جميع بلدان العالم لشرح القضية الجزائرية وللحصول على تأييد الحكومات للقضية الجزائرية.
- تعهد الحكومات الإفريقية الحاضرة بجمع الوسائل الممكنة لدعم كفاح الشعب الجزائري على اعتبار أن ثورة الجزائر صارت ثورتهم.
- التنديد بخاطر تفجير القنبلة الذرية الفرنسية في الصحراء.
- طلبت من فرنسا أن تعترف بحق الشعب الجزائري في الاستقلال وتقرير المصير والإسراع في سحب قواتها من الجزائر.
- دعت فرنسا الإسراع في الدخول في مفاوضات سليمة مع جبهة التحرير الوطني من أجل تسوية نهائية وعادلة².

❖ الجلسات الثانية للمؤتمر ما بين 8 و 12 ديسمبر 1958:

احتضنته العاصمة الغانية آكرا في شهر ديسمبر 1958 شاركت فيه الحكومة المؤقتة بوفد رسمي قادة السيد أحمد بومنجل بدعوة من رئيس جمهوريتها نكروما، وشاركت فيه ثمانية بلدان إفريقية مستقلة هي: غانا، مصر، إثيوبيا، ليبيريا، المغرب، السودان، تونس، وليبيا. وتمثلت أهداف المشاركة الجزائرية في كشف الأطماع الفرنسية بالمنطقة وممارساتها اللاإنسانية في الجزائر، والتصدي لمشروعها الرامي إلى تكوين اتحاد الجداول الفرنكوفونية وقد تلقت فيه القضية الجزائرية دعم الدول الإفريقي، حيث خلص المؤتمر في اللائحة الختامية للمؤتمر إلى المطالبة بمنح الشعب الجزائري حقه في الاستقلال، كما استنكرت اللائحة السياسية الفرنسية الهادفة إلى دمج الجزائر، ومطالبة فرنسا، بإجراء مفاوضات عاجلة مع الحكومة المؤقتة الممثل الشرعي لإرادة الشعب الجزائري من أجل تحقيق الاستقلال ووقف إطلاق النار،" حيث درس رئيس وزراء غانا نكرومة خلال أكثر من ساعة،

¹ - المرجع السابق، ص 316.

² - المجاهد: العدد 21، أبريل 1958، ص 03.

المشكل الجزائري في نطاق علاقاته مع تحرير القارة الإفريقية، ومرة أخرى جدد رئيس دولة غانا الشعب الجزائري المكافح مساندة وتضامن شعب غانا وحكومته¹.

وقد أعرب نكرومة عن عزمه على الاعتراف قريبا بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية. كما شاركت الحكومة المؤقتة في الاجتماعين اللذين عقدتهما اللجنة المسيرة المنبثقة عن المؤتمر الأول في ماي 1959 بتونس، والثاني بأكرا في أكتوبر 1959، طرحت خلاله تطورات المشكل الجزائري بعد إعلان حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره، وبعد مناقشة مختلف التطورات تبنت لائحة طالبت فيها من الحكومة الفرنسية بالدخول في المفاوضات مباشرة مع الحكومة الجزائرية المؤقتة للوصول إلى استقلال الجزائر².

أ-4 مؤتمر الدول الإفريقية المستقلة مونروفيا³ أوت 1959:

انعقد هذا المؤتمر بالعاصمة الليبيري مونروفيا، من 04 إلى 08 أوت 1959 بطلب من الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية لمناقشة أوجه الدعم الممكنة من لدن الدول الإفريقية المستقلة. وبعد ثاني مؤتمر تعقده الدول الإفريقية المستقلة، وقد حققت فيه الحكومة الجزائرية الفتية انتصارا دبلوماسيا باهرا، بالإضافة إلى رفع العلم الوطني فيه لأول مرة بصفة رسمية، صادق المؤتمر على عدة توصيات كان هدفها التحضير للمناقشات التي ستجري بالأمم المتحدة حول القضية الجزائرية، والاتفاق على دعم الثورة الجزائرية ماديا، وإعلان يوم أول نوفمبر (يوما للجزائر).

كما شكلت هذه المؤتمرات النواة الأولى لإبراز الشخصية الإفريقية الجديدة بعد ظهور موجة التحرر و بروز دول سعت لدعم حركات التحرر الإفريقية، وفتح باب جديدة أمام النشاط الدبلوماسي للحكومة المؤقتة.

¹ - MOUDJAHID: N°34,24 décembre 1958.

² - Ibid, N°53 ,1^{er} Novembre 1959 ,op cit.

³ - أنظر إلى الملحق رقم 17 من الرسالة.

لقد استطاعت الدبلوماسية الجزائرية أن تجند في صفها الدول الإفريقية المعادية للاستعمار، ويتجلى ذلك في تحضير مناقشة القضية الجزائرية في الجمعية العامة للأمم المتحدة خاصة في إطار عمل اللجان تحضيراً للدورة الرابعة عشر 1959.

إن الذي أعاق نشاط دبلوماسية الحكومة المؤقتة 1958-1959 من النشاط بشكل كبير في دول القارة الإفريقية، خضوع معظم دولها للاستعمار، إضافة إلى جهل الدول الإفريقية الناطقة باللغة الإنجليزية لوضعية الجزائر وأبعاد قضيتها العادلة، لانعدام النشاط الدعائي لجهة التحرير الوطني في حين كانت الدعاية الفرنسية بها جد نشيطة¹.

كانت الغاية الأساسية التي ترمي إليها الدول الإفريقية من خلال هذا المؤتمر هي التخلص من الانقسام العمل على تحقيق وحدة إفريقية، والقضاء على التفرقة بين الدول الناطقة باللغة الفرنسية باللغة الإنجليزية لذا دعت مجموعة من الدول الإفريقية إلى عقد مؤتمر إفريقي في (منروفيا) عاصمة ليبيريا وقد ضم الاثنان المكونة لمجموعة المجالس بالإضافة إلى سبعة دول إضافية (نيجيريا، أثيوبيا، ليبيريا، سيراليون، الصومال، تونس، والتوغو)، ولم تشارك في هذا المؤتمر مجموعة الدار البيضاء.

لقد تمخض عن هذا المؤتمر الخروج بقرارات التالية:

— اعتراف (غانا وغينا) بالحكومة المؤقتة الجزائرية فكان هذا الاعتراف دليلاً جديداً على قوة التضامن بين الشعوب والحكومات الإفريقية وقد كسبت القضية الجزائرية مساندة جديدة في مؤتمر حيث نالت التأييد الرسمي والصريح من كل الحكومات الإفريقية واتخذت قرارات هامة لصالحها.

— اتخاذ قرارات صارمة ضد التجارب النووية الفرنسية في الصحراء الكبرى الجزائرية، فحقق بذلك انتصار على الصعيد الدبلوماسي ورسخت فعالية الدبلوماسية الإفريقية لصالح القضية الجزائرية².

¹ - MOUDJAHID, N°48, 17 Avril 1959.

² - شوقي الجمل: الوحدة الإفريقية، من مؤتمر أكرا 1958 حتى مؤتمر التنمية الصناعية الإفريقي، القاهرة، 1988، ص 92.

احتلت القضية الجزائرية حيزاً مهماً وكبيراً في مؤتمر (منروفيا) حيث زاد حجم التأييد الإفريقي مادياً ومعنوياً لها وللثورة التحريرية بعدما كانت في بداية الأمر محصورة في الساحة العربية فقط وهى المكانة التي حظيت بها في مؤتمر (منروفيا) هي في حد ذاتها انتصار للدبلوماسية الجزائرية التي بعد سنوات من النشاط المستمر تمكنت من الوصول إلى إقناع الدول الإفريقية بأهمية القضية الجزائرية كقضية إفريقية بالنسبة للقارة كلها.

وهكذا وللمرة الثانية تجتمع الحكومات الإفريقية المستقلة في (منروفيا) من 14 أوت 1959 مع انضمام الوفد الجزائري كعضو رسمي رفرف العلم الجزائري إلى جانب رايات البلدان افريقية المستقلة رغم احتجاج المجتمعون في يوم الاثنين 03 أوت جدول أعمال المؤتمر بالإضافة إلى التجارب النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية إلى جانب قضية التمييز العنصري بمختلف أشكاله ولقد ضبط جدول أعمال المؤتمر في ثلاث نقاط أساسية هي:

1. الاعتراف بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.
2. النشاط الدبلوماسي في هيئة الأمم المتحدة .
3. المشاريع الذرية لفرنسا في إفريقيا.

وفي 23 سبتمبر 1960 عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة دورتها الخامسة عشر في نيويورك وقد اجتمع فيها أقطاب العالم فقد حضر هذه الدورة الرئيس الأمريكي **إيزنهاور**¹ والرئيس الروسي **خروشوف**² والرئيس **جمال عبد الناصر** والرئيس اليوغسلافي **تيتو**، والرئيس اليوغسلافي

¹- دوايت ديفيد إيزنهاور (1890-1969): سياسي عسكري أمريكي و رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الرابع والثلاثين وذلك من 1953-1961 بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية ترقى سريعا على سلم الرتب العسكرية في الجيش، حيث أصبح فيما بعد القائد الأعلى لقوات الحلفاء في أوروبا الذي تحصل على رتبة مارشال (جنرال الجيش الأمريكي 05 نجوم) بعد نهاية الحرب تخلى عن العمل العسكري: وأصبح رئيسا لجامعة كولومبيا، أصبح أول قائد عام لقوات حلف الأطلسي في الفترة من 1951 وحتى عام 195، ترشح في عام 1953 عن الحزب الجمهوري في انتخابات الرئاسة، ساهم بشكل كبير في إنهاء حرب كوبا في جويلية 1953، وفاز للفترة رئاسية جديدة عام 1956، واستمر في منصبه حتى عام 1961، حافظ على الضغط على الاتحاد السوفياتي خلال الحرب الباردة.

²- نيكيتا خروشوف (1894-1971): زعيم شيوعي ورجل دولة سوفياتي حكم الاتحاد السوفياتي من 1955 إلى 1964، وتميز حكمه بالمعاداة الشديد للستالينية و بإرساء الدعائم الأولى لسياسة الانفراج الدولي والتعايش السلمي.

تيتو¹ والرئيس نهرو² وتحدث جمال الدين عبد الناصر عن الجزائر العربية وعن تجاهل فرنسا لقرارات الأمم المتحدة فقال "لقد عرقله الحكومة الفرنسية كل محاولة للأمم المتحدة تستهدف لوضع حد لمجازر الاستعمارية تجاه الجزائريين".

ثم قال: "الأمم المتحدة اليوم يتعين عليها أن تقوم بواجبها وما نزن أننا نغالي في الطلب إذ تقدمنا الآن بطلب حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره على أساس استفتاء تحت إشراف الأمم المتحدة وفي وقايتها وحماها...³

لقد كانت الحركة الدبلوماسية للشوار في إفريقيا متأخرة إذا ما قورنت بنظيرتها في القارة الآسيوية، فإلى غاية جانفي 1960 لمنشئ الجبهة أي مكتب لها في إفريقيا السوداء و هو ما دفع بوزير الخارجية بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية إلى اقتراح فتح مكتب خارجي بأكرا العاصمة الغانية لعدة اعتبارات لموقفها الممتاز في غرب القارة أين تشهد تلك المنطقة تحولات وتطورات هامة. كما أنها تمكن الجبهة من الولوج إلى إفريقيا السوداء الفرنسية، و للسماح لممثل الجزائر بها للمشاركة في الهيئات الدائمة التي أنشأت بموجب قرارات مؤتمر آكرا للشعوب الإفريقية. كما أوصى وزير الخارجية في تقريره المقدم إلى المجلس الوطني للثورة الجزائرية ي دورته الثالثة بالعاصمة الليبية طرابلس " بإرسال بعثة إلى أديس بابا تتكون على الأقل من وزير في الحكومة المؤقتة، فقد بدأ من خلال مؤتمر آكرا بأن الملك الإثيوبي هايلي سيلاسي مستعد لاستقبال بعثة جزائرية. كما طلب من الوفد الجزائري في المؤتمر المذكور الاتصال بسفير إثيوبيا في القاهرة لضبط إجراءات هذه

¹- جوزيف بروز تيتو (1892-1980): كان ثوري عسكري رجل دولة يوغسلافي من أصل كرواتي، وشغل عدة مناصب منذ عام 1943 حتى وفاته وخلال الحرب العالمية الثانية، كان تيتو رئيس المقاومة اليوغسلافية ضد الاحتلال النازي، وبفضل سياسته الاقتصادية والدبلوماسية الناجحة أصبحت له شعبية كبرى سواء في يوغسلافيا أو خارجها. من مؤسسي حركة عدم الانحياز في الحرب الباردة بجانب نهرو وجمال عبد الناصر، كان زعيم شيوعي في فترة 1939-1980، ورئيس وزراء يوغسلافيا في فترة 1943-1963 لاحقا رئيسا للدولة.

²- جواهر لالا نهرو (1889-1964): تبنى نهرو الخط الاشتراكي، وظل نهرو على رأس العاملين في الحركة الوطنية الهندية الداعية إلى الاستقلال، وانتخب عام 1929 رئيسا لحزب المؤتمر في عموم الهند، كما اختير المفاوض عن المفاوضات التي عرفت بمفاوضات "انتقال السلطة" مع الانجليز، وبعد نجاح تلك المفاوضات أصبح نهرو رئيس للحكومة الانتقالية فشكلت آنذاك وصار أول رئيس وزراء الهند المستقلة 15 أوت 1947، اشتهر في خمسينيات وستينات من القرن الماضي بخطابه السياسي الرفض الامبريالية محاربة الاستعمار، الأمر الذي ولد فكرة تكوين مجموعة دول عدم الانحياز.

³- مريم صغير، المرجع السابق، ص ص 332-334.

الزيارة ذات الأهمية البالغة... " حيث شاركت الجبهة في المؤتمر الثالث لدول إفريقيا المستقلة المنعقد بين 14 و 24 جوان في العاصمة الإثيوبية أديس بابا.

هذه الإجراءات ستأخذ بعين الاعتبار بعد ذلك من طرف الحكومة المؤقتة الثانية 1960-1961، وذلك بفتح ممثلينا عنها في بعض الدول الإفريقية المستقلة بهدف مواجهة الدعاية الفرنسية ومخططاتها بالمنطقة، وتعزيز علاقاتها بالدول الإفريقية المستقلة حديثا مثل، فتح مكتب بالعاصمة الغانية أكرا والذي سيقترأسه عمر أوصديق، ومكتب باماكو _ مالي _ الذي أوكلت إدارته إلى بوعلام أوصديق .

كانت القضية الجزائرية إذا حاضرة في جميع اللقاءات الإفريقية حققت فيها انتصارات لكن دون التوصل طبعا إلى إجماع الدول الإفريقية على أطروحات الجبهة التي ظلت تواجه معارضة من بلدان المجموعة الفرنسية- الإفريقية لأنها احتفظت بروابط متينة مع فرنسا وبقيت حريصة على مصالح هذه الأخيرة ومؤيدة لمساعيها بخصوص القضية الجزائرية. ومع ذلك حتى هذه البلدان غيرت تدريجيا مواقفها من فكرة الاستقلال، كما هو واضح من مواقف بعثة الوساطة الثلاثية التي أرسلتها إلى تونس في منتصف نوفمبر 1960 لا قناع قيادة الجبهة باستئناف المفاوضات مع فرنسا¹. في ندوة رؤساء الدول المنعقدة بالدار البيضاء في ما بين 3 و 6 جانفي 1961 تكرست نهائيا صفة بالاستقبال والاعتبار الخاصين برؤساء الدول في مثل هذه المناسبات. بلدان القارة، والتي لم تنسى فضل الجزائر عليها فردت الجميل بمساندتها للقضية الجزائرية وسارت في مسار جمعها بالثورة الجزائرية ألا وهو مسار " محاربة الاستعمار.

أ-5 مؤتمر الدول الإفريقية المستقلة الثاني، أديس أبابا عام 1960:

إن مؤتمر الدول الإفريقية المستقلة الثاني المنعقد في أديس بابا من 15 إلى 23 يونيو 1960 الذي أكد على دعمه للسلام والأمن العالميين وفقا لميثاق الأمم المتحدة وقرارات باندونغ وأكرا، مدفوعا برغبة مخلصه بأن على إفريقيا أن تقوم بدورها بالتضامن مع بقية العالم في تدعيم السلام والأمن العالميين وموقنا أن الاستعمار هو أحد العوامل التي تثير احتكاكا بين الشعوب وتهدد السلام

¹ - المجاهد: العدد 87، 16 جانفي 1961 ص 12.

والأمن الدوليين ومرحبا بما أحرزته المفاوضات التي جرت في جنيف بين الدول المعنية بشأن عدم الاستمرار في التجارب النووية والحرارية من تقدم¹، وقد خرج هذا المؤتمر الدول الأفريقية المستقلة المجتمعمة في أديس أبابا بقرارات :

❖ قرار المؤتمر الأول بشأن الجزائر:

إن مؤتمر الدول الأفريقية المستقلة المجتمعمة في أديس أبابا وشعور منه بقلق بالغ لأن استمرار العداوات في الجزائر يشكل تهديد خطير للسلام والأمن في أفريقيا والعالم عامة، ومؤكدا القرارات التي اتخذت بشأن الجزائر في مؤتمري الدول الأفريقية المستقلة في أكرا وجاء فيه ما يلي:

- أن حق تقرير المصير والاستقلال للشعب الجزائري هو الأساس الذي أن يقوم عليه حل دائم.
- أن الشروط الواجب توفرها لتنفيذ حق تقرير المصير للشعب الجزائري يجب أن تقرر بمفاوضات بين الطرفين المختصين، وهما فرنسا والحكومة المؤقتة لجمهورية.
- ترحيب بالعرض الذي تقدم به الجنرال ديغول في 14 يونيو 1960 بإجراء مباحثات فورية مع ممثلي الحكومة المؤقتة لجمهورية الجزائر بغية تسوية المسألة.

ولاحظ رغبة الحكومة المؤقتة لجمهورية الجزائر في الدخول بمفاوضات مع الحكومة الفرنسية على أساس تقرير المصير للشعب الجزائري.

معبرا عن ارتياحه لجهود أولئك الفرنسيين الذين أيدوا دائما تسوية المشكلة الجزائرية تسوية سلمية عن طريق المفاوضات، دعا فرنسا والحكومة المؤقتة لجمهورية الجزائر للدخول في مفاوضات والوصول إلى اتفاقية بشروط تنص على التنفيذ المخلص العادل لحق تقرير مصير الجزائر، وتتضمن شرطا لوقف إطلاق النار².

¹ - ليجوم كولين: الجامعة الأفريقية دليل سياسي موجز، سلسلة دراسات أفريقية، المصدر السابق، ص 232.

² - المصدر السابق، ص ص 233-234.

❖ قرار المؤتمر الثاني بشأن الجزائر:

قد أوصى المؤتمر الثاني جميع حكومات الدول الأفريقية المستقلة بـ:

- باستمرار تأييدهم المادي والدبلوماسي للقضية الجزائرية.
- باستمرار تأييدهم النشاط المتحد للقضية الجزائرية في الأمم للقضية الجزائرية في الأمم المتحدة.
- بالتشاور وتبادل وجهات للنظر بين الحكومات بشأن المسألة الجزائرية، حينما ينشأ موقف يتطلب ذلك.
- بإرسال ممثلين مشتركين من الدول الأفريقية المستقلة إلى حكومة فرنسا للمساعدة في الوصول إلى تسوية سليمة عن طريق المفاوضات للقائمة على تقري المصير للشعب الجزائري.
- بإرسال بعثات مكونة من ممثلين من الدول الأفريقية المستقلة إلى عواصم العالم بغية الحصول على تأييد للقضية الجزائرية.
- بوجوب إرسال ممثلين مشتركين من الدول الأفريقية المستقلة إلى خلف الأطلنطي بغية حث فرنسا لتكف عن استعمال الأسلحة التي يزودها بها ذلك الحلف للأعراض الدفاعية في الجزائر.
- بسحب جميع القوات الأفريقية التي تستعملها فرنسا في الجزائر.

❖ قرار المؤتمر بشأن حظر التجارب النووية و النووية الحرارية في أفريقيا:

- يندد تنديدا قويا بسياسة فرنسا في مواصلة استخدام الصحراء الأفريقية مكانا لإجراء التجارب لأسلحتها الذرية.
- يجب على الأمم المتحدة أن تحث فرنسا على أن تعمل طبقا لقرار الجمعية رقم (1279) بند (13) الذي طالب فرنسا بالامتناع عن إجراء مثل هذه التجارب
- يوصى بأن تواصل الدول الأفريقية المستقلة اتخاذ الإجراءات الملائمة بغية منع التجارب الذرية في الصحراء الأفريقية أو أي جزء إفريقي آخر¹.

¹ - ليجوم كولين: الجامعة الأفريقية دليل سياسي موجز، سلسلة دراسات أفريقية، المصدر السابق، ص ص، 236-237.

أ-6 مؤتمر جميع شعوب إفريقيا الأول:

حيث إن زعماء الأحزاب السياسية في إفريقيا المجتمعين في أكر بين 05 ديسمبر 1957 إلى 13 ديسمبر مصممون تصميمًا لا رجعة فيه على شن هجومًا نهائيًا ضد إنكار الحرية والاستقلال وحقوق الإنسان الأساسية على شعوب إفريقيا، فقد قرروا إقامة مؤتمر جميع شعوب إفريقيا بسكرتارية دائمة في أكر بالأهداف والأعراض الآتية:

- دعم التفاهم والوحدة بين شعوب إفريقيا.
- التعجيل بتحرير إفريقيا من الإمبريالية والاستعمار.
- تعبئة الرأي العالمي ضد إنكار الحقوق السياسية وحقوق الإنسان الأساسية على الأفريقيين.
- إيجاد شعور المجتمع الواحد بين شعوب إفريقيا بغية إقامة ولايات متحدة إفريقية.

❖ القرارات التي اتخذها مؤتمر جميع شعوب إفريقيا:

- حيث إن الغالبية الكبرى من القارة الإفريقية قد قطعت إربًا بطريقة تعسفية للقضاء على الشعوب الوطنية الإفريقية بواسطة الدول الاستعمارية الأوروبية: بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وأسبانيا وإيطاليا والبرتغال¹.
- وحيث إن الرأي العالمي يستنكر استنكارًا صريحًا غبن وإخضاع جنس بواسطة جنس آخر بأي شكل وبأية صورة.
- وحيث إن جميع شعوب إفريقيا في كل مكان تأسف أشد الأسف لاستغلال الدول الاستعمارية الاقتصادي للشعوب الإفريقية، و بذلك منى الإفريقيون بالفقر على أيديهم وسط الرخاء الذي يستمتعون به.
- وحيث إن كل شعوب إفريقيا تعارض بقوة تجنيد الإفريقية، وبذلك يعيش الأفارقة الفقر على أيديهم وسط الرخاء الذي يستمتعون به.

¹ - المصدر السابق، ص ص، 340-354.

- وحيث إن كل شعوب أفريقيا تعارض بقوة تجنيد الأفريقيين واستخدام الجنود الأفريقيين في لعبة عالمية شنيعة ضد إخوانهم، كما حدث في الجزائر وكينيا وجنوب أفريقيا والكاميرون وساحل العاج وروديسيا وغزو قناة السويس.
- وحيث إن حقوق الإنسان الأساسية، وهي حرية الكلام وحرية الاجتماع وحرية التنقل وحرية العبادة وحرية العبادة وحرية العيش عيشة كريمة رغدة، تلك الحريات التي أقرها مؤتمر جميع الشعوب الإفريقية في 13 من ديسمبر، تنكر على الأفريقيين بسبب نشاط الاستعماريين.
- وحيث إن حرمان الأفريقيين من الحقوق السياسية على أساس العنصر أو الجنس، كل من الأدوات الرئيسية للسياسة الاستعمارية بواسطة الاستعماريين وعملائهم، وقد جعل ذلك من الميسور لأقلية المستوطنين البيض التحكم في مصائر الملايين من الإفريقيين الوطنيين، كما هو حادث في الاتحاد الفيدرالي المركزي المقترح وكينيا واتحاد جنوب إفريقيا والجزائر وأنغولا وموزنبيق والكاميرون¹.
- وحيث إن الاستعماريين ينسقون أوجه نشاطهم بتكوين ميثاق حرية واقتصادية مثل ميثاق حلف الأطنطي، والسوق الأوروبية المشتركة، ومنطقة التجارة الحرة، ومنظمة التعاون الاقتصادي الأوربي، والهيئة المشتركة للصحراء بغية دعم أوجه النشاط الاستعماري في إفريقيا وفي أماكن أخرى.
- فبناء عليه فإن مؤتمر جميع شعوب أفريقيا المجتمع في أكرا من 05 – 13 من ديسمبر 1958 الذي يضم ما يربو على 300 مندوب يمثلون ما يربو على 200 مليون إفريقي من جميع أنحاء أفريقيا اتخذ القرارات الآتية وعقد العزم عليها:
- 1- أن يستنكر المؤتمر بشدة الاستعمار والإمبريالية بأي شكل أو بأية صورة يمد بها في أجل هذين الشهرين.
- 2- أنه يجب توقف استغلال الاستعماريين الأوروبيين للأفريقيين فوراً.

¹ - المصدر السابق، ص 354.

3- أنه يجب توقف استغلال القوة البشرية الأفريقية في اللعبة الشنيعة التي تمارسها السياسة الدولية الاستعمارية شيئاً عفا عليه الزمن.

4- أن يعلن مؤتمر جميع شعوب أفريقيا في أكرا مساندة التامة لجميع المجاهدين في سبيل الحرية في إفريقيا، ولجميع أولئك الذين يلجأون لوسائل عدم العنف السلمية والعصيان المدني، وكذلك لجميع أولئك الذين يضطرون للانتقام رداً على العنف للحصول على الاستقلال الوطني والحرية للشعب. وحيث يصير مثل هذا الانتقام ضرورياً فإن المؤتمر يستنكر كل القوانين التي تعتبر أولئك الذين يكافحون من أجل استقلالهم وحريتهم كمجرمين عاديين.¹

أ-7- مؤتمر جميع شعوب إفريقيا الثاني:

إن مؤتمر جميع شعوب إفريقيا الثاني² اجتمع في تونس من 20 إلى 30 من يناير 1960، معلناً تأييده للتصريحات والقرارات التي اتخذت في المؤتمر الأول لشعوب إفريقيا المنعقد في أكرا في ديسمبر 1958.

يجي أبطال أفريقيا المجاهدين في سبيل الحرية والكرامة والاستقلال.

ينحني إجلالاً للذكرى الشهداء الذين وقعوا صرعى في أثناء الكفاح المجيد ضد قوى العبودية والتعسف الاستعماري.

ينظر بعين الغبطة إلى تقدم الحركة التحررية التاريخية في جميع أنحاء أفريقيا، ويؤكد بسرور أن الشعوب الأفريقية قد أصبحت على وعى بشخصيتها وقوتها.

يسجل بنفس الغبطة نيل شعوب الكاميرون وتوجو ونيجيريا والصومال والكونغو الاستقلال خلال سنة 1960، وكذلك آمال الاستقلال المتوقع تحقيقها أمام الشعوب الأخرى في القارة.

¹- المصدر السابق، ص ص 356-357.

²- أنظر إلى الملحق رقم 18 من الرسالة.

آخذا في الاعتبار مع ذلك وقوع أكثر من عشرين دولة أفريقية تحت نير الظلم الأجنبي دون بارقة من أمل في حل، على الرغم من أن جميع شعوب أفريقيا قد عبرت عن إرادتها بوضوح في أن تنال استقلالها.

آخذا في اعتباره الدور الجوهري الذي لعبته حركة المقاومة البطولية و تضحية الشعب الجزائري في الكفاح ضد الإمبريالية والاستعمار في إفريقيا.

آخذا في اعتباره العناد الإجرامي لفرنسا في السير في إجراء تجاربها النووية في الصحراء الإفريقية، مضيئة بذلك إلى قائمة أعمالها المدنسة، ومتحدية بذلك الاستنكار الجماعي لشعوب إفريقيا والرأي العالمي، ومعرضة كل هذه الشعوب لأفدح الأخطار¹.

آخذا في اعتباره وجود المجموعة الفرنسية، وهي صورة جديدة من صور السيطرة الاستعمارية، والمحاولات الحالية للحكومة الفرنسية لتفرض على الدول المنظمة إلى هذه المجموعة والتي هي على عتبة الاستقلال قيودا تحد من السيادة الوطنية الحقة.

- يطالب بمنح الاستقلال الفوري غير المشروط لكل شعوب إفريقيا والجلء التام لقوى العدوان والظلم الأجنبية المستقرة في إفريقيا.

- يدعو شعوب أفريقيا لدعم الجهاد من أجل الاستقلال، يصر على الإلزام العاجل المفروض على الدول الأفريقية المستقلة لتضمن لهم المساعدة والتأييد الضروريين.

- أوصى بسرعة تكوين منظمة الغرض منها تنسيق معونة الدول الأفريقية وتضامنها فيها يختص بمساعدة الشعوب الأفريقية المناضلة، وعلى الأخص إرسال متطوعين إفريقيين إلى الجزائر بناء على طلب حكومة جمهورية الجزائر المؤقتة، وجميع الأموال والمعلومات الخاصة بأفريقيا.

اتخذ قرارات بشأن الجزائري:

إن مؤتمر جميع شعوب إفريقيا المنعقد في تونس 25 إلى 30 يناير 1960 أجرى دراسة تامة للموقف في الجزائر.

¹- ليجوم كولين: الجامعة الأفريقية دليل سياسي موجز، سلسلة دراسات أفريقية، المصدر السابق، ص ص 369-370.

يجي التقدم الذي أحرزه الشعب الجزائري في الحرب الاستقلال تحت قيادة جبهة التحرير الوطنية وحكومة الجزائر المؤقتة.

يجي جنود جيش التحرير الوطني تحية إجلال واحترام أخوي، وكذلك الشعب الجزائري بأكمله الذي وضع نفسه في الصفوف الأمامية للجهاد ضد الاستعمار¹.

وقد أبدى المؤتمر سخطه الشديد على الجرائم الوحشية التي ترتكب يوميا في الجزائر على يد جيش العدوان الفرنسي الذي جلب إلى هذه الدولة الإفريقية أسوأ أعمال القسوة النازية.

ينحني إجلالا لذكرى الشهداء الذين لا حصر لهم الذين استشهدوا في سبيل استقلال الجزائر.

ويتوجه بفكرة نحو المليون ونصف المليون جزائري المعتقلين في معسكرات الاعتقال وصوب المساجين والمعتقلين الذين يتحملون المآسي في السجون الاستعمارية.

ويذكر المؤتمر الثاني لجميع شعوب إفريقيا قرار اللجنة التوجيهية الذي اتخذته في أكتوبر 1959 الخاص بالجزائر مشيدا باعتراف فرنسا بحق الشعب الجزائري في تقرير المصير.

ويؤيد تأييدا قويا اتجاه الحكومة المؤقتة الجمهورية الجزائرية التي عينت خمسة مندوبين معتقلين الآن في فرنسا لإجراء المحادثات مع الحكومة الفرنسية حول شروط تطبيق تقرير المصير، بما في ذلك شروط وقف إطلاق النار. ويأسف لأن الحكومة الفرنسية قد رفضت هذه المحاولات، ويندد بسياسة التسويق والمناورة المقصود بها إطالة حرب العدوان ضد الشعب الجزائري، ويستنكر ويندد على الأخص بمشروع تقسيم الجزائر ويؤكد مبادئ عدم الانقسام والوحدة السياسية للدولة الجزائرية، وقد حلل مؤتمر جميع شعوب إفريقيا الثاني الأحداث قي الجزائر، تلك الأحداث التي تميزت بدخول الجيش والمتطرفين في معركة مفتوحة ضد السلطات المركزية، وتوضح هذه الأحداث جمود السياسة الفرنسية واستسلام السلطة الحاكمة في فرنسا. ويعبر المؤتمر عن قلقه البالغ لإطلاق العنان للقوى الاستعمارية المتطرفة التي لا ضابط لها والتي توجهها عناصر غير مسؤولة، و سيؤدي هذا الموقف إلى اشتداد أطوار

¹ - المصدر السابق، ص 371.

الحرب وزيادة ما يقاسيه الشعب الجزائري من آلام، بشكل تهديدا خطيرا إذ يساعد على امتداد الصراع في شمال أفريقيا، كما هو خطر على السلام العالمي.

ونتيجة لذلك فإن المؤتمر يدعو إلى يقظة جميع شعوب إفريقيا التي عليها أن تضم صفوفها لتكامل في 1960 ضربة حاسمة في سبيل الحصول على الاستقلال الإفريقي¹.

❖ قرر أن يوصى فورا بما يأتي:

- مبادرة الدول الإفريقية المستقلة التي لم تعترف بالحكومة الجمهورية الجزائرية المؤقتة بالاعتراف بها.

- أن تدرج الدول الإفريقية المستقلة في ميزانيتها مساعدة مالية لصالح الجهاد الجزائري.

- ويطلب المؤتمر كذلك بأن تنسحب من الجزائر عشرات الآلاف من الجنود من إفريقيا السوداء الذين تشترك فرنسا في وزر تجنيد هم مع حكومات دولهم، ويحث الدول المستقلة وشعوب أفريقيا أن تبذل كل ما في وسعها لوضع حد لهذه المأساة الشنيعة بين الأخوة الأفريقيين، تلك المأساة التي دبرها الاستعمار الفرنسي.

- يوصى بتكوين فرقة من المتطوعين الإفريقيين لحرب الاستقلال في الجزائر، و يطلب حكومات دولهم المستقلة الإفريقية بتسهيل تحقيق هذا المشروع.

- وبما أن المؤتمر قد أحيط علما بتفاهم الموقف تلقائيا في الجزائر، فإنه يجب بالأمم المتحدة على أن تقيم السلام و تعترف باستقلال الجزائر².

- إن مؤتمر جميع شعوب إفريقيا الثاني الذي اجتمع في تونس في الفترة ما بين 25 إلى 30 من يناير 1960 بعد أن درس المشكلة الجزائرية في وقت يزداد فيه الموقف في الجزائر سوءا، يلاحظ مرة أخرى أن تأييد الولايات المتحدة لفرنسا في سياستها الاستعمارية له آثار ضارة خطيرة لشعوب إفريقيا.

- وتستعمل الأسلحة الأمريكية في الجزائر لقتل الجزائريين، وتمكن المساعدة الأمريكية المالية والاقتصادية فرنسا من إطالة أمد الحرب، كذلك فإن التأييد الدبلوماسي الأمريكي الممنوح

¹- المصدر السابق، ص ص 378-379.

²- ليجوم كولين: الجامعة الأفريقية دليل سياسي موجز، سلسلة دراسات أفريقية، المصدر السابق، ص 380.

لفرنسا في آخر دورة للجمعية العامة للأمم المتحدة يشجعها على إيجاد حل عادل سلمي، ذلك الحل الذي سعى إليه الشعب الجزائري طيلة الخمس سنوات الأخيرة.

- ويطالبكم الشعب الإفريقي بإلحاح بالتوقف عن هذه الأعمال السياسية التي تضر بالصدقة والتفاهم بين شعوبنا، وكذلك بقضية السلام في القارة الإفريقية وفي العالم¹.

أ-8 مؤتمر الدار البيضاء من 03-07 يناير 1961:

نحن رؤساء الدول المجتمعين في الدار البيضاء من 03 إلى 07 يناير 1961، المقدرين لمسؤولياتنا إزاء القارة الإفريقية ونعلن عزمنا الأكيد على نصره الحركات التحررية في جميع أنحاء إفريقيا وتحقيق وحدتها، و نؤكد إرادتنا للمحافظة على وحدة الرأي ووحدة العمل وتعزيزها في الصعيد الدولي لصيانة استقلال دولتنا. ذلك الاستقلال الذي دفعت بلادنا من أجله الثمن الغالي، نؤكد عزمنا على المحافظة على سيادة دولتنا ووحدة أراضيها، وتعزيز السلام في العالم وإتباع سياسة عدم الانحياز.

نعلن عزمنا على تحرير الأراضي الإفريقية التي ما زالت تحت السيطرة الأجنبية بتقديم المساعدات والعون لها، وتصفية الاستعمار القديم والحديث بجميع أشكاله، وعدم تشجيع إقامة القوات والقواعد الأجنبية في أراضيها لما في ذلك من تهديد يعرض تحرير إفريقيا للخطر².

❖ قرارات المؤتمر بشأن التجارب الذرية:

يعترض المؤتمر بكل شدة على استمرار فرنسا في تجاربها الذرية في الأراضي الإفريقية رغما عن سخط الضمير العالمي ومعارضة الأقطار الإفريقية، وعلى الرغم من توصيات الأمم المتحدة، ويستنكر المؤتمر بشدة هذا العمل الاستفزازي الموجه ضد شعوب إفريقيا بقصد تهديدها وعرقلة تقدمها نحو الحرية والوحدة، الأمر الذي يشكل خطرا دائما على الشعوب الإفريقية وتهديدا للسلام العالمي.

¹- المصدر نفسه، ص ص 380-381.

²- المصدر نفسه، ص 283.

كما يستنكر المؤتمر ويندد بتواطؤ فرنسا مع إسرائيل بالنسبة للتجارب الذرية، هذا التواطؤ الذي يهدد السلام في دول العالم بصفة عامة وفي إفريقيا بصفة خاصة:

ويوجه المؤتمر نداء إلى كافة الشعوب، وخاصة الإفريقية منها وهي المهتدة بصفة مباشرة ببذل جميع المساعي لوقف هذه التجارب ومعارضة استخدام الأراضي الإفريقية لتحقيق أغراض السيطرة الاستعمارية.

وسجل المؤتمر بارتياح رفض شعب فرنسا السماح بإجراء هذه التجارب في أرضه، ويدعو المؤتمر كافة الأقطار الإفريقية إلى إعادة النظر في علاقاتها مع فرنسا، وهي تصر في عناد على إجراء تجاربها الذرية في إفريقيا...

❖ قرارات المؤتمر بشأن الجزائر:

لما كانت الجمعية العامة للأمم المتحدة قد اعترفت في دورتها 15 بحق شعب الجزائر في الاستقلال وتقرير المصير على أساس من الوحدة وسلامة الأراضي الجزائرية، كما اعترفت الأمم المتحدة مسؤولياتها في تنفيذ هذا الحق في الجزائر.

وحيث إن كل مساعدة سياسية ودبلوماسية ومادية تقدم إلى شعب الجزائر تعتبر مساهمة في تحرير إفريقيا¹.

وحيث إن كل مساعدة تقدم لفرنسا في حربها في الجزائر تعتبر عملا عدوانيا تجاه إفريقيا كلها.

وحيث إن حكومة الجزائر المؤقتة هي السلطة الوحيدة التي تمثل الجزائر وتتحدث باسمها.

وحيث إن الحرب التي تخوضها فرنسا والجزائر تعبير خطرا متزايدا على سلام وأمن أفريقيا بل العالم كله.

وحيث إن الأحداث والمظاهرات التي تضاعفت في الجزائر تعتبر دون شك تأكيدا لإرادة شعب الجزائر في تحقيق استقلاله و تأكيدا لاجتماعه والتفافه حول حكومة الجزائر المؤقتة.

¹ - ليجوم كولين: الجامعة الأفريقية دليل سياسي موجز، سلسلة دراسات أفريقية، المصدر السابق، ص 289.

- يعلن المؤتمر عن تصميمه لمساندة شعب الجزائر وحكومته المؤقتة بكافة الوسائل في نضاله من أجل استقلال الجزائر.
- يدعو المؤتمر جميع الدول التي تساند شعب الجزائر في كفاحه من أجل تحرير وطنه إلى العمل على زيادة المساعدة السياسية والدبلوماسية والمادية.
- يستنكر المؤتمر المساعدة التي يقدمها خلف الأطلنطي إلى فرنسا في حربها من أجل إعادة استعمارها للجزائر.
- يدعو المؤتمر كافة الدول إلى اتخاذ الخطوات اللازمة لمنع استخدام أراضيها بصفة مباشرة في العمليات الموجهة ضد شعب الجزائر.
- يطالب المؤتمر بسحب القوات الإفريقية التي تعمل تحت القيادة الفرنسية في الجزائر فوراً.
- يوافق المؤتمر على قبول المتطوعين الإفريقيين و غيرهم في جيش التحرير الإفريقي¹.
- يدعو المؤتمر جميع الحكومات التي لم تعترف حتى الآن بحكومة الجزائر المؤقتة إلى الاعتراف بها.
- يعلن المؤتمر أن الماضي في حرب الجزائر يترتب عليه أن تعيد الدول المشتركة في المؤتمر النظر في علاقاتها مع فرنسا.
- يعارض المؤتمر تقسيم الجزائر، يرفض أي حل صدر عن طرف واحد، كما يرفض محاولة لفرض أو منح دستور للجزائر.

أ-9 مؤتمر منروفيا من 08-12 ماي 1961:

إن المؤتمر قد أقلقه قلقاً بالغاً التهديدات الخطيرة الموجهة إلى الاستقرار في إفريقيا والعالم، آخذاً في اعتباره أن مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الإفريقية يسرى فقط على الدول المستقلة فعلاً وصاحبة السيادة، يؤكد تصميمه الجماعي على مد كل الأقاليم المحكومة من الدول الاستعمارية بالمساعدة المادية والأدبية، بغية التعجيل بحصولها على الاستقلال، ويرحب المؤتمر فيما يختص بالمسألة الجزائرية بتحسن الموقف في الجزائر وقرار الطرفين الدخول في المفاوضات ابتداءً من 20 ماي 1960.

¹ - المصدر السابق، ص، 290.

ويناشد حكومة فرنسا وحكومة جمهورية الجزائر المؤقتة أن تعقد اتفاقية في أقرب فرصة ممكنة لوضع حد للحرب الدائرة، ومنح الجزائر استقلالها ووحدة أراضيها، وفيما يختص بنزع السلاح، فإن المؤتمر يقرر مناشدة كل الدول النووية إيقاف صناعة وتخزين كل الأسلحة النووية، وكذلك كل المتفجرات النووية في أي مكان في العالم.

ويقرر أن يوجه رئيس المؤتمر نداء مكتوبا باسم المؤتمر إلى لجنة نزع الأسلحة النووية، المنعقد الآن في جنيف لتبذل أقصى ما في وسعها للوصول إلى الهدف المبين في الفقرة السابقة، ويلاحظ التأكيدات التي أعطتها الحكومة الفرنسية، أنها ستوقف كل تفجيرات نووية أخرى في إفريقيا.

وفيما يختص بالأمم المتحدة، فإن المؤتمر سيحث أعضاء الأمم المتحدة على ضمان توزيع جغرافي أكثر عدالة لمقاعد مجلس الأمن و المجلس الاقتصادي الاجتماعي، وعلى العمل من أجل توسيع هذه المجالس¹.

ب- المؤتمرات المغربية والقضية الجزائرية.

والملاحظ أن جبهة التحرير الوطني حددت حلفاءها الطبيعيين منذ الفاتح من نوفمبر 1954، وهو ما أكدته الأحداث المتلاحقة على مختلف الأصعدة الجهوية والإقليمية والدولية، وكان أن تعزز موقف جبهة التحرير الوطني بحلول سنة 1958 بموقف إفريقي، إثر مشاركتها في شهر أبريل 1958 في مؤتمر الدول الإفريقية الحرة في "أكرا" عاصمة غانا وتلقت خلال ذلك المؤتمر التأييد الإفريقي دبلوماسيا وشعبيا للاستقلال الجزائر، بل أن الدول المشاركة في ذلك المؤتمر قررت "تأليف وفد إفريقي متنقل للدعاية لقضية الجزائر".² هذه القضية التي كان لتطوراتها تأثيرها الواضح في تسليم القوى الاستعمارية في القارتين الإفريقية و الآسيوية بأن ساعة تحرر الشعوب قد حانت، وان الشعوب المستعمرة أصبحت ترى في الثورة الجزائرية النموذج التحرري الواجب الإتياع وهو ما جعل القوى الاستعمارية تدرك ضرورة إيجاد حلول لشعوب مستعمراتها بما يضمن استمرارها تابعة لها اقتصاديا وثقافيا واستراتيجيا.

¹ - ليجوم كولين: الجامعة الأفريقية دليل سياسي موجز، سلسلة دراسات أفريقية، المصدر السابق، ص ص 303-305.

² - جوان جليسي، الجزائر الثائرة، المصدر السابق، ص 193.

في ظل تلك المعطيات الجهوية والإقليمية والدولية، وفي ظل التعاطف الجهوي والإقليمي والدولي مع القضية الجزائرية، وفي ظل المكتسبات الميدانية للتضامن المغاربي كانت التحضيرات جارية لحدث مغاربي كان له صدى واسعاً، إنه مؤتمر طنجة¹.

ب-1 مؤتمر طنجة 1958

إذا كانت الاتصالات واللقاءات² بين ممثلي جبهة التحرير الوطني، وقادة و مناضلي حزب الاستقلال المغربي، والحزب الدستوري الحر، ظلت متواصلة، فإن تنظيم لقاء مع حكومتي القطرين، وإعادة التأكيد على مسألة الوحدة المغاربية، كانت من الانشغالات الملحة لجبهة التحرير الوطني والتي لن تيسر الظروف لتجسيدها نتيجة للضغوط الفرنسية التي حالت دون تنظيم اللقاء الذي كان مقرراً بين الجبهة والحكومتين المغربية والتونسية بإقدامها (أي فرنسا) على اختطاف طائرة الزعماء الخمس.. ولذلك فإن الجبهة حتى وإن لم تتمكن من تحقيق ما دعت إليه لجنة التنسيق والتنفيذ في شهر أكتوبر سنة 1957 من ضرورة عقد لقاء مع الحكومتين التونسية والمغربية لبحث خطة موحدة لحصول الجزائر على استقلالها، فإنها (أي الجبهة) لم تكف عن الدعوة لذلك، وفي الشهر الموالي (21 نوفمبر 1957) أبدى الرئيس بورقيبة اقتناعه الدائم بأن أحسن تسوية للقضية الجزائرية لا تكون إلا في إطار مجموعة فرنسية شمال إفريقية ومع لقائه بالملك محمد الخامس في الرباط، جاء في البلاغ النهائي اقتراحيهما لفرنسا وجبهة التحرير الوطني ضرورة اللقاء، ووجهها ناد للجانبين "ألحا فيه على الطرفين ليشرعا في مفاوضات تنتهي بحل عادل يؤدي إلى تجسيد سيادة الشعب الجزائري طبقاً لمبادئ الأمم المتحدة وكذا حماية المصالح الشرعية لفرنسا وأتباعها" ورأت جبهة التحرير الوطني في البيان أنه "مبهم جداً" فحددت ذلك بقولها: "نعم لتجسيد السيادة إذا كانت تعني الاستقلال، لا إذا كانت تسجل في التراجع"³.

¹ - جرت مع العربي بن مهيدي: "الأهداف الجوهرية لثورتنا"، المجاهد، ع2، 1956 لعادة وصف ندوة طنجة 1958 بالمؤتمر في حين أن الوثائق الصادرة عن ذلك اللقاء تصفه بالندوة.

² - لم تكن اتصالات جبهة التحرير الوطني مقتصرة على قيادة الحزبين فقط، بل كانت تمتد إلى مختلف القوى الاجتماعية والسياسية في القطرين بصرف النظر عن علاقة تلك القوى بالسلطتين القائمتين في المغرب وتونس.

³ - Slimane CHIKH: L'Algérie en arme au temps، Op، cit، P 490.

وكان من شأن ذلك الموقف من جبهة التحرير أن يزيد من تعميق الهوة بين الجبهة والسلطتين المغربية والتونسية. وكانت المبادرة من حزب الاستقلال المغربي الذي جاء في مقررات لجنته التنفيذية إثر اجتماعها في مدينة طنجة¹ بتاريخ 2 مارس 1958 توصية اتحاد حقيقي وفقا للمطامح الصحيحة لجميع شعوب المغرب العربي².

وتنفيذا لذلك أوفد حزب الاستقلال بتاريخ 17 مارس السيدين بوبكر القادري و الدكتور بناني إلى تونس لإعداد مع قادة الحزب الدستوري برنامج عمل المؤتمر. وتم بتونس تنظيم عدة اجتماعات بين طرفين من 19 إلى 22 مارس، تقرر خلالها عقد مؤتمر طنجة بمشاركة جبهة التحرير الوطني... وتوجه السيدان المحجوب بن الصديق وعبد الرحمن اليوسفي إلى القاهرة للقيام باتصال مع جبهة التحرير الوطني³.

1- عقد مؤتمر طنجة:

بحلول شهر أبريل 1958 كانت الاتصالات والمشاورات بين الحركات الثلاث قد أسفرت على اتفاق بعقد مؤتمر، وهو المؤتمر الذي عرف بندوة طنجة والتي عقدت بقصر (مارشال) من 27 إلى 30 أبريل 1958 بمدينة طنجة المغربية، تحت رئاسة السيد علال الفاسي، وجمعت "إلى جانب حزب الاستقلال المغربي، حزب الدستور الجديد وجبهة التحرير الوطني"، وكانت قائمة المشاركين في الوفود الثلاثة كما يلي:

- عن تونس: الباهي الأدغم، الطيب مهيري، عبد الله فرحات، عبد المجيد شاكر، أحمد تليلي وعلي البهلوان.

¹ - مدينة طنجة: مدينة مغربية تقع في أقصى الشمال الغربي للمملكة المغربية، وهي نقطة وصل بين المملكة وأوروبا الغربية، كانت خلال القرن العشرين عاصمة المغرب الدبلوماسية، ففيها كان يقيم ممثلو الدول الأجنبية، أول اعتراف رسمي يوضع مدينة طنجة الخاص كمدنية دولية جاء في معاهدة بين فرنسا وإسبانيا سنة 1902 إذ أعلنت الدولتان على قبول حياد المدينة نهائيا، لقد ظلت طنجة إلى العقد السادس من القرن العشرين موطنًا لكثير من الحريات السياسية، ومن ثم كان يلتقي فيها الوطنيون وأصدقاؤهم الأجانب، وكانت ملجأً لسياسيين من المنطقتين الفرنسية والإسبانية، وفي نفس الوقت كانت ملجأً كذلك للعلماء الأجانب وتجار الأسلحة، واسترد المغرب طنجة عام 1957، بعدما كانت مسيرة من طرف إحدى عشر دولة أجنبية. أنظر إلى المرجع، سيد علي أحمد مسعود: التطور السياسي في الثورة الجزائرية 1960-1961، دار الحكمة للنشر، الجزائر 2010، ص 129.

² - المجاهد الأسبوعي، "وقائع مؤتمر طنجة"، أبريل 1958 العدد 1186، 29 أبريل 1983، ص 29.

³ - المصدر نفسه، ص 29.

- عن الجزائر: فرحات عباس، عبد الحميد مهري، عبد الحفيظ بوصوف، أحمد فرنسيس، أحمد بومنجل ورشيد قايد.
- عن المغرب: علال الفاسي، أحمد بلافريج، عبد الرحيم بوعبيد، المهدي بن بركة، بوبكر القادري، محجوب بن صديق والفقير البصري.

2-2 قرارات مؤتمر طنجة:

- كانت القرارات العلنية التي صادق عليها المؤتمر تتمثل فيما يلي:¹
- إقرار مبدأ تقديم مساعدة مالية للجزائر في حربها.
- قرار حول حرب الجزائر تم التأكيد فيه على "حق الشعب الجزائري الثابت في السيادة الاستقلال، بوصفه الشرط الوحيد لفض النزاع الفرنسي الجزائري، هكذا اعترف المؤتمر بصيغة جديدة للشرط السابق على المفاوضات وهو ما كانت تصر عليه الجبهة. وأكثر من هذا فإن المؤتمر يقرر أن الأحزاب السياسية المغاربية ستأتي كذا وتعمل على أن تقوم شعوبها وحكوماتها بالتأييد الكامل للشعب الجزائري الذي يحارب من أجل استقلاله"².
- قرار حول الإعانة التي تمد بها بعض الدول الغربية فرنسا لمجابهة حرب الجزائر، والذي وجه فيه نداء "إلى الدول الغربية كي تكف عن مساندة فرنسا في حربها ضد الشعب الجزائري" مشيراً إلى شعوب المنطقة واستيائها من ذلك الدعم الذي تلقاه فرنسا من قوات الحلف الأطلسي، والذي يمثل دليلاً واضحاً على شعبية الثورة الجزائرية وقدرتها على التعبئة والتصدي "فإن شعوب المغرب العربي... تستنكر هذا الموقف الذي سيؤدي حتماً إلى معاداة هذه الشعوب بصفة نهائية لتلك الدول"³. وعبر القرار عن الأمل في أن تعدل هذه الدول عن تلك السياسة التي تسبب كارثة للسلام و التعاون الدوليين.

¹ - المجاهد، العدد 23، (27 ماي 1958)، ص 11.

² - جوان جليسي، الجزائر الثائرة، المصدر السابق، ص 194.

³ - المجاهد الأسبوعي، المرجع السابق، العدد 1186، ص 29.

ولا تمكن أهمية طنجة فيما انبثق عنه من قرارات وتوصيات فحسب، بل من خلال ما سادته من تحليل للأوضاع في المغرب العربي¹ واتفاق في الرؤية إذ شرحت جبهة التحرير الظروف العسيرة التي تكتنف المقاومين بالقرب من الحدود المغربية جراء وجود قوات فرنسية مرابطة هناك تضيق الخناق على الجزائريين دون أن يستطيع جيش التحرير مقاتلتهم في أرض المغرب احتراماً للسيادة المغربية، وكان موقف ممثلي المغرب الأقصى مؤيداً لذلك الطرح منطلقاً من الإلحاح على توضيح وضعية المغرب الذي كانت أراضيه ما تزال محتلة من طرف ثلاثة جيوش أجنبية: وهي الجيش الفرنسي والجيش الإسباني والقوات الأمريكية، والتقى ذلك التحليل بانشغال التونسيين أيضاً بمسألة الوجود العسكري الفرنسي في الأراضي التونسية مطالبين بجلائها.

وكانت الانشغالات المعبر عنها في جلسات المؤتمر والقرارات المنبثقة عنه قد أعطت الصحافة العالمية صورة وافية عن مدى تلاحم الأقطار المغاربية الثلاث وهو ما عكسته الصحافة العالمية، بما فيها الفرنسية. الخصوص: "إن فرنسا قد عرضت هذه الصفقة على ليبيا في أوائل سنة 1958، فرفضت الحكومة الليبية والبرلمان والملك مقتنعين بحجج جبهة التحرير الوطني ومضحين بالفوائد و المرائب".

وبعد أن تحدد المجاهد بأن الآبار النفطية تمثل دعماً للاقتصاد الفرنسي الذي أهدمته الحرب، ولا الدعم الأمريكي لانهارت فرنسا اقتصادياً، تحتم قولها بكلمات ذات دلالة عميقة، بقولها: "لأننا نطمح إلى مسؤوليات عظمى أمام التاريخ سطرها مؤتمر طنجة العظيم وهتف لها شعبنا في كل المغرب العربي من صميم قلبه لأنها تجاوبت تجاوبا عميقاً مع رسالته النبيلة ومصيره العظيم. إن الدماء التي دفعها شعبنا في المغرب العربي بسخاء لم يبذلها في "الخبز المسموم الملطخ بالدماء والمذلة والجرائم الاستعمارية"².

وكانت تلك الحادثة وموقف جبهة التحرير الوطني منها في تأزم العلاقة-بين الجبهة والحكومة التونسية- التي أقدمت على مصادرة العدد الموالي "28" من المجاهد، ولم يصدر إلا بعد أن سويت المشكلة مع السلطات التونسية.

¹- كان الحضور العربي والدولي كثيفاً إذ تابع أشغال المؤتمر طيلة 4 أيام 160 ممثلاً للصحافة العالمية.

²- المجاهد : العدد 27، (22-07-1958)، ص ص 1-5.

وعلى الرغم من استمرار الدعم المغربي والتونسي والليبي للثورة الجزائرية دبلوماسيا وماديا من خلال تواجد قوات جيش التحرير الوطني واستعمال أراضي الأقطار المذكورة كمناطق ومنافذ إستراتيجية لعمل جيش التحرير الوطني، فإن ما كان يشوب العلاقات من حين لآخر من اختلافات نتيجة التباين في الرؤية الإستراتيجية ونتيجة طبيعة جبهة التحرير الوطني كحركة تحررية، وحرص السلطتين في المغرب وتونس على ممارسة دورهما كدولتين ذات سيادة، كل ذلك جعل العلاقات التونسية -الجزائرية خاصة تعيش أحداثا كثيرة سببت توترات بين الطرفين نذكر من ذلك العدوان الفرنسي على بنزرت (1961) بسبب تمركز القوات الجزائرية بتونس التي أصبحت مقرا للحكومة المؤقتة بعد انتقالها من القاهرة.. تلك الحكومة التي كانت منذ صائفة 1956 على علاقة غير جيدة مع القادة العسكريين، لتأزم أكثر في صائفة 1961 عندما أقدمت هيئة الأركان العامة للجيش على تقديم استقالتها للحكومة المؤقتة يوم 15 جويلية 1961 محتجة على السياسة التونسية للحكومة المؤقتة. وكان السبب المباشر لتلك الاستقالة هو حادث الطائرة الفرنسية التي أسقطها جيش التحرير وأسر قائدها في الحدود التونسية - الجزائرية¹.

ولذلك فإن تجسيد نتائج مؤتمر طنجة ظلت رهينة الظروف الداخلية والدولية للأطراف الثلاثة، وهي الظروف التي لم تكن مساعدة على تنفيذ قرارات طنجة، حتى ولو افترضنا تحمس الأطراف المعنية لتجسيدها، وهي الفرضية التي لم تؤكد لها الأحداث والمواقف التي تلت مؤتمر طنجة، إذ برزت الفروقات الإيديولوجية والسياسية بين الأحزاب الثلاثة إثر استرجاع الجزائر لاستقلالها، فضلا عن النزاعات والخلافات الحدودية التي عادت لتظهر من جديد بمجرد إعلان استقلال الجزائر. وبذلك دخلت مسألة الوحدة المغاربية مسارا جديدا، وإن لم تتحقق فيه الوحدة، فإنها ظلت أحد الموضوعات الرئيسية المطروحة على الساحة المغاربية وهو موضوع يستحق أن يكون محور بحث كامل نأمل أن تسمح لنا الظروف مستقبلا القيام به .

¹- المصدر السابق، ص 5.

❖ تعاليق الصحف حول المؤتمر:

إذا كان اللسان المركزي لجهة التحرير الوطني "المجاهد" كتبت عن نتائج مؤتمر طنجة تقول: "كان مؤتمر طنجة من الأهمية ما يسمح لنا بتقدير مدى التحكم في سير حربنا الاستقلالية في الميدان السياسي و الدبلوماسي، وكذلك فيما يخص مكانة جبهة التحرير الوطني في ميدان العمل. إن الاتحاد الذي تقرر في طنجة ليس ثمرة رغبة أباها رئيسا دولتين ولجنة التنسيق والتنفيذ وإنما هو بالخصوص تجسيد لإدارة 25 مليون من المغاربة يقفون واضعين إلى جاني الجزائر المكافحة أمام الاستعمار الفرنسي سدا للدفاع، بمساندتهم للشعب الجزائري مساندة كاملة"¹. وكانت نفس الصحيفة أكدت في شهر أبريل 1958 على أن فكرة الوحدة المغاربية تجد أصالتها في تاريخنا المجيد الذي جسدها في

¹ - المصدر السابق، العدد 23 الصادر بتاريخ 7 ماي 1958.

مجموعة محطات عظيمة، مثلما قام به المرابطون وخاصة الموحدون، ففكرة الوحدة المغاربية، التي هي أساسية مثل الاستقلال، انطلق النضال الوطني في المغرب المعاصر ما بين الحربين¹.

إذا كان ذلك موقف المجاهد فإن الصحافة العالمية، لم تختلف عن تحليل صحافة جبهة التحرير الوطني لأبعاد المؤتمر ونتائجه، إذ علقت جريدة " الحياة " البيروتية الصادرة في أول ماي 1958 في افتتاحيتها بقولها: " إن القرارات التي صدرت عن المؤتمر يمكن أن تكون شبه رسمية لكون المشاركين فيه هم من جهة حزينين في يدهما الحكم في المغرب وتونس ومن جهة أخرى هيئة تقود الثورة الجزائرية... ومقررات المغرب العربي تساندها وتقويها مقررات أكرأ بعد المصادقة عليها فإن كثيرا من المسائل المتعلقة الآن بموقف فرنسا ومن جهة أخرى بموقف الولايات المتحدة وحلفائها ومهما يكن من أمر فقد ساء فرنسا انعقاد مؤتمر طنجة كما يظهر.

وكانت الصحافة الفرنسية أكثر عمقا في التحليل وقراءة للنتائج، إذ كتبت جريدة " لاكروا " الصادرة في 2 ماي 1958 قائلة: " فموقف الولايات المتحدة التي لم تظهر منقبضة من التوتر الذي حصل في طنجة هو إحدى الدروس الأساسية التي يجب على الحكومة الفرنسية المقبلة أن تلقنه، فإن أرادت أن تتجنب المأزق فعليها أن تحدد في اقرب وقت ممكن سياسة عامة لإفريقيا الشمالية وان تعرف انه من المستحيل فصل القضايا المغربية والتونسية عن مشكل الجزائر".

أما جريدة "لومانيتي " فقد كتبت في عددها الصادر يوم 2 ماي 1958 قائلة: "في طنجة قضى على مراوغات دعاة الحرب حول الاختلافات الجزائرية المغربية، و الجزائرية التونسية إذ توطد توطدا وثيقا تضامن شعوب المغرب العربي، فالمغاربة والتونسيون قرروا تأييد إخوانهم الجزائريين بصفة فعالة: فتوصية مؤتمر طنجة الخاصة بتأليف حكومة جزائرية تمنح لجبهة التحرير الوطني الجزائرية سلطة دولية لا جدال فيها أكبر من التي كانت بيدها لحد الآن".

وذهبت " لوموند " بدورها في عددها الصادر يوم 3 ماي 1958 إلى القول بأنه: " هكذا تحقق وحدة المغرب العربي في الحرب وضدنا وكل ما هو اليوم " توصيات "سيتجسم غدا في مؤسسات سياسية ونقابية واقتصادية ستقوم بتمثيل 23 مليوناً من المسلمين".

¹- André MANDOUZE :La révolution Algérienne par les textes ,Cahiers libres ,N16 ,François MASPERO, Paris Septembre 1961 , p :76

أما الصحيفة الأمريكية " نيويورك تايمز " فقد راحت تقول بأن: " البرنامج الذي حدد في طنجة يسير قدما أكثر مما كان منتظرا إذ أن فرنسا توجد في الحقيقة موضوعة أمام أمر الواقع إذا قبلت الحكومة الفرنسية المقبلة التفاوض على أساسا هذا البرنامج فهناك حظ لاستتباب السلم في الجزائر¹، والاحتفاظ بإفريقيا الشمالية لفائدة أوروبا وإذا أُلحِت في اعتبار نفسها مرتبطة مع الجزائر حسب القوانين النظرية التي تجعل من هذا القطر جزءا من فرنسا فإنها ستصطدم بتوسع الحرب وبأزمة في علاقتها مع تونس والمغرب".

ومن جهتها فإن صحيفة " تايمز " كتبت تقول: " ينبثق عن مؤتمر طنجة عامل ينبئ بتطورات مثمرة وذلك يظهر في تأسيس مجلس استشاري لأقطار المغرب العربي كمرحلة أولى نحو إقامة نظام تعاهد وثيق".

إن هذه التعليقات الصحفية (الغربية) إن دلت على شيء فهي تدل على أن مصير المغرب العربي باندلاع الثورة الجزائرية صار مرتبطا بالمآل الذي تؤول إليه هذه الثورة في صراعها مع الاستعمار، ولذلك فإن التاريخ لم يسجل لنا رفض أو تحفظ صريح لا لملك المغرب ولا لرئيس تونس حول القرارات والتوصيات المتمخضة عن المؤتمر²، بل أن المرحوم أحمد توفيق المدني يذكر قوله: "إن الحكومة الليبية برئاسة السيد عبد المجيد كعبار، كانت مستاءة كل استياء لما بلغها من عقد مؤتمر طنجة دون دعوة ليبيا، وهي تعتقد أنها بلاد المغرب العربي لحما ودما وعاطفة وعملا " وقد برهنت على كل ذلك بما لديها من الرسائل، وطلبت الحكومة الليبية تبليغ استيائها للأطراف التي دعت إلى عقد الاجتماع دون دعوة ليبيا³.

إلا أن الجدير بالملاحظة في هذا الشأن هو أن الشيوعيين في أقطار المغرب العربي مستهم حمى الوحدة المغاربية، إذ أنهم بعد مرور أكثر من سنة على انعقاد مؤتمر طنجة، وبالتحديد في بداية شهر أوت 1959 عبرت الأحزاب الشيوعية المغاربية عن رغبتها في ضرورة تنظيم لقاء يجمع شيوعي المغرب العربي، فالتقى الحزب الشيوعي الجزائري (مثلا في عبد الحميد بن مصطفى) والحزب

¹ - راجع هذه التعليقات الصحفية المجاهد الأسبوع الصادر بتاريخ 29 أبريل 1983، العدد 1186.

² - نقول ذلك لأن المؤتمر جمع تنظيمات حزبية بعد استحابة الحكومتين المغربية والتونسية لدعوة لجنة التنسيق والتنفيذ وذلك للأسباب التي سبق ذكرها.

³ - أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص390.

الشيوعي المغربي (ممثلا في عبد السلام بورقية وعبد القادر العياشي) وتحادثوا خصوصا في المشكل الجزائري، وحيوا القرارات التي اتخذت في ندوة طنجة وأكدوا على ضرورة تجسيدها الواقعي. ذلك ما جاء في ختام ذلك الاجتماع الذي توج بتصريح مشترك وزع في شكل منشور Tract في أربع صفحات¹.

❖ مصير قرارات مؤتمر طنجة:

على رغم من أهمية النتائج التي توصل إليها مؤتمر طنجة فإن الظروف الداخلية والدولية للأطراف الثلاثة المشاركة في المؤتمر لم تكن تسمح بتجسيد تلك القرارات والتوصيات، فقبل انعقاد المؤتمر كان حزب الاستقلال قد أثار مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب مطالبا الملك بضرورة مفاوضة الفرنسيين لاسترجاع بعض المناطق التابعة للمغرب في الجزائر وهكذا فإنه في " الوقت الذي كانت فيه حرب التحرير في أعنف معاركها شكل المغرب سنة 1958 لجنة للتفاوض مع الاستعمار الفرنسي حول الحدود المغربية الجزائرية"². وكان من شأن ذلك الطرح أن يؤدي بعد استرجاع الجزائر لاستقلالها إلى مشادات في حدود القطري.

2-3 مؤتمر المهديّة:

في منتصف شهر جوان (17-20 جوان 1958) التقت الحكومتان المغربية والتونسية بلجنة التنسيق و التنفيذ عن الجزائر في مدينة المهديّة بتونس، وهو اللقاء الذي يعرف بمؤتمر المهديّة³ والذي خصص لبحث كفاءات تنفيذ توصيات مؤتمر طنجة، ونقشت خلاله عدة موضوعات أهمها: التعاون السياسي والدبلوماسي بين الأطراف الثلاثة، وموضع تشكيل حكومة الجزائر. وكان من قرارات تنصيب سكرتارية دائمة تتكون من ستة أعضاء، فعن الجزائر عين: (أحمد بومنجل، وأحمد فرنسيس)، وعن المغرب: الدكتور (بناني ومحمد الفاسي) وعن تونس: (عبد المجيد شاكر

¹ - Slimane CHIKH: L'Algérie en arme au temps , OP,CIT,p :492.

² - إسماعيل ديش، (المواقف العربية والدولية تجاه الثورة الجزائرية)، مجلة العلوم السياسية، ع1، 1994.

³ - انعقد المؤتمر في ظرف اتسم بتطور الأحداث على الصعيدين العسكري والسياسي بالنسبة لفرنسا، إذ أنه في 13 مايو 1958 تحدى الجيش الفرنسي والمستوطنون الأوربيون في الجزائر السلطات الفرنسية في باريس وكونوا " لجنة الأمين العام " وكان ذلك التمرد العسكري السبب الرئيسي في استدعاء الجنرال ديغول ليتولي رئاسة الوزارة في فرنسا في أول جوان 1958 .

وأحمد تليلي)، وتم الاتفاق على أن تتفرع السكرتارية إلى مجموعتين: الأولى مقرها الرباط وتتكون من مغربيين وجزائري، المجموعة الثانية مقرها بتونس وتتكون من تونسيين وجزائري. ويمكنهما الاجتماع (الأمانة) دوريا في الرباط أو تونس. إذا كانت الأمانة الدائمة اجتمعت مرتين (الأولى في تونس من 30 أوت إلى 1 سبتمبر 1958، والثانية في الرباط من 15 إلى 17 أكتوبر 1958، فإن اللجنة الاستشارية لم تر النور أبدا¹.

وبالرغم من أن المؤتمر أكد على حق الشعب الجزائري في الاستقلال والسيادة، فإن موضوع إنشاء حكومة جزائرية أرجى البت فيه، وإن كانت لجنة التنسيق والتنفيذ بدأت في الحقيقة منذ شهر جوان 1958 في إسناد وظائف حكومية معينة لأعضائها، وكانت قد شكلت "شبه حكومة" من السادة:

- الشؤون الإعلامية: فرحات عباس.
- الشؤون العسكرية: كريم بلقا سم، عمار أوزقان، عبد الحفيظ بوصوف.
- الشؤون الدبلوماسية: محمد الأمين دباغين.
- الشؤون الداخلية: الأخضر بن طوبال.
- الشؤون المالية: محمود الشريف.
- الشؤون الاجتماعية: عبد الحميد مهري

وكانت تلك التشكيلة الحكومية باشرت المهام المسندة إليها إلى غاية الإعلان الرسمي عن الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية بتاريخ 19 سبتمبر 1958، ولما كان الإعلان عن الحكومة المؤقتة من القاهرة، فإن ذلك كان نتيجة رفض طلب جبهة التحرير الوطني بتكوين حكومة جزائرية مؤقتة في المغرب أو تونس قبل تقديم نفس الطلب إلى مصر. وإن كان الإعلان تم في نفس الوقت في كل من الرباط وتونس وإذا كانت صحيفة جبهة التحرير الوطني (المجاهد) قد ربطت بين مؤتمري طنجة والمهدية مذكرة بأهميتهما في افتتاحية العدد 28 بعنوان (من طنجة إلى المهدية) قائلة: "إن أهمية هذين

¹ - Slimane CHIKH, La conférence de l'unité 'OP, CIT, p: 491.

المؤتمرين ترجع إلى أن 25 مليون من أبناء المغرب العربي بعد مرحلة طويلة وشاقة من التاريخ قد عادوا إلى المنبع الأصلي وقرروا أن يتحدوا في السراء والضراء من جديد".

لقد اعتبرت تونس أن إنشاء حكومة مؤقتة هو إجراء مهم يفيد القضية الجزائرية ويطل الحجاج الفرنسية بعدم وجود هيئة تنفيذية يمكن التفاوض معها، لكنها كانت ترى ضرورة اختيار الوقت المناسب وتحشى أن يؤدي اعترافها بها صدام مع فرنسا¹، وكان من المقرر أن يتم إعلان الحكومة الجزائرية بتاريخ 05 جويلية 1958 لكن الاستعداد لهذا الحدث واجهته تدهور العلاقات مع تونس ونجاح الدبلوماسية الفرنسية في كسب التعاون مع تونس والمغرب، وإذا كان اختيار المقر في تلك الفترة لم ترشح له تونس ولا المغرب نظرا لظروفهما الخاصة فإن اختيار تاريخ الإعلان في 19 ديسمبر 1958 بعد اتصالات ومشاورات مكثفة قد أخذ في عين الاعتبار قرب إجراء الاستفتاء الفرنسي بالجزائر وطبيعة الوضع الدولي للمغرب العربي، خاصة وأن المغرب كان يغازل قوى الحياد الإيجابي... ولا شك أن اعتراف الرباط من شأنه أن يجعل اعتراف تونس أمرا حتميا في حالة ترددها²، وأخذت هذه الاعتبارات في الحسبان نظرا لأهمية الموقف التونسي والمغرب من الاعتراف بالحكومة الجزائرية، إذ أن أهمية البلدين وتشابك علاقاتها مع فرنسا يجعل اعتراضهما ذا وزن خاص.

إن حرص الحكومة التونسية على تجنب الاصطدام مع الحكومة الفرنسية لم يمنع اعترافها الرسمي بالحكومة الجزائرية في اليوم الأول من إعلانها، وأكدت وقوفها إلى جانب الشعب الجزائري في كفاحه من أجل السيادة، وقد تأكد تأييد الحكومة التونسية للحكومة الجزائرية من خلال اتصالاتها بالمسؤولين الجزائريين وتشجيع نشاطاتهم السياسية، كما أكد الشعب التونسي دعمه التام للكفاح السياسي ولنشاطات الحكومة الجزائرية بتونس³، مما حتم على الحكومة التونسية عدم التخلف عن مؤازرة القضية الجزائرية والتأكيد على أنه بإمكان هذه الهيئة السياسية اقتصر طول الحرب ووضع حلول سلمية للمشاكل الجزائري، وقد أكد الرئيس بورقيبة موقفه بوضوح في تصريح له في فيفري

¹- محمد الميلي، موافق جزائرية، المرجع السابق، ص 126.

²- المرجع السابق، ص 127.

³- إسماعيل دبش، السياسة العربية و المواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954-1962، المرجع السابق، ص 14.

1959 جاء فيه: "لقد اعترفتنا بالحكومة الجزائرية بوصفها ممثلة للشعب و للوطن وللدولة الجزائرية"¹، وصيغة هذا الموقف الإيجابي تعبر عن وضوح الموقف التونسي لكن تعبر عن مواقف التضامن الشعبي في حين اصطدمت جبهة التحرير الوطني بتناقضات واقعية عندما يتعلق الأمر بمرور الأسلحة ونشاط القواعد الخلفية ومضايقات أخرى تطال نشاطات الثورة الجزائرية، ويرجع ذلك للتحفظات التي كان يبديها النظام البورقيبي من ثورة بدأت تميل باتجاه الماركسية وتتشعب بالمبادئ القومية، خاصة وأن المعارضة اليوسفي المتأثرة بالقومية والتيار البعثي بدأت تتقوى وتضاعف أنصارها، ووجود هذه المعارضة في تونس والقوات الجزائرية بالحدود يمكن أن يشكل خطرا عليه وهو يخوض صراعا إيديولوجيا لمواجهة مصر الناصرية².

وإذا كانت الحكومة التونسية أظهرت دعمها السياسي والدبلوماسي للحكومة الجزائرية، وعبرت عن استنكارها لسياسة الإدماج وتواصل الحرب وأملها في إيجاد حل سلمي للمشكلة الجزائرية فإنها كانت حريصة على أن يحترم الجزائريون استقلال وسيادة تونس، ومن هنا حافظت على علاقتها الودية مع المسؤولين السياسيين، واجتهدت في استمالة رضا الحكومة الجزائرية المؤقتة في وقت أبدت تدمرها من تصرفات العسكريين والجنود خاصة خلال سنة 1959، وهي تصرفات أساءت للعلاقات الجزائرية قبل أن يتم تنظيم جيش الحدود تحت إشراف هيئة الأركان العامة³.

وكان لانتقال الحكومة الجزائرية المؤقتة إلى تونس دور مهم في الإشراف على نشاطات الثورة الجزائرية في تونس، وتسيير الكفاح السياسي والعسكري خلال المراحل الأخيرة اعتمادا على التسهيلات التي تقدمها الحكومة التونسية، خاصة في ميدان مرور الأسلحة، والتسهيلات الإدارية لنشاط الجزائريين في تونس، وتنسيق التضامن بين الجالية الجزائرية والشعب التونسي لمسيرة التضامن مع القضية الجزائرية⁴. وكانت الحكومة التونسية ترى أن القضية الجزائرية في ظروفها الأخيرة تحتاج إلى دعم أكبر يمكن من تحسين صورة تونس الدولية، ويرضي مطامح التضامن التي يبديها الشعب

¹ - طلاس مصطفى ويسام العسلي، الثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 340.

² - محمد الميلي، موافق جزائرية، المرجع السابق، ص 117.

³ - محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ترجمة: كميل داغر، ط1، مؤسسة الأبحاث العربية، دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983 ص 224.

⁴ - الجنيد خليفة و آخرون، حوار حول الثورة، المرجع السابق، ج2، ص 515.

التونسي اتجاه كفاح الجزائر، وأظهر النظام التونسي تضامنه السياسي ومساندته للثورة الجزائرية، إذ قدمت تونس دعماً معتبراً خلال الفترة الأخيرة إحساساً منها بقرب انتصار الجزائر، وتسبب هذا الدعم في تدهور علاقاتها مع فرنسا، لكن نشاط الحكومة المكثف في تونس استفادت منه الحكومة التونسية سياسياً واقتصادياً، وأصبح النظام التونسي يفضل التقرب من قادة الثورة الجزائرية وإيجاد حل سلمي لمشكلة الجزائر يعيد الأمل لعودة العلاقات مع فرنسا، وأعرّب الرئيس بورقيبة عن أمله في التوسط بين قادة الثورة الجزائرية والجنرال ديغول لحل المشكلة الجزائرية، وكانت طموحاته لا يجدها سوى تحقيق نصر دبلوماسي يزيد من مكانته بالمغرب العربي و يؤمن له الحصول على مكاسب قطرية لبلاده ولو أدى ذلك إلى ممارسة ضغوط على الحكومة الجزائرية للقبول بمبدأ التفاوض أو الاكتفاء باستقلال منقوص، وهذا ما سبب له خلافات مع المسؤولين الجزائريين ازدادت حدة بعد حصول التقارب التونسي الفرنسي لكن الحكومة الجزائرية المؤقتة كانت تلجأ لحل خلافاتها مع تونس بانتهاج أسلوب اللين والمهادنة قصد كسب الموقف التونسي والحفاظ على مصالح الثورة في تونس بعكس مسؤولي هيئة الأركان الجيش بالحدود فقد كانت تثيرها تصرفات النظام التونسي فيواجهونها بانتقادات حادة.¹

2-3 مؤتمر طرابلس الأول ومصير الثورة (الاجتماع الثالث للمجلس الوطني

للثورة الجزائرية)

انعقد هذا المؤتمر طرابلس عاصمة ليبيا، وبمعية من ملكها الذي سهل العملية وسخر لها كل الوسائل الضرورية لإنجاحها، وكان ذلك في 16 ديسمبر 1959، وكانت قد حدثت بين الدورتين الأولى والثانية تطورات هامة منها تشكيل الحكومة المؤقتة في 19 سبتمبر 1958، والاعتراف بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره في 16 سبتمبر 1959.²

وهناك عدة ظروف دعت إلى عقد هذا المؤتمر يمكن حصرها فيما يلي:

¹ - عبد الله مقالتي، دور المغرب العربي و إفريقيا في دعم الثورة الجزائرية، ج1، المرجع السابق، ص ص، 108-109.

² - جريدة المقاومة، العدد 68، بتاريخ 16 ماي 1960.

1- سيطرة التشكيلة الجديدة التي ظهرت بعد العودة الواسعة للجناح القديم داخل الثورة، والذي رفض جملة وتفضيلا قرارات لقاء الصومام 1956، وهذا بعد المؤتمر التصحيحي المنعقد في القاهرة وظهرت هذه التشكيلة بزعامة كريم بلقاسم وعبد الحفيظ بوالصوف ولخضر بن طوبال التي سيطرت على أجهزة الثورة و منها لجنة التنسيق والتنفيذ.

2- عودة الصراع بين أجنحة الثورة بشكل خفي بعد مؤتمر طنجة عام 1958، خاصة بعد اعتبار المؤتمر أنه انفصالي، وتأرجح الكفة بين المشاركة أو عدم المشاركة فيه.

3- ظهور لجنتان، الأولى خاصة بالنظام الداخلي لجهة التحرير الوطني الجزائرية وكان من دعائها بعض أعضاء اللجنة المركزية للحزب القديم وهو الحركة من أجل انتصار الحريات الديمقراطية منهم "بن يوسف بن خدة ومبروك بلحوسين والأمين خان"، أما اللجنة الثانية فكانت مهمتها إعادة تنظيم المجلس الوطني للثورة الجزائرية و"عبد الرزاق شنتوف وعمر أوصديق وفرانز فانون".

4- عدم تطابق المصالح الضيق بين تيارات الثورة كان وراء حل اللجنتان و تعويضهما بلجنة ثالثة عرفت باللجنة السباعية و كان وراء ظهورها عبد الحفيظ بوالصوف¹.

وكان من مهام هذه اللجنة إعادة الاعتبار للثورة وكذلك إعادة لنظر في تشكيلة الحكومة المؤقتة ووضع قائمة جديدة للجنة تضم ممثلي الولايات الثورية داخل التراب الجزائري وممثل فدرالية جبهة التحرير في فرنسا وممثلها في المغرب الأقصى إلى جانب ضباط جيش التحرير الموجودين في الخارج، ومنهم أحمد قايد والطاهر الزبير وعلي منجلي وعلي السواعي وأحمد بن شريف" ومن المدنيين "أحمد بومنجل و لشيخ خير الدين"².

وهذه اللجنة ألفت على عاتقه مسؤولية التحضير لمؤتمر طرابلس الذي تضمن جدول أعماله ما

يلي:

- دراسة و تحليل الوضع العسكري داخل الجزائر .

¹- جريدة المقاومة، المصدر السابق، العدد 102، بتاريخ 14 أوت 1961.

²-عمار بوحوش:التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962، المرجع السابق، ص 584.

- دراسة وتحليل والوضع السياسي وبالتحديد موضوع المفاوضات مع إدارة الاحتلال الفرنسي.
 - التطرق للأوضاع الداخلية و أوضاع اللاجئين جراء سياسة القمع الفرنسية.
 - دراسة الوضع المالي دراسة معمقة وشفافة.
 - دراسة تشكيلة الحكومة المؤقتة المقبلة بما في ذلك قيادة الأركان العامة¹.
- وقد نتج عن مؤتمر طرابلس الأول عدة نتائج انعكست على تطور الأحداث بالنسبة للثورة التحريرية من أهمها:
- وضع نظام جديد لجهة التحرير الوطني الجزائرية.
 - إعطاء صلاحيات واسعة للمجلس الوطني للثورة الجزائرية.
 - إعادة تنظيم تشكيلة الحكومة المؤقتة بتعيين فرحات عباس رئيسا لها للمرة الثانية.
 - إنشاء قيادة عسكرية جديدة ومطالبة ضباط الخارج بالالتحاق بالثورة، وهذه القيادة هي اللجنة الوزارية للحرب وتضم السادة: كريم بلقاسم و عبد الحفيظ بوصوف والأخضر بن طوبال.
 - التأكيد على أن تكون قاعدة المفاوضات هي مبدأ تقرير المصير بإشراف من هيئة الأمم المتحدة.
 - بعث و إحياء فكرة وحدة المغرب العربي.
 - دفع الإخوة الأفارقة بالثورة الجزائرية إلى إقناع رعاياهم بالانسحاب.
 - ضرورة الاعتماد على المساعدة العسكرية للدول الصديقة ومنها الصين والاتحاد السوفياتي.
 - توسيع العمل المسلح على أكثر من نطاق داخل الجزائر وداخل التراب الفرنسي.

¹- مصطفى هشماوي: جذور نوفمبر 1954 في الجزائر، المرجع السابق، ص190.

- تأسيس هيئة الأركان العامة لجيش التحرير الجزائري مهمتها إعادة تنظيم جيش التحرير حسب المتطلبات العسكرية الجديدة في الداخل¹.

وفي 18 جانفي من عام 1960 وبعد حوالي أكثر من ثلاثين يوما من أشغال المؤتمر تم تعيين السيد فرحات عباس رئيسا للحكومة المؤقتة الثانية، في حين تم تعيين العقيد هواري بومدين مسؤول هيئة الأركان العامة للثورة وكان ذلك موافق لتاريخ 23 جانفي من عام 1960، إلى جانب دخول العديد من ضباط جيش التحرير إلى الجزائر بناء على توصيات المؤتمر ومنهم العقداء: "لطفى بودغن من الولاية العسكرية الخامسة، والحاج الأخضر عبيد من الولاية العسكرية الأولى والطاهر الزبيري من نفس الولاية وأحمد بن شريف وسليمان دهيليس عن الولاية الرابعة"².

2-4 مؤتمر طرابلس الثاني (الاجتماع الرابع للمجلس الوطني للثورة الجزائرية):

انطلقت أشغال هذا المؤتمر في 09 أوت من عام 1961 في ظل صراع شديد لم تظهر ملامحه إلا عند أصحاب القرار الثوري آنذاك بمختلف أطرافهم واتجاهاتهم، وعلى وجه الخصوص بين الحكومة المؤقتة التي جردت تقريبا من كل صلاحياتها وهيئة الأركان العامة وهذا يعني بالدرجة الأولى ظهور الصراع بين المدنيين والعسكريين وتؤكد بعض المصادر أن هذا الحلاف استغله السيد بن يوسف بن خدة الذي كان ناقما على تيار كريم بلقاسم وبوالصوف وبن طوبال لصالحه وهذا ما أشار إليه السيد هشماوي بقوله: "تظاهر بالتأييد والتلاعب بين الفئتين واستطاع أن يجد فيه كل طرف مبتغاه آملا استغلاله واستطاع بذلك أن يزيح فرحات عباس ليجلس مكانه بموافقة الطرفين، ولكنه لم يلبث بعد أخذ مكانه إذ انحاز إلى الجناح العسكري في الحكومة المؤقتة".

¹- عمار بوحوش، المرجع السابق، ص ص 585-586.

²- مصطفى هشماوي، المرجع السابق، ص 192.

وقد انصبت أشغال المؤتمر حول قضية المفاوضات مع فرنسا لتنتهي يوم 27 أوت 1961 بتعيين بن يوسف بن خدة رئيسا للحكومة المؤقتة الثالثة، وظهور تشكيلة حكومية جديدة أخرى. ومع ذلك فإن الصراع بين الأجنحة داخل الثورة بقي مستمرا لكن دون أن يؤثر تأثيرا مباشرا على مسار الثورة خاصة بين رئيس الحكومة وجماعته من جهة وقيادة الأركان بزعامه هواري بومدين من جهة أخرى¹.

2-5 مؤتمر طرابلس الثالث (الاجتماع الخامس للمجلس الوطني للثورة الجزائرية):

حفاظا على مكتسبات الثورة الجزائرية سياسيا عسكريا وانطلاقا من حرص قادتها على مصالح الشعب الجزائري في ظل الأوضاع الراهنة دوليا وإقليميا وداخليا تقرر عقد مؤتمر ثالث للثورة في المدينة نفسها التي جلساته الأولى في هذا اليوم والتي ستستمر إلى غاية 07 جوان 1962 وترأسها السيد محمد الصديق بن يحيى إلى جانب نائبيه السيدان عمر بوداود رئيس فدرالية جبهة التحرير الجزائرية في فرنسا والعقيد علي كافي قائد الولاية العسكرية الثانية وكانت أولى نتائج هذا المؤتمر، هو دراسة المفاوضات الثنائية مع فرنسا حول قضية الاستفتاء، ومن ثم التفكير في وضع برنامج مستقبلي للجزائر المستقلة.

وبذلك جاء مؤتمر طرابلس ليواجه تحديات المستقبل ومسؤوليات الموقف الجديد، بعد إخضاع السلطات الفرنسية للاعتراف باستقلال الجزائر، وكذلك الاستعداد للاستفتاء حول تقرير مصير الشعب الجزائري المقرر إجراؤه في أول جويلية عام 1962، فكان المؤتمر الذي حضره أعضاء الحكومة الجزائرية المؤقتة، وكذلك القيادة العامة لجيش التحرير الوطني إلى جانب قادة الولايات الستة².

وبذلك تم وضع برنامج مستقبلي للعمل السياسي والاجتماعي والاقتصادي لمرحلة الاستقلال يعود الفضل في نجاحه إلى الدور القومي الذي لعبه الليبيون حتى يتسنى للجزائريين وضع الأسس الأولى لبناء الدولة الجزائرية المستقلة والذي جعل من جهة ثانية جبهة التحرير الوطني هي مصدر

¹- المصدر السابق، ص ص 192 - 193.

²- مريم صغيرة، مواقف الدول العربية من القضية الجزائرية 1954-1962، المرجع السابق، ص ص 108 - 109

التوجيه الحقيقي لكل التنظيمات الأخرى مثل الحكومة وجيش التحرير، وكانت أهم نقطة خرج بها المؤتمر هي إقراره بإقامة دولة جزائرية ديمقراطية شعبية على أساس المبادئ الاشتراكي، وتحويل جبهة التحرير بعد دورها الثوري إبان الحرب إلى طلائعي جماهيري تعبوي، وقد بقي برنامج طرابلس مصدر إلهام الحكومة الجزائرية بالنسبة لسياستها الداخلية والخارجية، خاصة السنوات الأولى التي تلت الاستقلال، وقد العمل به إلى أن تم صدور ميثاق الجزائر في أبريل عام 1964.

ويمكننا القول أنه رغم ما كان يظهر للكثيرين من تواضع نفوذ الدبلوماسية الليبية على المستوى الدولي ومن اختلاف لتوجهاتها فإنها قدمت للقضية الجزائرية دعما ومؤازرة مستمرة تكن عن تمسك ليبيا بوضع كل إمكانياتها وبذل جهودها لدعم القضية الجزائرية.

3- مساندة الحكومة المؤقتة في قضية الصحراء:

إن إفريقيا ستكون معنية بقضية الصحراء التي تتمسك جبهة التحرير الوطني بأتهما جزء من التراب الوطني وتدعى فرنسا أنها ملك مشاع تشترك الدول المحيطة بها في استغلالها، ولهذا حاولت الحكومة الجزائرية المؤقتة أن تعطي للمشكلة الصحراوية بعدا إفريقيا، خاصة بعد تعطل مفاوضات ايفيان بسبب مشكلة الصحراء، فقامت الحكومة الجزائرية المؤقتة بمساع حثيثة لكسب مواقف الدول إلى جانبها، ووجهت لها مذكرة حول الصحراء نداء عاجلا لدعم موقفها في مواجهة الامبريالية الفرنسية، وهكذا تضامنت كثير من البلدان والشعوب الإفريقية مع الجزائر يوم: 05 جويلية 1961،

الذي كان يوما وطنيا ضد التقسيم وقام أعضاء الحكومة المؤقتة بزيارات إلى مختلف العواصم الإفريقية، إذ سافر فرحات عباس إلى رباط، وانتقل محمد يزيد إلى كونا كيري وباماكوذ وكريم بلقاسم إلى بنغازي والقاهرة، وأعرب الرئيس المالي مودي بوكاتيا عن موقف مدعم للحكومة الجزائرية المؤقتة، حيث صرح في يوم 13 جوان 1961 قائلا " إن الصحراء لم تكن في يوم من الأيام المستقلة، إنها ليست كيانا جغرافيا وسياسيا مستقلا، ولقد أكدنا دعنا للحكومة الجزائرية ولشعبها، ودعمنا موقفها فيما يخص وحدة أراضيها و هنا نفكر بالصحراء الجزائرية، فهناك صحراء مغربية، وأخرى مالية وثالثة جزائرية، الخ ونحن نعارض وجود صحراء مستقلة تابعة لفرنسا¹، ورفض من جهته هاماني ديوري التعاون مع حمزة بوبك بخصوص مشروع جمهورية الصحراء المستقلة معربة عن تأييدها لموقف الحكومة الجزائرية المؤقتة معربا عن تأييدها لموقف الحكومة الجزائرية المؤقتة. ووجه كوامي نكروما رسالة إلى الحكومة المؤقتة معربا عن حقها في الدفاع عن سيادتها، وصرح الرئيس السنغالي بما يؤكد حق الجزائر في سيادتها على الصحراء.

أ- تأييد القضية الجزائرية في الأمم المتحدة:

وأثنى مساندة كانت تسعى إليها الثورة الجزائرية هي تأييدها في الأمم المتحدة، وقد قدمت الدول الإفريقية دعما معتبرا للجزائر في المجال الدبلوماسي خاصة بعد عام 1960، وإن كانت الدورة الخامسة عشر للأمم المتحدة شهدت تصدع المجموعة الإفريقية بوقوف بعض الدول إلى جانب فرنسا فإن الدورة السادسة عشر شهدت تزايد قوة التضامن مع دعم القضية الجزائرية، ولكن موقف المجموعة الإفريقية المرتبطة بفرنسا ظل يثير تحفظ الطرف الجزائري² حتى أن صحافة الثورة شنت حملة شنعاء ضد هذه المجموعة التي سمتها بالفرنسية³. وقد تسببت المشكلة الجزائرية في انقسام القارة الإفريقية إلى مجموعتين، واحدة ثورية مؤيدة للحكومة الجزائرية المؤقتة (مجموعة الدار البيضاء) والأخرى إصلاحية تتبنى الأطروحات الفرنسية وتريد استبعاد الحكومة الجزائرية المؤقتة من حضور الاجتماعات الإفريقية (مجموعة برازافيل) التي ستسهم فيها الجزائر المستقلة بدور فاعل، خاصة وإنها وضعت الفكرة

¹ - المجاهد: العدد 100، 17 جويلية 1960، ص 03.

² - Slimane CHIKH, La conférence de l'unité, OP, CIT p 474, 475.

³ - المجاهد: العدد 76، 5 جانفي 1961.

في قائمة أولوياتها، وأعربت عن التزامها بدعم حركات التحرر التي تناضل من أجل استقلالها، وقد تم ترسيم ذلك في برنامج طرابلس: "لقد عملت حرب التحرير بجدتها وقوتها على الإسراع في إتمام عملية تصفية الاستعمار في إفريقيا على وجه الخصوص، وستقدم الجزائر المستقلة مساعدة كاملة للشعوب التي تناضل فعلا لتحرير بلادها ومن واجب الجزائر إن تولي اهتماما خاصا بالوضع في انغولا وجنوب إفريقيا، وبلدان شرق إفريقيا، فالتضامن الفعال ضد الاستعمار سيمكن بلادنا من توسيع جبهة النضال ودعم حركة الوحدة"¹.

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن الثورة الجزائرية اتبعت سياسة حكيمة من خلال إعطائها للبعد أهميته في مبادئها وسياسيتها الخارجية، وقد اكتسبت شهرة وسمعة طيبة في إفريقيا بتجسدها لشعارات التحرر وتحقيق الوحدة الإفريقية، وعليه فإن الشعوب والدول الإفريقية قدمت أشكالا مختلفة من الدعم والمساندة للجزائر المكافحة، وهي لم تقتصر على الدعم المعنوي بل تعدت إلى الدعم المادي، ولم تبقى حبيسة الأقوال والشعارات بل كرست أفعالا في الميدان.

أ-1 دور الكتلة الإفريقية في دورة عام 1955:

لقد كانت المحاولات الأفرو آسيوية لتدويل القضية الجزائرية تسير سيرا نسبيا مع أوائل عام 1955، وهو ما جعل نداء المملكة العربية السعودية على اعتبارها العضو البارز من الكتلة الأفرو آسيوية لم يجد صدق بين الدول الأعضاء في الهيئة الدولية ما عدا الإتحاد السوفياتي وإيران اللتين أيدتا نداء السعودية، وبما أن فرنسا كانت الطرف الثاني المعني بالنزاع، وهي عضو في مجلس الأمن، عارضت النداء الذي لم يتمكن في حقيقة الأمر من الصمود أمام رفض الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن.

وفي شهر أبريل عام 1955 حضرت جبهة التحرير الوطني الجزائرية ممثلة في شخص **أحمد يزيد** في مؤتمر باندونغ بإيعاز عربي، تم فيه مطالبة الدول المشاركة بتقديم طلب رسمي إلى هيئة الأمم

¹ - جبهة التحرير الوطني: النصوص الأساسية لجبهة التحرير الوطني، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1979، ص 96.

المتحدة بشأن مناقشة القضية الجزائرية و إعطاء أهمية لحق تقرير المصير غير المعترف وتطبيق حق تقرير الذي تعترف به الأمم المتحدة¹.

إن أول تأييد للقضية الجزائرية على الصعيد الدولي، هي مذكرة الأربعة عشر دولة التي وجهتها إلى الأمين العام للأمم المتحدة بتاريخ 26 جويلية 1955، وذلك بعد ثلاثة أشهر فقط من انعقاد مؤتمر باندونغ، تطلب فيها إدراج القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة العاشرة للجمعية للأمم المتحدة التي ستعقد في خريف عام 1955، وقد تسلم أمينها العام المذكرة بتاريخ 29 جويلية 1955².

بتوالي الأحداث وسرعتها بعد هجومات 20 أوت 1955 على مستوى الجبهة الداخلية، تأكد منعطف التحذير الحقيقي للثورة الجزائرية، من خلال الإقبال الجماعي عليها، فبعد شهر واحد على هذه الأحداث، طالب خمسة عشر بلدا من الكتلة الأفرو آسيوية بتسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة العاشرة للأمم المتحدة يوم 20 سبتمبر عام 1955.

وبعد مداوالات استمرت من 27 إلى 30 سبتمبر من نفس العام انتصر المطالبون بتسجيلها، وإن كان ذلك قد تم بأغلبية صوت واحد، إلا أنه كان انتصار كبيرا إذا ما قيس بمفعوله المعنوي وبمقاييس الحرب النفسية، خصوصا وأنه جاء بعد مشاركة الجزائر في مؤتمر باندونغ وبالتالي برهنت الكتلة الأفرو آسيوية على تضامنها مع القضية الجزائرية من خلال دورها البارز في العملية نفسها³.

لقد كانت فرنسا على دراية كاملة بدعم الكتلة الأفرو آسيوية للقضية الجزائرية، لذا راحت تعتمد على حلفائها في إجهاض كل المحاولات الرامية إلى دعم القضية، حيث ضبظت عددا من الاتصالات عن طريق وزير خارجيتها السيد بينو في عهد حكومة غي مولي، مع عدد من الدول الهدف منها هو عزل الثورة الجزائرية دوليا وفك كل أنواع التضامن معها، من خلال مؤتمر باندونغ وموقف الأمم المتحدة.

¹ - أنظر إلى مجموعة من الأساتذة، حوار حول الثورة، مرجع السابق، ص213. وجوان جليسي، ثورة الجزائرية، المصدر السابق، ص ص 145-146.

² - المقاومة: العدد 05، بتاريخ 02 جانفي 1957، ص06.

³ - مريم صغير مواقف الدول العربية من القضية الجزائرية 1954-1962، المرجع السابق، ص213.

لقد كانت أمريكا وإنجلترا من الدول الأوروبية الكبرى إلى دعم الموقف الفرنسي والوقوف ضد الكتلة الأفرو آسيوية حول إدراج القضية الجزائرية في جدول أعمال الأمم المتحدة، وكان هذا القرار ضد توصية لجنة التوجيه مما أدى بانسحاب مندوبيها من جلسات الهيئة احتجاجا على ترسيم طلب الإدراج، الذي اعتبرته تدخلا في شؤونها الداخلية، وندد وفدها بموقف الكتلة الأفرو آسيوية، واعتبر مؤتمرهم مخالفا لقانون هيئة الأمم المتحدة الذي يمنع التدخل في أمور البلاد الداخلية، وهذا مطابق لتصريح السيد إدغار فور رئيس الحكومة الفرنسية¹.

لقد تمكنت الكتلة المدعمة لموقف فرنسا رفض الطلب بعد نقاش حاد وجاء على أساس أن القضية تتعلق بالشؤون الداخلية الفرنسية لكن التيار المدعم للقضية الجزائرية ومن ورائه العرب تمكن من التأثير في المداولة، ورفض المشروع الخطير الذي تقدمت به بعض دول أمريكا اللاتينية، والذي مرده المطالبة بحذف القضية الجزائرية من جدول أعمال الجمعية العامة كله، وبالتالي الوصول على قرار وسط بالإجماع، ينص على أن الجمعية العامة تقرر عدم الاستمرار في مناقشة هذا البند في جدول أعمالها، ولذا فهي تتوقف عن مناقشتها.

بذلك تم التسجيل الرسمي للقضية في 01 أكتوبر 1955 بأغلبية ثمانين وعشرين 28 صوتا مقابل سبع و عشرين 27 صوتا، وقد جرت عملية التصويت على النحو التالي:

1- الدول المعارضة لتسجيل القضية الجزائرية هي: فرنسا - هايتي - لوكسمبورغ زيلاندة الجديدة - النزويج - إنجلترا - الولايات المتحدة الأمريكية - الشيلي.

2- الدول الممتنعة عن الصوت هي: الصين - أثيوبيا.

3- الدول المؤيدة لتسجيل القضية الجزائرية هي: مصر - المكسيك - بولندا - تايلاندا -

الإتحاد السوفياتي.

¹ - جريدة البصائر "يوميات الأزمة"، العدد 317، ص 8.

ورغم أن القضية عرضت على هيئة الأمم المتحدة لأول مرة، فإنها لم تحظ بالنقاش الوافي، ومع ذلك، كان طرحها على طاولة المناقشة عبارة انتصار معنوي للشعب الجزائري، فرصة سانحة لتعريف الرأي العام العالمي بالقضية الجزائرية¹.

أ-2- دور الكتلة الإفريقية في دورة 1956:

بعد أن تمكنت الكتلة افريقية مدعمة بالكتلة الآسيوية من إقحام الوفد الجزائري عن طريق الدول العربية في المشاركة في المحافل الدولية، وعرض القضية الجزائرية على أساس أنها قضية شعب يعاني من الاستعمار بحيث كللت جهودها ولأول مرة بالتعريف بها في الدورة الألفية لعام 1955 ومن ثم الضغط على الدول الأعضاء في هيئة الأمم قصد استمالتهم لدعمها، حتى تتمكن من الوقوف الند للند مع فرنسا المدعمة من طرف الحلف الأطلسي.

في 19 جوان 1956 تقدمت مجموعة الدول الافرو آسيوية بطلب إدراج القضية الجزائرية في جدول أعمال الجمعية العامة في دورتها الحادية عشر، قصد لفت انتباه أعضاء الهيئة الدولية مرة أخرى للوضعية الخطيرة داخل الجزائر.

وفي 26 جوان من نفس العام رفض مجلس الأمن، تحت ضغط دول الحلف الأطلسي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية وضع القضية الجزائرية في جدول أعماله، لكن الدول الأفرو آسيوية التي تبنت القضية الجزائرية، تقدمت في 01 أكتوبر 1956 بطلب رسمي للأمين العام للأمم المتحدة، لتسجيل القضية الجزائرية بدون مناقشة².

3-الدعم العسكري:

¹ - أنظر إلى الجندي مجموع من الأساتذة: حوار حول الثورة، مرجع السابق، ص ص 214- 215. وإلى جمال قنان: الذكرى السابعة والثلاثين لتأسيس الحكومة المؤقتة، مجلة الذاكرة، العدد 04، عام 1995.

² - مريم صغير، مواقف الدول العربية من القضية الجزائرية 1954-1962، المرجع السابق، ص ص 224- 225.

أ- شجب التفجيرات النووية الفرنسية في الصحراء الجزائرية:

عمدت فرنسا في فيفري 1960 للقيام بتجارب نووية في منطقة رقان، فقامت الحكومة الجزائرية المؤقتة بحملة دعائية واسعة لشجب هذا العمل الإجرامي، وأبرقت إلى الدول الإفريقية للتعبير عن موقفها وإدانة هذا العمل الإجرامي الذي تمتد آثاره إلى الدول المجاورة ويضر بإفريقيا، وجاءت حملة الشجب والإدانة من مختلف الدول، حيث أدانت الأحزاب والمنظمات النقابية والحكومات هذه الجريمة، فأعلنت غينيا أن علاقات مع فرنسا ستقطع إذا ما تبادت في تفجيراتها النووية، واتخذت غانا موقفا جريئا عندما أعلن نكروما تمجيد الأموال الفرنسية إلى غاية معرفة النتائج الحقيقية لهذه التجارب. ونسقت الدول الإفريقية موقفها في الأمم المتحدة لتطالب بوقف التجارب النووية الفرنسية ومسائلة فرنسا¹.

ب- سحب الجنود الأفارقة من الجيش الفرنسي وتشكيل فيالق افريقية لدعم

الثورة الجزائرية:

شنت جبهة التحرير الوطني حملة لدعوة المجندين الأفارقة في جيش الاحتلال للعزوف عن القتال في الجزائر، والانسحاب من الجيش الذي يحتل الأرض الإفريقية في ذلك رابطة الوحدة الإفريقية والعلاقات الدينية والأقلية التي تربطها بأقطار السودان الغربي، خاصة وأن أغلب المجندين كانوا من السينغال ومالي وقد بلغ عددهم في سنة 1959 ما يناهز الثلاثين ألف جندي. واستعملت في البداية الطرق المباشرة للاتصال بهؤلاء الجنود كما هو الحال مع فرق الليفي الأجنبي، وكذا توجيه نداءات عامة عبر صحيفة المجاهد التي نشرت في فاتح نوفمبر 1960 نداء لجيش التحرير الجزائري، يدعوا فيه المجندين الأفارقة لرفض القتال في صفوف الجيش الفرنسي مرددا شعار: "عيشوا لإفريقيا ولا تموتوا فرنسيين"².

وازدادت حدة الدعاية التي خاضتها التحرير الوطني مع حصول بلدان السودان الغربي على استقلالها، فأصبحت تطالب من الحكومات سحب جنودها من الجبهة الجزائرية ومؤكد أن التعاون

¹ - عبد الله مقالتي: دور المغرب العربي وإفريقيا في دعم الثورة الجزائرية، ج 2، المرجع السابق، ص 244.

² - المجاهد: العدد 81، 01 نوفمبر 1960.

مع جيش الاحتلال يعد نقطة سوداء في العلاقات بين فرنسا والدول الإفريقية، وأمام حملة الدعاية والاتصال المباشرة بهذه الدول تم التعهد بالعمل على سحب هؤلاء الجنود وإعادتهم إلى وطنهم، وهذا ما أعلنه رئيس الحكومة السينغالية ممامو ضياء في أكتوبر 1960¹، وبالموازاة مع ذلك طالبت الحكومة الجزائرية المؤقتة في بداية عام 1960 محن الدول الإفريقية المتضامنة مع الجزائر إنشاء فرق من المتطوعين لنصرة الثورة الجزائري، وقد تبني المؤتمر الثاني للشعوب الإفريقية المنعقد بتونس في بداية عام 1960 قرارات مهمة في هذا الشأن، حيث طالب في لائحة خاصة بالجزائر سحب الجنود الأفارقة العاملين ضمن صفوف الجيش الفرنسي، "وإنشاء فرقة من المتطوعين لنصرة جيش التحرير الجزائري"، وقد استجاب كثير من الأفارقة لهذه الدعوة، وأنشئت فرق خاصة بهم بمراكز جيش التحرير بالمغرب، كما تدرب كثير من شبان حركات التحرر الإفريقية بهذه المراكز منهم الرئيس نلسن منديلا الجنوب الإفريقي وثوار الكونغو...² الخ.

ج- دعم إنشاء الجبهة الجنوبية:

عندما قررت قيادة الثورة في عام 1960 إنشاء جبهة عسكرية على الحدود المالية النيجيرية أغزت إلى فرانز فانون لمحادثة سيكوتوري في الموضوع، وقام هذا الأخير بمخاطبة مودي بوكايتا و المسؤولين النيجيريين، واستطاع إقناعهم بضرورة تقديم المساعدة لثورة الجزائر، وتكلف فرانز فانون بإجراء اتصالات ميدانية في مالي والنيجر، قد ذكر أن الرئيس مودي بوكايتا استقبل الوفد الجزائري في باماكو أكد له استعداد بلاده لتقديم كامل الدعم والمؤازرة وفعلا وجه الأوامر لوزير الدفاع من أجل الاستجابة لطلبات الجزائريين³، وبعد أن أرسلت قيادة الأركان بعثة بقيادة النقيب عبد العزيز بوتفليقة لفتح هذه الجبهة حصلت البعثة على مساعدات ثمينة، فقد استقبل سيكوتوري باخرة أسلحة هربت عبر رأس الرجاء الصالح عدة شاحنات تحت التصرف لنقل هذه الشحنة.

وقدمت السلطات المالية مساعدات مادية ولوجستيكية وخصصت عدة مراكز للجزائريين في الشمال البلاد انطلاقا من قواعدها وبدورها قدمت السلطات النيجيرية موافقتها لفتح مراكز للثورة

¹ - المصدر السابق، العدد 79 ، 10 أكتوبر 1960.

² - المصدر نفسه، العدد 61، 8 فيفري 1960.

³ - فرانز فانون: من أجل إفريقيا، ترجمة محمد الملي، الطبعة الثانية، المصدر السابق، ص 190.

الجزائر بشمال البلاد وقدمت عدة مساعدات وإن لم ترقى إلى مستوى المساعدة المالية، وذلك خشية من أن ينكشف أمرها وهي ترتبط مع فرنسا باتفاقيات تعاون، وقد قبلت الدولتين مبدأ تجنيد الأفارقة انطلاقاً من أراضيها، وإن كانت الجبهة الجنوبية لم تعول على تعاون الأفارقة المتطوعين بل اعتمدت أساساً على تجنيد الجزائريين المتواجدين بكثرة هناك، واستقدام الشبان من (توات والحقار) لتفسيح المجال أمامهم لتشكيل فرق وكتائب عسكرية، كما استضافت مجندي بعض حركات التحرر الإفريقية وكونتهم في مجال الاتصال وفنون القتال والقيادة العسكرية والسياسية، وعموماً فإن مشروع الجبهة حقق أهدافاً استراتيجية كبرى منها: فتح جبهة عسكرية بأقصى الجنوب الجزائري. وإدخال الأسلحة عبر هذا المنفذ الصحراوي، وقد أعطت هذه الجبهة تأكيداً على حضور الثورة الجزائرية في أقصى جنوب الصحراء، وكرست مبدأ التضامن والوحدة الإفريقية ميدانياً في جبهات الكفاح المسلح¹.

¹ - منقلا من: الجبهة الجنوبية المالية النيجيرية، دار السبيل، الجزائر، 2009، ص ص 25-27.

ثانيا: دور الثورة الجزائرية في تعجيل باستقلال البلدان المغاربية :

سنركز على أهمية الثورة الجزائرية و دورها في التعجيل باستقلال بلدان المغرب العربي ثم الانتقال إلى تبيان الدور الذي قامت به الثورة في تحرير بعض الشعوب الإفريقية الجزائرية.

1- دور الثورة الجزائرية في استقلال المغرب:

كانت التطورات في المغرب، انطلاقا من فاتح نوفمبر في الجزائر التطورات الإيجابية مثلما كان الأمر بالنسبة لتونس و فزان في ليبيا و المستعمرات كلها في إفريقيا كما سنتطرق إليه لاحقا، ردود فعل مباشر أو غير مباشرة على الفاتح نوفمبر، إذ كان الأثر البالغ، بالإضافة إلى الكفاح المسلح في بعضها و المطالبة السلمية الملحة للتخلص من الاستعمار الفرنسي في آجال غير الآجال التي كانت منتظرة أصلا لولا ضغط فاتح نوفمبر، وهذا طبعا بالنسبة لكل من الجزائر، والبلدان الشقيقة والقارة الخاضعة للاستعمار الفرنسي¹.

وربما كانت أقرب صيغة إلى الحقيقة أن نقول: لولا فاتح نوفمبر لما تحررت الأراضي المغاربية (فزان و تونس والمغرب) والمستعمرات الإفريقية عموما، ولولا السند الذي وجدناه بتحرر الأراضي المغربية المذكورة لما تحررت الجزائر أيضا، على الأقل في الآجال التي تم فيها هذا التحرر بالنسبة لجميع الأطراف.

مع تلاحق الأحداث و تفاعلها في المنطقة وفي فرنسا بخصوص رجوع السلطان محمد الخامس، الذي ساهم في التعجيل به كل من إصرار الشعب المغربي، وتعاطف الرأي العام الدولي، وضغط فاتح نوفمبر و اطراد اشتداده أو "مضاعفة المتمردين الجزائريين وعدوانيتهم من حدود تونس إلى حدود المغرب"²، كما كتبت لوموند فيما بعد، كل ذلك يشير إلى تصريحات الفرنسية المتشددة ، بخصوص رجوعه، كذا عدم وضوح الرؤية في السماح برجوعه، كما يلي:

¹ - مولود بلقاسم و نايت قاسم: ردود الفعل داخليا وخارجيا على غرة نوفمبر، قسنطينة دار البعث، 1983، ص 225.

² - المرجع نفسه، ص 226. ارجع إلى تفاصيل نفي السلطان محمد الخامس في الفصل الثاني.

ففي 29 جويلية 1955 صرح بيير جولي وزير الشؤون التونسية والمغربية في الحكومة الفرنسية: "لن يعود محمد بن يوسف (السلطان محمد الخامس) إلى العرش"¹، وفي 30 جويلية صرح كل إدغار فور رئيس الحكومة الفرنسية، وبيير جولي وكرر التصريح: "انه ليس من المتصور إعادة السلطان السابق محمد الخامس إلى العرش، وأن الحكومة الفرنسية ستحاول الاعتماد على السلطة السلطان الحالي، محمد بن عرفة، وفي 22 أوت 1955 افتتح المحادثات المغربية الفرنسية في إيكس ليان. و في 27 أوت 1955 اختتامها والقرار بسحب ابن عرفة وبتكوين مجلس العرش، وحكومة ممثلة للمغرب تتفاوض مع فرنسا.

في 30 سبتمبر 1955 تم تسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال هيئة الأمم المتحدة، وينسحب الوفد الفرنسي، باسم تلك "الجزئية الجزائرية التي لا تتجزأ من فرنسا"، من هيئة الأمم احتجاجا، وقد كان ذلك ضربة قوية وصدمة عنيفة الاستعمار الفرنسي زادت من تذبذب بين الحرص على تونس والمغرب لضمان الاحتفاظ بالجزائر، أي الاحتفاظ بالجناحين للاحتفاظ بالقلب، كما كان يقول دوبري ومحاولة التخفيف عليهما وإعداد إطلاق سراحهما للتركيز على الجزائر والتفرغ لها لضمان الاحتفاظ بها ولو مع فقدان نسبي لتونس والمغرب، أي ضمان القلب لضمان الجناحين، كما كان رأي ادغار فور².

وقد كان تسجيل قضية الجزائر في هيئة الأمم ضغطا شديدا جدا، ضغطا خانقا للسياسية الاستعمارية الفرنسية، إذ جعل كل البناء مهددا بالانهيار³. فهذا الضغط الدبلوماسي جانب هام جدا إذن، بل أساسي، ولا ينبغي أن يستهان به إطلاقا في تقدير تلاحق الأحداث وتوجيه تطورها في المنطقة، في الضغط على الموقف الفرنسي .

¹-Le Monde ,29juillet 1955.

²- مولود بلقاسم و نايت قاسم: ردود الفعل داخليا وخارجيا على غرة نوفمبر، المرجع السابق، ص 228.

³- أنظر إلى الملحق رقم 19 من الرسالة.

01 أكتوبر 1955 السلطان المفروض محمد بن عرفة ينسحب إلى طنجة، 04 أكتوبر إدغارفور رئيس الحكومة الفرنسية، يصرح: "إن إعادة محمد الخامس إلى العرش مستبعدة، وتبقى مستبعدة كل الاستبعاد"¹.

على أن هذه التصريحات كلها عن استبعاد محمد الخامس كانت تتناقض تناقضا صارخا مع إعدادات بل وإجراءات متوازية لتهيئة الجو لعودة السلطان محمد الخامس، تحت ضغط الأحداث والمتمثلة في أعمال مسلحة في المغرب، تهديدات باستئناف الأعمال المسلحة في تونس، ضغط الرأي العام الدولي، وبل وبصفة أخص، في اتساع و اشتداد فلاح نوفمبر في الجزائر في حريف 1955، بعد العمليات المفزعة لفرنسا في سكيكدة يوم 20 أوت 1955، تضامنا مع الشعب المغربي، وإعلانا عمليا مجسما وحاسما من الدخول في المرحلة جديدة لفتاح نوفمبر...²

فأمام هذه الأحداث، وتحت هذه الضغوطات المتوازية، قررت فرنسا إعادة محمد الخامس، وفي 18 أكتوبر 1955 أي بعد أسبوع فقط من تلك التصريحات عن استبعاد عودة محمد الخامس عن العرش يخول البرلمان الفرنسي إدغارفور فور الثقة في سياسته المغربية لتبدأ المسرحية اصطناع الأحداث، وفي 30 أكتوبر يتنازل السلطان المزعوم محمد بوعرفة عن العرش لصالح السلطان الشرعي، محمد الخامس، وقد كان تهيأ لذلك الإجراء الشكلي بانسحابه غلى طنجة، وفي يوم 31 أكتوبر 1955، ينقل محمد الخامس من منفاه في مدغشقر إلى ضواحي باريس، إيذانا بنهاية نفيه و إعدادا لإرجاعه على العرش، بعد اقل من أسبوع تعترف باريس رسميا بـ محمد الخامس سلطانا للمغرب³.

وقد شارك الجزائريون بكثرة في الاحتفال بعودة السلطان المغربي من منفاه برفع الجزائري في المظاهرة... انتزعها البوليس الفرنسي وقد أظهرت هذه المظاهرة مدى تضامن الشعب الجزائري والشعب المغربي الشقيق في أحزانه وأفراحه موقف ثابت لا يتغير مهما كانت الظروف.

¹ - Le Monde, 04octobre1955.

² - مولود بلقاسم و نايت قاسم: ردود الفعل داخليا وخارجيا على غرة نوفمبر، المرجع السابق، ص230.

³ - المرجع نفسه، ص ص 231-232.

بعد عود محمد الخامس إلى العرش، أمام ضغط الثورة الجزائرية افتتحت المحادثات المغربية الفرنسية في 22 أوت 1955 في "إيكس ليان"، واختتمت هذه المحادثات 27 من نفس الشهر بقرار تكوين حكومة مغربية ممثلة للمغرب تتفاوض باسمه.

وفي 01 أكتوبر 1955 تم إمضاء الاتفاقيات في "إيكس ليان" وكان ذلك على أساس الاحتفاظ بمعاهد فاس، خاصة فيما يتصل منها بالدفاع والخارجية، كما صرح بذلك بيير جولي Pierre July الوزير الفرنسي للشؤون التونسية والمغربية، في مؤتمر صحفي قائلا: "إن هذه الاتفاقيات ترمي إلى إقامة بناء حديث في المصالح المشتركة للبلدين (فرنسا والمغرب) على أساس الاحتفاظ التام في باريس بالمسؤوليات المخولة لفرنسا في مجالي الدفاع و الشؤون الخارجية"¹.

وفي 09 أكتوبر 1955، صرح محمد اليزيدي الأمين العام المساعد لحزب الاستقلال، بمليلي، مستنكرا وجود الساسة الفرنسية، تصلبها، ضربها عرض الحائط بأية اتفاقية أو تطور، قائلا: "إن المفاوضات إيكس ليان والوعود المسجلة على إثرها -اتفاقيات إيكس ليان التي لم تذكر فيه إلا السيادة ووجود لكلمة الاستقلال - قد بعثت فينا آملا حقيقيا ولكن الجنرال دي لاتور المقيم الفرنسي العام في المغرب قد عرقل التطور نحو الانفراج، تعاطفا مع الجانب المعادي لكل تغيير للوضع الحالي من الرأي العام الفرنسي في المغرب".

وصرح علال الفاسي رئيس حزب الاستقلال والأمين العام للحزب أحمد بلافريج عن معارضة حزبهم على ما جاء في الاتفاقيات خاصة على "العلاقات الدائمة القائمة على أساس التداخل بين المغرب وفرنسا"، كما ندد الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي طوال هذه المدة بجميع تلك الاتفاقيات التي كانت تعقد بين البلدين الشقيقين، تونس والمغرب وفرنسا، وينادي بتوحيد الكفاح المسلح في البلدان الثلاثة (المغرب والجزائر وتونس)، حتى جلاء الشامل النهائي لفرنسا عن كامل المغرب الكبير، وبذلك فقط سيتحقق الاستقلال التام للجميع².

¹ - Le Monde, 02-03octobre1955.

² - مولود بلقاسم و نايت قاسم: ردود الفعل داخليا وخارجيا على غرة نوفمبر، المرجع السابق، ص ص 236-237.

وهنا يأتي التفسير لعدة إجراءات، فمن جهة يريد التخفيف بإنهاء المشكلين المغربي و التونسي، ومن جهة أخرى وفي نفسه يقول عنه يريد تمديد التضحيات أي التجنيد للاحتفاظ جزائر في إطار الفرنسي. إي بعبارة واضحة : ينهي المشكلين التونسي والمغربي للتفرغ للجزائر للاحتفاظ بها ويقول ادغار فور في هذا الصدد: " إنه لم يعد الآن في تونس لا إرهاب ولا اضطرابات ولا في المغرب، حيث كان علينا أن نتقي حربا فيتنامية جديدة... أما في الجزائر، فعلى الآن إقامة قواعد لمؤسسات داخل الإطار الفرنسي".

إن الإدارة الفرنسية وتحت تأثير الإخفاقات المتوالية وتعد المشكلة المغربية أقرت تسريع المفاوضات التي افتتحت في (أكس لبيان)، وقد طمأن ادغار فور بوعبيد وبوستة وهو يلتقي مفاوضه قائلا: "... يجب أن ندافع بسبيل أخرى عن مصالح فرنسا ونحن نعرف أنه لا يوجد غيركم في المغرب من نفتح معه حوار في موضوع المستقبل"¹.

وطبقا لجدول أعمال البرلمان، فقد بدأت الحكومة والوالي العام في الجزائر، جاك سوستال، مشاورات جدية معمقة مع الشخصيات الإسلامية الأكثر تمثيلا. وابتداء من يناير أو فبراير ستسمح هذه المشاورات ببلورة طريقة للعمل والبدء في إعداد ميثاق الجزائر داخل الجمهورية الفرنسية².

وبما أن التضامن الشعبي في المغرب الأقصى مع الثورة الجزائرية كان تضامنا غير محدود ، على مختلف الأصعدة، فإن محاولات ضرب ذلك التضامن، وتحييد الشعب المغربي لم تقتصر على الموقف الرسمي الفرنسي المتمثل في الاستجابة لمطالب القوى الوطنية المغربية في الاستقلال، بل امتدت إلى محاولات أخرى كانت لفرنسا يد فيها إلى جانب بعض القوى الاجتماعية³ والسياسية⁴، وهذا الشأن يذكر أحمد توفيق المدني انه بناء على طلب من عبد الحفيظ بوصوف انتقل من مدريد إلى المغرب رفقة الدكتور أمين دباغين يوم 18 فيفري 1956 للاتصال برجال المقاومة وحزب الاستقلال بصفته مسؤول من الجبهة، وممثل رسمي لها لمعالجة ما كان يتلقاه ممثلو الجبهة في المغرب من " معارضة

¹ - مجلة سياسية مغربية، العدد 02 (نوفمبر 1995)، شهادة محمد بوستة ، شؤون مغربية، ص 28.

² - Le Monde. 29 novembre 1955.

³ - نقصد بذلك تحفظات بعض الساسة ورجال المقاومة و الفقهاء في المغرب الأقصى من الطبيعة الاجتماعية للثورة الجزائرية.

⁴ - الحركة المصالية كانت تسعى للإبقاء على هبة مصالي حتى إن اقتضى الأمر معاداة الجبهة.

جهات مسؤولة عليا في المغرب الأقصى "، وخلفيات ذلك أن تلك الجهات كانت ترى انه يوجد خلاف إيديولوجي بين المغرب وقادة جبهة التحرير الوطني وهو ما عبر عنه المهدي بن بركة بقوله: "حول المقاصد وحول الأهداف، وهذا الخلاف يزداد عمقا واتساعا يوما بعد يوم سببه الأساسي، أننا نسمع من الكثير من الجزائريين، بل من بعض مسؤوليهم هنا ما يفيدنا أن الجبهة تسير في طريق شيوعي، وتعمل لفائدة الشيوعية، وان انتصارها إنما هو انتصار للمبادئ الشيوعية الهدامة التي تقوض ديننا، وقوض نظامنا، وتقضي على وحدتنا" ويستترسل توفيق المدني بإسهاب مفرط في ذكر ما أكده لمخاطبيه من المغرب وساسته وفي مقدمتهم بن بركة، من أن الثورة الجزائرية " ثورة إسلامية مطهرة" و"الشعب الجزائري من أعماق شعوب الأرض إيمانا وإسلاما" و"لسنا شيوعيين ولن نكون شيوعيين ولن تتغلغل الشيوعية في صفوفنا، كيفما كان الحال، ومهما تطور الأمر و"أنتم الطبقة المفكرة الواعية في البلاد، وعندكم حزب شيوعي لا يستهان به، ألا تعرفون موقف الحزب الشيوعي منا؟ ألا تعرفون مقاومته لنا؟ ألا تعرفون أن الشيوعيين لم ينضموا إلى الجبهة - ولن ينضموا لها؟ و"أننا نعمل إلا في دائرة الإسلام و العروبة، ووحدة المغرب العربي، وفي سبيل حرية الأمم واستقلالها قاطبة." وبعد أن يذكر التوضيحات التي قدمها بحضور الدباغين الذي أكدها - كما يقول توفيق المدني - أزال كل ريب وأقنعت مستمعيه، مما جعل بن بركة يقول "متأثرا" وأكد لهما أنه لم يبق لنا أي خلاف معكم حول المبادئ والأهداف، وأنا سنخبر كل رفقاتنا بهذا"، بعد ذلك يحدد توفيق المدني المصادر التي أشاعت عن الثورة الجزائرية الطابع الشيوعي بقوله "أجريت بحثا خاصا، فتأكد لي بما لا سبيل للشك معه، أن بعضا من الجزائريين الذين جاؤوا إلى المغرب من أجل الإثراء الخاص أو من أجل الشيخ مصالي، وبعض الذين دستهم فرنسا على الثورة، هم الذين كانوا يشيعون عمدا تلك الشائعات المغرضة، ويتعمدون إشاعتها في الأوساط التي تمس من قريب حزب الاستقلال والمقاومة والقصر، محاولة لإفساد ما بين الثورة و بين تلك الهيئات.¹

ويذكر أنه توج مهمته رفقة الدباغين بمقابلة الملك محمد الخامس بالقصر الملكي، وأكد له بأن "المغرب كله لا فرق بين حاكم ومحكوم، ومشارك لكم في جهادكم إلى نهايته المشرفة. وإن كانت بعض الشكوك سببها تصريحات وأعمال طائشة، قد ساورت أنفس بعض رجالنا، فقد قشعت

¹ - أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج3، المصدر السابق، ص 281.

سحبها بارك الله فيكما " وانتهت المقابلة بوعد من الملك بتقديم الثمن المطلوب لشراء الأسلحة، قائلاً أنه " اشتراكا مني خاصا في الجهاد، وقد بر بوعدته ويذكر توفيق المدني، أيضا أنه بعد لقائه بالملك عاد إلى طنجة يوم 24 فيفري 1956 ليتلقى بعلال الفاسي الذي كان في انتظاره ويقول أنني قلت له بشأن مطلبه باقتطاع جزء من الجزائر لفائدة المغرب " ألا تؤمن بوحدة المغرب العربي؟، فقال: إن تمت وحدة المغرب العربي، فلا مطالب ولا جدال، وإلا فهالك أمور تتم بعد استقلال الجزائر مفاهمة صادقة بين أخوين واعيين"¹.

وجاء في الصفحة الأولى من جريدة لوموند وفي 25 فيفري 1956: "الوضع العسكري في الجزائر يقلق الحكومة الفرنسية" وورد أيضا في الجريدة أيضا: "خلافات جدية بين الموقعين الفرنسي والمغرب"².

فعلا كان الوضع العسكري في الجزائر مقلقا للحكومة الفرنسية، ومن جهة أخرى كان كل من تونس و المغرب يطالبان بإلحاح بالتعجيل بالاعتراف لهما بالاستقلال بجميع مميزاته واختصاصاته... وتضطر فرنسا... وتسلم في المغرب بأقل من أسبوع بعد ذلك، وفي تونس بأقل من شهر، "لتحتفظ بالجزائر داخل الإطار الفرنسي".

وفي 02 مارس 1956، أي بأسبوع فقط بعد ذلك، تعترف فرنسا للمغرب باستعادة استقلاله، بكل مميزاته، من دبلوماسية، دفاع، وأمن...

وبعد ثمانية عشرة يوما من استقلال المغرب، تعترف فرنسا لتونس بنفس الشيء، تحت ضغط و"وإلا أضعنا كل شيء"، كما قال إدغارفور "التي هي لحمنا" وقال في نفس السياق: "...إي بفقدان الجناحين للاحتفاظ بالجدع أو القلب، قلب أن يضطروا إلى يسلموا في هذه الجزائر... حفاظا على وحدة فرنسا وروح جيشها... " كما قال ديغول فيما بعد "...أي تسليما في الفائدة وإلا ضاع رأس المال..."³.

¹ - المصدر نفسه، ص285.

² - Le Monde, 25 février 1956.

³ - مولود بلقاسم ونايت قاسم: ردود الفعل داخليا وخارجيا على غرة نوفمبر، المرجع السابق، ص 141.

إننا إذ نورد هذه الوثائق غايتنا من ذلك التأكيد على أن التجاوب الشعبي المغربي والتونسي مع الثورة الجزائرية كان يمثل سلاحا حاسما في مسار الثورة الجزائرية فأدركت فرنسا ذلك وعملت ما في وسعها لإجهاض ذلك التضامن الذي أصبح وسيلة ضغط على السلطتين الرسميتين في تونس والمغرب اللتين أصبحتا عاجزتين عن التحكم في الموقف الشعبي، مما أضطرهما إلى التجاوب، ولو قسرا، مع مطالب الجبهة وتأييدها دبلوماسيا ودعمها ماديا.

وقد انعكس تصاعد الثورة الجزائرية على الوجود العسكري في القطرين المجاورين مما صعب من محاولة فرنسا الإبقاء على قواعد عسكرية لها في القطرين، فقد كان لاستمرار الثورة الجزائرية أثره المباشرة على التواجد العسكري الفرنسي وأدى إلى الإجلاء التدريجي للقوات الفرنسية من تونس والمغرب.

2 - دور الثورة الجزائرية في استقلال تونس:

أدت تطورات الأحداث في داخل تونس واستمرار وتصاعد الثورة المسلحة في المغرب من عام 1953 واندلاع الثورة الجزائرية في 01 نوفمبر 1954 إلى بداية تغير جدي في سياسة فرنسا الاستعمارية واجتهادها في البحث عن حل عاجل لتونس والمغرب دعت إليه في الواقع أسباب إستراتيجية تتخلص مما يلي:

- 1- القضاء على وحدة الكفاح في البلدان المغربية الثلاث.
- 2- الحيلولة دون تدعيم وتطوير الجبهة المسلحة بين الجزائر و المغرب.
- 3- عزل الثورة الجزائرية التي كان طابعها الشعبي الحاد، يجعلها هي العدو رقم واحد في نظر الاستعمار الفرنسي.

وكان أساس حسابات وتقديرات الاستعمار الفرنسي في هذا المجال، هو أن استقلال تونس والمغرب سيجعل الثورة الجزائرية معزولة وبالتالي سهل القضاء عليها، أو على الأقل يسهل تحريفها عن وجهتها الراديكالية و واستئصال طابعها الشعبي الحاد¹ ومن هنا فقد شعر المقيم العام الفرنسي الجديد

¹ - مجموعة المؤلفين، تاريخ الأقطار العربية المعاصر، ج2، المرجع السابق، ص ص 283- 284.

الجنرال دي لاتور "إن إنهاء القتال أمر ضروري" وصدر بيان مشترك في 16 نوفمبر 1954 وافق عليه بورقيبة الذي كان يشرف على المحادثات ويوجهها من وراء الستار كما وافق عليها بعض أعضاء حزبه مما جاء في المحادثات ضمان سلامة الثوار في حالة تسليمهم لأسلحتهم، واستطاع بورقيبة وبعض أعضاء حزبه إقناع عدد من الثوار بتسليم أسلحتهم والعودة إلى الحياة الاعتيادية تمهيدا لحل القضية التونسية مع فرنسا¹.

أدت تطورات الموقف الداخلي في تونس إلى قيام بورقيبة بالسفر إلى فرنسا، واقترح منح تونس الاستقلال التام أسوة بالمغرب "بدأت فرنسا تعترف فرنسا تعترف باستقلال المغرب منذ 1955" ولقي اقتراحه تجاوبا من قبل الحكومة الفرنسية وذلك لدعم الاتجاه (المعتدل) المتعاون مع فرنسا، وإدراكها أن معارضة ذلك قد تدفع التونسيين إلى الانضمام وراء صالح بن يوسف والتخلي عن بورقيبة بالتالي تهديد مصالح فرنسا الاقتصادية والثقافية والعسكرية في البلاد، إضافة إلى تطورات الثورة الجزائرية وازدياد وطأة على الجيش الفرنسي في هذه الفترة، وهكذا أعلنت حكومة غي موليه التي خلقت حكومة دغارفور عن استقلال تونس بعد أن اشترطت تنظيم العلاقات المشتركة بين تونس وفرنسا في حفل الدفاع والشؤون الخارجية، وجاء ذلك في "معاهدة الاستقلال بقي منقوصا من خلال احتفاظ فرنسا بالكثير من مواقعها الاقتصادية والثقافية والعسكرية (قاعدة بنزرت -رمادة) إضافة إلى ضمانها مصالح المستوطنين غيرها من البنود التي جاءت متطابقة تماما اتفاقية 03 جوان 1955.

وفي الفترة اللاحقة لإعلان الاستقلال عام 1956، حاول بورقيبة أن يعطي وثيقة الاستقلال أهمية كبيرة حيث بدأ بعد فترة من توقيعها إجراء بعض الصيغ العملية كانتخاب الجمعية التأسيسية التي تولى رئاستها ثم أعقبها بمرسوم تم بموجبه تحديد صلاحيات الباي محمد الأمين تمهيدا لإقالته، وتم ذلك في 25 جويلية 1957 وأعلنت الجمعية التأسيسية قيام النظام الجمهور وأصبح بورقيبة رئيسا للجمهورية التونسية، كما واصل جهوده للقضاء على حركة المقاومة المسلحة حتى ثبت أركانها، كما واصل جهوده لإنهاء الوجود العسكري الفرنسي من البلاد لأنه يمثل الاحتلال المباشر ينظر الشعب ويجرد الاستقلال من مضامينه الحقيقية حتى رحل آخر جندي فرنسي من فرنسي من قاعدة

¹ - محمد علي داهش، دراسات في الحركات الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، المرجع السابق، ص 61.

بنزرت مع الحصول الجزائر على استقلالها عام 1962 فيما بقيت المصالح الاقتصادية والثقافية للفرنسيين في البلاد¹.

سببت الثورة الجزائرية للإدارة الفرنسية في هزيمة نفسية حيث لم تستطيع الحكومات المتوالية أن تفي بوعودها التي قطعتها على نفسها بالقضاء عليها بالجزائر، حيث لم يتمكن لا السياسة الفرنسيين، ولا العسكريين من الانتصار عليها، بل حدث العكس، حيث أصبح القضية الجزائرية تطرح في المحافل الدولية ودعت الدول الشقيقة والصديقة إلى ضرورة وضع حد للجريمة الفرنسية المرتكبة في الجزائر، وأمام هذا التطور في الوضع الداخلي للجزائر من جراء ما كان يحدث سياسيا، عسكريا فإن فرنسا لا بد لها أن تجد مبرر لفشلها، فإذا كانت في البداية تتحجج بالدعم المصري للثورة الجزائرية، فقد وجدت في تونس ما يبرر فشلها في الجزائر ولذلك تتعرض تونس إلى تهجمات صحفية وتهديدات ومعنى ذلك أن الثورة الجزائرية ستعكس بضلالها على العلاقات التونسية الفرنسية².

إذا كان تصريح مندريس فرانس أمام الباي في قصر قرطاج بمنح تونس استقلالها الداخلي كان يوم 31 جويلية 1954، فإن المفاوضات لم تبدأ إلا في 04 سبتمبر، بمعدل اجتماع واحد في الأسبوع في باريس بعد افتتاحها في تونس.

وإن مفاوضات وتأجيلات كانت طابع هذه المفاوضات التي كان التباطؤ ميزتها، بل وصاحبها اضطهاد، اعتقالات، وشن غارات جوية، وعمليات عسكرية بمعنى الكلمة، وحملات قمع بوليسية. وإن هذه الظروف قد اضطرت إخواننا في تونس إلى عقد جلسة الوطني للحزب الحر الدستوري التونسي لاتخاذ خطة حازمة لمجابهة الموقف الجديد³.

وقد استعمل لهجة حادة عبر عنها محمد المصمودي وزير الدولة والعضو في الوفد المفاوضات، وصرح في باريس بعد عودته من تونس إثر الاجتماع المذكور: "إذا لم يسمو الوضع فإني أخاف أن

¹ - المرجع السابق، ص 64.

² - بشير سحولي: الثورة الجزائرية و علاقتها بالعالم العربي 1954-1962 (تونس نموذجاً) رسالة ماجستير، جامعة جيلالي اليابس، قسم التاريخ، سيدي بلعباس، السنة الجامعية 2008-2009، ص 156.

³ - مولود بلقاسم و نايت قاسم: ردود الفعل داخليا وخارجيا على غرة نوفمبر، المرجع السابق، ص ص 208-209.

يبقى الفلاحة (المجاهدون) في الجبال وينظم إليهم غيرهم" وهذا ما أكده بورقيبة لجريدة نيويورك تايمس في نفس ظرف حيث صرح قائلاً: "إذا تبادت فرنسا في تشدها في قضية الفلاحة، فإنها ستحول شمال أفريقيا كله على فيتنام جديد".

وذلك أن فرنسا كانت تشترط نزع السلاح قبل الحديث عن (الاستقلال الداخلي)، أي أن تضع الحرب أوزارها، ثم ينظر فيما بعد في شكل وصورة المقابل الذي هو الاستقلال الداخلي... كيف سيكون... ومتى سيكون؟ ولذا فقد كان من حق، بل من واجب الإخوان التونسيين أن يكونوا حذرين، محتاطين لسياسة المراحل.

كما كان هناك خلاف بين الوطنيين التونسيين و الاستعمار الفرنسي حول نهاية المطاف، مما يدل على سوء نوايا الاستعمار. فالتونسيون، وإن قنعوا في ذلك الوقت، حسب التكتيك المعروف وسياسة المراحل المعلن عنها، بالاستقلال الداخلي إلا أنهم كانوا يصرحون في الوقت نفسه بأن الهدف على الأمد المتوسط، أو البعيد نسبياً هو الاستقلال، و إن كان مع الترابط¹.

وصرح الحبيب بورقيبة للجريدة الأمريكية نيويورك تايمس قائلاً: "إن الاستقلال التام هو الهدف التالي للاستقلال الداخلي الذي نتفاوض حالياً بشأنه"، في هذا الصدد يرد رئيس الحكومة الفرنسية مندريس فرانس إن الاستقلال الداخلي ينبغي إن يكون هو الهدف، لا مرحلة لهدف" وهذا ما ورد في تصريح الحزب الديغولي، يجب أن يوافقوا التونسيون على نقطتين:

- نزع سلاح الفلاحة.

- و كون الاستقلال الداخلي هدفا لا مرحلة.

وإذا كان التصريح المشترك التونسي الفرنسي بالنداء إلى (الفلاحة) لوضع السلاح والالتحاق بديارهم كشرط للاستقلال الداخلي، لم يوقع إلا في 23 نوفمبر 1954². لم تقبل فرنسا مع ذلك في النهاية إلا مضطرة، تحت وطأة فاتح نوفمبر، كما تؤكد جريدة لوموند التي كتبت تقول: "إن

¹- المرجع السابق، ص 210.

²- Le Monde, 23 novembre 1954.

فرنسا لم تف بوعودها بالاستقلال الداخلي لتونس، بعد وضع الفلاحة أسلحتهم، إلا تحت ضغط الثوار في الاوارس¹.

إن الاستقلال التام ليس هدفا إلا على الأمد البعيد، والاشترك مع فرنسا، للاستقلال الداخلي، الذي هو موضوع مفاوضات اليوم، ونجد الفرنسيين يهددون ويتوعدون بأن الحل الوحيد هو الاستقلال الداخلي الذي جاء في تصريح منديس فرانس يوم 31 جويلية.

وهذا كان بعد الفاتح نوفمبر مباشرة... لهذا سيغير التونسيين من لهجتهم بقوة، مباشرة بعد انطلاق الكفاح التحرير في الجزائر، تصاعد بمرور الأسابيع والشهور. وأخيراً، وحيث فرنسا كانت مرتبكة ومتخبطة في الجزائر، وخافت أن تفقد الكل، رضخت ووافقت على الاعتراف لتونس باستعادة استقلالها التام، ونسيت، أو تناست، وتحت ضغط هذه الظروف، تهديداتها، ونسيت أو تناست "الاحتفاظ بامتيازات السيادة في كل من تونس و المغرب".

استطاع التونسيون تحقيق استقلال بلادهم، بإجبار السلطات الفرنسية على إجلاء قواتها العسكرية من الأراضي التونسية، وما يفسر ما أقبلت عليه الحكومة الفرنسية من خلال جلوسها على طاولة المفاوضات مع التونسيين، هو الضغط الذي مارسه الثورة الجزائرية على السياسيين الفرنسيين في باريس، والعسكريين في الجزائر².

ذلك أن المفاوضات التي انطلقت في 18 أوت 1954 بين ممثلي تونس والسلطة الفرنسية، كانت في بدايتها تتميز بالمماطلة من الجانب الفرنسي، وأمام تعاضم الثورة الجزائرية واستمرار جيوب المقاومة التونسية الراضية لأوامر تسليم الأسلحة، فقد استجابت فرنسا لمطلب الاستقلال السياسي لتونس، وقد عملت السلطات الفرنسية في محاولة منها لتطويق الثورة الجزائرية، الإسراع بعقد المفاوضات الفرنسية التونسية، وقد توجت المفاوضات باتفاقيات تمنح الاستقلال الذاتي لتونس في 31 جوان 1955³.

¹ - Le Monde, 02 décembre 1954.

² - بشير سحولي، الثورة الجزائرية و علاقاتها بالعالم العربي 1954-1962 (تونس نموذجاً)، المرجع السابق ص 156.

³ - مولود قاسم نايت بلقاسم، دور الفاتح نوفمبر في استرجاع ليبيا لجزائرها المغرب وتونس بل وإفريقيا كلها لحريتها، ضمن ملتقى الثورة الجزائرية وصداها في العالم، الملتقى الدولي الجزائري (24-28-1984)، ص 131.

والواضح أن فرنسا لم تكن قبل 1954 مستعدة للاستجابة لمطالب تونس إلا أن اندلاع الثورة الجزائرية أدرك الاستعمار بطبيعته أن تأمين خروجه بأقل تكاليف ممكنة وخسائر محتملة، ضمانات لمستقبل مصالحه وعلاقاته المنطقة. أن براهن على التناقض القائم بين حركات المقاومة وأجيال المناضلين لاسترجاع العناصر الوطنية الأقل تصلبا وتطرفا في المبادئ والوسائل وجرها نحو مائدة المفاوضات¹.

كما عمدت الحكومة الفرنسية في تونس على تشجيع بورقيبة و أتباعه في الحزب الدستوري الجديد ضد المصالح بن يوسف أتباعه الذين رأوا فيهم فرنسا خطرا عليها، خاصة أنه كان في إستراتيجية اليوسفيين التلاحم مع جيش التحرير الوطني الجزائري، ولقد لجأت السلطات الفرنسية إلى تلك السياسة سعيا منها لتحديد تونس عن النزاع القائم في الشمال إفريقيا من جهة، ومن جهة أخرى لمواجهة الالتفاف المغاربي حل أطروحات جبهة التحرير الوطني التي تجاوب معها الصالح بن يوسف حيث كان هذا الأخير رافضا لمحتوى الاتفاق الفرنسي الذي يمنح الاستقلال لتونس².

ونتيجة للرفض اليوسفي لمحتوى الاتفاق أصبح الثوار اليوسفيون من الحدود مع ليبيا إلى الحدود مع الجزائر في الجنوب يمثلون همزة وصل حيوية لإمداد الثورة الجزائرية حيث كانت الإستراتيجية اليوسفيين عقد ارتباط بجيش التحرير الجزائري لجهة الأوراس والناماشة ووادي سوف عبر جبال مطماطة والحامة وجبال فقصة لتوفير سبل الإمداد لهذا، كان القرار السياسي الفرنسي في تحويل الدولة التونسية إلى دولة مستقلة تخدم الإستراتيجية الفرنسية في المحافظة على مصالحها في تونس وثانيا يضرب خطر التلاحم الثوري في المغرب العربي³.

لقد كانت وطأة الثورة الجزائرية كبيرة على الحكومة الفرنسية حيث دفعتها إلى تركيز قواتها العسكرية في الجزائر مع مواصلة عقد لقاءات واجتماعات مع السلطة التونسية في إطار المفاوضات حول الاستقلال وما يؤكد ذلك ما صح به أدغارفور رئيس الحكومة الفرنسية في 26 نوفمبر 1955

¹ - عامر رخلية: (الثورة الجزائرية و المغرب العربي)، مجلة المصادر ، العدد الأول 1999 ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، ثورة أول نوفمبر 1954، ص 145.

² - المرجع نفسه، ص 144.

³ - بشير سحولي، الثورة الجزائرية و علاقاتها بالعالم العربي 1954-1962 (تونس نموذجاً)، المرجع السابق، ص 158.

لمواجهة المتطرفين الفرنسيين وهذا لتبرير اتفاقياته التي ينوي عقدها مع تونس حتى يتفرغ للجزائر، حيث قال: "... هذا يعني أننا لم نعد محتاجين لتجنيد أعداد كبيرة ولكن رأينا أنه يمكننا الآن أن ننظم هذا بتخفيف هذا التجنيد هذه التضحيات مع التمديد والتواصل في الزمن، وإنه من الأعدل أن نحتفظ بضعة أشهر أكثر في الجيش بالمجندين إجباريا للمرة الأولى حتى نستطيع أن تعيد الذين جندوا من جديد ولكن بصفة غير إجبارية إلى ديارهم... ذلك أنه علينا الآن أن نفعل كل ما نستطيع ليخفف علينا الوضع..."¹.

في السياق نفسه والمتمثل في تركيز فرنسا لقواته العسكرية في الجزائر لإحكام القبضة بها، فقد تساءلت وكالة الإنباء الفرنسية عن جدوى وجود أربعين ألف عسكري فرنسي في تونس، حتمت تعليقها بأن لا شيء يمنع فتح المفاوضات تبقى على الشيء المهم هو قاعدة بنزرت.

لقد كان الثورة الجزائرية عاملا هاما بالنسبة للطرف التونسي في كسب تنازلات من طرف الحكومة الفرنسية أثناء المفاوضات ولعل ما يدل على ذلك هو التصريح الذي أدلى به محمد المصمود عند عودته من باريس إلى تونس على إثر المجلس الذي عقده المجلس الوطني للحزب الدستوري التونسي، حيث قال: "إذا لم يسو الوضع فإني أخاف أن يبقى الفلاحة في الجبال وينظم إليهم غيرهم..."

وما يدل بصورة واضحة أسلوب التهذئة التي اعتمده التونسيون مع الحكومة الفرنسية لكسب تنازلات، هو استعمالهم للأحداث المندلعة في الجزائر في تصريحاتهم ولو بصورة ضمنية وهذا ما يمكن أن نستشفه من خلال تصريح الذي أدلى به الحبيب بورقيبة في نيويورك تايمز، حيث قال: "إذا تمادت فرنسا في تشدها في قضية الفلاحة فإنها ستحول شمال إفريقيا كله إلى فيتنام جديد".²

كما كانت الثورة الجزائرية كذلك بالنسبة للحكومة الفرنسية سبب في منح الاستقلال لتونس، والتعجيل بإمضاء بروتوكول 20 مارس 1956 وكان ذلك محاولة منها للتفرغ للأحداث الحاصلة في يظهر هذا التوجه الفرنسي في تونس من خلال التصريح الذي أدلى به آلان سفاري كاتب الدولة

¹ - مولود بلقاسم و نايت قاسم: ردود الفعل داخليا وخارجيا على غرة نوفمبر، المرجع السابق، ص 152.

² - مولود بلقاسم و نايت قاسم، دور الفاتح نوفمبر في استرجاع ليبيا لفزانها المغرب وتونس بل وإفريقيا كلها لحريتها، المرجع السابق، ص 132.

الفرنسي للشؤون المغربية والتونسية في البرلمان الفرنسي حيث قال: " لو كان في ظروف طبيعية لا تشترط التفصيل وتوضيح في ذلك التداخل مع المغرب وتونس قبل الاعتراف بهما بالاستقلال... " واصل آلان سفاري تصريحه قائلاً: "ولكن وفي الظروف السائدة لو تشددنا لفقدنا كل شيء ولا تستقل المغرب وتونس بدوننا... ولهذا فالحكومة اختارت الاعتراف باستقلال تونس " وقال أيضا: "والآن أتساءل أين كانت ستؤدي بنا أية سياسية أخرى غير هذه في البلدين كيف ستكون عواقب صراع شامل؟ ولذا فسياستنا هذه هي الوحيدة والممكنة"¹.

3- دور الثورة الجزائرية في استقلال إقليم فزان:

لقد استفادت ليبيا كغيره من البلدان الشقيقة (المغرب وتونس) من نضال الشعب الجزائري، ثم إن تلك الاستفادة عادت بالخير على الجزائر مباشرة في كفاحها، أننا استفدنا من استفادة إخواننا منا. ولا يمكن أن نغفل عن الحقيقة التاريخية، وهي كل من فرنسا والمغرب، وبل إفريقيا الفرنسية كلها قد استفادة من هذه الثورة المجيدة.

فرنسا بدأت التخفيف من قبضتها - على الأقل على مستوى الوعود- لطمأنة هذه البلدان، أو محاولة تحذيرها، حتى تنفرغ للجزائر كلية. قد استغلت البلدان الشقيقة هذا الظرف العصيب الذي تمر به فرنسا في الجزائر، جوهره ممتلكاتها وعاصمتها الثانية أو لحمها ودمها وعظمها، كما قال إدغار فور، لانتزاع أكثر ما تستطيع انتزاعه واسترجاعه منها، وعد إضاعة هذه الفرصة، إذ كانت نوايا الاستعمار الفرنسي الصريحة المعلن عنها والمستتجة، ترك الأمور على ما كانت عليه في المنطقة كلها، مع تغييرات شكلية طفيفة في تونس والمغرب فقد كان كل المشكل بالنسبة لفرنسا، كيف تحذر إخواننا التونسيين والمغاربة، لتمنع تضامنهم مع الجزائر، ولتنفرغ للجزائريين، ثم تعود، فيما بعد، وتسترجع على الكل وبما يستحقونه، وتكون قد احتفظت لنفسها في تونس والمغرب بكل الامتيازات وأوتاد السيادة، بفضل ذلك "الاستقلال الداخلي" في تونس، و"الاستقلال المتداخل أو المترابط" في المغرب، وكأن لم يتغير من الأمر شيء، لتستأنف السيطرة المباشرة على الكل، لأمد يعلم الله كم سيدوم، قد تفتنت البلدان الشقيقة إلى ذلك عن طريق الوعي والحذر والاحتياط والعمل،

¹ - بشير سحولي، الثورة الجزائرية وعلاقتها بالعالم العربي 1954-1962 (تونس نموذجاً)، المرجع السابق، ص 159.

وأرشد شعوبها إلى الالتفاف والتكاتف، والتضامن حول قادتها بينها جميعا، حتى تحقيق الهدف المشترك¹.

فليبيا مثلا قد استطاعت أن تلح وتعجل بإخراج فرنسا من إقليم فزان، وتستكمل استقلالها، بفضل انشغال فرنسا في الجزائر، و تركيزها جهودها كلها عليها، اضطرارها إلى محاولة كسب أصدقاء، أو على أقل عدم توسيع الجبهة على نفسها.

هكذا استردت ليبيا الشقيقة فزانها، ووجدت فيه الجزائر خزائنها، واستكملت ليبيا بذلك استقلالها، ومنعت عن فرنسا استغلالها، واحتفلت ليبيا بذلك وقاسمناها أفراحها، كانت فرحتنا فرحتين، فالأولى حصوله على الاستقلال والثانية استعمالها كمنفذ لتمير الأسلحة².

لقد بدأت المفاوضات بين ليبيا وفرنسا منذ غداة إنشاء المملكة الليبية يوم 24 ديسمبر 1951، كما لاحظت ذلك الجريدة الفرنسية لوموند، بناء على مطالبة ليبيا بالجلء عن فزان³، لكن فرنسا ظلت تماطل، وتؤجل، وتتباطأ، وتراوغ، وتجري المفاوضات طوال ما يقرب من أربع سنوات، ولم تقبل الجلوس حول مائدة التوقيع إلا يوم 10 أوت 1955، حيث تم التوقيع فعلا، وانتهى الأمر.

ولولا الفاتح نوفمبر لمضت فرنسا في مماطلتها، وجر ذيوها كبيرا، لاستمرت الأحوال على ذلك المنوال وبدليل تأخر البرلمان فرنسا على المعاهدة حتى يوم 22 نوفمبر 1956، يبدو أن توقيع هذه المعاهدة كان لها وقع على السلطات الفرنسية معبرة عن مرارتها وخاصة في جريدة لوموند معبرة بأقوى العبارات ضد ليبيا " فولا ضغط الثورة الجزائرية لن نبرح فزان أبدا"⁴.

¹- مولود بلقاسم و نايت قاسم :ردود الفعل داخليا وخارجيا على غرة نوفمبر، المرجع السابق ، ص ص 205-206.

²- إذا كانت منطقة الفران تمثل رثة كنا تنفس بها، فمنها يتسرب السلاح و العناد إلى جنوب الجزائر وشرقها ووسطها.

³- Le Monde, 12 aout 1955.

⁴ - إن أهمية فزان في نظر فرنسا مثل أهمية الجزائر تتناسب عكسيا وهذا ما عبر عنه ديغول في مذكراته حين قال: " حريصا كل الحرص على الاستيلاء على فزان، وفرحا فيما بعد كل الفرح بالسيطرة عليه، لأنه يضع بين لأيدينا ضمانا و رهينة لتسوية مصير ليبيا فيما بعد... " أنظر إلى مولود بلقاسم و نايت قاسم :ردود الفعل داخليا وخارجيا على غرة نوفمبر، المرجع السابق ، ص 206.

4- دور الثورة الجزائرية في استقلال موريتانيا:

منذ منتصف الخمسينات تطور الكفاح الوطني السياسي في موريتاني على صعيد الأفكار والتنظيمات وتحديد الأهداف الوطنية بشكل أعمق ذلك على نضوج الوعي الوطني والسياسي لدى الشعب الموريتاني، وكان ذلك بظهور أحزاب ومنظمات جديد، وقد كان للعوامل الداخلية (السياسة الفرنسية) والخارجية (المغربية- العربية) أثرها الكبير في ذلك. فقد شهدت أقطار المغرب العربي تصعيد في الكفاح الوطني السياسي والعسكري منذ بداية الخمسينات، حيث تصاعدت عمليات الكفاح المسلح في تونس 1952، والمغرب 1953 والجزائر، كما بدأت أصداء الثورة المصرية التي قادها جمال عبد الناصر تصل إلى موريتانيا، كل ذلك ترك تأثيره على بعض القوى السياسية أواخر الخمسينات .

وظهرت في المغرب بعد الاستقلال مطالب تجاه موريتانيا، ولقيت هذه المطالب الاستجابة من قبل البعض من أبناء موريتانيا، كانت هذه الاستجابة الأرضية الاجتماعية التي ظهر من خلال (حزب النهضة) في نهاية الخمسينات، وقد تعرض، دعاة الوحدة مع المغرب إلى موجة من الاعتقال والنفي على أيدي السلطات الفرنسية، وشهدت البلاد كما كان عليه الحال في الجزائر تصاعدا في عمليات الكفاح الشعبي المسلح أن قامت السلطات الفرنسية بالطائرات لسحق المقاومة الوطنية، كما دمرت القرى والمساكن، وراح ضحية هذا العمل العدواني المئات من الوطنين¹.

قاد تصاعدت عمليات الكفاح المسلح في الجزائر ولجوء فرنسا إلى التفاوض مع تونس المغرب ومنحها الاستقلال للتفرغ للثورة الجزائرية و مطالبة حركات التحرر الإفريقية في حق تقرير المصير، إلى بروز ثلاثة مشاريع لحل قضية موريتانيا:

¹-محمد علي داهش، دراسات في الحركات الوطنية و الاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، المرجع السابق، ص ص من 64 - 72.

الأول: مشروع الانضمام إلى المغرب والذي دعت إليه حكومة المغرب و بعض القادة الموريتاني أحمد بن حرمة بن بيان.

الثاني: مشروع الفرنسي الذي سمي (المشروع الإقليمي للصحراء والذي حاولت فرنسا من خلاله اقتطاع أجزاء واسعة من الصحراء الجزائرية (خاصة بعد اكتشاف البترول والغاز فيها)، وربطها مع موريتانيا ضمن هذا المشروع تحت مظلة فرنسية وقد تم رفض المشروع من قبل القوى الوطنية في الجزائر و موريتانيا.

الثالث: مشروع الفيدرالية بين السنغال ومالي وموريتانيا¹.

بدأت فرنسا تبحث عن صيغ جديدة لحل قضية موريتانيا بما يضمن بقاء مصالحها و نفوذها في البلاد، فطرح في جوان 1956 دستورا جديد سمي (القانون طارئ) فعهد حكومة غي موليه الاشتراكية (1957-1959)، تضمن القانون إعادة تنظيم الإدارة الاستعمارية فما وراء البحار وفق أسس تضمن المصالح الفرنسية وثلاث المستجندات المحلية والعربية والدولية، وقد نص القانون على إجراء الانتخابات في المستعمرات الفرنسية تشكيل (الجمعية الوطنية) لكل مستعمرة على أساس الاقتراع العام، كما نص على تأسيس مجلس تنفيذي يتولى الإدارة الحكومة في المستعمرة و وعد القانون -دستور- بزيادة استخدام سكان المستعمرات في الوظائف الحكومية، استغلت القوى الوطنية الموريتانية هذا القانون -الدستور- لاتصال المرشح الوطني و تأكيد المطالب والأهداف الوطنية، وعليه فقد جرت الانتخابات في البلاد وتأسيس (الجمعية الإقليمية الموريتاني في مارس 1957 ثم تشكلت حكومة موريتانية في شهر ماي وعين الحامي المختار ولد دادة² نائبا لرئيسها، وتولى المختار ولد دادة قيادة المفاوضات بشأن الاستقلال الداخلي وقد نجح الوفد الموريتاني في تحقيقي ذلك، فظهر الكيان السياسي لموريتانيا باسم (الجمهورية الموريتانية الإسلامية) في جوان 1957 ن تألفت أول

¹ - المرجع السابق، ص 81.

² - المختار ولد دادة (1924-2003): أحد أبرز الشخصيات الحديثة، ناضل من أجل استقلال موريتانيا، تقلد منصب رئيس الجمهورية وجد نفسه في خضم صراع الصحراء الغربية، في الوقت التي تابعت سنوات الجفاف والعجاف على موريتانيا، وأثرت حرب الصحراء عليها، فأدت هذه العوامل إلى الإطاحة به من قبل الجيش الموريتاني في انقلاب عسكري.

حكومة وطنية برئاسة **المختار ولد دادة**، خطت الحكومة الموريتانية خطوة أخرى للتعبير عن الذات الوطنية عندما تم اتخاذ (نواكشوط) عاصمة البلاد، بدلا من العاصمة الإدارية السنغالية (سان لويس). ومنذ بداية الستينيات بدأ مبدأ (الاستقلال التام) يعد مطلباً حزبياً وشعبياً من قبل أكبر الأحزاب السياسية والجماهير الشعبية، واضح أحد مقررات (المجلس الوطني) الموريتاني مارس 1960، وكان ذلك تحت تأثير القوى الشعبية التي خرجت بمظاهرات ضخمة في العاصمة وبقية المدن هاتفة سقوط الاستعمار وأعدائه، وقد انعكس الموقف الشعبي بشكل أكثر عمقا على مواقف القوى السياسية التي تمسكت بمبدأ الاستقلال التام في الذكرى السادسة لانطلاق الثورة الجزائرية في أول نوفمبر، حيث عبر ممثلو الأحزاب الوطنية والهيئات السياسية عن استنكارهم للإعمال الوحشية التي ترتكبها القوات الفرنسية بحق الشعب الموريتاني والجزائري ساد بعد ذلك موجة من عمليات الكفاح المسلح ضد القوات الفرنسية وعملائها في البلاد، وكان لهذا النشاط الوطني الحزبي والشعبي رد فعل من قبل السلطات الفرنسية، حيث قامت بعمليات الملاحقة والاعتقال لزعماء الحركة الوطنية، واتبعت أسلوب القرصنة الجوية والبحرية والبرية ضدهم، كان العنف الغضب الموريتاني أثره في قيام السلطات الفرنسية بطلب المعونات العسكرية من باريس .

وفرض الموقف الشعبي والحزبي على المؤسسة السياسية الحكمة ضرورة التمسك بفكرة الاستقلال الكامل عن فرنسا، واعتبرتها مسألة لا رجعة فيها.

قضى الاتفاق الموريتاني بنقل السلطات في البلاد إلى الموريتانيين، وتصاعد الموقف الشعبي أثر الاحتفال بالذكرى السادسة للثورة الجزائرية في الأول نوفمبر، فقد عجلت الأحداث الوطنية والمواقف العربية في قيام الحكومة الفرنسية بإعلان الاستقلال لجمهورية موريتانيا الإسلامية نوفمبر 1960. وأصبحت جمهورية مستقلة ذات سيادة برئاسة **المختار ولد دادة**، وأصبحت موريتانيا جزءاً من دوائر ثلاث، هي الدائرة العربية والإسلامية والإفريقية، ثم بدأت تطورات جديدة في العامل السياسي في مرحلة ما بعد الاستقلال مباشرة¹.

¹ - المرجع السابق، ص ص 87 - 88.

ثالثا: دور الثورة الجزائرية في استقلال و ميلاد الجمهوريات إفريقية:

إن الاستعمار ينكمش وينحسر عن إفريقيا بسرعة هي إضعاف مضاعفة للسرعة التي انتشر بها فوق هذه القارة في الماضي، و إذا كان الاستعمار الغربي قد وطد سلطانه على إفريقيا بقوة السلاح فإن قوة السلاح نفسها هي التي تطرده الآن من إفريقيا وإن نظريات (الكفاح السلمي) ضد الاستعمار و التحرر بواسطة (اللاعنف) قد كذبتها تجربة السنوات الأخيرة في إفريقيا تكذبا قاطعا حاسما، أن الذين رفعوا هذه الشعارات الزائفة واستدلوا على صحتها بحصول هذا العدد الكبير من الأفطار الإفريقية على استقلالها (بدون عنف) إنما يجهلون أو يتجاهلون حقيقة كبرى أصبح أبسط إنسان في إفريقيا يعرفها معرفة تامة وهي أن حركة التحرر الإفريقي حركة واحدة متبادلة التأثير متفاعلة الأحداث.

1- دور الثورة الجزائرية في استقلال بعض الدول الإفريقية:

وإن ما جرى في جزء معين منها يؤثر تأثيرا حاسما على تطور الحوادث في بقية الأجزاء، وهذه الحقيقة تقابلها حقيقة أخرى وهي أن الاستعمار الغربي هو أيضا كتلة واحدة وبناء مترابط وأي صدع يصيب أحد أركانه تتداعى له الأركان الأخرى بالسقوط والانحيار¹.

وقد اعترف كثير من الذين كانوا بالأمس يرفعون شعارات (الكفاح السلمي) ضد الاستعمار بأن الكفاح البطولي الذي يخوضه الشعب الجزائري منذ ست سنوات ضد الاستعمار الفرنسي كان له ابلغ الأثر على انهيار النظام الاستعماري في إفريقيا، ويكفي أن ينظر الإنسان نظرة بسيطة إلى تطور

¹ - المجاهد: العدد 80، (01 نوفمبر 1960)، ص 4.

السياسة الفرنسية نحو الأقطار الإفريقية التي كانت خاضعة للاستعمار الفرنسي ليدرك الدور الهام الحاسم الذي لعبته الثورة الجزائرية في تحرير هذه الأقطار والتعجيل باستقلالها.

إن الاستعمار الفرنسي الذي رمى بكل قوته العسكرية والاقتصادية في حرب الذي ينفق ثلاث مليارات يوميا في هذه الحرب ويجسد لها في كل عام مئات الآلاف من الشبان الفرنسيين ويضطر إلى استعمال قوة الحلف الأطلسي وأمواله وعتاده الحربي ونفوذه السياسي والدبلوماسي لمواجهة الثورة الجزائرية، ويعلم كل العلم أنه إذا عجزت كل قواه وأقصى مجهوداته وحلفائه عن القضاء على الثورة الجزائرية وحدها فكيف يكون الأمر إذا واجه ثورة عارمة تنتشر على الصعيد الإفريقي عامة؟

أن أصوات الساسة الفرنسيين ارتفعت منذ 1956 مطالبة ببذل المستحيل لمنع هذا الخطر الداهم الذي يهدد الاستعمار الفرنسي كله بالانهيار التام إذا اتسعت رقعة الكفاح المسلح في أرجاء القارة الإفريقية ولم تبق محصورة في الجزائر فقط، وقد بذلت لتوقي هذا الخطر مشاريع موائية بذل فيها الاستعمار الفرنسي أقصى ما لديه من جهد وخبرة ومهارة ليقدمها للأقطار الإفريقية في شكل خلاب ويحجب عنها في نفس الوقت الأسباب الحقيقية التي أدت به إلى التخفيف من سيطرته والتنازل عن امتيازاته مرة بعد أخرى¹.

إن (القانون الإطار) الذي أصدرته الحكومة الفرنسية سنة 1957 ومنحت بموجبه للأقطار الإفريقية نوعا من الحكم الذاتي، كان المحاولة الفرنسية الأولى لإضعاف موجة الحركة الوطنية الإفريقية بإبعادها عن الطريق الثوري الصحيح وإغراقها في رمال المساومات الجوفاء والحلول الجزئية التي تفتح لبعض الزعماء والإطارات وأبواب الحكم والإدارة فتلهيهم بها عن ميادين الكفاح وتقصيههم عن الجماهير الشعب التي يفتر حماسها إزاء هذا التطور الجديد،

إن الاستعمار أرد ربح الوقت ريثما يستطيع القضاء على الثورة الجزائرية فينقل قواته إلى بقية الأقطار الإفريقية ويعيد بناء هيكله المتداعي وتدعيم سيطرته المتهالكة، غير أن الكفاح المسلح للشعب الجزائري ازداد قوة واتساعا واجبر الاستعمار على مضاعفة قوته العسكرية في الجزائر وهي تتطلب نفقات جديدة متزايد في كل يوم ومجهودات اقتصادية و دبلوماسية جديدة .

¹ - المصدر السابق، ص 4.

وهكذا وجد الاستعمار الفرنسي نفسه مشلولاً عن التحرك في أي مكان آخر لان قوته كلها مجنحة في الجزائر وأصبح مضطراً إلى أحد أمرين في بقية مستعمراته بإفريقيا فإما يمضى في تنازلاته أمام الحركة الوطنية بدون توقف وأن يستجيب لكل مطالبها مهما كانت عسيرة مؤملة بالنسبة إليه وإما أن يواجه ثورات جديدة لا قبل له بمواجهتها لان كل ما يستطيع حشده وتجنيد من أموال ورجال وسلاح قد ألقى بثقله في الجزائر دون جدوى. ولتصور القارئ ثورات مسلحة ضد الاستعمار الفرنسي في (غينيا والسودان وموريتانيا والسنغال والداهومي وساحل العاج والنيجر والتشاد والغابون والكونغو وإفريقيا الوسطى ومدغشقر وغيرها) من المستعمرات الفرنسية في الوقت الذي توجد كل طائرات فرنسا ودباباتها ومدافعها و جنودها في الجزائر¹.

فماذا يكون موقف الاستعمار الفرنسي؟ أن مليون جندي فرنسي عجزوا عن مواجهة الثورة الجزائرية فكم من مليون جندي فرنسي يجب تجنيدهم لمواجهة الثورة المسلحة في هذه البلاد الشاسعة التي تمتد على ملايين الكيلومترات، ثم كم يلزم لهؤلاء الجنود من طائرات ودبابات ومدافع وكل ما تملكه فرنسا منها محصور في الجزائر لو تركها لحظة واحدة لكان معنى ذلك نهاية الاستعمار الفرنسي فيها.

لقد أدرك الاستعمار الفرنسي هذه الحقيقة الساطعة واستخلص منها النتائج التي فرضت عليه أن يتحلى بالتدرج عن مستعمراته في إفريقيا لأنه لم يبق أمامه أي حل آخر وهذه الحقيقة هي التي تلقي الضوء الكامل على الأسباب الحقيقية لتطور سياسة الاستعمار الفرنسي في إفريقيا من عهد (القانون الإطاري) في سنة 1957 إلى منح هذه الأقطار استقلالها الداخلي في إطار المجموعة المقيدة في سنة 1958 إلى منحها سيادتها الوطنية والدولية واستقلالها السياسي في سنة 1960.

وبعبارة أخرى فإن الاستعمار الفرنسي لكي يتجنب هزيمة عسكرية ما حقه وسريعة في الجزائر قد اضطر إلى التخلي عن كامل إمبراطوريته الإفريقية السابقة، وباتخاذ الإمبراطورية الفرنسية فتحت أكبر ثغرة في النظام الاستعماري العالمي الذي تصدع ركنه الرئيسي وبدا بلفظ أنفاسه الأخيرة.

¹ - المصدر السابق، ص 4.

وهكذا تتحمل الثورة الجزائرية شرف هذه الرسالة التاريخية الكبرى رسالة تحرير القارة الإفريقية وتخطيط النظام الاستعماري العالمي ويكون شهداء الحرية في الجزائر هم الشهداء حرية إفريقيا وحرية الإنسانية جمعاء، إن هؤلاء الشهداء الذين يسقطون كل يوم في ميدان الشرف ويكتبون بدمائهم حرية إفريقيا لا يؤلمهم شيء بقدر ما يؤلمهم أن يسقطوا برصاص إخوانهم الأفارقة أنفسهم.

إن الشعب الجزائري الذي قدم أعلى التضحيات في سبيل القارة الإفريقية له كل الحق أن يطالب الحكومات الإفريقية المستقلة والتي ما تزال داخل ما يدعي بالمجموعة أن تستجيب لدعوى التضامن الإفريقي أو على الأقل لدعوى الكرامة والشهامة والعرفان الجميل وأن تسحب جنودها الذين يجارون الشعب الجزائري وهو السبب الأول والعامل الحاسم في حرية بلادهم نفسها، ومن حق الشعب الجزائري أن يطالب هذه الحكومات الإفريقية بأن تكون منسجمة مع نفسها ومع إرادة شعوبها وبكل بساطة مع المنطق السليم الذي لا يقبل منها أن تعزز بحصولها على الاستقلال السياسي وتنادي بحرية إفريقيا وتضامننا ثم تقف من استقلال قطر إفريقي آخر هو الجزائر موقف الغموض و الميوعة أن نقل أكثر من ذلك¹.

وفي إفريقيا المستعمرة الفرنسية أو (الممتلكات الفرنسية في إفريقيا)، كما كانوا يقولون، نجد أيضا أن الكفاح الجزائري لم يكن غريبا عن تأثير في مصيرها والمساهمة في التعجيل حقا باستقلالها.

وقد صرح إدغار فور رئيس الحكومة الفرنسية في أواخر سنة 1955، عن انطلاق الثورة الجزائرية: "علينا أن نكسب التسابق مع الزمن، وأن مشاكل إفريقيا السوداء ستطرح وتفرض نفسها علينا تماما مثل مشاكل شمال إفريقيا" وفي نفس السياق صرح ديغول وهو يشرح سياسته ما بين (1958-1962): "وهكذا أخذت أراضي أفريقيا الفرنسية تنتظم وتكون دولا حسب طرق ديمقراطية" وأضاف: "وتحولت مستعمراتنا السابقة في القارة السمراء وكذلك جزيرة مدغشقر إلى جمهوريات بمساعدتنا، لأنني قدرت كم ثورة قد تقوم في ممتلكاتنا السابقة إذا ما رفضنا لها ما هو عدل وإنصاف، من جهة لا مفر منه، بل سيكون واقعا محتوما من جهة أخرى، في تيار الحقائق النفسية السياسية (الحرب المتواصلة مع الجزائر)...".

¹ - المصدر السابق، ص 4.

ويضيف قائلاً: "ولهذا قررت أن أحرر فرنسا من التكاليف الباهظة والخسارات المرهقة الآخذة في الازدياد ما لم أخلص فرنسا منها"¹.

رغم تجنيد فرنسا لكافة إمكانياتها العسكرية والاقتصادية وبمساعدة الحلف الأطلسي لقمع الثورة الجزائرية خشية امتدادها إلى سائر أنحاء الأقطار المستعمرة من القارة الإفريقية، فإن التيار الثوري كان أقوى من كافة الحواجز الاستعمارية، بل استطاعت من تفجير ذلك اللغم الثوري نسفت الوجود الاستعماري في إفريقيا، وبالتالي اندلعت عدة ثورات تحررية القارة منها الكامرون ضد فرنسيين سنة 1955 ضد الانجليز سنة 1957².

وعلى صعيد آخر كان نجاح ثورة نوفمبر وصمودها أمام آلة الدمار الفرنسية ثم نقل الثورة فكانت الحركات الإفريقية تبحث عن طريق دائم للاتصال بالثورة الجزائرية والتصدي لبعض الأطروحات الفرنسية وهذا ما أسرع في تصفية الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية في إفريقيا. مما لاشك فيه أن نجاح ثورة نوفمبر كان عاملاً أساسياً في تصفية الاستعمار الفرنسي في إفريقيا وهذا لأن المغاربة كانوا ينظرون إلى الاستعمار الاستيطاني في الجزائر على أنه أشنع أنواع الاستعمار وأكثرها شراسة في مقاومة الحركات الوطنية والتحررية.

فحاولت فرنسا عزل الثورة الجزائرية على البلدان إفريقيا بالأساليب التالية:

- 1- محاولة خلق أحداث مفتعلة بين الثورة الجزائرية وبعض البلدان الإفريقية لخلق جو من العداء.
- 2- تعيين بعض الأفارقة في الوفد الفرنسي إلى الأمم المتحدة ليدافع عن الموقف الفرنسي من القضية الجزائرية.
- 3- إغراء الزعماء الأفارقة بالمناصب العلية في الحكومة الفرنسية.
- 4- إشغال الأفارقة بمشروع القانون الإطار (Le cadre).

¹ - مولود بلقاسم ونايت قاسم: ردود الفعل داخليا وخارجيا على غرة نوفمبر، المرجع السابق، ص ص 247 - 248.

² - محمد بلعباس: الوجيز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 264.

أن هذه المناورات باءت بالفشل فعندما وصل **ديغول** إلى السلطة في أول جوان 1958 حاول ضمن استقرار الأوضاع في المستعمرات الإفريقية حتى تستطيع فرنسا توجيه جهودها إلى الجزائر¹، فطرح مشروع دستور جديد يسمى (الجماعة الفرنسية) وبمقتضاه يقوم اتحاد فيدرالي بين فرنسا ودول إفريقيا يخضع للولاء الفرنسي أي الاختيار بين الاستقلال الداخلي مرتبط بفرنسا وبين الانفصال عنها سيحرم من أشكال المساعدة.

وكمحاولة لتحدي الثورة الجزائرية والتفرغ لمواجهتها، التفت إلى المشاكل المستعمرات الأخرى في إفريقيا، وكانت شعوب المستعمرات قبل اندلاع الثورة الجزائرية شبه نائمة ومستكينة لسبات الغفلة والتخلف، فأيقظتها هذه الثورة، وتساءلت عما يجري في شمال قارتها وتحسست الأمور، وعندما علمت بالحقيقة وبخطورة نومها هي وغفلتها، ورأت أن تستغل الفرصة وتستفيد من الوضع الجديد.

قامت الجزائر بفضح هذه المناورة، وأمام هذا التضامن الإفريقي اضطرت أن تعترف باستقلال عدد كبير من المستعمرات للانفراد والتفرغ للثورة الجزائرية². فنالت عام 1960 (14) دولة استقلالها وهي³:

1. الكامرون 01 جانفي 1960.
2. مدغشقر 24 جوان 1960.
3. الزاير 30 جوان 1960.
4. الصومال 04 جويلية 1960.
5. البنين 01 أوت 1960.
6. النيجر 03 أوت 1960.
7. إفريقيا الوسطى 03 أوت 1960.

¹ - اتحاد فيدرالي بين فرنسا ودول إفريقيا: هو عبارة عن اتحاد المستعمرات الفرنسية في إفريقيا، وكان شرط قبول الدولة التي ترضى بالانضمام إلى الجماعة، أن تقبل المستشارين الفرنسيين، وتقبل عضويتها في سوق الأوروبية المشتركة. أنظر إلى أحمد إسماعيل راشد، دول المغرب العربي، (ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب - موريتانيا)، المرجع السابق، ص 250.

² - TILLON (Germaine) : L'Afrique bascule vers l'avenir. L'Algérie en 1957 et autres textes, Paris, 1961, 125p

³ - محمد بلعباس: الوجيز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 264.

8. كوت ديفوار 07 أوت 1960.
9. الكونغو 15 أوت 1960.
10. فولتا العليا 15 أوت 1960.
11. الغابون 17 أوت 1960.
12. السنغال 20 أوت 1960.
13. تشاد 11 أوت 1960.
14. موريتانيا 28 نوفمبر 1960.

بل قضت على الظاهرة الاستعمارية القديمة وحررت 40 دولة في إفريقيا¹.

فيقول فرانس فانون في هذا الإطار: "لقد أصبح من البديهي اليوم التسليم بأن الدول التي تتمتع باستقلالها منذ 1958 لم تكن لتحصل على استقلالها لو أن الاستعمار الفرنسي لم يتلق الضربات العديدة والقوة التي وجهها له الشعب الجزائري". ولم تدفع الثورة الجزائرية فرنسا إلى منح الاستقلال لبعض الدول الإفريقية فقط بل زادت هذه الثورة الشعوب الإفريقية المناضلة وعيا و أعطتها دفعة جديدة. ويقول في هذا المجال: "إن الملاحظ لا يستطيع أن يفهم تطور العلاقات بين المستعمرات وسيطرة الفرنسي إن لن يستحضر باستمرار كفاح الشعب الجزائري".

ويقول الزعيم المغربي المهدي بن بركة: "يجب أن لا ننسى مطلقا أن الشعب الجزائري الذي لا يزال يكافح من أجل استقلاله هو الذي أعطى إشارة المسيرة من أجل تحرير إفريقيا الفرنسية... إن الثورة الجزائرية هي بالتأكيد التي دقت ناقوس الخطر على الملاح الفرنسية في إفريقيا..."

أما الزعيم ثورة غينيا بيسا و جزر الرأس الأخضر لويس كابرال قال: "إذا كانت مكة قبلة المسلمين وروما قبلة المسيحيين فإن الجزائر قبلة الثوار"².

¹ - محمد بلعباس: الوجيز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 265.

² - المرجع نفسه، ص 266.

لقد وجدت حركات الاستقلال والتحرر الإفريقية في الثورة الجزائرية نموذجا ليس فقط في إخراج استعمار تقليدي بل كذلك نموذجا لمواجهة استعمار استيطاني خاصة في أنغولا، الموزمبيق، زمبابوي (روديسيا سابقا) أين تواجد المستوطنون بكثافة وبهدف البقاء الدائم . كانت كذلك دافعا قويا لبقية حركات الاستقلال لعدم المساومة مع المستعمر مثل ما حدث في غينيا¹، الكونغو (ثم الزاير والكونغو حاليا)، غانا ومالي. كما كان للثورة الجزائرية أول دولة إفريقية ترفض عمليا وتحارب هذا المشروع. وفي الأخير لا يمكن إبعاد تأثير الثورة الجزائرية تخوف الدول الاستعمارية من امتدادها لبقية المستعمرات وبالتالي الإسراع في التفاوض لاستقلال 16 دولة إفريقية في سنة 1960 وحدها².

2- ميلاد جمهوريات إفريقية بفضل الثورة الجزائرية :

شهد العام 1960 حصول 17 دولة أفريقية من دول جنوب الصحراء على استقلالها. ومن بين هذه الدول السبع عشرة خضعت أربع عشرة منها للاستعمار الفرنسي. إن حصول هذا العدد الكبير من الدول الإفريقية على استقلالها في العام 1960 لم يكن وليد المصادفة بل جاء محصلة لعملية طويلة بدأت أحداثها ومجرياتهما بنهاية الحرب العالمية الثانية؛ فبعد انتهاء الحرب وانتصار الحلفاء على ألمانيا النازية ودول المحور، قام زعماء الدول الأفريقية الطامحة إلى الاستقلال بالضغط على الدول المستعمرة مطالبة إياها الوفاء بالتزاماتها ووعودها التي سبق لها وأعلنتها خلال الحرب العالمية الثانية والتمثلة في إعطاءها حق تقرير المصير عند نهاية الحرب خاصة وأن الدول الأفريقية قدمت الكثير من المساعدات للدول المستعمرة خلال الحرب مما مكنها من الانتصار على ألمانيا النازية وقد لعبت الولايات المتحدة دورا كبيرا في مساندة حقوق الدول الأفريقية للحصول على الاستقلال.

2-1 إقليم الطوغو:

¹ - إسماعيل الدبش،: السياسة العربية و المواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية 1954-1962، المرجع السابق ، ص ص 163 - 164.

² - انظر إلى الملحق رقم 20 من الرسالة.

تسلم إقليم الطوغو استقلاله الداخلي في شهر أوت 1956 ثم أصبح جمهورية في 22 فيفري 1958 و في سنة 1960 سترفع وصاية الأمم المتحدة على الطوغو المستقل استقلالا تاما.

جمهورية الطوغو هذه لا تزيد مساحتها على نصف مساحة الجمهورية التونسية يتجاوز عدد سكانها المليون وقد حاولت فرنسا أن تحافظ عليها بتشكيل حكومة أهلية تتمتع بالاستقلال الداخلي حسب الأوامر والخطوط التي يرسمها الاستعمار الفرنسي¹.

إن الانتخابات التي جرت في 27 أبريل 1960 تحت إشراف الأمم المتحدة أحبطت المناورات الفرنسية وفضحت خيانة فرنسا التي كانت تتصرف وتوجههم حسب مصالحها الخاصة، ومنذ هذا التاريخ أصبح رئيس حكومة هو سليفانوس أولمبيو زعيم الوحدة الطوغولية، وقد تولت الحكومة الوطنية الجديد مراجعة جميع الاتفاقيات السابقة وضبطها حسب رغبة شعب الطوغو في الحصول على الاستقلال وتوصل الطرفان الطوغولي والفرنسي إلى اتفاق يقضي بتحقيق الاستقلال التام سنة 1960 و هذا الاتفاق هو الذي سجله مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة².

2-2 الكاميرون:

إن استقلال الطوغو يمثل مرحلة هامة في حياة إفريقيا السوداء من الطبيعي أن تظهر أولى آثارها على وضعية الكاميرون الذي يعيش هو أيضا تحت وصاية الأمم المتحدة أثر انهزام ألمانيا في حرب 1914-1918 ولكن فرنسا حاولت أن تفرق بين مصير القطرين كما حاولت أن تفعل ذلك مع محميتها السابقتين (تونس والمغرب)، وفعلا فإن السلطات الفرنسية واجهت بالقمع والحرب رغبة شعب الكاميرون في الاستقلال إلا أن ذلك لا يمكن أن يعرقل استقلال الكاميرون. إن النضال المسلح الذي يقوم به إخواننا في الكاميرون منذ 03 سنوات أجبرهم على المطالبة بالاستقلال في الوقت الذي كلفوا فيه بتطبيق (القانون الإطاري) والقضاء على نفوذ حزب (اتحاد شعوب الكاميرون) الذي يتزعمه فيليكس مومبي .

¹ - المجاهد: العدد 31، (01 نوفمبر 1958)، ص15.

² - المجاهد: العدد 31، (01 نوفمبر 1958)، ص15.

ولهذا فإن الاستعمار الفرنسي مضطر بمقتضى استقلال الطوغو لأن يتفاوض مباشرة مع زعماء (اتحاد شعوب الكاميرون) و إما أن يجري انتخابات حرة تحت إشراف ورقابة الأمم المتحدة كما وقع في الطوغو. وهذا ما يجب أن تبحث فيه لجنة الوصاية التابعة للأمم المتحدة إذا أرادت أن تكون رسالتها كاملة وأن يكون دورها ملخصا في توجيه الشعوب إلى سيادتها الوطنية¹.

2-3 مدغشقر:

أصبحت مدغشقر " الجزيرة الكبرى " جزءا من إقليم " ما وراء البحار " التابع لفرنسا في عام 1946 ثم أصبحت جمهورية في عام 1958 في نطاق ما عرف باسم الاتحاد الفرنسي. قطع مرحلة حاسمة نحو الاستقلال في 14 أكتوبر 1958، فقد اجتمعت المجالس الجهوية في عاصمة طاناناريف وقررت إعلان الجمهورية. وبذلك يتبين لنا السيد تسييرانانا رئيس الحكومة الملغاشية صار هو أيضا ملزم بالمطالبة بالاستقلال ويصرح في 24 أوت 1958 "أنا سنخرج من المجموعة ونصبح مستقلين " وذلك بعد أن صرح في 23 جويلية 1958 "لا استقلال لمدغشقر قبل مرور 30 عاما". وهذا وإن المجلس الوطني الجديد سيطلب في مستقبل بتسريح النواب الثلاثة الذين يعيشون الآن بفرنسا بعد العفو عنهم، إن ميلاد جمهورية مدغشقر سيكون بلا شك المثال الذي تحتد به المستعمرات البريطانية الواقعة في جنوب خط الاستواء². وبعد حصوله على صلاحيات خاصة في الحكم في شهر يناير/ كانون الثاني 1960، استطاع الرئيس فيلييار تسييرانانا إقناع الجنرال ديغول بمنح مدغشقر استقلالها وأصبح هو بهذه المناسبة أول رئيس لجمهورية مدغشقر .

2-4 الكونغو:

في يوم 04 جانفي 1959 انفجر بركان آخر من براكين إفريقيا تحت أقدام الاستعماريين الأوروبيين وذلك في عاصمة القسم الذي تحتله بلجيكا من بلاد (الكونغو) و التي سماها الاستعمار البلجيكي (ليوبول فيل) نسبة إلى ليوبول الثاني ملك بلجيكا الذي تحولت في عهده البلدة الإفريقية إلى عاصمة بلجيكية.

¹- المصدر نفسه، ص15.

²- المصدر السابق، ص 15.

ويرجع تاريخ استعمار الكونغو إلى مؤتمر برلين (1885) الذل اقتسمت فيه الدول الاستعمارية أقطار إفريقيا. وقد كان هذا القسم من الكونغو في أول الأمر مستعمرة في يد ألمانيا. ثم أصبح في يد بلجيكا سنة 1908¹.

والكونغو الذي تحتله بلجيكا بلاد من أغنى بلدان أفريقيا كلها، فقد اشتهر بجاها المتعددة وبمصادره الاقتصادية العظيمة، وبمناجمه الكثيرة مثل النحاس والأورانيوم وحجر الماس والأخشاب والقطن، والمطاط والبن... وسكانه لا يقلون عن عشرة ملايين نسمة، وقد ظلت تحكمه الإدارة البلجيكية حكما مباشرا منذ سنة 1919 بمقتضى ما سمي (بتوصية) عصية الأمم المنقرضة.

وإلى جانب الكونغو البلجيكي يوجد الكونغو الفرنسي وليس هناك مسافة بعيدة بين (برازفيل وليوبول فيل) إلا بعد نهر واحد يتنقل فيه الناس بواسطة المراكب البحرية، وقد ظلت بلجيكا مثل فرنسا منذ أوائل هذا القرن تستغل كل خيرات الكونغو، ومعاملة سكانه كعبيد، وفيما بين الحربين العالميتين لم تحاول بلجيكا أن تغير شيئا من نظامها الاستعماري في هذه البلاد كما لو لم يطرأ أي تغيير على العالم فيما بين هاتين الحربين ولا بعد الحرب العالمية الأخيرة أيضا².

وحتى بعد أن قام الكونغو بهذه المظاهرة الدامية الصاخبة، لم يحرك البلجيكيون أفكارهم وإنما اكتفوا بتحريك رشاشاتهم و مدافعهم، التي هددوا بها إحياء الأهالي في المدينة إما أفكارهم فقد بقيت جامدة و كل ينظرون فيه لترضيه أهالي الكونغو هو أن يمنحهم المساواة بينهم و بين السكان البيض أي المساواة بين عشرة ملايين من الأهالي وعشرة آلاف من المستوطنين الاوروبيين على طراز ما سارت به السياسة الفرنسية في الجزائر. وهاهي أرض أخرى مباركة من قارة إفريقيا المجاهدة تندفع في طريق النضال وتهمز أقدام المستعمرين هزا، فالمستعمرين البلجيكين مثل زملائهم الفرنسيين، لا يفهمون بهزة واحدة، ولا يستجيبون لنداء الشعوب إلا إذا اكرهوا على ذلك إكراها، وإلا إذا دحرناهم بقوتنا النضالية إلى الوراء وتمكن الطونغو من الحصول استقلالها في 15 أوت 1960. إن الشعب الجزائري

¹ - المصدر نفسه، العدد 35، (15 نوفمبر 1959)، ص 02.

² - المصدر السابق، ص 02.

لا يمسه إلا أن يؤيد بحماس هذا النضال المبارك الذي تنديه شعوب إفريقيا لان شعبنا يؤمن بأن الحرية التحرير لنجاح حركاتهم التحريرية¹.

2-5 الصومال:

في يوم 01 جويلية 1960 الإعلان عن استقلال جزئين من أهم أجزاء الصومال العربي، وهما الجزاء الخاضعان سابقا للنفوذ البريطاني والايطالي، وقد اندمج الجزئين بمجرد إعلان استقلالها في دولة واحدة هي جمهورية الصومال، وصرح رئيس حكومة الصومال المؤقتة بأن أول عمل ستقوم به جمهورية الصومال بعد تشكيل حكومتها الرسمية الموحدة المستقلة هو الاعتراف بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية واتخاذ موقف عربي صريح من قضيتي الجزائر وفلسطين وبقية القضايا العربية².

والطبيعي أن يكون أول عمل دبلوماسي تبادر حكومة الصومال المستقلة هو تأييد الجزائر وفلسطين فقد عاش شعب الصومال نكبة مريرة وتعرض لتجربة تشابه تجربة الجزائر وفلسطين في محاولة محو شخصيته القومية والقضاء على روحه العربية، بعد أن تضافرت الدول الاستعمارية على تمزيق كيانه الوطني إلى أجزاء متناثرة ابتلعها بريطانيا وفرنسا وإيطاليا والحبشة، وزادت هذه المشاريع الاستعمارية الإجرامية من قوة الشعور القومي وحرارة وعمق العواطف العربية لدى الشعب الصومالي الذي أصبح ينظر إلى كل قضية عربية على أنها قضيته الخاصة يندفع نحوها بحماس جارف و إيمان فياض، و في المؤتمرات الشعبية أو الرسمية التي جمعت بين أبناء الصومال وأبناء الجزائر. كان الشباب الصومالي يعبر عن مشاعر شعبه نحو الجزائر بتأثر حار عميق، ومن المواقف التي لا تنسى موقف الأخ عمر ابن غازي ممثل الصومال في مؤتمر الشعوب الإفريقية الذي انعقد بتونس في أواخر شهر جانفي 1960 فحين أحييت إليه الكلمة قال في تأثر بالغ: " قبل أبدا خطابي يسعدني أن أقدم هذه الهدية الرمزية إلى الوفد الجزائري وهي علم الصومال منسوج على مروحة، وإني لسعيد جدا بهذه المناسبة إلى مكنتني من الاتصال بإخواني المجاهدين الجزائريين وأكد يا إخواني أن الشعب الصومالي على أتم استعداد للكفاح معهم في حركم المقدسة ضد الاستعمار...".

¹ - المصدر نفسه، ص 02.

² - المصدر نفسه، لعدد 72، (11 جويلية 1960)، ص 12.

2-6 غينيا

وكانت الصيحة لا التي أعلنها شعب غينيا عام 1958 بداية لمسيرة شعوب القارة السمراء نحو التحرر وتحقيق الاستقلال الوطني، واضطر **ديغول** أن يعترف بهذا الواقع فسلم بحق شعب غينيا في الاستقلال والانفصال عن فرنسا، ولكن حاول أن يقتله بقطع المساعدات الفرنسية عنه بصفة كاملة، كأن شريان الحياة لا ينبع إلا من باريس، غير أن الشعب الغيني لم يبالي بهذا التهديد، وواصل مسيرته وبقى حيا يرزق، وقد أقحم **ديغول** البلدان الإفريقية فيما سماه بالاتحاد الفرنسي حتى لا تغفل منه، ويوقف إمكانات فرنسا لمحاربة الثورة الجزائرية وحدها، ولكنه هو جهل تجربة غينيا الناجحة¹، إذ أخذت باقي الشعوب الإفريقية الأخرى تعلن صيحتها وتطالب وبحقها في الاستقلال والحرية، وعم الغضب سائر بلدان إفريقيا الوسطى والغربية، واضطرت فرنسا أن تسلم باستقلالها بالجملة، وأمضى رئيس وزرائها **ميشال دوبري** في يوم واحد عام 1960م، على استقلال 12 بلد إفريقيا في غرب إفريقيا ووسطها.

2-7 توغو:

كانت توغو مستعمرة ألمانية سابقة ثم خضعت للحماية الفرنسية والبريطانية. بحلول نهاية الحرب العالمية الأولى أصبح قسمها الفرنسي تابعا لما سمي في ذلك الوقت بالاتحاد الفرنسي الذي أسس عام 1946. بعد الاستفتاء الذي أجري عام 1956 أصبحت توغو جمهورية ذات حكم ذاتي. في شهر فبراير/ شباط من العام 1958 فازت الحركة الوطنية في توغو بقيادة "اللجنة من أجل وحدة توغو" بالانتخابات التشريعية. فتح هذا الفوز الطريق نحو الاستقلال وانتخب **سيلفانوس أولمبيو** أول رئيس للجمهورية في البلاد، ولكنه اغتيل سنة 1963 إثر انقلاب عسكري.

2-8 داهومي:

¹ - يحي بوغزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج2، المرجع السابق، ص ص 170-171.

بعد استفتاء 28 سبتمبر/ أيلول 1958 والذي فتح الطريق لحصول داهومي على الاستقلال في أول أغسطس/ آب عام 1960، أصبح هوبرت ماغا أول رئيس لجمهورية داهومي في 26 يوليو/ تموز 1960. تغير اسم داهومي ليصبح بنين عام 1975. يعيش هذا البلد منذ استقلاله حياة سياسية مضطربة .

2-9 النيجر:

بعد استفتاء عام 1958 الذي منح الحكم الذاتي للبلاد أعلنت الجمهورية في النيجر في 18 ديسمبر/ كانون الأول من نفس العام. حصلت النيجر على استقلالها رسميا في 3 أغسطس/ آب عام 1960. وصل بعدها حماني ديوري إلى الحكم وأصبح أول رئيس للجمهورية ثم أطيح به بعد انقلاب عسكري عام 1974¹.

2-10 بوركينافاسو:

كانت بوركينافاسو (فولتا العليا سابقا) تحت الحماية الفرنسية. أعلن عن تأسيس الجمهورية فيها يوم 11 ديسمبر/ كانون الأول عام 1958 في نطاق ما عرف بالاتحاد الفرنسي قبل أن تنال استقلالها في 5 أغسطس/ آب عام 1960. تغير اسم هذا البلد عام 1984 في عهد الرئيس توماس سانكرا الذي وقع اغتياله بعد انقلاب عسكري في عام 1987 ليصبح بوركينافاسو².

2-11 ساحل العاج:

وبعد استفتاء عام 1958 أصبحت ساحل العاج جمهورية ذات حكم ذاتي. في يونيو/حزيران من عام 1960 أعلن هوفوييه بوانييه الموالي لفرنسا استقلال ساحل العاج. استطاع هوفوييه بوانييه المحافظة على علاقات متينة مع فرنسا بعد الاستقلال وأصبح ساحل العاج في عهده

¹ - المجاهد: العدد 31، (01 نوفمبر 1958)، ص15.

² - المصدر السابق، ص15.

أكثر البلدان الأفريقية ازدهارا. منذ عام 1999 يعيش ساحل العاج حياة سياسة مضطربة أدت إلى نشوب حرب أهلية بين الجنوب والشمال تدخلت على إثرها فرنسا والأمم المتحدة.

2-12 تشاد:

وقد حصلت تشاد على استقلالها في 11 أغسطس /آب عام 1960 بعد سنتين من إعلان الجمهورية فيها. أصبح فرنسوا توم بلباي رئيس الوزراء آنذاك أول رئيس لجمهورية تشاد. بعد فترة وجيزة من الاستقلال اندلعت حرب أهلية بين الشمال المسلم والجنوب ذي الأغلبية المسيحية.

2-13 إفريقيا الوسطى:

كانت أفريقيا الوسطى خاضعة للاستعمار الفرنسي منذ عام 1905 وكانت تعرف باسم أوبانغي . شاري. أصبحت تعرف باسم جمهورية أفريقيا الوسطى منذ أول ديسمبر/كانون الأول عام 1958. حصلت على استقلالها في 13 أغسطس/آب عام 1960 أصبح دافيد داکو رئيسا للدولة. كانت له قرابة عائلية بالزعيم الوطني برتيليمي بوغندا الذي كان يناضل من اجل الوحدة الأفريقية وتحرير شعوبها من هيمنة الاستعمار الأوروبي. لقي حتفه في حادث طائرة حصل في 29 مارس/آذار عام 1959.

2-14 السنغال ومالي_نيجيريا:

لقد ولدت جمهوريتا السنغال ومالي من رحم ما كان يسمى بالاتحاد الفرنسي في 17 يناير/كانون الثاني 1957 والذي كان يضم السنغال والسودان الفرنسي سابقا. كان المشروع السياسي في هذه المنطقة هو توحيد البلدين لكن الاختلاف الكبير في الرأي بين ليوبولد سنغور رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء موديبو كيتا دفع بالسلطات في العاصمة داكار إلى الخروج من الاتحاد والإعلان عن استقلال السنغال في 20 أغسطس/آب وهكذا أعلنت باماكو بدورها استقلال مالي

بعد شهر من ذلك التاريخ أي في 22 سبتمبر¹. ومنذ أن وضع دستور جديد يعرف باسم دستور ليلتون في عام 1954 أصبحت نيجيريا محكومة بنظام فيدرالي يجمع ثلاث مقاطعات: الشمال والشرق والغرب. كان عدد السكان يناهز 34 مليون نسمة في ذلك الوقت وكانت نيجيريا تعتبر عملاق أفريقيا. منذ حصولها على الاستقلال عن الاستعمار البريطاني في أول أكتوبر عام 1960، واجهت نيجيريا مشكلة الانقسامات العرقية والدينية مما أدى إلى حالة من عدم الاستقرار السياسي في هذا البلد.

¹ - المجاهد: المصدر السابق، العدد 72، (11 جويلية 1960)، ص12.

ختمت هذه الدراسة بمجموعة من الاستنتاجات المتوصل من إليها خلال هذه الدراسة التاريخية حول البعد الإفريقي للثورة الجزائرية خلال الفترة الممتدة من 1954-1962، من التأكيد على أهمية الجزائر كمستعمرة فرنسية وأهمية الجزائر بالنسبة لإفريقيا، إن ما توصلت إليه على ضوء ما توفر لدينا من وثائق المصادر ومراجع، وقد تظهر في المستقبل ووثائق ودراسات أخرى تصنف وتثري هذه الدراسة أكثر فأكثر وخاصة أن الموضوع جديد يحتاج إلى المزيد من الدراسات.

بعد هذه الدراسة المتواضعة حول البعد الإفريقي للثورة الجزائرية وتتبع خلفياتها المختلفة، والوقوف عند عدد من المحطات السياسية والاجتماعية والثقافية نخلص إلى النتائج التالية:

إن العلاقات الجزائرية الإفريقية هي علاقة ليست وليدة الكفاح التحرير بل هي امتداد إلى جذور تاريخية عميقة، باعتبار الجزائر جزء لا يتجزأ من إفريقيا وامتزاج شعبها مع الشعوب الإفريقية سياسيا وثقافيا واجتماعيا وتاريخيا، فموقع الجزائر كقوة إفريقية سهل المهمة الاستعمار الفرنسي والأوروبي في السيطرة على القارة الجمعاء .

محاولة الاستعمارية لطمس المقومات الشخصية للجزائر وإفريقيا وربطها بظاهرة التخلف ووصف شعبها والشعوب الإفريقية بالشعوب النائمة، ومحاولة بذلك فك الروابط الأصلية لهؤلاء السكان، فإن ذلك باء بالفشل والتاريخ يشهد أن أعرق الحضارات قامت في إفريقيا إن هذه الشعوب لديها إرثا حضاريا زاخرا، عبر ممر العصور التاريخية لا يمكن تجاهله تحت أي ظرف كان.

إن الجزائر كانت فعلا منطلق الاستعمار الأوروبي لإفريقيا، بحكم أهمية موقع الجزائر بالنسبة للقارة الإفريقية عامة بالنسبة لفرنسا خاصة، التي توغلت من الجزائر نحو احتلال العديد من البلدان الإفريقية كبلدان المغرب العربي (تونس، المغرب الأقصى، موريتانيا) وبعض بلدان إفريقيا، فمصير هذه الشعوب مرتبط بمصير الجزائر ومرهونا بها سواء إيجابيا و سلبيا.

فالاستعمار الفرنسي كان مرحلة سوداء بالنسبة للجزائر و إفريقيا في حين كانت الثورة الجزائرية مرحلة تحول نحو تحرر شعوب إفريقيا و الجزائر من الاستعمار الأوروبي.

ثورة أول نوفمبر 1954 الجزائرية فعاليتها أعظم تأثيرا وأبلغ أهمية سواء في الميدان الداخلي الجزائري أو العالم الخارجي، وذلك لكون ثورة مسلحة ضد سلطة استعمارية شرسة، حكمت البلاد بصورة مباشرة طوال القرن وربع القرن، وكانت ثورة ضد روح التشكيك التي زرعتها السلطة الاستعمارية خلال هذه الفترة الطويلة كذلك، وجعلت الشعب الجزائري يرى تاريخه الطويل الزاخر بالأعجاب والبطولات شبحا وخيالا أو بمثابة سراب وكانت ثورة نموذجية، أيقظت معظم الشعوب الإفريقية وحفزتها على المطالبة بحريتها واستقلالها.

تحول قضية الحرية والاستقلال الذي كان كفاح الشعب الجزائري رمزا خيالا شب الضمير الإفريقي، وتركزت ونمت منذ مؤتمر باندونج الذي كان له وزنه، ودوره الهام في قضية الدفاع عن الحرية واستقلال شعوب القارات، وعلى مستوى الوطن العربي، فإذا كانت ثورة جويلية 1952 تشكل منعطفًا هامًا في تاريخ النضال العربي، فإن ثورة 1954 أصبحت تشكل طليعة النضال في المنطقة العربية. لقد بدأت الإمبراطوريات الاستعمارية في التقلص والانحسار، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، بفضل نمو الشعور الوطني لدى شعوب القارة الإفريقية، وبدا مستحيلًا لهاته الإمبراطوريات أن تستعيد مكانتها والسيطرة التي كانت لها قبل الحرب.

كانت الثورة الجزائرية هزة عنيفة وصيحة مدوية للحرية والاستقلال هزت أعماق شعوب القارات الثلاثة، خاصة شعوب القارة الإفريقية، لقد أيقظت ضمائر الحية وأعدت لها الثقة في نفسها وقدراتها وطاقاتها الحية الكامنة وجعلتها تمهّب تأخذ مصيرها بين يديها وتمسك زمام مقدراتها لتتبنى هي بنفسها حاضرها وترسم معالم مستقبلها.

أدت التجمعات الجهوية والقارية دورا مهما في جمع الكلمة ووحدها، ومواجهة الاستعمار كرجل واحد. لقد أرادت الشعوب المستضعفة أن تثبت نفسها في عالم سيطر عليه الكبار، وأن تكون سيدة نفسها، وأن تتضامن فيما بينها من أجل ذلك بعد أن كافح أناس لوحدهم.

إن دور ثورة نوفمبر الجزائرية في تحرير إفريقيا عظيم جدا، والتاريخ هو الذي سينصفها عندما يتقادم الزمن وتبعد الحوادث. لأن ثورة نوفمبر هي التي حطمت حقيقة الإمبراطورية الفرنسية ما وراء

البحار، وكانت آخر حلقة في سلسلة الهزائم التي توالى على فرنسا طوال قرن ونصف قرن من الزمن.

وكانت فرنسا تظن وتتصور أن التخلص من مشاكل مستعمراتها الأخرى في إفريقيا يتيح لها الفرصة والقوة، لكي تطعن ثورة الجزائر وتفضي عليها وعلى خطرهما، وجاءت الفائدة مزدوجة، فتحررت إفريقيا كلها من رجس الاستعمار الفرنسي والبريطاني والبلجيكي، وتحررت والجزائر بعدها، وكانت خير رائد لقايلة التحرر الإفريقية.

ويتضح أهمية الثورة الجزائرية من خلال الدعم الذي قدمته لشعوب المنطقة سواء بلدان المغرب العربي وبعض الأقطار الإفريقية، والدعم الذي لقيته من بلدان المغرب العربي وإفريقيا وفي مقدمتها مصر مثلاً، لقد أكدت المواقف الرسمية لبلدان المغرب العربي وإفريقيا اهتمام المتزايد بالقضية الجزائرية تجاوبها مع تأييد مجمل مطالبها السياسية، واستنكارها للسياسة الفرنسية المنتهجة بالجزائر، أما دعمها لنشاط الثورة الجزائرية فارتبط ارتباطاً بطبيعة علاقاتها مع جبهة التحرير الوطني وبتوجهاتها السياسية، ولم يمنع الجزائر من استغلال كل الظروف والطاقت لتفعيل نشاطها وخدمة أهدافها الكفاحية اعتماداً على حجم التجاوب الشعبي والمغربي.

ضمنت الثورة الجزائرية تأييد الدول الإفريقية لقضيتها في الأمم المتحدة والمنابر الدولية، كما كانت مؤتمرات الشعوب والدول الإفريقية مناسبة لتأكيد الالتزام بدعم ومناصرة حركات التحرير وعلى رأسها القضية الجزائرية، واثراً فشل مفاوضات إيفيان الأولى في جوان بسبب قضية الصحراء كان الموقف الإفريقي المساند للجزائر حاسماً في تسريع المفاوضات وتراجع فرنسا عن سياسة فصل الصحراء، وقد أبدت الشعوب والدول الإفريقية أشكالاً من التضامن والمؤازرة في المجالات السياسية والدبلوماسية والتعبوية، ووقفت مواقف مشرفة من الثورة الجزائرية أشادت بها جبهة التحرير الوطني واعتبرتها دينا في جبين الجزائريين وحافزاً لها على المضي في مساندة حركات التحرير وبناء الوحدة الإفريقية.

لم تأثر الاختلافات الإيديولوجية و المصالح الوطنية بين أقطار المغاربية أمام تجسيد الوحدة السياسية أو تحديد السياسية المشتركة إزاء مساعدة الجزائر حيث بين أن السلطات التونسية و المغربية ما فتئت أن تثير تحفظاتها في العديد من المرات ومطامح ونوايا التي تؤثر على التضامن المشترك.

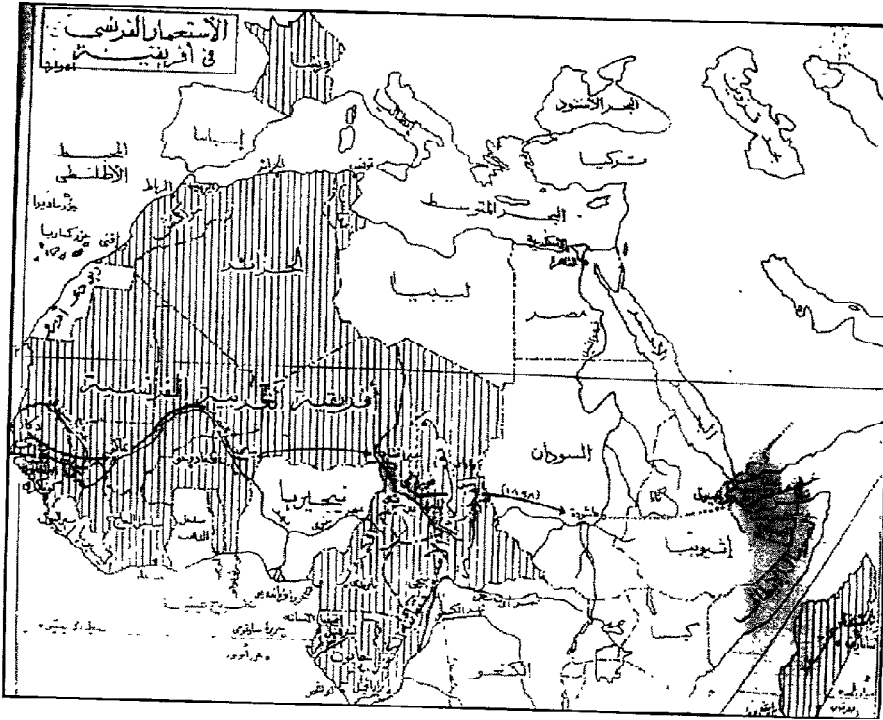
لقد أكد السياسة الفرنسية فشلها في حل القضايا المغاربية وعزل الثورة الجزائرية لم يكن منح فرنسا استقلال تونس والمغرب بقادر على إخماد الثورة الجزائرية من تأكيد نفوذها والحصول على الدعم الرسمي والشعبي لأقطار المغرب العربي، ورد فعل الإدارة الفرنسية في التحرش على سيادة هذه البلدان و إقامة الأسلاك شائكة واضطهاد الشعب الجزائري إلى تزايد مظاهر و التلاحم الشعبي مع الثورة الجزائرية و التأكيد على وجوب مساندتها.

دور مصر باعتبارها من بلدان الإفريقية العربية ودورها في دعم لامتناهية الثورة الجزائرية واحتضانها للقيادات الجزائرية ودعمها الدبلوماسي والسياسي والعسكري في مساندة الثورة الجزائرية.

الدور الذي لعبته الشعوب الإفريقية في دعمها لحركة التحرر الجزائرية، ذلك بفضل المواقف التي صنعتها ومظاهر الدعم المختلفة، التي كانت فعلا تعكس امتداد ارتباط الوثيق بين الجزائر وإفريقيا التلقائي والثابت مع ممر الزمن.

وهكذا تتحمل الثورة الجزائرية شرف هذه الرسالة التاريخية الكبرى رسالة تحرير القارة الإفريقية وتخطيم النظام الاستعماري العالمي ويكون شهداء الحرية في الجزائر هم شهداء حرية إفريقيا وحرية الإنسانية جمعاء، إن هؤلاء شهداء الذين يسقطون كل يوم في ميدان الشرف ويكتبون بدمائهم حرية إفريقيا.

ملحق رقم 01: الاستعمار الفرنسي في إفريقيا¹



ملحق رقم 02: صورة توضح الدعاية الاستعمارية العنصرية²



¹ - شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المرجع السابق، ص 265.

² - Source : L'exposition coloniale de 1930.

ملحق رقم 03: بيان أول نوفمبر¹

الملحق رقم (01)

بيان فاتح نوفمبر 1954⁽¹⁾

«أيها الشعب الجزائري،

«أيها المناضلون من أجل القضية الوطنية.

«أنتم الذين ستصدرون حكمكم بشأننا - نعدى الشعب بصفة عامة، والمناضلين بصفة خاصة - نعلمكم أن غرضنا من نشر هذا الإعلان هو أن نوضح لكم الأسباب العميقة التي دفعتنا إلى العمل، بأن نوضح لكم مشروعنا والهدف من عملنا، ومقومات وجهة نظرنا الأساسية، التي دفعتنا إلى الاستقلال الوطني في إطار الشمال الإفريقي ورغبتنا أيضا هو أن نجعلكم الالتباس الذي يمكن أن توقعكم فيه الإمبريالية وعملاؤها الإداريون وبعض محترفي السياسة الانتهازية.

«فنحن نعتبر، قبل كل شيء، أن الحركة الوطنية - بعد مراحل من الكفاح - قد أدركت مرحلة التحقيق النهائية. فإذا كان هدف أي حركة ثورية - في الواقع - هو خلق جميع الظروف الثورية للقيام بعملية تحريرية، فإننا نعتبر أن الشعب الجزائري، في أوضاعه الداخلية متحدا حول قضية الاستقلال والعمل. أما في الأوضاع الخارجية فإن الانفراج الدولي مناسب لتسوية بعض المشاكل الثانوية التي من بينها قضيتنا التي تجد سندها الديبلوماسية وخاصة من طرف إخواننا العرب والمسلمين.

إن أحداث المغرب وتونس لها دلالتها في هذا الصدد، فهي بعمق مراحل الكفاح التحريري في شمال إفريقيا. وما يلاحظ في هذا الميدان أننا مذممة طويلة أول الداعين إلى الوحدة في العمل. هذه الوحدة التي لم يتج لها مع الأسف التحقيق أبدا بين الأقطار الثلاثة.

إن كل واحد منها قد اندفع اليوم في هذا السبيل، أما نحن الذين بقينا في مؤخر الركب فإننا نتعرض إلى مصير من تجاوزته الأحداث وهكذا، فإن حركتنا الوطنية قد وجدت نفسها، مجتمعة نتيجة لسنوات طويلة من الجمود والروتين، توجيهها سيء، محرومة من سند الرأي العام الضروري، قد تجاوزتها الأحداث، الأمر الذي جعل الاستعمار يطير فرحا ظنا منه أنه قد أحرز أضخم انتصاراته في كفاحه ضد الطليعة الجزائرية.

¹ - وزارة الإعلام والثقافة نصوص أساسية لجهة التحرير الوطني 1954-1962، الجزائر، ش.و.ن.ت، 1979.

الأهداف الخارجية :

- تدويل القضية الجزائرية.
- تحقيق وحدة شمال إفريقيا في داخل إطارها الطبيعي العربي والإسلامي.
- في إطار ميثاق الأمم المتحدة تؤكد عطفنا الفعال تجاه جميع الأمم التي تساند قضيتنا التحريرية.

وسائل الكفاح :

«انسجاما مع المبادئ الثورية، واعتبارا للأوضاع الداخلية والخارجية، فإننا سنواصل الكفاح بجميع الوسائل حتى تحقيق هدفنا».

«إن جبهة التحرير الوطني، لكي تحقق هدفها يجب عليها أن تنجز مهمتين أساسيتين في وقت واحد وهما : العمل الداخلي سواء في الميدان السياسي أو في ميدان العمل المصن، والعمل في الخارج لجعل القضية الجزائرية حقيقة واقعة في العالم كله، وذلك بمساندة كل خلفائنا الطبيعيين».

«إن هذه مهمة شاقة العبء، وتتطلب كل القوى وتعبئة كل الموارد الوطنية». وحقيقية أن الكفاح سيكون طويلا ولكن النصر محقق.

«وفي الأخير، وتحاشيا للتأويلات الخاطئة وللتدليل على رغبتنا الحقيقية في السلم، وتحديدنا للخسائر البشرية وإراقة الدماء، فقد أعدنا للسلطات الفرنسية وثيقة مشرفة للمناقشة، إذا كانت هذه السلطات تمدوها النية الطيبة، وتعترف نهائيا للشعوب التي تستعمرها بحقها في تقرير مصيرها بنفسها».

1) الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ورسمية، ملفية بذلك كل الأتواويل والقرارات والقوانين التي تجعل من الجزائر أرضا فرنسية رغم التاريخ والجغرافيا واللغة والدين والعادات للشعب الجزائري.

2) فتح مفاوضات مع الممثلين المفوضين من طرف الشعب الجزائري على أسس الاعتراف بالسيادة الجزائرية وحدة لا تتجزأ.

3) خلق جو من الثقة وذلك بإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين ورفع كل الإجراءات الخاصة وإيقاف كل مطاردة ضد القوات المكافحة.

وفي المقابل :

(1) فإن المصالح الفرنسية، ثقافية كانت أو اقتصادية، والمتحصل عليها بنزاهة، ستحترم وكذلك الأمر بالنسبة للأشخاص والعائلات.

(2) جميع الفرنسيين الذين يرغبون في البقاء بالجزائر يكون لهم الاختيار بين جنسيتهم الأصلية ويعتبرون بذلك كأجانب تجاه القوانين السارية، أو يختارون الجنسية الجزائرية وفي هذه الحالة يعتبرون جزائريين بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات.

(3) تحدد الروابط بين فرنسا والجزائر وتكون موضوع اتفاق بين القوتين اللتين على أساس المساواة والاحترام المتبادل.

«أيها الجزائري ! إننا ندعوك لتبارك هذه الوثيقة. وواجبك هو أن تنضم إليها لإنقاذ بلادنا والعمل على أن نسترجع له حريته؛ إن جبهة التحرير الوطني هي جبهتك، وانتصارها هو انتصارك.

«أما نحن، العازمون على مواصلة الكفاح، الواثقون من مشاعرك المناهضة للإمبرياليين، فإننا نقدم للوطن أنفسنا ما نملك.

فاتح نوفمبر 1954

الأمانة الوطنية

ملحق رقم 04: شحنات قادمة من مصر¹

مستند رقم ٢١ : كشف بيان الدفعه الأولى من الأسلحة والذخيرة الموجهة بالجبهة الشرقية بالجزائر من ٢٥٢

سري للعين

بالأسلحة والذخيرة المرسله للجهت المرسلة (الجبهة الغربية)

سلسل	التسليح	العدد	العدد	العدد	الوصف
١	رصاص خفيف ٧.٦٢ الثاني (MG 43)	٢٥	٥٠	١٢٥	٥ مؤجره ١٥ اعلية بها المرطلة تمسور ٢٥ شظية بل اجزا احتياطية لواء ستر جلد ١٥ اذبال تنظيف
٢	رصاص خفيف ٧.٦٢ ابيض	٣٥	٥	١٥٠	٥ مؤجره ١٥ اعلية بها المرطلة تمسور ٣ شظية بل يمسا اجزا احتياطية
٣	رصاص قمبر ١ م	٣٨	٢٠	٢١٠	١٢٠ بنزجله ٨٠٥ خزنة تمسور
٤	بنذفة ٧.٦٢ الثاني	١٥٠	١٠	١٥٠٠	٥ اذبال تنظيف ٥ مكواة ٥ قوايس جسد
٥	حزلة ابرجا للتركيب طيس الكينة لينة ٥٣ ازر	١	١٠	٥٠	معدن راق كرمون
٦	ذخيرة ٧.٦٢ م	١٦٦٣	٩٠٠	٢٥٦٣	
٧	ذخيرة ١ سم	٣٤٢	٢٨٨٠	٣٢٢٢	
٨	اقبال يدوية الثاني	٢٠٠	٢٥	٢٢٥	
٩	اقبال ابرجا للتركيب طيس وصلة ٥٣ ازر	٣٤	١٢	٤٦	١٢ خرطوشة بكل معدن راق

صدرت هذه القائمة بطلب من الحكومة المصرية من الحكومة الجزائرية بالذخيرة الموجهة بالجبهة الغربية

اللاهورى ١٢/٨/١٩٥٧

استمد
١٩٥٧/٨/١١
بنتام

تمت اذفة
١٨٠١٧٤
سري للعين

¹ - فتحي الديب، عبد الناصر وثورة الجزائر، المصدر السابق، ص 680.

ملحق رقم 05: قادة جيش المغرب العربي يقررون وحدة الكفاح المسلح بضم الجيش التونسي¹



قادة الكفاح بشمال إفريقيا خلال اجتماعهم بمكنى يوم ٢٥ فبراير ١٩٥٦
الصف الامامي : طاهر الاسود - بشير الصباح - فتحي الديب - الدكتور المهدي بن عيود - عزت سليمان
الصف الخلفي : احمد بن بللا - الدكتور عبد الكريم الخطيب - عباس الفروور



قادة جيوش التحرير الثلاثة يقرروا وحدة الكفاح المسلح بشمال إفريقيا
اليمن : احمد بن بللا - طاهر الاسود - الدكتور عبد الكريم الخطيب

¹ - فتحي الديب، عبد الناصر وثورة الجزائر، المصدر السابق، ص 171.

ملحق رقم 06: المنشور الأول والبلاغات التي أصدرتها قيادة جيش تحرير المغرب العربي عقب انطلاقة عمليات المشتركة الجزائرية المغربية¹

مسند رقم ٧ : أول منشور أصدرته قيادة جيش تحرير المغرب العربي يوم انطلاق الثورة في الجهتين الجزائرية والمراكشية من ١٩٦٢ .

جيش التحرير للمغرب العربي

بلاغ رقم ١

بسم الله الرحمن الرحيم

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم بما تصفون من شيء » في سبيل الله يوفى اليكم وانتم لا تعلمون^١

بتوجيه من الله أنتم جيش التحرير المكون من مجموع الحركات الوطنية الفدائية في جميع أقطار الشمال الأفريقي بالكونية كقائه بالعمليات المشتركة الأخيرة والقيادة المشتركة لجيش التحرير التي هي من صفوف الكائمين والمجاهدين والمثقلين الحقيقيين لأنهم الحركات الوطنية الفدائية في داخل البلاد بعد أن فشلت الرجعية الفاسدة فيما تدعيه بإصت المتفمنة أشخصية المستعمرين وأعدائهم من الخونة من رؤساء الحق - تعلن للعالم أجمع عن أهدافها الآتية :

- ١ - الكفاح حتى النهاية في سبيل الاستقلال التام لأقطار المغرب العربي مع عودة سلطان المغرب العربي إلى عرشه بالسنن والحدود.
- ٢ - عدم التقيد بأي اتفاقات عقود أو تعهدات مستقبلا لا تحقق الهدف الأول بالتكامل.
- ٣ - اعتبار كل مواطن يتأذى بخلاف ما ذكر خارج وطنه ما اجتمعت عليه البلاد والحركات الوطنية الفدائية وأن مثل هؤلاء لا يمثلون إلا أنفسهم وكفى ما فاسدته البلاد من فاسدهم .

وستوالي القيادة المشتركة لجيش التحرير إصدار بلاغات دورية من مركز قيادتها السري في داخل بلادنا المعززة لتوضيح الحالة للشعب الكاف وأطلاع على الأساليب الطويلة التي يلجأ إليها المستعمر لاحتلال المغرب العربي والاعتماد على الاستمارة الطويلة يعلن جيش التحرير للشعب أنه بحمد الله لديه الاتفاقيات القاصية بمرسوم سي الكفاح حتى يحقق أهدافه كاملة غير منقوصة . ويجب بالمواطنين أن يقوم كل منهم بواجبه نحو وطنه وأن يكون درعا حصي ظهور المجاهدين . كما يحذروهم من الخونة الذين قد يتنبهون في صلوغهم ومن المستعمرين الانتهازيين وضحايا القوم ويخطئ بهم .

وتدعو قيادة الجيش المواطنين أن يكون شعارهم دائما التكلم الخضم وأن يتحروا الحقيقة عن أعمال المقاومة وإخبارها من بلاغاتنا الدورية وتحذروهم من الاستماع إلى الإشاعات المغرضة التي ترمى إلى التقليل من شأن الكفاح

بسم الله الرحمن الرحيم

أن جيش التحرير يوم من بان الطريق الذي سلكه لتحرير بلادنا من ذل الاستعمار الفرنسي هو السبيل الوحيد لتحقيق أهدافنا السامية وأن العالم اليوم لم يعد فيه مكان للضعفاء . أن هدفنا الأكبر هو القضاء على قوات الاستعمار الفرنسي في جميع صوره وفي الوقت نفسه تهيب بالمواطنين ألا يتسهبوا بالمستعمرين في الاعتداء على الأطفال والنساء والمجزرة تمهيدا مع جادى . دينا الخفيف .

« يا أيها النبي حرض الموتى منين على القتال إن يكن منكم عشرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون »

الله أكبر وحسنى على الجهاد

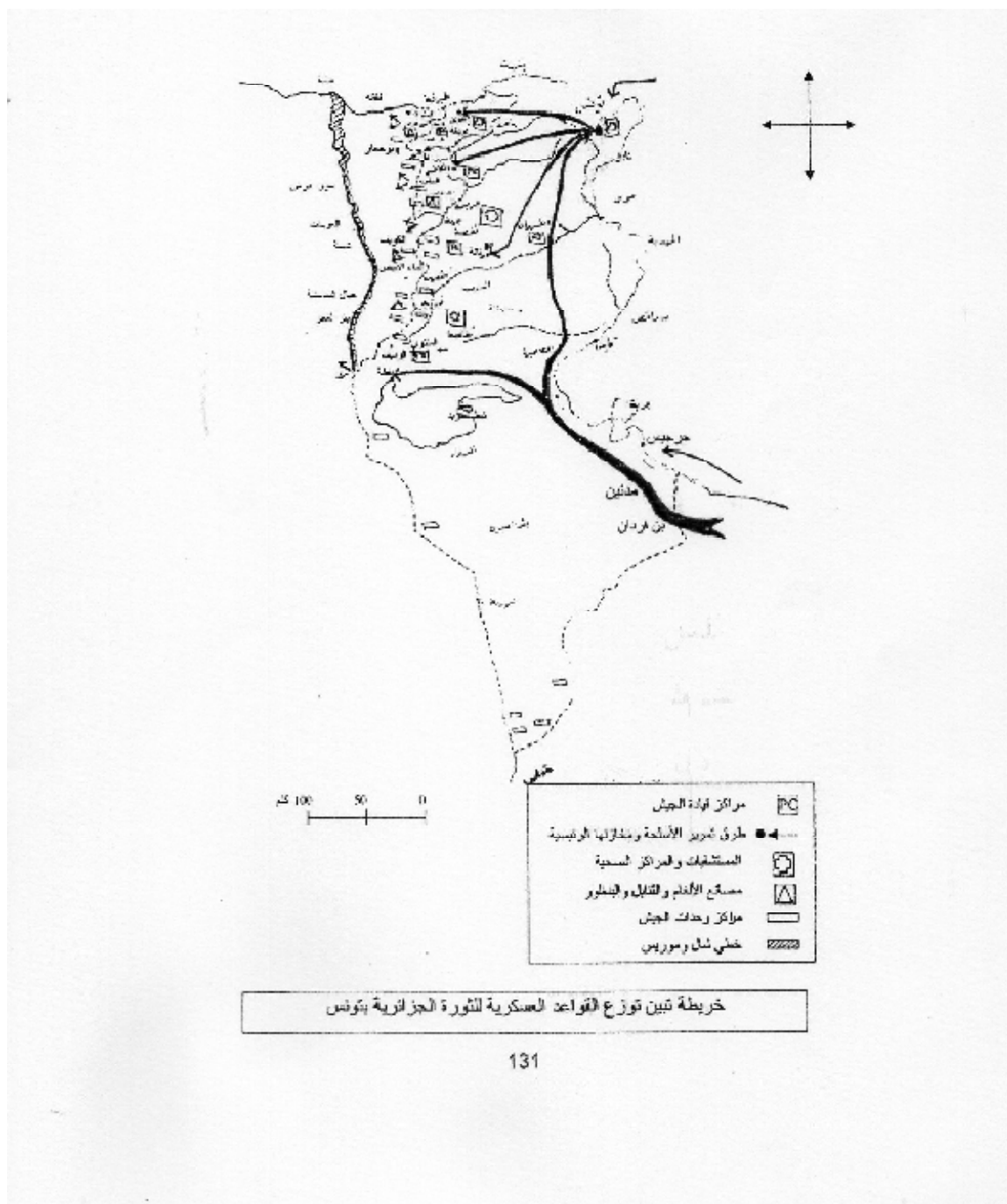
جيش التحرير للمغرب العربي

(حركة المقاومة المغربية - جبهة التحرير الوطنية الجزائرية)

¹ - فتحي الديب، عبد الناصر وثورة الجزائر، المصدر السابق، ص 170.

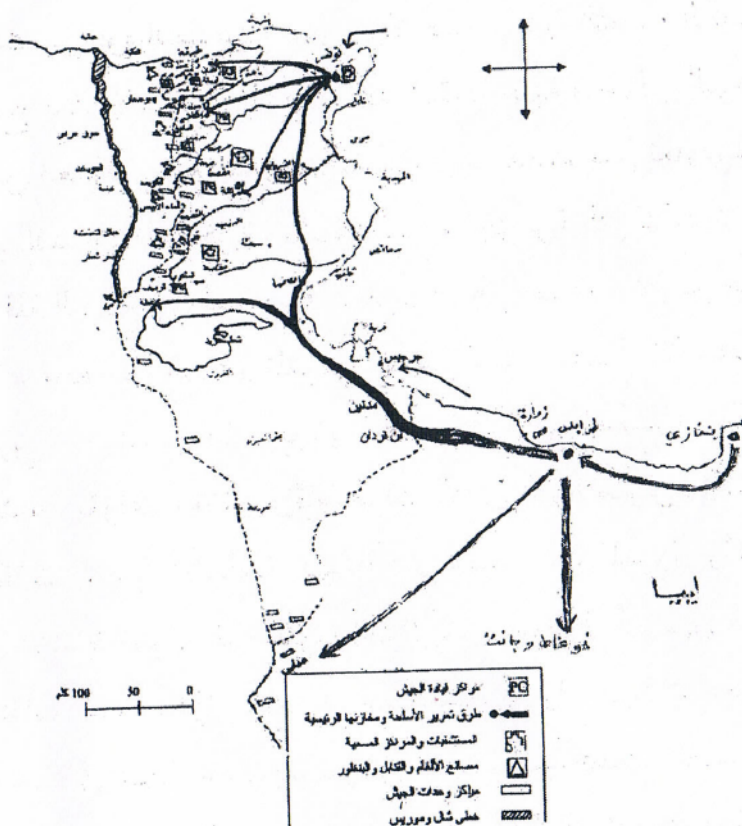
ملحق رقم 07: خريطة مرور الأسلحة والقواعد الخلفية للثورة الجزائرية بالمغرب¹

¹ - عبد الله مقلاتي، دور المغرب العربي وإفريقيا في دعم الثورة الجزائرية، ط1، ج1، ص 589.

ملحق رقم 08: خريطة مرور الأسلحة والقواعد الخلفية للثورة الجزائرية بتونس¹¹ - رضا ميموني، المرجع السابق، ص 177.

ملحق رقم 09: خريطة مرور الأسلحة والقواعد الخلفية في تونس وليبيا¹

خريطة مرور الأسلحة والقواعد الخلفية في تونس وليبيا

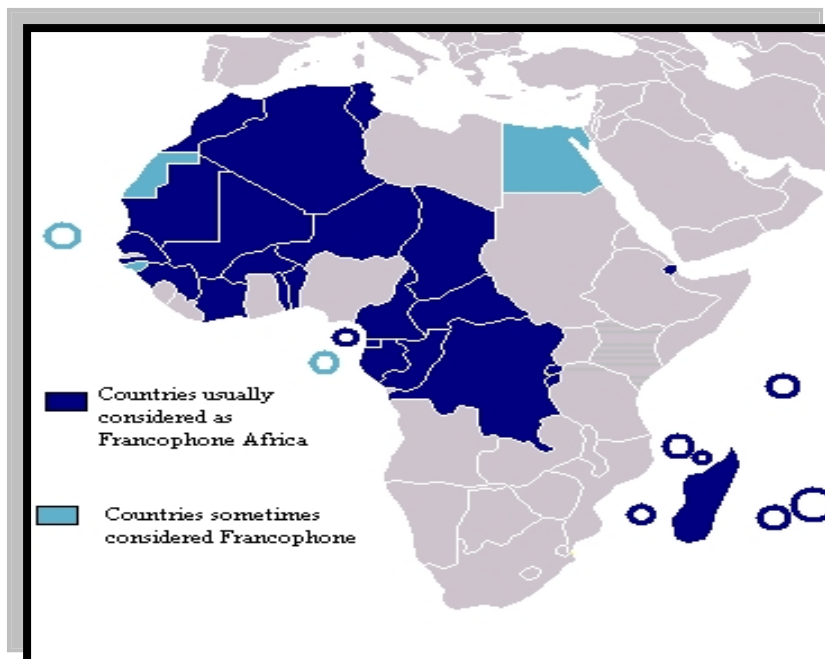


¹ - عبد الله مقلاتي، دور المغرب العربي وإفريقيا في دعم الثورة الجزائرية، ط1، ج1، المرجع السابق، ص303.

ملحق رقم 10: خريطة توضح النظرة الفرنسية على أن الجزائر بوابة إفريقيا¹



ملحق رقم 11: خريطة توضح التواجد الفرنسي في القارة الأفريقية²



¹ - **Source** : The great Historical Atlas- London 1959

² - Ibid.

ملحق رقم 12: نلسون مانديلا مع أعضاء جبهة التحرير الوطني أثناء زيارته للجزائر عام 1962¹



¹ - هشام مزوجي، المرجع السابق، ص 118.

ملحق رقم 13: وضع الدول السياسي أثناء حرب التحرير الجزائرية (1954 - 1962)¹

الدولة	العاصمة	وضع الدولة	عضو منظمة للأمم المتحدة منذ	القارة
روسيا (الاتحاد السوفياتي سابقا)	موسكو	مستقلة	24 أكتوبر 1945	أوروبا - آسيا
إثيوبيا	أديسا أبابا	مستقلة	13 نوفمبر 1945	إفريقيا
الأرجنتين	بونس أيرس	مستقلة	24 أكتوبر 1945	أمريكا
الأردن	عمان	مستقلة	14 ديسمبر 1955	آسيا
الأوروغواي	مونتفيديو	مستقلة	18 ديسمبر 1945	أمريكا
إسبانيا	مدريد	مستقلة	14 ديسمبر 1955	أوروبا
أستراليا	كانبيرا	مستقلة	01 نوفمبر 1945	أوقيانوسيا
إيسلندا	رايكجفيك	مستقلة	19 ديسمبر 1946	أوروبا
أنغولا	لوواندا	مستقلة	1 ديسمبر 1976	إفريقيا
إفريقيا الوسطى	بانغي	مستقلة (1960)	20 سبتمبر 1960	إفريقيا
أفغانستان	كابول	مستقلة	19 نوفمبر 1946	آسيا
الإكوادور	كيتو	مستقلة	19 ديسمبر 1945	أمريكا
ألبانيا	تيرنا	مستقلة	14 ديسمبر 1955	أوروبا
ألمانيا الغربية	بون	مستقلة (الوحدة 1990)	18 ديسمبر 1973	أوروبا
ألمانيا الشرقية	برلين الشرقية	مستقلة (الوحدة 1990)	18 ديسمبر 1973	أوروبا
الإمارات العربية المتحدة	أبو ظبي	تحت وصاية بريطانيا حتى 1970	9 ديسمبر 1971	آسيا
أنغواويرودا	سان جونس	مستعمرة	11 نوفمبر 1981	أمريكا
أندورا	أندوا القديمة	تقاسم السلطة بين فرنسا وإسبانيا مع إدارة محلية.	18 جويلية 1993	أوروبا
أندونيسيا	جاكرتا	مستقلة	28 سبتمبر 1950	آسيا
أوغندا	كمبالا	مستعمرة بريطانية	25 أكتوبر 1962	إفريقيا
إيران	طهران	مستقلة	24 أكتوبر 1945	آسيا
إرتيريا	أسمرأ	مستعمرة	28 ماي 1993	إفريقيا

¹ - إسماعيل ديش: السياسة العربية، المواقف الدولية اتجاه الثورة الجزائرية، 1962، المرجع السابق، ص 255 - 260

أوروبا	14 ديسمبر 1955	مستقلة	دبلن	إيرلندا (الجنوبية)
أوروبا	14 ديسمبر 1955	مستقلة	روما	إيطاليا
آسيا	10 أكتوبر 1975	مستعمرة	برومتوراسي	بابوازي-غينيا الجديدة
آسيا	30 سبتمبر 1947	مستقلة	اسلام آباد	الباكستان
آسيا	21 سبتمبر 1971	تحت وصاية بريطانيا حتى 1971	المنامة	البحرين
أمريكا	24 أكتوبر 1945	مستقلة	برازيليا	البرازيل
أمريكا	9 ديسمبر 1966	مستعمرة	بريدج تاون	بربادوس
أوروبا	14 ديسمبر 1955	مستقلة	لشبونة	البرتغال
أمريكا	24 أكتوبر 1945	مستقلة	أسونا سيون	البرغواي
آسيا	21 سبتمبر 1984	بريطانيا حتى 1983	بندر ساري بيغاوان	بروناوي
أوروبا	27 ديسمبر 1945	مستقلة	بروكسل	بلجيكا
أوروبا	14 ديسمبر 1955	مستقلة	صوفيا	بلغاريا
أمريكا	25 سبتمبر 1981	مستعمرة	بليز	بليز
أمريكا	13 نوفمبر 1945	مستقلة	بنما	بنما
أمريكا	18 سبتمبر 1973	مستعمرة	ناصر	البهاماص
آسيا	21 سبتمبر 1971	مستعمرة	تينبو	بھوتان
إفريقيا	17 أكتوبر 1966	مستعمرة	غابورون	بوتسوانة
إفريقيا	20 سبتمبر 1960	مستقلة (1960)	أووآغادوغو	بوركينافاسو
آسيا	1948	مستقلة	رانغون	بروما
إفريقيا	18 سبتمبر 1962	مستقلة (1 جويلية 1962)	بوجمبورا	بوراندي
أوروبا	24 أكتوبر 1945	مستقلة	وارسو (فارسوفيا)	بولونيا
أمريكا	14 نوفمبر 1945	مستقلة	لاباز	بوليفيا
أمريكا	31 أكتوبر 1945	مستقلة	ليما (سوكو لدستوريا)	البيرو
إفريقيا	20 سبتمبر 1960	مستقلة (1960)	بورتو نوفر	بنين
آسيا	16 ديسمبر 1946	مستقلة	بانكوك	تايلندا
آسيا	24 أكتوبر 1945	مستقلة	أنقرة	تركيا
أمريكا	18 سبتمبر 1962	مستعمرة	بورت أوف	تبيرنتيوتوباتمو
إفريقيا	20 سبتمبر 1960	مستقلة (1960)	نجامينا	التشاد
أوروبا	19 جانفي 1993	مستقلة	براغ	تشيكوسلوفاكيا
إفريقيا	14 ديسمبر 1961	مستعمرة حتى 1961	دار السلام	تنزانيا

التوغو	لومي	مستقلة (1960)	20 سبتمبر 1960	إفريقيا
تونس	تونس	مستقلة (1956)	12 نوفمبر 1956	إفريقيا
الجزائر	الجزائر	مستقلة (1962)	8 أكتوبر 1962	إفريقيا
جزر القمر	موروني	مستعمرة	12 نوفمبر 1975	إفريقيا
جاميكا	كينغستاون	مستعمرة	18 سبتمبر 1960	أمريكا
جيبوتي	جيبوتي	مستعمرة	20 سبتمبر 1977	إفريقيا
الدومينيكان	ستودومينغو دي غوزمان	مستعمرة	18 ديسمبر 1978	أمريكا
جنوب إفريقيا	بريتوريا	تحت نظام عنصري استعماري	7 نوفمبر 1945	إفريقيا
الدنمارك	كوبن هاغن	مستقلة	24 أكتوبر 1945	أوروبا
الرأس الأخضر	برايا	مستعمرة	16 سبتمبر 1975	إفريقيا
رومانيا	بوخارست	مستقلة	14 ديسمبر 1955	أوروبا
رواندا	كيغالي	مستقلة (1 جويلية 1962)	18 سبتمبر 1962	إفريقيا
الكونغو (الزائير سابقا)	كينشاسا	مستقلة (1960)	20 سبتمبر 1960	إفريقيا
زامبيا	لوزاكا	مستعمرة	1 ديسمبر 1964	إفريقيا
زلندا الجديدة	والينغتون	تحت وصاية بريطانيا	24 أكتوبر 1945	أوقيانوسيا
زمبابوي	هراري	مستعمرة	25 أوت 1980	إفريقيا
ساحل العاج	أبيدجان	مستقلة (1960)	20 سبتمبر 1960	إفريقيا
سانت لوسيا	كاسترايس	مستعمرة	18 سبتمبر 1997	أمريكا
سان فانسان	كينغستان	مستعمرة	16 سبتمبر 1980	إفريقيا
سان مرين	سان مرينو	تحت وصاية إيطاليا	2 مارس 1992	أوروبا
سيرلانكا	كولمبو	مستقلة	14 ديسمبر 1955	آسيا
السعودية	الرياض	مستقلة	24 أكتوبر 1945	آسيا
السلفادور	سان سلفدور	مستقلة	24 أكتوبر 1945	أمريكا
سليمان (جزر)	هونيبارا	مستعمرة	19 سبتمبر 1978	أوقيانوسيا
سنغافورة	سنغافورة	تحت وصاية بريطانيا	21 سبتمبر 1965	آسيا
السينغال	داكار	مستقلة (1960)	28 سبتمبر 1960	إفريقيا
سواز لندا	مبايان	مستعمرة	24 سبتمبر 1968	إفريقيا
السودان	الخرطوم	مستقلة (1956)	12 نوفمبر 1956	إفريقيا
سوريا	دمشق	مستقلة	24 أكتوبر 1945	آسيا
سورينام	باراماريبو	مستعمرة	4 ديسمبر 1975	أمريكا

السويد	ستوكهلم	مستقلة	19 نوفمبر 1946	أوروبا
السيشل	برو فيكتوريا	مستعمرة	21 سبتمبر 1946	إفريقيا
سيراليون	فري تاون	مستقلة (1961)	27 سبتمبر 1961	إفريقيا
الشيلي	سانتياغو	مستقلة	24 أكتوبر 1945	أمريكا
صاووتومي ورنسي	صاووتومي	مستعمرة	16 سبتمبر 1975	إفريقيا
الصحراء الغربية	العيون	مستعمرة	لم يتقرر مصير شعبها بعد	إفريقيا
الصومال	موغاديشو	مستقلة (1960)	20 سبتمبر 1960	إفريقيا
الصن	بيجينغ	مستقلة	26 أكتوبر 1971	آسيا
فرنسا	باريس	مستقلة	24 أكتوبر 1945	أوروبا
الفلبين	مانيلا	مستقلة	24 أكتوبر 1945	آسيا
فلسطين	القدس	مستعمرة	لم يتقرر مصير شعبها بعد	آسيا
فنزويلا	كراكاس	مستقلة	15 نوفمبر 1945	أمريكا
فنلندا	هلنسيكي	مستقلة	14 ديسمبر 1955	أوروبا
فنواتو	فبلا	مستعمرة	15 سبتمبر 1981	أوقيانوسيا
فيجي	سوبا	مستعمرة	13 أكتوبر 1970	أوقيانوسيا
الفيتنام	هانوي	مستعمرة	20 سبتمبر 1977	آسيا
قبرص	نيقوسيا	مستقلة	20 سبتمبر 1960	أوروبا
قطر	الدوحة	تحت وصاية بريطانيا	21 سبتمبر 1971	آسيا
العراق	بغداد	مستقلة	21 ديسمبر 1945	آسيا
عمان	مسقط	تحت وصاية بريطانيا	7 أكتوبر 1971	آسيا
الغابون	ليبروفيل	مستقلة (1960)	20 سبتمبر 1960	إفريقيا
غامبيا	بانجون	مستعمرة	12 سبتمبر 1965	إفريقيا
غانا	أكرا	مستقلة (1957)	8 مارس 1957	إفريقيا
غرونادا	سان جورج	مستعمرة	17 سبتمبر 1974	أمريكا
غواتيمالا	غواتيمالا	مستقلة	21 نوفمبر 1945	أمريكا
غينيا	كوناكري	مستقلة (1958)	12 ديسمبر 1958	إفريقيا
غينيا الاستوائية	مالايو	مستعمرة	12 نوفمبر 1968	إفريقيا
غينيا بيساو	بافات-فاريم	مستعمرة	17 سبتمبر 1974	إفريقيا
كمبوديا	بنوم بينه	مستقلة	14 ديسمبر 1955	آسيا

إفريقيا	20 سبتمبر 1960	مستقلة (1960)	باوندي	الكاميرون
أمريكا	9 نوفمبر 1945	مستقلة	أوتاوا	كندا
أمريكا	24 أكتوبر 1945	مستقلة	هافانا	كوبا
آسيا	17 سبتمبر 1991	مستقلة	سيول	كوريا الجنوبية
آسيا	17 سبتمبر 1991	مستقلة	بيانغ يانغ	كوريا الشمالية
أمريكا	2 نوفمبر 1945	مستقلة	سان جوزي	كوستاريكا
أمريكا	5 نوفمبر 1945	مستقلة	بوغاتي	كولمبيا
إفريقيا	20 سبتمبر 1960	مستقلة (1960)	برزفيل	الكونغو
آسيا	14 مارس 1963	مستقلة (1960)	الكويت	الكويت
إفريقيا	16 ديسمبر 1963	مستعمرة	نيروي	كينيا
آسيا	14 ديسمبر 1955	مستقلة	فيانسيان	اللاوس
آسيا	24 أكتوبر 1945	مستقلة	بيروت	لبنان
إفريقيا	17 أكتوبر 1966	مستعمرة	ماصيرو	لوزوتو
أوروبا	24 أكتوبر 1945	مستقلة	لوكسمبورج	اللوكسمبورج
إفريقيا	14 ديسمبر 1955	مستقلة	طرابلس	ليبيا
إفريقيا	02 نوفمبر 1945	مستقلة	منروفيا	ليبيريا
إفريقيا	28 سبتمبر 1960	مستقلة (1960)	باماكو	مالي
أوروبا	1 ديسمبر 1964	مستعمرة	لافليت	مالطا
إفريقيا	20 سبتمبر 1960	مستقلة (1960)	أنتاناناريفو	مدغشقر
أوروبا	14 ديسمبر 1955	مستقلة	بودابست	المجر
إفريقيا	12 نوفمبر 1956	مستقلة (1956)	الرباط	المغرب
إفريقيا	1 ديسمبر 1964	مستعمرة	ليلونغوي	المالوي
آسيا	21 سبتمبر 1956	مستعمرة	مال	المالديف
آسيا	17 سبتمبر 1957	مستقلة (1957)	كوالالمبور	ماليزيا
أمريكا	7 نوفمبر 1945	مستقلة	مكسيكو	المكسيك
آسيا	27 أكتوبر 1961	مستقلة	أولان باتور	منغوليا
إفريقيا	24 أبريل 1968	مستعمرة	بور لوي	موريس
إفريقيا	27 أكتوبر 1961	مستقلة (1960)	نواكشوط	موريتانيا
إفريقيا	16 سبتمبر 1975	مستعمرة	مابوتو	الموزمبيق
أوروبا	28 مارس 1993	سلطة محلية تحت الوصاية الفرنسية	موناكو	موناكو

مصر	القاهرة	مستقلة	24 أكتوبر 1945	إفريقيا
بريطانيا	لندن	مستقلة	24 أكتوبر 1945	أوروبا
ناميبيا	واند هوك	مستقلة	28 مارس 1993	إفريقيا
النرويج	أوسلو	مستقلة	24 أكتوبر 1945	أوروبا
النمسا	فيينا	مستقلة	14 ديسمبر 1955	أوروبا
نورو	ماكوا	مستقلة	23 مارس 1990	أوقيانوسيا
النيبال	كثاماندو	مستقلة	14 ديسمبر 1955	آسيا
النيجر	نيامي	مستقلة (1960)	20 سبتمبر 1960	إفريقيا
نيجريا	لاغوس	مستقلة (1960)	17 أكتوبر 1960	إفريقيا
نيكارغوا	مانغوا	مستقلة	24 أكتوبر 1945	أمريكا
هايتي	بور أوبرانس	مستقلة	24 أكتوبر 1945	أمريكا
الهند	دهلي الجديدة	مستقلة	30 أكتوبر 1945	آسيا
الهندوراس	تاغوسييبالبا	مستقلة	17 ديسمبر 1945	أمريكا
هولندا	أمستردام	مستقلة	10 ديسمبر 1945	أوروبا
الولايات المتحدة الأمريكية	واشنطن	مستقلة	24 أكتوبر 1945	أمريكا
اليابان	طوكيو	مستقلة	18 ديسمبر 1956	آسيا
اليمن الجنوبية (موحدة حاليا)	عدن	تحت وصاية بريطانية	14 سبتمبر 1967	آسيا
اليمن الشمالية (موحدة حاليا)	صنعاء	مستقلة	30 سبتمبر 1947	آسيا
يوغسلافيا	بلغراد	مستقلة	24 أكتوبر 1945	أوروبا
اليونان	أثينا	مستقلة	25 أكتوبر 1945	أوروبا

ملحق رقم 14: اعترافات الدول (الأولية بالحكومة المؤقتة)¹

الرقم	إسم الدولة	تاريخ الإعتراق
1	العراق	19 سبتمبر 1958
2	ليبيا	19 سبتمبر 1958
3	المغرب	19 سبتمبر 1958
4	تونس	19 سبتمبر 1958
5	السعودية	20 سبتمبر 1958
6	كوريا الشمالية	20 سبتمبر 1958
7	مصر	21 سبتمبر 1958
8	اليمن	21 سبتمبر 1958
9	الصين	22 سبتمبر 1958
10	السودان	22 سبتمبر 1958
11	الفيتنام	26 سبتمبر 1958
12	أندونيسيا	27 سبتمبر 1958
13	غينيا	30 سبتمبر 1958
14	منغوليا	15 ديسمبر 1958
15	لبنان	15 جانفي 1959
16	يوغسلافيا	12 جوان 1959
17	غانا	10 جويلية 1959
18	الأردن	20 سبتمبر 1959
19	ليبيريا	7 جوان 1960
20	التوغو	17 جوان 1960
21	الإتحاد السوفياتي	3 أكتوبر 1960
22	مالي	14 فيفري 1961
23	الكونغو	19 فيفري 1961
24	تشيكوسلوفاكيا	25 مارس 1961
25	بلغاريا	29 مارس 1961
26	الباكستان	أوت 1961

¹ - سيدي علي أحمد مسعود: التطور السياسي في الثورة الجزائرية 1960-1961، دار الحكمة للنشر الجزائر، 2010، ص 265.

ملحق رقم 15: من مؤتمر باندونغ إلى كوناكري 1960.

من باندونغ إلى كوناكري ١٩٦٠

لجنة التنفيذية كما نشأ سكرتارية دائمة مكلفة بتنسيق أعمال المؤتمر ومقرها مدينة أكرا

مؤتمر منروfia

وتوالى الاجتماعات والمؤتمرات الإفريقية بعد هذا فكان مؤتمر منروfia للحكومات الإفريقية الذي انعقد في 4 ابريل 1959 وحضر وفد الحكومة الجزائرية المندوبين رضى في المؤتمر وارتفع فوق مبنى المؤتمر عام 1959 المستقلة وبيناسية هذا المؤتمر اعترفت بأغلبية وبنيها بحكومة الجزائر فكان هذا الاعتراف دليلا جديدا على قوة التضامن بين الشعوب والحكومات الإفريقية ووردت كسبت قضية الجزائر جكاسب جديدة في مؤتمر منروfia حيث دخلت عن طريقه في وعي كل افريقي الإفريقية واتخذت قرارات هامة لصالحها كما تمتعت قرارات اخرى ضد التحارب الفدرية الفرنسية في في الصحراء الكبرى وضد السياسة العدوانية التي تتبناها فرنسا في الكورون وسد سياسه السيزر المنعري في جنوب افريقيا . ولم تنقش شعور قلبه على مؤتمر منروfia حتى اصبح من الواضح ان لغارة الإفريقية باكملها تسيير نحو الاستقلال بسرعة مذهنة وان عام 1960 سيكون لا مثاله عاما حاسما في تاريخ حركة تحرير القارة الإفريقية حيث لن يقصر الاستقلال في سنة 1960 على الحكومات محددا لها من قبل مثل الكورون والطنوج ونيجيريا وكان من الواضح ايضا ان ثورة الجزائر كعب دورا حاسما في تقرير الافطار الإفريقية

وقلى هذا الأساس تعدد ضياء اقتداء المؤتمر الناس للشعب الإفريقية ليهجر جاهي ١٩٦٠ في مدينة تونس التي تعد الرب الواسع الإفريقية من ميدان الحركة الكبرى التي تعود روحها بين الذي جيش انضاري عره التاريخ وسين الشعب الجزائري الصلة في كماله السلم . وكان مؤتمر تونس حبرا جديدا للشعب الإفريقية التي كملت الاسباب الانتماء الجسد ومؤقت استاره الحركة بخاريفه الطهية والمكر . وكان فرها من ميوزن التمرك بالجزائر علاقا كبيرا في اظهار الموقف الحليقي للانتماء وازالة الريب التي كان يحيط ببعض الحركات السياسية في إفريقيا . فظهرت الذي التحريرية الطبيعية التي تربي تمييز وجه التاريخ بارادة الاصراع نهيا وبكل اكناله من لوق الكزة الارضية وتور الاتباع الهوي في هذا المؤتمر الذي كانت قراراته اعدادا خانا لتفورة الجزائرية كما هي انصار عام الحركة الإفريقية كما تاكلت. فبه فكرة الوحدة والتضامن بين جميع الافارقة ووضعت التسارع العلية لتحقيق هذه الوحدة في مختلف الميادين . غير ان كل هذه المؤتمرات وان لست دورا هاما في بلورة فكرة الوحدة الإفريقية والتضامن الاسوي والافريقي لم تسدعها تسييرها عمليا كدلا بحيث نجد كثيرا من القرارات تبعد في كل مرة منذ خمس سنوات دليلا على انها لم تحقق في كل مرة ونظمت حبرا على ورق . وعنى هذا حتى لو لنا ان نتناول بعد اعداد مؤتمر اكرا الجديد الذي تم تحت شعار الامن والسلم لافريقيا ومحاربة الانتماء الذي وني الوقت الذي تم فيه انتقاد المؤتمر للناسي لتضامن الشعوب الاسيوية الإفريقية في مدينة كوناكري جيبيا ما هي القرارات الصلبة التي يجب اتخاذها لتسهيل البقاء على الاستمرار في اعمص حوته وضرب في ائد فمقائه الشقة في الجزائر المكافئة تسم . ان المؤتمرات قد شاركت في التسهيل باستقلال كثير من الافطار الإفريقية او في تبرز صعوبات على الاستقلال خلال الاظهر القليلة القادمة ولكن سامة حرب الجزائر في تمثيل هذا الاستقلال كانت اهم وانظر بكثير من مساهمة مختلف المؤتمرات الرسمية والتبعية وان من حق الجزائر على اعلاها في افريقيا واسبانها يمدوها بكل ما تحتاج اليه في حرجها التحريرية لان استقلال الجزائر منذ عام 1960 مقلنة من تاريخ البشرية لها نهائيا وفتح صفحة جديدة كلها نور وحق وعدل وسلام .

الإفريقية تروح تحت لكالل السيطرة الاستعمارية

مؤتمر اكرا الاول

واختيرت اكرا عاصمة غانا احدث الدول الإفريقية استقلالا حيث نالت استقلالها في مارس سنة 1957 فقط مكانا للمؤتمر الجديد مؤتمر الحكومات الإفريقية الذي انعقد في 15 ابريل 1958 . وكان كفاج الجزائر محور المفاوضات في هذا المؤتمر . الباريس الذي كان نقطة انطلاق جديدة في تاريخ الحركة التحريرية الإفريقية حيث وضعت القصة الشاملة لتحرير جميع الافطار الإفريقية بكل الوسائل الممكنة في مدى قصير واعلمت الحكومات الإفريقية المجتمع من اكرا . وهاذا لمناقشة باندونغ والتضامن الاسوي الإفريقي وتأييدها انطلق للفرات الوطنية في افريقيا . واعتبر يوم 15 ابريل يوم الغارة الإفريقية بجمد فيه كفاها وتندرس في وبياناتي تحريرها ونهوضها

مؤتمر اكرا الثاني

وسرت شعور على انعقاد مؤتمر الحكومات الإفريقية باكرا استعملت فيها دولة اربعة جديدة هي غينيا كما تالت خلالها الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ودخلت الشعوب الإفريقية التابعة للاستعمار الفرنسي مرحلة جديدة فسي كفاها من اجل الاستقلال بعد اضطرار الاستعمار الفرنسي الى التنازل عن كثير من امتيازاته امام ضغط الحركات الوطنية التي لم يمد يستطيع مواجهتها بسبب تجسيم كل قواه في حرب الجزائر فدعت الضرورة الى عقد مؤتمر افريقي جديد يندرس الحالات الجديدة ويتخذ المواقف الملائمة كذا ان حركة التحرير التحريرية اصحبت تسيير مسترخية لا يمكن تقدير مداها . وضبط ايجادها وتاريخها مقعدا . وهكذا انعقد مؤتمر اكرا الثاني الذي كان في هذه المرة مؤتمرا للشعوب وللحكومات في 8 ديسمبر 1958 وكان شعاره هو . يجب ان تكون افريقيا حرة . . . وقد ضم كل الحركات الوطنية في افريقيا من أقصى شمالها الى أقصى جنوبها ودرست فيه تجارب الكفاح المسلح للشعب الجزائري الذي تعد ثورته العظيمة مثلا تاريخيا دائما يمكن ان تستخلص منه الشعوب المكافحة الفصح السودوس في محاربة الاستعمار بالوسيلة الوحيدة التي يرتد لها ارتدادها حقيقيا وهي وسيلة الكفاح المسلح الذي لا يهدف الى نيل الاستقلال الاسمي فقط بل يرمي الى تحطيم كل الاوضاع الاستعمارية واجتثاثها من جذورها واقامة اوضاع جديدة يتم بناؤها بالتصميم ولشعب . كما درست تجارب الكفاح المسلح في الكورون وكينيا وتجارب الكفاح السياسي والتفاني في الافطار الخاصة لفرنسا وبريطانيا ومظاهر الاضطهاد المنعصري والحجيجي . وكان من اهم قرارات المؤتمر دعوتة الحكومات الإفريقية الى الاعتراف بالحكومة الموقرة للجمهورية الجزائرية وتوجيه نداء حار لساعدة الجزائر ماديا وادبيا والقيام بنشاط دبلوماسي فعال لصالح القضية الجزائرية وبدل كل الجهود الممكنة لمسل يوم الجزائر في 30 مارس من كل عام مناسية تقدم فيها كل الامكانيات الضرورية لتعزير كفاح الجزائر في سبيل استقلالها . كما اتخذت في مؤتمر الشعوب الإفريقية باكرا قرارات توسع اهداف الحركة التحريرية الإفريقية التي ترمي الى تحرير كامل القارة الإفريقية من الاستعمار والاستقلال وتوحيد اجزائها المبتورة وخلق مجتمع افريقي عادل يضمن فيه جميع المواطنين بالحسوية السياسية والمساواة المطلقة دون اي تمييز ديني او عنصري وتتخفق فيه العدالة الاجتماعية كما ترمي في الميدان الغنثالي الى محاربة سياسة المستعمرات والتجارب التوولية والحروب العدوانية وتأييد فكرة السلام العالمي والتضامن الشلمي بين كل الشعوب والدول . مهما اختلفت اتجاهاتها السياسية ونظمتها الاقتصادية والاجتماعية . والى المؤتمر مكتب اداريا ينتخب

ان يعقدوا دورة جديدة للمؤتمر تدرس النتائج التي تمتد والنتائج التي ينبغي العمل والسعى من اجل تنفيذها

مؤتمر التضامن الإفريقي الآسيوي في القاهرة

وان كان اختيار بانديونج مكانا لانعقاد المؤتمر الاول يرمي ان مسمى عظيم هو الدور الحاسم الذي لعبه التضامن الاسوي الإفريقي في استقلال اندونيسيا فان اسب مكان لانعقاد المؤتمر الثاني بعد الحوادث التي جرت منه انعقاد المؤتمر الاول هو القاهرة . فقد كانت مصر مسرحا لعدوان استعماري ايم عليها في نوفمبر 1956 وادى العدوان الاستعماري الثلاثي على مصر الى ابعث موجة جبارة من التأييد والتضامن العملي في كامل آسيا وافريقيا لم يفرها القارتان اسيا في تاريخها المرس ٠٠ لعدمت المظاهرات الصاحبة التي شاركت فيها الملايين من انشاء آسيا وافريقيا كامل القارتين وتدعت ريات ووسائل الاحجاج بعشرات ملايين النسخ كما دفعت المساعدات الادية بمختلف انواعها على مصر المعرضة للعدوان واصبحت في تلك الايام المعصية كل شعوب آسيا وافريقيا قلبا واحدا يخفق لمصر وصوتوا واحدا يرتفع بالناييد لمصر والمطالبة بخروج المعتدين الفاصيين . واضطر حلفاء الدول المندوبه انفسهم امام غضبة العالم اجمع وانصار الموجة التميمية الجبارة في كامل آسيا وافريقيا تايدا لمصر وتضامنا معها . ان يعفوا من معابر الامم المتحدة وغيرها مواقف الماخر لمعالمهم المعتدين الذين اضطررو ان يسحبوا قواهم في ذلة وانكسار . ووهكذا فرحت الشعوب الاسيوية والافريقية كلتها بجملاء المعتدين وخروج مصر ممرزة الجانب من هذه الازمة التي بينت قوة التضامن الاسوي الإفريقي وقدرته الحارسة على رد كيد المعتدين . وجاء مؤتمر التضامن الاسوي الإفريقي بمدينة القاهرة في نوفمبر 1957 تعزيرا لهذه القوة الانسانية التاريخية الهائلة المشتعلة في شعوب آسيا وافريقيا وتاكيدا لمبادئ باندونغ التي فتحت عنها جديدا في تاريخ الانسانية واعتبرتها شعوب العالم وتيقه جديدة حقوق الانسان اكمل من الوثائق السابقة لانها لا تقر حقوق الافراد فقط بل تقر حقوق الشعوب ايضا ولا تنادي هذه الحقوق سداة نظرية جودا . بل تكال من اجلها كفاها عمليا جبارا

وفي حين كان مؤتمر باندونغ مؤتمر حكومات ودول كان مؤتمر القاهرة مؤتمر شعوب وحركات وطنية سياسية وتقاوية . وكان انعقاده في بلد عربي مناسبة واحة لافطار الذي العظيم الذي بلغه كفاح الشعب الجزائري وقد استعمل الوقت الجزائري في المؤتمر استقلاليا دائما واقتت كل الوجود ووقا فامة طوية تصفق وتهدف في حواس عظيم لكفاح الجزائر وتورثها التي عبرت عن قوة الشعوب الجديدة وصمودها الجبار وعزمها الراسخ على الكفاح بكل وسيلة وبكل ثمن لتحقيق حريتها واستقلالها . وقرر المؤتمر تعدد يوم 30 مارس من كل عام يوما خاصا للجزائر تقام فيه الاجتماعات وتكتب المقالات وتذاع الاحاديث والنشورات التي تبين كفاح الجزائر كسا تجمع السرعات المختلفة لساعدة ثورة الجزائر المحيية . لمن جهة اخرى فان انعقاد مؤتمر التضامن الاسوي والافريقي فوق ارض افريقية ومشاركة وفود الحركات الوطنية من مختلف انحاء القارة الإفريقية المناضلة قد جعل منه اول منبر عالمي تطرح فيه قضية تحرير القارة الإفريقية التي كان الجزء الاكبر منها جيبية يعضم للاستعمار . وهذا ما دعا للشعوب الإفريقية الى التفكير في عقد مؤتمر جديد يسيير على نفس مبادئ مؤتمر باندونغ ومؤتمر القاهرة ولكنه يخص يبحث دعسا الإفريقية التي تحتاج الى معالجة خاصة لان اسيا كايا تحورت من الاستعمار في حين بقيت القارة

ملحق رقم 16: المؤتمر الإفريقي الثاني¹

المؤتمر الإفريقي الثاني

مشتركة يفرضا علينا الاستعمار والراسمالية
الأوروبية بدهاء تضح كل يوم أكثر .
وقادة إفريقيا المسئلة يستطهون أيضا ان « يدخلوا

مقياس نلهم الخاص » وان يكتمسوا ان القضاة
الإدبائية والاجتماعية العائمة بإفريقيا عندما ينظرون
إليها ينظرون إفريقيا ويوصفهم كثرينين . يستجيبون
لها الحلول البسيطة داخل نطاق الطينين .

ان البلدان الإفريقية المسئلة للمجتمعة في إطار
العائلة الإفريقية يجدون أنفسهم اليوم أمام قضية
بلغت عنقوانها الأقصى بالنسبة للعارة كلها .

وان هناك بعض الحقائق التي يحسن التذكير بها
في هذا الصدد .

ان الجزائر الغائلة جدا - ولاحد ينكر هذا - تحمل
الشرف بانها في اول قائمة البلدان التي تعارب لكي
تكون حرة . وان هذا الشرف السلي تدفع ثمنه منذ
خمس سنوات بدون هوادة هو السبب في استئلال
عدد كبير من افطار إفريقيا .

اذا كان وعى بعض الشعوب قد برز وتأكد ، واذا
كانت أوروبا - وفرنسا بالخصوص - لم تجد مناصا
من ان تنزع عنها اخلائها الاستعمارية شيئا فشيئا ،
فذلك لأن الجزائر قد تكلمت وتكلمت .

ان الوضع الجغرافي ، والنطاق الامبريال الفرنسي،
وظروف السياسة العالمية اشياء ثانوية بالنسبة
للجزر والفرنسي الجديد الذي تقوله الجزائر ان المهم
والواقع هو ان الجزائر تكلمت وتكلمت الكفاح المسلح
تكلمت لتخرج تعزوها هي وتخرج غيرها من الذين
تقفلوا بعد لمار ذلك الكفاح المستجيت . هذا الكفاح
البطل الصادق الجبار الذي خط بعد مستقبل المغرب
العربي . وهو كفاح لا يقبل التأويل الضيق الموجه .

وهذا ما يجعل الشجب الجزائري الذي ضحى بكل
حال ونفيس ، لا ينتظر او يطالب الثناء على تضحياته

العائلة الحارقة وانما ينتظر بهنو حكم التاريخ .

وعلى هذا ينبغي ان يرتفع مؤتمر مونروفيابعدولائه

الى مستوى افريقي الى مستوى انساني .

الثانية تجمع الحكومات الإفريقية
المسئلة في مونروفيا من يوم 4 الى يوم 8
اوت 1959

لقد حدد رؤساء الوفود المتجمعون في يوم الاثنين
3 اوت الجاري جدول اعمالهم . وبالإضافة الى قضية
التمييز العنصري ومخلف استكالة التي اتخذها اخيرا
وبالإضافة الى التجارب النووية الفرنسية في الصحراء
تحل القضية الجزائرية محور محادثات المؤتمر .

اما المناورات التي جات من « الخارج » والتي كانت
تهدف الى اغراق القضية الجزائرية في ادواج من اللوائح
المتنوعة فقد اخفقت .

وضبط جدول الاعمال بالنسبة للقضية الجزائرية
بكل وضوح في 3 نقاط وهي :

اولا : الاعتراف بالحكومة الموقنة للجمهورية
الجزائرية .

ثانيا : العون المادي لجهة التحرير و جيش
التحرير الوطني

ثالثا : النشاط الدبلوماسي في هيئة الاسم
المتحدة

وبهذه النقاط الثلاث تمكن رجال الدول الإفريقية
المسئلة ان يعرفوا بعمل واضح وفق خطة مضبوطة في
القضية الجزائرية .

اما النقطة الرابعة التي هي عبارة عن نتيجة من
نتائج الحرب الجزائرية . فهي تتعلق بالتشريع المربة
لحكومة « دي غول » . وبعبارة جامعة فان الوتير
يتعلق بسياسة « المنظمة » التي يتبعها « دي غول »
على حساب الشعوب الإفريقية كما يتعلق بتمزيق
المجموعة الفرنسية . واخيرا بعدة مسائل اخرى
جديرة بالتأمل والبحث . والتي تتطلب مواقف يكون
لها صدها البعيد

ومن وراء المقررات المجسمة التي ينتظر ان يتوصل
إليها الوزراء بوصفهم مسؤولين ، فانهم سيتمكنون
كذلك من ان يمتحنوا تجارب بلدانهم في النضال
ويختبروها ويخرجوا منها بسياسة خارجية بل وحتى
سياسة داخلية منسجمة ، مثلما يخرجون بعثر علينا

1 - المصدر السابق، العدد 48 (10-08-1959)، ص 3.

ملحق رقم 17: مؤتمر الدول الإفريقية المستقلة الثاني¹

الجزء الثاني في ندوة الدول الإفريقية المستقلة - لمت بأديس أبابا

الدول باسم الحرية والتضامن والكرامة الإفريقية إلى سحب الجسود الأسيبيين الذين تتصلهم فرنسا في الجزائر ضد أخوانهم الجزائريين الذين يكافحون من أجل القضية المشتركة لكل الإفريقيين ومن أجل الاستقلال والكرامة .

**من خطاب
السيد أحمد طيبي بن هيمية
رئيس الوفد المغربي**

« هل لاحظتم أيها السادة انه عند ما يحدث الإنسان عن حرب الجزائر كغيرها ما يكون غملاً من الحجاب اليسوية لهذه الحرب والشئ الباطن الذي يدفه إخواننا في الأرواح والأموال ليحمر الموضوع في الظروف التي تعيط بسفوف الحرب بعد دون معالجة المشكل الحقيقي . ان واجب الزبقي يتصل في عدم الانخراط بعمليات الانتصار وفي مساعدة الجزائر في ايجاد التدينامي وفي كل المسادين الأخرى لتكيتها من مواصلة الحرب بسبب ومن تحقيق ارادة السلم بكرامة . وينبغي ان لا ننسى ان حرب الجزائر كانت عملاً حاسماً في توجيه سير الحوادث بالبريقا وان كل الدول التي استقلت احسراً في إفريقيا تدب بالكثير للجزائر الكفاحية .

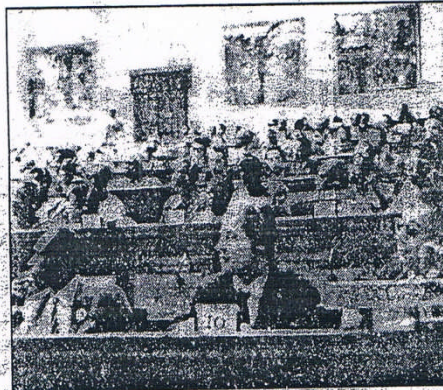
**من خطاب
السيد الطيب سليم
رئيس وفد تونس**

« منذ ما يقرب من ست سنوات تجري فوق أرض الجزائر حرب انتصارية ابنته هي حرب ابادة كاملة ضد الشعب الجزائري وقد اصعدت هذه الحرب تنقذ اهتمام الزعيم العالم كله . ان استمرارها بشكل عقبة رئيسية في تحقيق وحدة شمال إفريقيا فطيناً ان تساهم بكل الوسائل الممكنة لمساعدة الشعب الجزائري في تحقيق استقلاله وسيادته الوطنية . »

انعقد المؤتمر الثاني للدول الإفريقية المستقلة بمدينة اديس أبابا-عاصمة الحبشة من 14 الى 24 جوان 1960 لبحث المسائل التي تتعلق بتحرير القارة الإفريقية والسير بها نحو الوحدة والتقدم وقد ساد المؤتمر جو رائع من الحماس المقد والباييد المطلق للقضية الجزائرية التي يعتبرها جميع الافارقة قضيتهم الخاصة وقبول الوفد الجزائري باعظم مظاهر الجفاة الصادقة والتكريم الاخوي المخلص وكان خطاب الاخ محمد يزيد رئيس الوفد الجزائري يقطع بالهاتف المسوي والصفيق الحاد الطويل ، ولم تتزدد هيئة المؤتمر في قبول كل المقترحات التي قدمها الوفد الجزائري لتجسيد الباييد الإفريقي للجزائر في شكل عمل يعجل بتحقيق مطامح الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال ، واظهرت كل الدول الإفريقية المشاركة في المؤتمر اصرارها القوي على مؤازرة كضاح الشعب الجزائري في كل الميادين حتى تحقق امانته القومية ، وان هتده الروح التضامنية الجبارة التي يبديها جميع الافارقة نحو الجزائر لم ي اروع تيسر عن الوعي الإفريقي الجديد الذي يدفع قارنا الناهضة نحو احتلال مكانتها الزموية في العالم ، ومن مظاهر هذا الوعي الإفريقي الصاعد تنديد المؤتمر باستكمال الاستعمار الجديد ودعوته الى وضع الاسس المنبئة لمعاون الدول الإفريقية المستقلة في جمع المسادين ومساندة الاقطار الكفاحية من اجل الاستقلال ومعارضة المشاريع الاستعمارية الرامية الى استغلال افريقيا وجزئتها

لقد كانت الجزائر هي المحور الرئيسي للدولات المؤتمر وخطب اغضائه وهدف قرات من خطاب وفود الدول الإفريقية تبين الالهية البالغة التي تحلها الجزائر الكفاحية في قلب كل افريقي حر

لاخواننا الجزائريين . كما يجب ان تتضافر الجهود لتقديم المساعدة المادية الصافية للمكونة الجزائرية الكفاحية وان نويد بكل قوانا تنظيم قبائلي التطويرين على دول البسوة الغربية لندفع هذه



صورة للوفد الجزائري داخل قاعة المؤتمر
لقد اصيحت قضية الجزائر هي قضية كل افريقي

**من خطاب
السيد ديالو عبد الاووي
الامين العام
لمؤتمر الشعوب الإفريقية**

ان قضية الجزائر هي قضية القارة الإفريقية جمعاء . والسوايح ان كضاح الشعب الجزائري قد كنت له نتائج عطية الالهية في بنية القارة وخامة في البلاد الناجمة فرنسا . فقد اضرت فرنسا الى فرضية اقطار إفريقيا السوداء ومنها الاستقلال لتسرع لتجزئها . ويكون الاستقلال الجزائر نتائج هامة وغير منتظرة على انشور الاقتصاد والاشخاصي لإفريقيا وعلى ابراز شخصية إفريقيا ووجدها .

ان من الواجب على كل اقطارنا ان تخضع لجهوداتها لمساعدة الجزائر وان تومعها في كل المسادين . واول شيء يجب القيام به هو ان تعترف كل الدول الإفريقية المستقلة بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية لكي يدرك السراي العام العالمي ان الشعوب والدول الإفريقية لا تعرف اي ترويج او تضيق في تايدتها

¹ المصدر السابق، العدد 71 (27-06-1960)، ص 10.

ملحق رقم 18: الخسائر الفرنسية في شمال إفريقيا.¹

المجموع	المغرب	تونس	الجزائر	
	من 53/6/1 حتى 58/12/31	من 52/1/1 حتى 57/12/31	من 54/11/1 حتى 62/3/19	
15611	531	80	15000	القوات البرية في القتال والاغتيالات
7754	76	غير معروف	7678	حوادث
1389	232	119	1038	مرض - انتحار - عرق
24754	839	199	21716	المجموع
662	66	13	583	القوات الجوية عمليات وحوادث جوية
355	90	26	239	حوادث مختلفة
120	36	8	76	مرض
1137	192	47	898	المجموع
1109	109	غير معروف	1000	أسوأ أو مفقودون (من القوى الثلاث)
36804	999	190	35615	جرحى في القتال (القوى الثلاث)
29613	243	غير معروف	29370	جرحى في حوادث
67417	1242	190	65985	المجموع
93308	2273	436	90599	المجموع العام

¹ - بسام العسلي، العماد الأول مصطفى طلاس، الثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 684.

فهرس الأعلام

314،289 ،288 ،287 ،286 ،285 ،284 ،4،282	نلسون مانديلا
.235، 5	بشير القاضي
.82 ،7 ،6	محمد حربي
224،225،194،182،181،97،98 ،94،96 ،67،6	أحمد بن بلة
.315 ،231	
384 ،382،383 ،360 ،232،105،107،100،6	أحمد توفيق المدني
.105،94 ،93،6	فتحي الذيب
.16 ،14	فوري
.17 ،12	بيجو
.145 ،22 ،21	الأمير خالد
،355 ،323 ،321 ،296،211،106،101،64 ،23	فرحات عباس
.370 ،367،362	
.383 ،254 ،86 ،66 ،25 ،23	مصالي الحاج
،185 ،181،183 ،179 ،153 ،152،103 ،24	محمد بن عبد الكريم الخطابي
.381 ،206 ،202،195،186،189،192	
.145 ،26	عبد الحميد ابن باديس
.318 ،34 ،31	أفلاطون
.404 ،376 ،365 ،37 ،36 ،35	فرانز فانون
،98،100،101 ،87،93،95 ،85 ،84 ،63،58	جمال عبد الناصر
،113 ،104،105،106،110،111 ،103،102	
.339،318 ،119،178،183،191 ،115	
.193،194،183،192،122 ،65،67	محمد بوضياف

ديدوش مراد	.195،66 ،65
العربي بن مهيدى	.193،194،196،183،122،98 ،74 ،70 ،65،67
مصطفى بن بولعيد	.199،183 ،126،65
رابح بيطاط	.66 ،65
كريم بلقاسم	.370 ،368 ،367،365،79،66،74
محمد حىضر	.181 ،67
بن يوسف بن خدة	.368 ،365 ،74
شال دىغول	298،292 ،281 ،280 ،157،146،91،74،77،78 .409 ،402 ،401 ،364 ،341 ،312 ،311 ،310
محمد الخامس	،158 ،155،157 ،154،124،104،106،113،98 ،194،187،165 ،164 ،163 ،162 ،160،161 ،296،221 ،220 ،219 ،217 ،216 ،215،195 .383 ،381 ،380 ،379 ،378 ،353
عبد الحفيظ بوصوف	،367 ،366 ،365 ،362 ،355،196،100 ،98 .382 ،368
علي محساس	.224،100،99
الحبيب بورقيبة	،148 ،143،144،145،146،147 ،106 ،104 ،205 ،203، 202،186 ،184،151 ،150 ،149 ،224،225،226،211،212 ،209 ،208 ،207 ،388 ،386 ،364 ،363 ،334 ،315 ،229 ،227 .391 ،390
تيتو	.338 ،111 ،105
نهرو	.339 ،111
محمود فوزى	.119،112 ،103

،186،156،157 ،154 ،153،124 ،123 ،381،355 ،354 ،198 ،195،196،197،191 .384	علال الفاسي
،205 ،203،197،202 ،183،184 ،148 ،125 .390 ،386،232،209 ،208 ،207	صلاح بن يوسف
.222،127	أعمران
.222،127	بن عودة
.134 ،132	محمد الصادق
.189،136 ،22	الأمير عبد القادر
.152،138 ،137 ،135	السلطان عبد الحفيظ
.144،145،142	عبد العزيز الثعالبي
.144،142	علي باشا حمبة
.381 ،355 ،334 ،218 ،156،153	أحمد بلا فريج
.156 ،154،153	محمد حسن الوزاني
.169 ،168 ،166،167	احمد الشريف
.166،167	سليمان الباورني
.172،173 ،170،171،168،169 ،167	عمر المختار
.238 ،233،174 ،172 ،170،171 ،169	إدريس السنوسي
.394 ،179 ،177 ،176	أحمد بن حرمة بن بيانا
.372 ،370 ،212 ،182	محمد يزيد
.193،196	عبد الله صنهاجي
.193،196	عباس المسيعدي
،386،392 ،384 ،380 379 ،373،202،197 .401	إدغار فور

354,201	علي البلهوان
.389, 388, 387, 307, 219, 203, 202	مندس فرانس
.395, 386, 373, 209	غي موليه
.285, 262, 250	المهاتما غاندي
.267, 251	ويلسون
.260, 259	كيللي هايفورد
،298 ،296 ،294،264 ،263 ،262 ،261 ،260 ،370 ،336 ،335 ،333 ،322 ،321 ،313، 300 .375	كوامي نيكروما
.294, 273, 272, 271	جومو كيناتا
،313 ،302 ،294،296، 280،281 ،279 ،276 .376 ،320 ،319	أحمد سيكوتوري
.412, 322, 307, 301, 276	ليو بولد سنغور
.278, 277	بلز دياني
.412،376 ،370 ،323 ،322 ،307 ،296	موديو كتيا
.397, 396	مختار ولد دادة

فهرس الموضوعات:

1مقدمة
9	مدخل
11	1-احتلال الجزائر بوابة إفريقيا.....
15	2- السياسة الفرنسية في الجزائر وانعكاساتها.....
21	3-الوضع العام للجزائر في ظل الاستعمار.....
29	الفصل الأول: مكانة الثورة الجزائرية بين ثورات العالم
31	أولا: مفهوم الثورة (تعريفها، أنواعها وأهمها).....
31	1- تعريف الثورة.....
35	2- الثورة في فكر فرانز فانون.....
37	3- أنواع الثورات.....
43	4- أهم الثورات.....
80	ثانيا: الثورة الجزائرية و تأثيرها بالثورات العالمية.....
80	1-مقارنة الثورة الجزائرية ببعض الثورات في العالم.....
97	2-أثر الثورة المصرية في اندلاع الثورة الجزائرية عام1954.....
122	3- أثر بداية الكفاح المسلح في المغرب و تونس عام 1955.....
129	الفصل الثاني:أثر الثورة الجزائرية على البلدان المغاربية.
131	أولا:تأثير النضال الجزائري على البلدان المغاربية قبل 1954.....
131	1-تغلغل الاستعمار الفرنسي في تونس والمغرب من الجزائر (1830-1912)....
140	2-الأوضاع السياسية العامة للبلدان المغاربية.....
179	3-الثورة الجزائرية وبعدها المغاربي.....
190	ثانيا: تأثير الثورة الجزائرية على البلدان المغاربية بعد 1954.....

190	1- تأثير الثورة الجزائرية على البلدان المغاربية.....
210	2- موقف الثورة الجزائرية من أزمة بنزرت
214	3- دور البلدان المغاربية في دعم الثورة الجزائرية.....
239	الفصل الثالث: أثر الثورة الجزائرية على البلدان الإفريقية.
241	أولا: تأثير النضال الجزائري على البلدان الإفريقية قبل 1954
241	1- الروابط الحضارية بين الجزائر و إفريقيا.....
246	2- تغلغل الاستعمار الفرنسي في إفريقيا عبر الصحراء الجزائرية (1881-(1912)
248	3- أوضاع السياسة العامة لإفريقيا قبل اندلاع الثورة الجزائرية.....
289	4- الجزائر وفكرة توحيد إفريقيا.....
298	ثانيا: أثر الثورة الجزائرية على استقلال الدول الإفريقية بعد 1954
298	1- دور الدبلوماسية الجزائرية في دعم حركات التحرر في إفريقيا.....
304	2- الثورة الجزائرية و دورها في يقظة الشعوب الإفريقية.....
311	3- المحاولات الفرنسية للحفاظ على المستعمرات الإفريقية.....
313	4- فشل السياسة الاستعمارية الفرنسية في إفريقيا.....
314	5- الثورة الجزائرية مصدر إلهام نلسون مانديلا.....
316	الفصل الرابع: الدعم الإفريقي والتعجيل بالاستقلال.
318	أولا: الدعم الإفريقي للثورة الجزائرية
318	1- موقف بعض الدول الإفريقية من الثورة الجزائرية.....
323	2- الدعم السياسي والدبلوماسي.....
375	3- الدعم العسكري.....
378	ثانيا: دور الثورة الجزائرية في تعجيل باستقلال البلدان المغاربية
378	1- دور الثورة الجزائرية في استقلال المغرب.....
385	2 - دور الثورة الجزائرية في استقلال تونس.....

392 3- دور الثورة الجزائرية في استقلال إقليم فزان
394 4- دور الثورة الجزائرية في استقلال موريتانيا
398 ثالثا: دور الثورة الجزائرية في استقلال وميلاد الجمهوريات إفريقية
398 1- دور الثورة الجزائرية في استقلال بعض الدول الإفريقية
405 2- ميلاد جمهوريات إفريقية بفضل الثورة الجزائرية
414 خاتمة
418 ملاحق
444 البيبلوغرافيا
466 الفهارس
462 فهرس الأعلام
466 فهرس الموضوعات

الملخص:

إن موضوع البعد الإفريقي للثورة الجزائرية 1954-1962 من الموضوعات الشائكة في تاريخ الثورة الجزائرية وذلك بحكم تأثير الثورة العميق على القارة الإفريقية انعكاساتها الكبرى على العلاقات الإفريقية، وإن التعرض لمثل هذه المواضيع جعلها اهتمام السياسيين المؤرخين مؤكدين على أهمية دراستها الموضوعية لفهم تاريخ الثورة الجزائرية وبعدها الإفريقي وكشف جانب مهم من ارتباطات الثورة الجزائرية بالقارة الإفريقية من جهة، وارتباطها بالبلدان المغاربية من جهة أخرى، إذ جعلت المنطقة الأكثر تأثر وتأثير، هذا إلى جانب الأقطار الإفريقية ويتكون هذا البحث من مقدمة ومدخل وأربع فصول رئيسية وخاتمة، فتطرق في المدخل إلى احتلال الجزائر بوابة إفريقيا، ثم السياسة الفرنسية في الجزائر وانعكاساتها، وكذا الوضع العام للجزائر في ظل الاستعمار.

تناولت في الفصل الأول إلى مكانة الثورة الجزائرية بين توازن العالم أولا تعريف الثورة وأنواعها وثانيا ذكر أهم الثورات التحريرية في ختام الفصل بينت الثورة الجزائرية وتأثيرها بالثورات العالمية، أما الفصل الثاني فأبرزت فيه أثر الثورة على البلدان المغاربية وتناولت أولا تأثير النضال الجزائري على البلدان المغاربية قبل 1954م، وثانيا تأثير الثورة الجزائرية على البلدان المغاربية بعد 1954م، عالجت في الفصل الثالث أثر الثورة الجزائرية على البلدان الإفريقية فوضحت أولا الروابط الحضارية بين الجزائر وإفريقيا، ثانيا تأثير النضال الجزائري على البلدان الإفريقية بعد 1954م، وكان الفصل الأخير تحت عنوان الدعم الإفريقي والتعجيل بالاستقلال فتطرقت أولا الدعم الإفريقي للثورة الجزائرية، ثانيا دور الثورة الجزائرية في تعجيل باستقلال البلدان المغاربية، ثالثا دور الثورة الجزائرية في استقلال وميلاد الجمهوريات الإفريقية.

الكلمات المفتاحية: الثورة البعد، الدعم، التحرر، التضامن، العنصرية، تقرير المصير، الاستقلال.

Résumé:

Le sujet de la portée africaine de la révolution algérienne 1954-1962 est parmi les sujets les plus épineux dans l'Histoire de cette révolution et cela par son impact profond sur le continent africain et ses grandes répercussions sur les relations africaines. Ce genre de sujet est devenu le centre d'intérêt de politiciens et d'historien qui insistent sur l'importance de l'étudier objectivement afin de comprendre l'Histoire de la révolution algérienne de sa dimension africaine et connaître le côté important des relations entre la révolution algérienne et le continent africain d'un côté, et sa relation avec les autres pays africains d'un autre côté. Cela a rendu cette région la plus influencée.

Cette recherche est composée d'une introduction et de quatre chapitres principaux et une conclusion.

J'ai traité en introduction la colonisation de l'Algérie la porte l'Afrique puis la politique française en Algérie et ses conséquences ainsi que la situation de l'Algérie sous la colonisation.

J'ai traité dans le premier chapitre la place de la révolution algérienne parmi les autres révolutions. Premièrement, la définition de la révolution et ses types. Deuxièmes les plus grandes révolutions et en fin de chapitre j'ai parlé de l'influence de la révolution algérienne sur les autres révolutions. Concernant le chapitre deux, j'ai mentionné l'impact de la révolution sur les pays maghrébins en traitant aussi la répercussion du militantisme algérien sur les pays maghrébins avant 1954. Dans le chapitre trois, j'ai traité l'effet de la révolution algérienne sur les pays africains, et j'ai expliqué premièrement les liens civilisationnels entre l'Algérie et l'Afrique. Deuxièmement l'effet du militantisme algérien sur les pays africains après 1954. Le dernier chapitre était sous le titre le soutien africain à la révolution algérienne l'accélération de l'indépendance en traitant d'abord le soutien africain à la révolution algérienne ensuite son rôle à l'accélération de l'indépendance des pays maghrébins et pour terminer ce chapitre j'ai exposé le rôle de la révolution algérienne à l'indépendance et à la naissance des républiques africaines.

Mots clés: évolution, la portée, la liberté, la solidarité, le racisme, l'autodétermination, l'indépendance.